السيوطي النحوي

تأليف
الدكتور عدنان محمد سلمان

ساعدت جامعة بغداد على طبع هذا الكتاب
الطبعة الاولى
١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م

دار الرسالة للطباعة — بغداد

السيوطي النحوي

تأليف

الدكتور عدنان محمد سلمان

ساعدت جامعة بغداد على نشره

الطبعة الاولى

١٣٩٦هـ ــ ١٩٧٦م

دار الرسالة للطباعة ـ بغداد

مقدمة

تبوأ السيوطي مكانة عالية في مجال الدراسات النحوية ، وذلك بفضل كتبه التي اتحف بها المكتبة العربية .

ولما كنت قد أفدت من كتبه افادة كبيرة عند كتابتي رسالة الماجستير « التوابع في كتاب سيبويه » استجبت لاقتراح اساتذتي في قسم اللغة العربية حينما أشاروا علي بأن اتناول جانباً معيناً من جوانب السيوطي عند تقدمي لتسجيل رسالة الدكتوراه ، ومن ثم كان « السيوطي النحوي » هو الموضوع الذي تقدمت به لنيل تلك الدرجة من كلية الاداب بجامعة القاهرة .

واعتقد ان تناول مثل هذا البحث يعد من ألزم الأعمال التي يجدر بجامعاتنا ان تنهض بها ، لما فيه من احياء تراث أمتنا المجيدة ، بتخليد مآثر رجالاتها الأفذاذ الذين اسهموا أعظم الاسهام في بناء حضارتنا وارساء قواعدها .

وقد اتجه لي بعد الدراسة والتتبع والاطلاع الواسع على مؤلفات

السيوطي ان اجعل منهجي في بحث هذا الموضوع قائماً على تمهيد وثلاثة أبواب .

وخصصت التمهيد لعصر السيوطي ، وتناولت فيه الحياة السياسية والنشاط العلمي لهذا العصر ، وجهدت ان اربط قدر الامكان بين شخصية السيوطي واحداث عصره .

وجعلت الباب الأول لسيرة السيوطي وآثاره العامة ، وبنيته على فصلين ، بحثت في الأول سيرته ، وقدمت لذلك بحديث مقتضب عن مدينة أسيوط ، ثم تناولت نسبه ومولده واسرته وثقافته وشيوخه وتلامذته ، وختمته بالحديث عن وفاته ، وأوردت خلال ذلك معلومات مستفيضة عن هذا الرجل الفذ ، وجهدت ان اكشف عن شخصيته والعوامل التي اسهمت في تكوينها ، وموقف معاصريه منه ، وتتبعت أقوال متأخري المؤرخين في ذلك النزاع الحاد الذي جرى بينه وبين كثير من معاصريه .

أما الفصل الثاني فقد خصصت للحديث عن آثاره العامة ، فتحدثت عن طبيعة هذه الاثار ، واحصيت عدة مؤلفاته ، وأوردت أقوال مترجميه في ذلك ، ثم تحدثت عن الاسباب التي أتاحت له ان يؤلف ذلك العدد الكبير من المؤلفات في شتى فنون المعرفة ، وبعد ذلك سردت مؤلفاته في العلوم العربية ، وعددت أهم مؤلفاته في العلوم الدينية ، والتاريخ ، وتحدثت عن أدبه : نثره وشعره ، وختمت هذا الفصل بالحديث عن أهم مؤلفاته العامة .

ولما كان فضل السيوطي في الدراسات النحوية يتمثل في كتبه النحوية أكثر مما يتمثل في آرائه ، فقد خصصت البابين الثاني

والثالث من هذا البحث لدراسة هـــذه الكتب . وجعلت الأول تحت عنوان « في الأصول » والثاني تحت عنوان « متون وشروح » وبنيت الباب الثاني على فصلين ، تناولت في الاول الحديث عن كتاب « الاقتراح » ، وأما الثاني فقد تحدثت فيه عن كتاب « الاشباه والنظائر » ، وقد اكدت في كل من هذين الفصلين على الحديث عن مصادر هذين الكتابين وموادهما وقيمتهما العلمية ، ومهدت للاول بحديث مركز عن أصول النحو من « كتاب سيبويه » الى كتاب « الاقتراح » ، وتحدثت في مقدمة الثاني عن كتب الاشباه النظائر في الفقه وأصوله ، وذلك للصلة الوثيقة بين كتاب السيوطي فى النحو وبين هذه الكتب .

ولما تناولت الباب الثـالث جعلته عـلى ثلاثة فصول : خصصت الأول للمتون ، وقدمت له بحديث مقتضب عن المتون النحوية التي شاعت في عصر المماليك ، ثم تحدثت عن المتون النحوية التي وضعها السيوطي ، مثل : ألفيته المشهورة بـ « الفريدة » ، والتحفة السنية بقواعد العربية ، والشمعة المضية في علم العربية .

وأما الفصل الثاني فأفردته لدراسة كتاب « همع الهوامع شرح جمع الجوامع » ، وقد توسعت في الحديث عن هذا الكتاب ، لأن شخصية السيوطي تجلت فيه ، اكثر مما تجلت في غيره من كتبـــه النحوية ، وهو يمثل الغاية في نشاطه النحوي ، ومدى قدرته عـلى جمع الاراء وعرضها ، والموازنة بينها ، وتحدثت فيه عن مصادره ، ومدى الافادة التي أفادها من كتب ابن مالك وأبي حيان . وعقدت خلال هذا الفصل عدة مباحث تناولت فيها منهجه النحوي ، وآراءه

وموقفه من النحاة بعامة ، وابن مالك وأبي حيان وابن هشام بخاصة ثم ختمت هذا الفصل بالحديث عن القيمة العلمية لهذا الكتاب الجليل .

وخصصت الفصل الثالث للحديث عن بقية شروحه ، فتناولت فيه أربعة كتب من كتبه وهي : شرح شواهد المغني ، والمطالع السعيدة في شرح الفريدة ، والبهجة المرضية في شرح الألفية ، والنكت في علم العربية .

وختمت البحث بالحديث عن النتائج التي توصلت اليها خلال دراستي للجانب النحوي لهذا العالم النحرير .

وأما المصادر التي اعتمدت عليها في كتابة هذا البحث فهي كثيرة ويمكن تصنيفها الى ثلاثة اصناف .

١ ـ كتب التراجم والتاريخ : لقد تتبعت كتب التراجم والتاريخ التي تناولت عصر السيوطي وحياته ، وهي كثيرة ، ولا يزال قسم كبير منها مخطوطاً ، وقد اعتمدت على كتب السيوطي نفسه اعتماداً كبيراً ، أذكر منها : كتاب حسن المحاضرة ، وبغية الوعاة ، وتاريخ الخلفاء ، ومعاجم شيوخه ، وفهرس مروياته ، كما عولت على كتب معاصريه مثل تاريخ مصر لابن اياس والضوء اللامع للسخاوي ، ومفاكهة الخلان لابن طولون ، والطبقات الصغرى للشعراني ، واستعنت أيضا بكتب المؤرخين الذين تلوا عصره مثل شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي والنور السافر للعيدروسي والبدر الطالع للشوكاني ، والسنا الباهر للشبلي اليمني ، وغير ذلك من الكتب التاريخية .

وتتبعت ما كتبه الباحثون المعاصرون عن السيوطي وعصره ، وأفدت منها كثيراً ، خصوصاً كتاب عصر سلاطين المماليك للاستاذ محمود رزق سليم ، وصفحات من تاريخ مصر في عصر السيوطي للاستاذ عبد الوهاب حموده .

٢ ـ كتب النحو : وتأتي في مقدمتها كتب السيوطي نفسه ، وبخاصة تلك الكتب التي أفردت لها دراسات خاصة ، مثل : الاقتراح ، والاشباه والنظائر ، وهمع الهوامع ، وشرح شـواهد المغني ، والفريدة .

واستعنت ايضا بكتب النحاة الذين عول عليهم السيوطي في كتاباته ، مثل : الخصائص لابن جني ، وكتب ابن الانباري وابن مالك وأبي حيان وابن هشام . وغير ذلك من الكتب النحوية التي لا يستغنى عنها أي باحث ، مثل : كتاب سيبويه ، والمقتضب للمبرد والايضاح في علل النحو ، وشرح ابن عقيل على الألفية .

٣ ـ كتب من علوم مختلفة : واستعنت كذلك بكتب من شتى العلوم العربية والاسلامية مثل كتب الفقه وأصوله ، وكتب قراءات القرآن واعرابه وتفسيره ، وكان في مقدمة ذلك كتاب المحتسب لابن جني وكتاب بيان غريب اعراب القرآن لابن الانباري وكتب الأشباه والنظائر في الفقه وأصوله .

ولست أزعم بعد هذا الذي ذكرته أنني قد استطعت ان أوفي السيوطى حقه ، ولكن حسبي أنني حاولت وبذلت أقصى جهد أستطيعه والله أسأل ان يأخذ بأيدينا لما فيه خير أمتنا . انه سميع مجيب .

السيوطي النحوي

التمهيد

عصر السيوطي

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

عصر السيوطى

١ - الحياة السياسية :

ظهر السيوطي في عصر المماليك البرجية الذين حكموا مصر بعد زوال حكم المماليك البحرية ، وذلك حينما قام برقوق سنة ٧٨٤هـ. فخلع السلطان صلاح الدين حاجي بن الاشرف شعبان آخر المماليك البحريه وتولى مكانه السلطة ولقب نفسه بالملك الظاهر سيف الدين برقوق ، وكان الذي أشار بتلقيبه بالظاهر هو شيخ الاسلام سراج الدين البلقيني (١) . لان ولايته كانت في وقت الظهر (٢) .

---

(١) سراج الدين البلقيني : هو شيخ الاسلام ابو حفص عمر بن رسلان البلقيني المتوفى سنة ٨٠٥هـ.

(٢) حسن المحاضرة حـ ٢ ص ١٢٠ ، وانظر تاريخ الخلفاء ص ٥٠٤ وتاريخ ابن اياس حـ ١ ص ٢٥٩ ، ونزهة النفوس والابدان ص ٣٨.

والمماليك البرجية هم من الجراكسة جلبهم الناصر قلاوون (١) المتوفى سنة ٧٤١هـ. واسكنهم في ابراج القلعة ومن هنـــا جاءت تسميتهم بالبرجية ، تمييزا لهم عن المماليك البحرية ، الذين كانوا يقيمون في جزيرة الروضة (٢) .

وكثيرا ما أطلق المؤرخون على هذه الدولة اسم دولة الجراكسة لأن اكثر المماليك البرجية من اصل جركسي ، وان كان فيهم مماليك أتراك وآخرون من الروم (٣) .

وآخر ملوك هذه الدولة هو السلطان الأشرف طومان باي الذي صلبه السلطان العثماني سليم خان الاول عندما استولى على القاهرة سنة ٩٢٣هـ (٤) .

وبلغ عدد سلاطين هذه الدولة اثنين وعشرين سلطانا ، حكموا مدة مائة وتسع وثلاثين سنة (٥) ، وكان جميعهم من الجراكسة إلا

---

(١) الناصر قلاوون : هو الملك الناصر محمد بن عبد الله الصالحي .

(٢) حسن المحاضرة جـ ٢ ص ٣٤ ، وانظر سيرة القاهرة ص ١٩٩ ، القاهرة تاريخها وآثارها ص ١٧٦ ، وصفحات من تاريخ مصر في عصر السيوطي ص ٣ .

(٣) الفضائل الباهرة في محاسن القاهرة ص ٤٨ ، وانظر سـيرة القاهرة ص ١٩٩ .

(٤) شذرات الذهب جـ ٨ ص ١١٥ .

(٥) تاريخ الجبرتي جـ ١ ص ٦٤ .

اثنين هما خوشقدام (١) المتوفى سنة ٨٧٢هـ ، وتمربغا (٢) ، المتوفى سنة ٨٧٩هـ ، فقد كانا روميين .

وكان في مصر الى جانب السلاطين المماليك خلفـــاء عباسيون تعقد لهم البيعه ويكتب لهم عهد بالخـلافة ، ومنصب الخلافة هـذا منصب صوري اذ ليس للخفاء اى سلطة فعلية سوى انهم يحضرون تولية كل سلطان جديد ، ويعقدون له البيعة ، ويفوضون اليه ادارة البلاد ، وقد يتولون ترشيح القضاة ويحضرون المجالس التي يعقدها السلطان لبحث الشؤون الطارئة التي تقتضي اتخاذ تدابير معينه قد لا يستطيع السلطان ان يتحمل مسؤوليتها وحده .

وقد أولى السيوطي مركز الخلافة في مصر أهمية كبيرة ، ويعد وجود الخلفاء فيها سببا هاما من اسباب عظمتها ، قال في حسن المحاضرة : « واعلم ان مصر من حين صـــارت دار الخلافة عظم أمرها ، وكثرت شعائر الاسلام فيها . وعلت فيها السنة وعفت منها البدعة ، وصارت محل سكن العلماء ، ومحط رجال الفضلاء ، وهذا سر من اسرار الله أودعه في الخلافة النبوية » (٣) .

وبانتهاء دولة المماليك الجراكسة انتهت الخلافة العباسية في مصر وكان آخر من تلقب منهم بلقب الخليفة هو المتوكل على الله محمد بن

---

(١) نظم العقبان في أعيان الاعيان ص ١٠٩ ، وانظر تاريخ مصر لابن اياس جـ ٢ ص ٧٠ .

(٢) نظم العقبان في أعيان الاعيان ص ١٠٢ ، وانظر تاريخ مصر لابن اياس جـ ٢ ص ٨٧ .

(٣) حسن المحاضرة جـ ٢ ص ٩٤ .

يعقوب المتوفي سنة ٩٥٠هـ (١) .

وكان الجهاز الاداري للدولة المملوكية يتكون من السلطان وهو الحاكم الفعلي للبلاد الا اذا كان صغيرا ، فيتولى امر البلاد القائد العام للجيوش المملوكية الذي يطلق عليه الاتابك ، وهو أهم شخصية بعد السلطان (٢) .

ويعاون الحاكم المملوكي في ادارة البلاد حفنة من امراء المماليك وكل منهم تحت امرته عدد معين من الجنود ، والجنود كلهم من المماليك ، ومن العادة ان ينقسم المماليك الى مجموعات متميزة ويطلق على كل مجموعة اسم الامير الذي يؤيدونه ، او سبق لهم ان اشتغلوا تحت امرته ، مثل المماليك الاشرفية ، والمماليك المؤيدية والمماليك الناصرية (٣) .

ولكل سلطان دوادار ، وهو بمثابة « السكرتير الخاص » له ، قال السيوطي في حسن المحاضرة «والدوادارية موضوعها ان صاحبها يبلغ الرسائل عن السلطان ، ويقدم القصص اليه ، ويشاور على من يحضر الى الباب ، ويقدم البريد اذا حضر ، ويأخذ خط السلطان على عموم المناشير والتواقيع والكتب » (٥) .

---

(١) السنا الباهر ص ٤٨٠ ــ ٤٨١ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) مصر في دولة المماليك الجراكسة ص ٢ .

(٤) سيرة القاهرة ص ١٩٩ ، وانظر القاهرة تاريخها وآثارها ١٧٧.

(٥) حسن المحاضرة حـ ٢ ص ١٣١ .

ويعين كل سلطان لنفسه كاتب سر وظيفته قراءة الكتب الواردة الى السلطان ، وكتابة أجوبتها ، والجلوس لقراءة القصص بدار العدل والتوقيع عليها ، وتصريف المراسيم ورودا وصدورا (١).

ويتولى البلاد من الناحية القضائية أربعة قضاة ، كل منهم يسمى قاضي القضاة وكل واحد منهم يمثل مذهبا من المذاهب السنية الاربعة ، ويعاونهم نواب قضاة موزعون على جميع البلدان الخاضعة لحكم السلطان المملوكي .

وقد ضمن السيوطي كتابه حسن المحاضرة جملة معلومات تتعلق بسرد اسماء السلاطين والخلفاء والوزراء وكتاب السر والقضاة ، الذين تولوا أمور الدولة المملوكية منذ أول تأسيسها الى اواخر عصره .

وبرز في دولة المماليك الجراكسة عدة ملوك استطاعوا أن يسهموا في تعمير البلاد وتحسين احوالها ، اضافة الى حرصهم الشديد على المحافظة على حدود مملكتهم من الهجمات المتكررة التي كان يقوم بها الطامعون في الاستيلاء على اطراف هذه المملكة فقد استطاع السلطان برقوق مؤسس دولة الجراكسة ان يحافظ على مكانة مصر بين المماليك المجاورة ، وعمل على توسيع رقعة المملكة المصرية ، حتى خطب باسمه في اماكن لم يخطب فيها لاحد من ملوك مصر قبله ، فخطب باسمه في تبريز العجم ، والموصل وماردين ، وسنجار وفي دوركي بأرض الروم وضربت سكة النقود باسمه في

---

(١) حسن المحاضرة ج ٢ ص ١٣٢ .

هذه الاماكن (١) .

ولما زحف تيمور لنك صوب البلاد السورية تصدى له السلطان برقوق ، وجرت بين جيشه وجيش تيمور لنك مناوشات ولم تقع بينهم معركة حاسمة ، لان تيمور لنك عاد الى بلاده لامر حدث فيها ، فلما تحقق برقوق من ذلك ، قفل راجعا الى الديار المصرية (٢) ، ويقال ان تيمور لنك لما بلغه موت الظاهر برقوق سنة ٨٠١هـ ، فرح فرحا شديدا واعطى من بشره بذلك خمسة عشر ألف دينار (٣) .

وتعد أيام السلطان الظاهر أبي سعيد جقمق من أهدأ سنوات حكم المماليك ، وكانت مدة حكمه يقرب من خمسة عشر سنة ، فقد تولى الحكم يوم الاربعاء في التاسع عشر من شهر ربيع الاول سنة ٨٤٢هـ ، واستمر في الحكم الى ان مات ليلة الثلاثاء في الثالث من صفر سنة ٨٥٧ هـ ، وفي أيام حكمه ولد الشيخ جلال الدين السيوطي (٤) .

---

(١) تاريخ ابن قاضي شهبة جـ ٤ لوحة رقم ١٤٨ ، وانظر تاريخ مصر لابن اياس حـ ١ ص ٣١٥ .

(٢) انباء الغمر بابناء العمر حـ ١ ص ٢٥٢ ، وانظر تاريخ مصر لابن اياس حـ ١ ص ٢٥٢ ، وسيرة القاهرة ص ٢٠٠ .

(٣) البدر الطالع حـ ١ ص ١٧٤ .

(٤) الضوء اللامع حـ ٣ ص ٧١ـ٧٤ ، وانظر نظم العقيان ص ١٠٣ ، وحسن المحاضرة حـ ٢ ص ١٢١ .

ويعد السلطان الاشرف قايتباي من أحد سلاطين الجراكسة سيرة وخلقا ودينا ورغبة في الاصلاح، وهو أول السلاطين الذين عاصرهم السيوطي، وكان لهم شأن في عصره، وتعد الفترة التي حكم فيها قايتباي أطول فترة حكم سلطان مملوكي فقد دام حكمه تسعاً وعشرين سنة وأربعة أشهر وعشرين يوما، فقد تولى السلطنة يوم الاثنين السادس من رجب سنة ٨٧٢هـ ومكث في الحكم الى ان خلع بسبب مرضـــه الشديد، وذلك في يوم السبت السادس عشر من ذي القعدة سنة ٩٠١هـ (١).

وأسهم قايتباي اسهاماً محموده في عمارة كثير من المراكز العلمية والدينية في مصر وما يتبعها من الاقطار (٢)، وقد قام باصلاحات عمرانية ما زالت معالمها الى اليوم تشهد له بالفخر والسؤدد، وكان محبا للاسفار، فقد رحل الى سورية. واقليم الفرات، وطاف بانحاء مصر فزار دمياط والاسكندرية والرشيد، وزار مكة وبيت المقدس وكان اينما حـــل وحيثما ارتحل يترك آثارا تتحدث عنه وتفصح عن حبه للعمارة والاصلاح (٣). فقد قام بتعمير مسجد الخيف بمنى ولا زال ما عمره قائما الى الان شـاهدا على حسن صنعـه، وأنشأ في مكة بجانب المسجد الحرام عند باب السلام مدرسة عظيمة

---

(١) الضوء اللامع حـ ٦ ص ٢٠١، وانظر شـذرات الذهب حـ ٨ ص ٩، وحسن المحاضرة حـ ٢ ص ١٢٢.

(٢) شذرات الذهب حـ ٨ ص ٩، وانظر تاريخ مصر لابن اياس جـ ٢ ص ٢٩٧.

(٣) الضوء اللامع حـ ٦ ص ٢٠٥ ـ ٢٠٦، وانظر القاهرة ص ١٧٨

بها صوفية وتدريس وفقراء وخزانة كتب ، وبجانبها رباط للفقراء والطلبة ، وأنشأ بالمدينة المنورة مدرسة عظيمة ، وجدد بناء المسجد النبوي بعد الحريق الذي شب فيه واصلح عين عرفه واجرى فيها الماء بعد انقطاعه أكثر من قرن (١) وما زالت الى الان باقية وفيها نفع عظيم للناس . وانشأ ببيت المقدس مدرسة كبيرة ، وأقام أيضا في غزة مدرسة عظيمة ، واما في مصر فقه أسس مدرسة بالقرب من جامع ابن طولون ، وبنى وكالات وخانات كثيرة في مختلف انحاء البلاد ، واصلح الطرقات والقناطر والجسور (٢) .

وكان السلطان قانصوة الغوري آخر السلاطين المماليك الذين عاصرهم السيوطي ، وتولى الغوري ملك مصر في آخر دولة الجراكسة وقد استتب له الامر بعد صراع طاحن بين الامراء المماليك استمر من موت الملك الاشرف قايتبـاي سنة ٩٠١هـ الى ان خلع الملك العادل طومان باي سنة ٩٠٦هـ فقد كانت هذه الفترة مليئة بالاضطرابات والفتن والمشاكل المروعة ومع ذلك فقد استطاع الغوري ان يثبت قدميه ، ويكبح من تسلط الامراء فقد كان ذا رأي وفطنة ، كثير الدهاء والعسف فقمع الامراء ، وأذل المعاندين ، حتى اشتد ملكه

---

(١) النور المسافر ص ١٤ ، وانظر تاريخ مصر حـ ٢ ص ٢٩٨ ـ ٣٠٣ ، والبدر الطالع حـ ٢ ص ٥٦ .

(٢) تاريخ مصر لابن اياس حـ ٢ ص ٢٩٨ ، وانظر البدر الطالع حـ ٢ ص ٥٦ .

وقويت هيبته (١) .

واستمر الغوري في الحكم الى سنة ٩٢٢هـ ، وحاول ان يحافظ على سلطنة المماليك وهيبتهم ، فجهز جيشا كثيفا ليصد الجيش العثماني بقيادة سليم خان الاول ، فألتقى الجيشان في موقعة مرج دابق ، شمالي حلب ، وكانت مدافع العثمانيين قوية ، ففتكت بجيش المماليك ، فانهزموا ، وفلج الغوري لوقته ، ووقع تحت سنابك الخيل ، فلم يوقف له على اثر ، وقد دامت دولته في حكم مصر والحجاز والشام خمس عشرة سنة وتسعة اشهر وخمسة وعشرين يوما (٢) .

وبعد ان تم الامر للسلطان سليم في البلاد الشامية ، توجة الى مصر ، فدخل القاهرة ، بعد مناوشات عنيفة بينه وبين المماليك بقيادة الاشرف طومان باي الذي اختاره أمراء المماليك ملكا للبلاد بعد ان تأكدوا من هلاك الغوري(٣) . وبعد دخوله القاهرة بثلاثة أيام سلم الاشرف طومان باي نفسه . فصلبه السلطان العثماني في باب زويلة . وبذلك انتهت دولة الجراكسة . واصبحت مصر ولاية تابعة للسلطنة العثمانية (٤) .

---

(١) الشذرات حـ ٨ ص ١١٣ ، وانظر تاريخ مصر لابن اياس حـ ٣ ص ٥٨ والبدر الطالع حـ ١ ص ٥٥ .

(٢) البدر الطالع حـ ٢ ص ٥٥ وانظر النور السافر ص ١٠٧ ، والشذرات حـ ٨ ص ١١٣ .

(٣) الشذرات حـ ٨ ص ١١٥ . وانظر السنا الباهر ص ٢١٩ .

(٤) الشذرات حـ ٨ ص ١١٥ . وانظر السنا الباهر ص ٢١٩ .

وأبرز مظاهر دولة المماليك الجراكسة هو ذلك الاضطراب السياسي الداخلي الذي ساد في عصرها (١) وكان سببا هاما في تحطيمها والقضاء عليها ، فأغلب سلاطين هذه الدولة وصلوا الى الحكم بعد تدبير فتنة عاصفة واحداث انقلاب سياسي فظيع يطيح بالحاكم ليأتي الى الحكم أمير آخر كان يدبر الامر لنفسه في الخفاء ، وقد يسبق هذا الانقلاب تدبير عدة مؤامرات لازاحة المنافسين وتصفية الجو للحاكم الجديد .

ولو تتبعنا سلسلة تسلطن هؤلاء المماليك لرأينا ان أكثر من نصفهم قد خلعوا من الحكم خلعا ، بل ان الملك برقوقا نفسه ، وهو مؤسس هذه الدولة قد خلع من السلطنة في جمادي الثانية سنة احدى وتسعين ، وسجن بالكرك ، وأعيد حاجي بن الاشرف شعبان الى السلطنة ، فأقام فيها الى صفر سنة اثنتين وتسعين ثم خلع ، وعاد برقوق الى السلطة مرة اخرى (٢) .

وشهدت السنوات الاخيرة من حياة هذه الدولة اعنف التقلبات السياسية واقسى الفتن التي دبرها أمراء المماليك على السلطة ، ففي سنوات قليلة تولى السلطة خمسة سلاطين ، ففي يوم الاربعاء الخامس والعشرين من ربيع الاول سنة ٩٠٤هـ ، قتل السلطان الناصر ابو

---

(١) صفحات من تاريخ مصر في عصر السيوطي ص ٣ .

(٢) حسن المحاضرة حـ ٢ ص ١٢٠ ، وانظر تاريخ ابن قاضي شهبه حـ ٣ لوحة رقم ٣٩ ولوحة ٥١ ، ونزهة النفوس والابدان ص ٢٩٤-٢٩٥ .

السعادات محمد بن الاشرف قايتباي ، وتولى السلطنة بعده خاله قانصوه ، وتلقب بالملك الظاهر (١) ، ثم تآمر عليه المقدمون من أمراء المماليك فخلعوه واسندوا السلطنة الى جان بلاط يوم الاثنين ثاني ذي القعدة سنة خمس وتسعمائة (٢) ، ولم يمضي على توليه السلطة سوى نصف سنة وستة عشر يوما حتى ثار عليه مساعده الايمن طومان باي فخلعه وتولى مكانه الحكم يوم السبت الثامن والعشرين من جمادى الاخرة ، ولقب نفسه بالملك العادل(٣) ومكث في السلطنة مدة يسيرة ، وهي ثلاثة اشهر وعشرة ايام ، قال عنه ابن اياس واصفا عهده « ولو دام في السلطنة لوقع منه أمور شتى ، ولكان قتل غالب الامراء » وكانت مدة سلطنته كلها شرور وفتن مع قصرها » (٤) وقد اضطر السيوطي الى الاختفاء طيلة ايام حكم هذا السلطان ، لانه قد صمم على قتله (٥) اذا قبض عليه ، ولكن الله لم يمكنه من ذلك اذ قام عليه الامراء فخلعوه ، واسندوا سلطنة البلاد الى قانصوه الغوري ، وذلك في أول يوم من أيام عيد الفطر

---

(١) تاريخ مصر لابن اياس حـ ٢ ص : ٣٤٨ ـ ٣٥٠ ، وانظر الشذرات حـ ٨ ص ٢٣ .

(٢) الشذرات حـ ٨ ص ٢٨ ، وانظر تاريخ مصر حـ ٢ ص ٣٧٠ .

(٣) الشذرات حـ ٨ ص ٢٧ وانظر تاريخ مصر حـ ٢ ص ٣٨٦ .

(٤) تاريخ مصر لابن اياس حـ ٢ ص ٣٩٦ .

(٥) تاريخ مصر لابن اياس حـ ٢ ص ٣٩١ ، وانظر السنا الباهر ص ٩٠ ـ ٩١ .

سنة ٩٠٦هـ (١) .

ولم تكن هذه الفترة هي الفترة الوحيدة التي اضطرب فيها الحكم وتكررت فيها الانقلابات السياسية ، فقد سبقتها فترات لا تقل عنها اضطرابا ، فقد يحدث في سنة واحدة وقوع اكثر من تغيير في السلطة فمثلا عندما توفى السلطان الظاهر أبو سعيد خشقدم في ربيع الاول سنة ثمانمائة واثنتين وسبعين تسلطن بعده بلباي المؤيدي (٢) ، ولم يمكث الا يسيرا ، فخلعه الامراء في اليوم السابع من جمادي الاولى وتسلطن في اليوم نفسه الملك الظاهر تمربغا ، وفي رجب من السنة نفسها خلع تمربغا . واسندت السلطنة الى الملك الاشرف قايتباي ، وكانت مدة سلطنة الملك الظاهر تمربغا ثمانية وخمسين يوما لاغير قال ابن اياس : « ولم يعلم بأحد من ملوك الترك انه خلع في أقل من هذه المدة » (٣) .

وكان دائما يصاحب هذه التقلبات السياسية والتغييرات المفاجئة في السلطنة توتر عام يسود البلاد ، تتخلله الفتن والاضطرابات ، فتنتهك الحرمات وتسلب الاموال ، ويعتدى على الاعراض ، وتداهم البيوت ، اما من اجل التفتيش عن أمير هارب ، واما للانتقام من

---

(١) تاريخ مصر لابن اياس حـ ٢ ص ٣٩٦ ، وانظر تحفة الناظرين فيمن ولى مصر من الولاة والسلاطين على هامش فتوح الشام حـ ٢ ص ٤٨ .

(٢) الشذرات حـ ٧ ص ٣١٥ وانظر حسن المحاضرة حـ ٢ ص ١٢٢

(٣) تاريخ مصر لابن اياس حـ ٢ ص ٨٩ .

الموالين للعهد الحاكم السابق ، فتحدث الويلات المدمرة المهلكة ، وتحرق البيوت ، وتصادر الاموال ، ويهجم على الآمنين في الليل والنهار ، وقد يضطر الناس الى ملازمة بيوتهم اياما كثيرة خوفا على انفسهم بسبب الاضطرابات وانتشار القلاقل ، وكثرة المناوشات بين الفرقاء المتخاصمين (١) .

ولم تكن هذه الفتن الداخلية هى كل ما ابتليت به مصر في عهد المماليك الجراكسة بل كانت هناك اضطرابات خارجية انهكت قوى البلاد ، فقد اعتاد امراء سورية . وامراء الحجاز ان يقوموا بحركات ثورية عنيفة شغلت جانبا كبيرا من مجهود السلاطين ، وهناك كذلك غارات البدو المتكررة على اطراف البلاد وغزوات المغول ، وخاصة في عهد تيمورلنك ، ثم هجمات الصليبيين على الثغور المصرية واستيلاؤهم على أحد هذه الثغور بين الفينة والفينة (٢) ، ثم ظهور البرتغال على المسرح السياسى (٣) ، كل ذلك كان يحدث بصورة متداخلة ومتلاحقة

وهناك عامل آخر يجب ان ننتبه اليه ونحن نعالج مشاكل هذه الدولة ، وهو زيادة قوة آل عثمان ، خصوصا منذ ايام السلطان محمد الفاتح الذي تم على يده احراز ذلك الانتصار

---

(١) تاريخ مصر لابن اياس حـ ٢ ص ٣٢٨ ، ص ٣٢١ .

(٢) انظر ابناء الغمر بابناء العمر حـ ١ ص ١٩٩ ، ص ٢٢٤

(٣) مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة للدكتور ابراهيم علي طرفان ص ٢٩١ ، ٢٩٢ .

العظيم في تلك العملية الحربية البارعة التي أدت الى فتح القسطنطينية (١) سنة ٨٥٦هـ. والقضاء على الدولة الرومانية الشرقية .

لقد ساعدت هذه العوامل على اضعاف هذه الدولة التي لعبت دورا هاما في تاريخ المنطقة ، والتي كانت في يوم ما محط آمال المسلمين وموضع رجائهم في الخلاص مما يكابدونه من محاولات محقهم ، والسيطرة على بلدانهم ، فقد حدثنا ابن اياس : أن المسلمين في الأندلس لما ضاقت بهم الدنيا وأحسوا أن الخطر يحيق بهم من كل مكان أرسلوا قاصدهم الى مصر أيام قايتباي سنة ٨٩٢هـ ، وطلبوا من السلطان ان يرسل لهم مساعدة عسكرية تنقذهم مما هم فيه من المحاصرة والمكايدة ، قال ابن اياس : « وفي دي القعدة (أي في سنة ٨٩٢هـ) جاء قاصد من عند ملك الغرب صاحب الأندلس ، وعلى يده مكاتبة من مرسله تتضمن أن السلطان يرسل له تجريدة تعينه على قتال الفرنج فانهم اشرفوا على أخذ غرناطة وهو في المحاصرة معهم ، فلما سمع السلطان ذلك ، اقتضى رأيه ان يبعث الى القسوس الذين بالقمامة (أي كنيسة القيامة) التي بالقدس بأن يرسلوا كتابا على يد قسيس من اعيانهم الى ملك الافرنج صاحب نابل بأن يكاتب صاحب أشبيليه بأن يحل عن أهل مدينة غرناطة ويرحل عنهم ، وإلا يشوش السلطان على أهل القمامه ويقبض على اعيانهم ، ويمنع جميع طوائف الفرنج من الدخول الى القمامة ، ويهدمها ، فأرسلوا قاصدهم

---

(١) نظم العقيان في اعيان الاعيان ص ١٧٣ .

وعلى يده كتاب الى صاحب نابل ، كما أشار السلطان ، فلم يفد ذلك شيئا ، وملك الفرنج مدينة غرناطة فيما بعد » (١) .

ولما بدأ البرتغاليون يهاجمون سواحل الهند محاولين احتلالها أرسل ملك جوجرات والحكام المسلمون الاخرون بجنوب الهند الى السلطان الغوري يستحثونه على التدخل ، وفعلا تدخل السلطان الغوري ، فأرسل أكثر من حملة بحرية ، استطاعت احداها الوصول الى الهند وطردت البرتغاليين من هناك (٢) .

ولكن هذا النصر الذي أحرزه الاسطول المملوكي في المحيط الهندي لم يحل دون انهيار دولة المماليك وسقوطها ، إذ ان الخطر الحقيقي الذي كان يداهم هذه الدولة هو زيادة قوة آل عثمان ، واتجاه أنظارهم نحو سورية ومصر ، لقد أصبح الصراع المكشوف بين دولة المماليك والعثمانيين متوقعا بين لحظة وأخرى ، فسرعان ما جاءت الاخبار الى السلطان الغوري أن السلطان سليم العثماني قد حشد حشودا كبيرة على حدود دولة المماليك ولم يصدق السلطان المملوكي الاشاعات التي أطلقها السلطان العثماني بأن تلك الاستعدادات انما قصد بها محاربة الصفويين ،

---

(١) تاريخ مصر لابن اياس ﺣ ٢ ص ٢٤٦ ، وذكر ابن اياس في حوادث سنة ٩٠٦ﻫ ، ان الاخبار جاءت من بلاد المغرب تفيد ان الفرنج قد استولوا على غرناطة ، التي هي دار ملك الاندلس ، تاريخ مصر لابن اياس ﺣ ٢ ص ٣٧٦ .

(٢) مصر في عصر دولة المماليك للدكتور ابراهيم علي طرخان ص ٢٩٥ ـ ٢٩٦ .

لقد أوجس الغوري خيفة من نيات سليم ، فأخذ يحشد قواته على عجل لمواجهة الموقف ، وفي تلك الاوقات العصيبة لم يتخل المماليك عن عبثهم ، ولم يقدروا خطورة الموقف الذي أوشك أن يعصف بهم جميعا ، فثار الجلبان في القاهرة ، لتأخر رواتبهم ، فغضب السلطان الغوري وترك القلعة ، واعتزل في المقياس ، وقال للامراء — على حد تعبير ابن اياس : « انا ما بقيت اعمل سلطانا ولوا عليكم من تختاروه — كذا — غيري (١) » . وقد استغل المماليك الجلبان هذه الفرصة فتمادوا بالعبث ، ونهبوا الدكاكين في القاهرة واستمروا ينكدون على الناس ، ويخطفون عمائمهم ، وحصل بذلك للناس ضرر شامل ، واخيرا استطاع كبار الامراء أن يسترضوا ، السلطان الغوري ، فعاد الى القلعة بعد أن أنب بعض الأمراء وقال لهم « لا تسمعوا للمماليك القراصنة ، الذين يرمون بيني وبينكم الفتن ، وتشمتون العدو فينا ، وابن عثمان متحرك علينا » (٢) .

في هذه الفترة المضطربة ظهر الشيخ جلال السيوطي ، فاستطاع أن يشق طريقه وسط تلك الفوضى العارمة والفتن المتعاقبة ، التي زعزعت الدولة ، وجعلت الحكم ألعوبة بأيدي حفنة من الانفار ، يحركون الاتباع بكل ما أوتوا من مكر ودهاء ، فيعصفون بكل شيء أمامهم ، من أجل ان يعزلوا القائم

(١) تاريخ مصر لابن اياس ح ٤ ص ٤٨٤ .
(٢) تاريخ مصر لابن اياس ح ٥ ص ٧ .

بالأمر ، ليولوا آخر ، ستعصف به عما قريب عاصفة أشد قوة ونكالاً ، وهكذا دواليك ، لا تمر سنة الا وتقوم فيها فتنة هوجاء مهلكة يذهب ضحيتها مئات الابرياء ، بل الالوف ، لا من أجل شيء سوى ان شهوة حكم قامت في نفس مملوك جلب للبلاد عبدا بيع في سوق النخاسة ثم واتته الظروف ليكون على رأس الجند فيحنث بالايمان ويخون العهد ويشهر السلاح على ولي نعمته ، ليتربع مكانه على دست الحكم .

وسط هذه العواصف والتقلبات السياسية العنيفة وأزمات الحكم المتكررة يصعب على الانسان العادي أن يصق طريقه بأمان لان كل ما حوله يدعو الى الركود والبلادة والكسل وعدم الفعالية ، فالامن غير مستتب والكوارث الاقتصادية الخانقة لا يمر عام الا ويعم البلاد بلاؤها ، وجور الحكام ، وتسلطهم ، وكثرة مصادراتهم للاموال ، كل ذلك بلا شك يحول دون التقدم والابداع ، فقد يضطر - نتيجة لذلك - كثير من الاعيان البارزين الى الاختفاء والعزلة ، كما حدث للسيوطي نفسه أيام الملك العادل طومان باي ، حيث اختفى طيلة ايام حكمه ، ومن ثم انعزل عن الناس تماما ، ايام خلفه الملك قانصوة الغوري .

ان نبوغ السيوطي واضرابه وسط هذه الظروف ليدل دلالة قوية على عبقرية أولئك النفر ، الذين كانوا نجوما متلألئة خلال ذلك الظلام المتراكم ، الذي كان الناس يعيشون فيه بسبب تلك الاحداث الدامية ، التي لا يمر عام الا وقد تكرر فيه وقوعها

٢ ـ النشاط العلمي :

عندما بدأ نجم الخلافة العباسية في الافول وسادها الاضطراب وتنازعتها الاهواء وفقد الامن ، بدأت المراكز العلمية في بغداد تضمحل ويقل شأنها . فهدت شهرتها العلمية وهان أمرها ، وقل نتاجها ، وتناقص اقبال العلماء عليها ، وتضاءلت رحلة طلبة العلم اليها .

ولكن اضمحلال العلم في بغداد ، وانحساره عنها ، لا يعني ان الثقافة الاسلامية قد توقف مدها ، وانعدم نتاجها ، وتبلد حسها ، لقد وجدت الثقافة لنفسها متنفسا في مكان آخر من العالم الاسلامي المترامي الاطراف ، فبرزت في هذه الحقبة الى الوجود بلاد الاندلس فأمدت دنيا الاسلام بدفقة قوية من رجال العلم والمعرفة . وامتد تأثير الثقافة الاندلسية الى بلاد المشرق عبر الشمال الافريقي . ولا يمكن ان نغفل بأي حال من الاحوال عن تأثير الثقافة الاندلسية على اهل اوربا . فقد كانت الاندلس الطريق الطبيعي لاتصال الاوربيين بالعالم الاسلامي . ومن ثم اسهمت هذه الاتصالات اسهاما فعالاً في النهضة الاوربية الحديثة .

ولقد واكبت النهضة الاندلسية نهضة ثقافية بارعة برزت في المراكز العلمية المترابطة . ابتداء من الشام ثم القاهرة فالشمال الافريقي . وقد تلقفت هذه المراكز العلمية زيادة الثقافة الاسلامية قبل سقوط بغداد بفترة طويلة فازدانت معاهدها بحلقات العلم

واصبحت محط انظار العلماء ، فارتحل اليها طلاب المعرفة ، وتوافد اليها أهل العلم ، فنمت فيها الثقافة وعظم شأنها .

ولقد شاع عن الفترة التي تلت سقوط بغداد أنها فترة ظلام ، وأنها عصور متأخرة ، وقرون حالكة السواد ، انها لخرافة كبرى ، وفرية جريئة استطاع الذين في قلوبهم مرض ان يروجوها حتى باتت عندنا من الامور المسلم بها ، والتي لاتحتاج الى برهان ، يكفي أن نذكر العصور التي تلت سقوط بغداد ليتبادر الى ذهن السامع التخلف والجهل والظلام ، نعم ان سقوط الخلافة العباسية أصاب الثقافة الاسلامية بهزة عنيفة ، هلعت لها القلوب ، وجزعت من هولها النفوس ، ولكن هذه الضربة - مع شدة قسوتها - لم تستطع ان توقف تيار الثقافة الاسلامية فقد برزت الى الوجود في هذه الحقبة السلطنة المصرية ، في ظل المماليك ، فنمت في عاصمتهم القاهرة مراكز العلم ، ودور المعرفة ، وانتشرت فيها المكتبات ، وازدهرت حركة العلم ، واصبحت مصر ملاذ العلماء ومأوى طلبة العلم يتوافدون اليها من أطراف البلاد الاسلامية .

ولم يمنع الاضطراب السياسي الداخلي الذي ساد مصر ايام المماليك من نشوء نهضة علمية ، كان لها أكبر الاثر في نشر الثقافة الاسلامية وتطورها ، وبعث الروح الخلاقة في كيان هذه الامة ، فقد اسهم سلاطين مصر وامراؤها اسهاما فعالاً في تنشيط حركة العلم والمعرفة ، فبنوا المساجد والمدارس والخوانق ، وأنشأوا خزانات الكتب ، وعينوا من يشرف على ذلك من العلماء والموظفين وأجروا عليهم المرتبات ، ومنحوا طلبة العلم المكافآت .

ولعل اغرب مايروى في تاريخ الشرق هو ذلك التناقض الحاصل في دولة المماليك ، فقد امتزج الفساد والقسوة والوحشية بالرقي في الحضارة المادية والتقدم المعماري والفني والعلمي (١) .

ولقد غدت مصر في ايام المماليك ميدانا واسعا لنشاط علمي كبير يدل عليه ذلك التراث الضخم من الموسوعات الادبية والتاريخية واللغوية والنحوية والدينية التي خلفها علماء ذلك العصر (٢) .

والواقع انه ما كان لهذا النشاط العلمي ان يزدهر في مصر لولا تشجيع قسم كبير من سلاطين المماليك للعلم والعلماء (٣) .

ولقد كان كثير من هؤلاء السلاطين ذوى ثقافة عالية ، شغوفين بالمجتمع المثقف والدراسات الادبية والعلمية (٤) ، فالملك تمريغا اليونانى كان لغويا ومؤرخا وعالما دينيا (٥) ، وكان الملك المؤيد

---

(١) سيرة القاهرة ص ٢٠١ ، وانظر القاهرة تاريخها وآثارها ص ص ١٧٧ .

(٢) العصر المماليكى ص ٢٣٠ .

(٣) انظر (عصر احياء التراث العربي) بحث قيم للدكتور شوقي ضيف نشر في مجلة المجلة عدد شباط سنة ١٩٦٧م ص ٨ .

(٤) سيرة القاهرة ص ٢٠١ ، وانظر القاهرة تاريخها وآثارها ص ١٧٧ .

(٥) الضوء اللامع جـ ٣ ص ٤١ ، وانظر القاهرة تاريخها وآثارها ص ١٧٧ .

موسيقيا بارعا وشاعرا وخطيبا ومطلعا على العلوم الدينية (١) ، وكان الملك قايتباي كثير المطالعة وله اشتغال بالعلم (٢) .

أما الغوري فقد كان ذا ذوق فني ومعرفة بالموسيقى ، واديبا شاعرا وله ديوان شعر ، شرح السيوطى بعض موشحاته ، وسمى الشرح « النفح الظريف على الموشح الشريف (٣) .

ووجد في سلاطين الملوك من كان يحرص على عقد المجالس العلمية والادبية في بلاط ملكه ، فالملك برسباي ، مع قلة معرفته بالعربية - كان يحب ان يستمع الى العيني في مجلسه وهو يقرأ عليه التاريخ التركي وقصصه ، باللغة العربية ، ثم يفسر له ذلك بالتركية ، وذلك لمعرفه العيني باللغتين (٤) .

وكان الملك قايتباي ينتهز فرصة اجتماع العلماء والفقهاء عنده بالقلعة فيثير امامهم كثيرا من المسائل العلمية من ذلك ما حدثنا به ابن اياس عند كلامه عن حوادث سنة ٨٩٩هـ ، قال : « فيها في المحرم صعد القضاة الى القلعة للتهنئة بالعام الجديد ، وصعد ايضا

(١) تاريخ مصر لابن اياس حـ ٢ ص ٩ ، وانظر الضوء اللامع حـ ٣ ص ٣٠٩ .

(٢) تاريخ مصر لابن اياس حـ ٢ ص ٢٩٨ ، وانظر الضوء اللامع حـ ٦ ص ٢٠٣ .

(٣) السنا الباهر ص ١٩٠ .

(٤) التبر المسبوك للسخاوي ص ٣٧٧ .

الشيخ جلال الدين الاسيوطي ، فلما جلس سأله السلطان أي سنة سنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يفعلها ، فلم يجبه الشيخ جلال الدين بشيء عن ذلك مع غزارة علمه وقوة اطلاعه ، وكان السلطان عنده كتاب يسمى حيرة العلماء » (١) .

وكان السلطان الغوري شديد الحرص على عقد المجالس العلمية والدينية في مقر الحكم بالقلعة مرة او مرتين او اكثر في كل اسبوع وقد يبحث في تلك المجالس مختلف المسائل العلمية والدينية التى يشارك الحاضرون من كبار العلماء في مناقشتها (٢) .

وقد اتجه قسم من السلاطين بعد عزلهم اتجاها كليا نحو العلم فاشتغلوا به ونظروا في فنونه ، قال السيوطي عند ترجمته للملك يوسف بن برسباي : « ثم خلع وسجن بالاسكندرية ، ونظر في فنون العلم والادب » (٣) ، وقال عند ترجمته للملك احمد بن اينال العلائي » ثم خلع ... ونقل الى الاسكندرية ، واشتغل بالعلم مدة اقامته بها » (٤) .

ولا أدل على رعاية سلاطين المماليك للنشاط العلمي من حرصهم

---

(١) تاريخ مصر لابن اياس حـ ٢ ص ٢٨٠ .

(٢) العصر المماليكي في مصر والشام ص ٣٣٠ ، وانظر مجالس الغوري ص ٤٩ .

(٣) نظم العقيان ص ١٧٩ .

(٤) نظم العقيان ص ٤٠ .

على انشاء كثير من المدارس (١) ، فضلا عن المؤسسات الاخرى التي قامت في كثير من الاحيان بوظيفة المدرسه مثل المساجد والخوانق(٢) والزوايا .

ان انتشار المدارس في مصر ووفرتها أيام العصر المملوكي لتدل دلالة كبيرة على التقدم العلمي الذي أمست فيه البلاد ، وان الاطلاع البسيط على كتب الخطط والمؤلفات التي كتبت عن القاهرة ليعطينا فكرة واضحه عن مدى ذلك التقدم الذي وصلت اليه مصر أيام الحكم المملوكي ، الذي أهلها لتكون رائدة العلم والمعرفة والثقافة في العالم الاسلامي .

وقد جرت العادة ان يلحق في المدارس والمساجد والخوانق خزانات كتب على مستوى رائق ، وذلك تعميما للفائدة العلمية المرجوة من تلك المؤسسات ، وكان لكل خزانة كتب خازن ، مهمته ترتيب الكتب وتنظيمها وحفظها وحبكها وترميمها بين حين وآخر ، فضلا عن ارشاد القراء الى ما يلزمهم من مراجع ، وكان يختار

---

(١) العصر المماليكي ص ٢٣٠ . وانظر صفحات من تاريخ مصر في عصر السيوطي ص ٣٩ .

(٢) الخوانق : جمع خانقاه ، وهي كلمة فارسيه معناها بيت العبادة وشرح السيوطي معناها في كتابه لب اللباب فقال : « وهي رباط الصوفية » وانظر صفحات من تاريخ مصر في عهد السيوطي ص ٢٠ ، ولب اللباب للسيوطي ص ١١٣ .

لخزانة الكتب عادة رجل عالم أو فقيه (١) ، فمثلا كان ابن حجر العسقلاني (٢) خازنا للمكتبة المحمودية الى ان توفى سنة ٨٥٢هـ ، وكان العلامة شمس الدين محمد بن سعد السيرامي أحـــد شيوخ السيوطي خازنا لكتب الشيخونية ، قال عنه في نظم العقيان (٣) : « كان عالما بالفنون مشهورا بالصلاح ، متصديا لنفع الطلبة » .

وهناك امر هام ساعد على زيادة النشاط العلمي في عصر المماليك وهو ان مصر اصبحت ملجأ لكثير من المشارقة والمغاربة ، الذين تركوا بلادهم اما فرارا من حكامها الظالمين او رغبة في طلب العلم والرزق ، وقد زخرت مصر في هذه الفترة ، بكثير من علمـاء الاندلس ممن تركوا بلادهم في تلك الحقبة التي بدأت فيها دولة الاسلام تتناقص ، واوشكت على الانهيار ، ويمثل ابو حيان وابن خلدون قمة هؤلاء الذين القوا عصا الترحال في أرض الكنانة ايام المماليك .

لقد تلفت المسلمون في مشارق الارض ومغاربها يبحثون عن ملجأ يلجأون اليه بعد توالي النكبات على بغداد ، وزوال أهم مركز روحي كانت تجتمع القلوب حوله ، فلم يروا غير مصر وبلاد الشام

---

(١) العصر المماليكي في مصر والشام ص ٣٣٤ ، وانظر المجتمع المصري في عصر المماليك ص ١٤٦ .

(٢) الضوء اللامع جـ ٥ ص ١٤٣ .

(٣) نظم العقيان في اعيان الاعيان ص ١٤٩ .

حيث كانت دولة المماليك (١) :

وقد اراد الله سبحانه وتعالى ان يقيم من دولة المماليك في هذه الاونة العصيبه من تاريخ المسلمين حاجزا منيعا وسدا متينا يقف في وجه سيل التتار الجارف على البــلاد الاسلامية ، فكان لابد للمسلمين من ان يلتفوا حول المدافعين عنهم من سلاطين المماليك ملتمسين فيهم الزعامة القوية التي تدافع عن وجودهم وكرامتهم(٢).

وقد تنبه سلاطين المماليك الى ان اهم وسائل تدعيم الملك هو احياء العلوم والمعارف ، فقد قتل التتار كثيرا من علماء المسلمين واتلفوا كثيرا من دور الكتب ومراكز المعرفة ، وبذلك ضاعت على الدين ذخائره ، وعلى العلوم والاداب نفائسها (٣) ، فكان ذلك سببا في اثارة روح الشعور بالمسئولية في نفوس القائمين بالامر من سلاطين وامراء وعلماء ، فدفعهم شعورهم العميق بالمسؤولية الملقاة عليهم الى بذل الجهد لاعادة بناء هذا الصرح ، فكان نتاج ذلك هذا النشاط العلمي الواسع الذي شهده العصر المملوكي (٤) .

ان المتتبع للنشاط العلمي في هذا العصر يجد نفسه امام ثروة علمية واسعة تتمثل في تلك الجمهرة الكبيرة من اساطين العلم والمعرفة

---

(١) صفحات من تاريخ مصر ص ٣٦ .

(٢) صفحات من تاريخ مصر ص ٣٦ ـ ٣٧ .

(٣) صفحات من تاريخ مصر ص ٣٧ .

(٤) القاهرة تاريخها وآثارها ص ١٣٦ ـ ١٤٣ .

الذين برزوا في هذه الحقبة .

وان الباحث ليستطيع ان يقرر ان عصر المماليك كان العصر الذهبي لمصر الاسلامية في جميع النواحي العلمية والفنية والعمرانية والسياسية ، بغض النظر عن تلك الاضطرابات التى سادت عصرهم، بل استطيع ان اقرر ان هذا العصر من حيث النشاط العلمي لايقل أهميه عن العصور الاسلامية الزاهرة ايام الدولة العباسية .

ويعزو السيوطي سبب هذا النشاط العلمي الواسع في مصر أيام المماليك الى احياء الخلافة العباسية في القاهرة بعد ان سقطت في بغداد ، فهو يذكر ان « مصر من حين صارت دار الخلافة عظم امرها وكثرت شعائر الاسلام فيها ، وعلت فيها السنة وعفت منها البدعة ، وصارت محل سكنى العلماء ، ومحط رحال الفضلاء » (١) .

ويدلل السيوطي على صحة رأيه بانتشار العلم في مصر ايام استقرار الخلفاء العباسيين فيها فيقول : ولا يظن ان ذلك (اي انتشار العلم) بسبب الملوك ، فقد كانت ملوك بني ايوب اجل قدرا واعظم خطرا من ملوك جاءت بعدهم بكثير ، ولم تكن مصر في زمنهم كبغداد ، وفي اقطار الارض الان من الملوك من هو اشد بأسا واكثر جندا من ملوك مصر ، كالعجم والعراق ، والروم (يعني العثمانين) . والهند والمغرب وليس الدين قائما ببلادهم كقيامه بمصر ولا شعائر الاسلام في اقطارهم ظاهرة كظهورها في مصر .

---

(١) حسن المحاضرة حـ ٢ ص ٩٤ .

ولانشرت السنة والحديث والعلم كما في مصر » (١) .

ولا يخفي ما في كلام السيوطي من المبالغة في اهمية الخلافة العباسية فى مصر . ولا اظن ان لهذا المركز الصوري اي سبب في اتساع الحركة العلمية في مصر . واعتقد ان انتقال القيادة الاسلامية الى مصر في العلم والحكم بدأ في وقت سابق على سقوط بغداد منذ ايام السلطان العادل صلاح الدين الايوبي . وقد اعقبه ملوك اقوياء حققوا لامة الاسلام انتصارات رائعة على التتار والصليبيين في آن واحد مثل الظاهر بيبرس . كل ذلك هو العامل المهم الذي جعل مصر محط انظار العلماء والمفكرين .

ولعل ابرز ما قدمه علماء هذا العصر للثقافة الاسلامية هو انهم قاموا بعملين رائعين . الاول : الحفاظ على التراث العلمي والادبي . بحيث تظل مصادره التى ابدعتها الأجيال السابقة متوافرة بين ايدي الاجيال الجديدة . والثاني : تجديد هذا التراث وتنميته بادخال اضافات عليه لم تخطر للاسلاف على بال . وبذلك اتخذت عنايتهم بالتراث العلمي والادبي وسيلتين كبيرتين . وسيلة احيـــاء التراث بعرضه عرضا دقيقا وشرحه وتفسيره . ووسيلة تجديده بما يضاف اليه من زاد علمي ومتاع ادبي . حتى ُيصبح الوصف الدقيق

---

(١) حسن المحاضرة ﺣ ٢ ص ٩٤ . انظر مصر في العصر المماليكي ص ٢٣٠ .

لهذا العصر انه عصر احياء التراث العربي وتجديده (١) .

وكان من نتاج ذلك كلة ان وضعت في هذا العصر مؤلفات تعد من اعظم ما الف في العربية في عصورها كافة كمقدمة ابن خلدون المتوفي سنة ٨٠٨هـ التي تعتبر ابتكارا تأليفيا جديدا ضمنه مؤلفه الاسس العامة لعلم الاجتماع (٢) . وكتاب (حياة الحيوان) للعلامة محمد ابن موسى الدميري المتوفي سنة ٨٠٨هـ والمعجم المشهور (القاموس المحيط) للعلامة مجد الدين الفيروز ابادي المتوفي سنة ٨١٦هـ وكتاب المؤرخ المصري الشهير احمد بن علي المقريزي المتوفي سنة ٨٤٥هـ . وهي مضرب المثل في كتب الخطط والاثار التي جمع فيها مؤلفوها بين الجغرافية والتاريخ والاثار . واذا لم يكن المقريزي اول مبتدع لتاريخ الخطط . فهو بلا ريب اعظم مؤرخيها جميعا واغزرهم مادة واحسنهم عرضا (٣) . ويعد كتابه (المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والاثار) اضافة فذة في الكتابه التاريخية اضافها هذا العصر فلاول مرة يدرس التاريخ من خلال البيئة والسكان

---

(١) انظر « عصر احياء التراث العربي » بحث قيم للدكتور شوقي ضيف نشر في مجلة المجلة عدد شباط سنة ١٩٦٧ ص ٨ .

(٢) انظر البحث السابق ص ١٣ .

(٣) القاهرة تاريخها وآثارها ص ١٤٠ . وانظر صفحات في تاريخ مصر ص ٥٤ .

وكل ما يتصل بهم من من عادات وتقاليد واعياد وازياء (١) . ومن الكتب الهامة التي وضعت في هذا العصر كتاب (فتح الباري في شرح صحيح البخاري) للعلامة ابن حجر المتوفي سنة ٨٥٢هـ ، اجمع وأدق كتاب في بابه ، وهو مرجع هام في الدراسات الحديثية ، وقد وصفه السخاوي المتوفي سنة ٩٠٢هـ احسن الوصف حينما قال عنه : « ان الأمة وفت به دينها » (٢) .

ويعد كتاب (صبح الاعشى) للعلامة علاء الدين علي ابن احمد القلقشندي المتوفي سنة ٨٥٦هـ موسوعة أدبية عظيمة اضافها هذا العصر الى تراثنا الخالد .

وحسبنا من مؤلفات هذا العصر ما تركه لنا جهابذة علمائه امثال صلاح الدين الصفدي والذهبي وابن دقيق العيد والسبكي وابن تغري بردى والعيني والسخاوي وابن عربشاه والقسطلاني وابن اياس وغيرهم (٣) .

ولما كان بحثنا الصق بالنحو من غيره ، رأيت ان من تمام البحث ان نتوسع شيئاً ما في ذكر النشاط النحوي في هذا العصر ،

---

(١) انظر « عصر احياء التراث العربي » ص ١٢ ـ ١٤ .

(٢) التبر المسبوك ص ٢٣١ ، وانظر ترجمة العلامة الشيخ احمد بن حجر العسقلاني في الضوء اللامع ج ٢ ص ٣٧ .

(٣) القاهرة تاريخها وآثارها ص ١٤٠ ، وانظر صفحات من تاريخ مصر ص ٥٤ .

وذلك يذكر بعض من مشاهير نحاته ، وهم كثيرون ، نختار منهم هؤلا النحاة الذين يعدون من ابرز نحاة هذا العصر وهم :

(١) ابن هشام الانصاري :

هو النحوي المشهور جمال الدين عبد الله بن يوسف ابن احمد ابن عبد الله بن هشام الانصاري الحنبلي .

ولد في ذي القعدة سنة ٧٠٨هـ ، واخذ العلم عن شيوخ عصره أمثال الشهاب عبد اللطيف بن المرحل (المتوفي سنة ٧٤٤هـ) والتاج التبريزي (المتوفي سنة ٧٤٦هـ) ، والتاج الفاكهاني (المتوفى سنة ٧٣٤هـ) وبدر الدين بن جماعة (المتوفي سنة ٧٣٣هـ) ، وشمس الدين بن السراج (المتوفي سنة ٧٤٩هـ) . وسمع على ابي حيان ديوان زهير بن ابي سلمى ، ولم يلازمه ولا قرأ عليه شيئاً آخر (١)

واهتم ابن هشام بدراسة العربية ، فاتقنها ، وفاق الأقران بل الشيوخ فاشتهر في حياته ، واقبل عليه النـــاس ، وتصدر لنفع طلبة العلم ، وذاع صيته في كافة الأقطار الاسلامية ، حتى قال عنه ابن خلدون « وما زلنا ونحن بالمغرب نسمع انه ظهر بمصـر عالم بالعربية يقال له ابن هشام ، انحى من سيبويه » (٢) .

ويعد ابن هشام من اكابر النحاة لا في عصره بل في كافة العصور

---

(١) بغية الوعاة جـ ٢ ص ٦٨ .

(٢) بغية الوعاة جـ ٢ ص ٦٩ ، وانظر الدرر الكامنة جـ ٢ ص ١٦

الاسلامية واعتقد انني لا ابالغ اذا قلت : اذا كان النحو قـد بـدأ بالخليل وسيبويه واضرابهم من نحاة القرن الثاني ، فانه قـد انتهى بابن مالك وابي حيان وابن هشام في القرن الثامن .

وقد تنبه معاصرو ابن هشام الى فضله فاطلقوا عليه جملة نعوت تدل على تفرده بالنحو في زمانه ، فوصفه معاصره التاج السبكي (١) بـ « نحوي هذا الوقت » وقال عنه صلاح الدين الصفدي « شيخ النحو » وقال عنه ابن تغري بردى في المنهل الصـــافي (٢) « وامام العربية فكان المشار اليه فيها ، والمعول على كـــلامه » وترجم له ابن حجر في الدرر الكامنة فأحسن فيه القول ، من ذلك قوله : « ... وتصدر لنفع الطالبين ، وانفرد بالفـوائد الغريبة والمباحث الدقيقة ، والاستدراكات العجيبة ، والتحقيق البارع والاطلاع المفرد والاقتدار على التصرف في الكلام ، والملكة التي كان يتمكن من التعبير بها عن مقصوده بما يريده مسهباً وموجزاً ، مع التواضع والبر والشفقة ودماثة الخلق ورقة القلب » (٣) .

وقد اتبع ابن هشام في منهجه النحوي نحاة الموصل الذين اقتفوا

---

(١) طبقات الشافعية للسبكي حـ ٦ ص٣٣ .

(٢) المنهل الصافي حـ ٢ ص ورقة ٢٧٧ .

(٣) الدرر الكامنة حـ ٢ ص ١٥ ـ ١٦ ، وانظر بغية الوعـاة حـ ٢ ص ٦٨ ـ ٦٩ .

اثر ابن جني ، قال ابن خلدون في مقدمته : « ان ابن هشام على علم جم يشهد بعلو قدره في صناعة النحو ، وكان ينحو في طريقته منحاة اهل الموصل الذين اقتفوا اثر ابن جني واتبعوا مصطلح تعليمه فأتى من ذلك بشيء عجيب ، دال على قوة ملكته واطلاعه » (١) .

وكان ابن هشام شافعي المذهب ، ثم تحول الى المذهب الحنبلي قبل وفاته بخمس سنوات ، وحفظ مختصر الخرقي في الفقه الحنبلي في اقل من اربعة اشهر (٢) .

وتولى تدريس التفسير بالقبة المنصورية ، وكذلك كان يقريء الحاوي الصغير في الفقه الشافعي قبل تحوله الى المذهب الحنبلي (٣) .

واشتهر ابن هشام بكثرة مخالفته لأبي حيان ، وشدة انحرافه عنه وقد تجلى ذلك في كتابه « الكواكب الدرية » الذي شرح فيه كتاب ابي حيان « اللمحة البدرية » فقد اكثر فيه من الرد عليه ، والاستدراك على ما ذكره فيه ، ووصف اقواله بالخطل ، وخطأه في عدة مواضع (٤) .

---

(١) مقدمة ابن خلدون جـ ٤ ص ٦٤١ ، وانظر دائرة المعارف الاسلامية جـ ٢ ص٢٩٥ .

(٢) بغية الوعاة جـ ٢ ص ٦٨ .

(٣) الدرر الكامنة جـ ٢ ص ١٥ .

(٤) بغية الوعاة جـ٢ ص٦٩ .

وقد اتحف ابن هشام المكتبة العربية بعدة تصانيف اهمها : مغني اللبيب عن كتب الاعاريب ، والاعراب عن قواعد الاعراب ، واوضح المسالك الى الفية ابن مالك ، ورفع الخصاصة عن قراء الخلاصة ، اربع مجلدات ، وشرح شواهد المغني الكبرى ، والصغرى ، وشذور الذهب ، وشرحه ، وقطر الندى وبل الصدى ، والكواكب الدرية في شرح اللمحة البدرية ، وشرح الجمل للزجاجي ، وغير ذلك من الكتب والرسائل والمباحث النحوية (١) .

وحفلت كتب ابن هشام بعناية الباحثين والدارسين فتناولوها بالشرح والتعليق ، وخاصة كتاب مغني اللبيب ، وكتاب اوضح المسالك ، وكتاب الاعراب عن قواعد الاعراب ، وللسيوطي عدة مؤلفات تناول فيها كتب ابن هشام منها : شرح شواهد المغني ، وفتح القريب حاشية على مغني اللبيب ، والتوشيح حاشية على التوضيح وحاشية على شرح شذور الذهب (٢) .

توفي رحمه الله ليلة الجمعة خامس ذي القعدة سنة احدى وستين وسبعمائة (٣) .

---

(١) نفس المصدر السابق حـ ٢ ص ٦٩ .

(٢) بغية الوعاة حـ ٢ ص ٦٩ .

(٣) حسن المحاضرة حـ ١ ص ٥٣٦ ، وانظر شذرات الذهب حـ ٦ ص ١٩٢ .

(٢) ابن عقيل :

هو النحوي المشهور بهاء الدين عبد الله بن عبد الرحمن بن عقيل العقيلي ، نسبة الى عقيل بن ابي طالب ، ولد في المحرم سنة ٦٩٨هـ ، واخذ القراءات عن التقي الصائغ والفقه عن الزين الكتناني ولازم العلاء القوني ، والجلال القزويني وابا حيان ، وبرع في جميع الفنون ، فكان اماما في العربية والبيان ، ويتكلم في الاصول والفقه كلاما حسنا (١) .

ولي التدريس بالخشابية ، ودرس التفسير بالجامع الطولوني ، ودرس بالجامع الناصري في القلعة ، وبالقطبية (٢) .

وولي قضاء الديار المصرية ، وناب في الحكم عن الجلال القزويني بالحسينية وعن العز بن جماعة بالقاهره فسار سيرة حسنة ، وكان قوي النفس ، يتيه على ارباب الدولة ، وهم يخضعون له ويعظمونه (٣) .

أخذ عنه جملة من العلماء ، منهم شيخ الاسلام سراج الدين البلقيني وتزوج بابنته ، فأولدها قاضي القضاة جلال الدين البلقيني واخاه بدر الدين .

---

(١) حسن المحاضرة حـ ١ ص ٥٣٧ .

(٢) بغية الوعاء حـ ٢ ص ٤٧ .

(٣) بغية الوعاء حـ ٢ ص ٤٧ .

ولو تصانيف ، منها : التفسير ، وصل فيه الى آخر سورة آل عمران ، ومختصر الشرح الكبير ، والجامع النفيس في الفقه ، جامع للخلاف والاوهام الواقعة للنووي وابن الرفعة ، وغيرهما . مبسوط جدا ولم يتمه ، والمساعد في شرح التسهيل ، وشرح على ألفية ابن مالك (١) .

ويعد كتابه الذي شرح ألفية ابن مالك اشهر شروح الالفية ، وأوضحها وأكثرها تداولاً ، وقد اعتمد عليه الدارسون منذ أمد بعيد ، ولا يزال يعد مرجعا اساسيا لدراسة النحو في كثير من الجامعات العربية .

وقد تناول الباحثون هذا الشرح بالدرس والتعليق فكتبت عليه أكثر من حاشية ، أشهرها حاشية الخضري ، وقد طبعت عدة مرات وللسيوطي عليه حاشية سماها السيف الصقيل (٢) .

مات رحمه الله بالقاهرة ليلة الاربعاء الثالث والعشرين من شهر ربيع الاول سنة ٧٦٩هـ.

---

(١) بغية الوعاء حـ ٢ ص ٤٨ .

(٢) المدارس النحوية للدكتور شوقي ضيف ص ٣٥٥ ، وانظر بغية الوعاة حـ ٢ ص ٤٨ .

(٣) ابن الدماميني :

هو بدر الدين محمد بن ابي بكر بن عمر الاسكندراني . الشهير بابن الدماميني ، ولد بالاسكندرية سنة ٧٦٣هـ ، واتجه الى الاشتغال بالعلم فبرع في الاداب ، وفاق الأقران بالنحو والنظم والنثر ، مع المشاركة الحسنة في الفقه وغيره (١) .

واشتهر ذكره ، وناب في الحكم ، ودرس بعدة مدارس في الاسكندرية والقاهرة واختير للقضاء ، ولم يتفق له ذلك . وتصدر بالجامع الازهر لتدريس النحو ، فانتفع به خلق كثير (٢) .

ورحل الى دمشق سنة ثمانمائة ، وتوجه من هناك الى الحجاز لتأدية فريضة الحج ، ثم عاد الى مصر ، واستقر في الاسكندرية ، وترك نيابة الحكم ، وتولى الخطابة في الجامع ، مع الاشتغال بالعلم ثم اشتغل بأمور الدنيا ، فعانى الحياكة ، وراجت بضاعته ثم قدر الله فاحترقت داره ، وصار عليه مال كثير ، ففر الى الصعيد ، فتبعه غرماؤه ، وأحضروه مهانا الى القاهرة ، فأعانه في هذه الشدة الشيخ تقي الدين بن حجة ، وكاتب السر ناصر الدين البارزي ، حتى صلحت حاله (٣) ، ثم حج سنة ٨١٩هـ ، وبعد الحج ذهب الى

---

(١) حسن المحاضرة حـ ١ ص ٥٣٨ .

(٢) بغية الوعاة حـ ١ ص ٦٦ .

(٣) المرجع السابق .

اليمن سنة ٨٢٠هـ ، ودرس بجامع زبيد نحو سنة ، قال السيوطي « فلم يرج له بها أمر » . ولذلك ترك اليمن ، فركب البحر الى الهند ، فحصل له اقبال كبير فيها ، واخذ عنه اهلها ، وعظموه(١) وبقي فيها الى ان مات .

وله من التصانيف : تحفـــة الغريب في حاشية مغني اللبيب ، وشرح البخاري ، وشرح التسهيل ، ونزول الغيث ، وهو حاشية على الغيث المنسجم في شرح لامية العجم للصفدي ، وعين الحياة ، مختصر حياة الحيوان للدميري ، وجواهر البحور في العروض ، والفواكه البدرية ، من نظمه ، وغير ذلك (٢) .

ويعد ابن الدماميني من انبه النحاة الذين ظهروا في القرن التاسع الهجري ، ويعـد كتابه « تحفـة الغريب » من اهم الحواشي التي وضعت على كتاب « المغني لابن هشام » (٣) .

مات بغتة ببلد كبيرجا في الهند في شعبان سنة سبع وثلاثين وثمانمائة ، وقيل سنة ثمان وثلاثين (٤) .

---

(١) بغية الوعاة حـ ص ٦٦ وانظر ابناء الغمر لابن حجر لوحة رقم ١٤٨ .

(٢) بغية الوعاة حـ ١ ص ٦٧ .

(٣) المدارس النحوية ص ٣٥٧ .

(٤) البغية حـ ١ ص ٦٧ .

(٤) الازهري :

زين الدين خالد بن عبد الله بن ابي بكر المصري الأزهري ، ويعرف بالوقاد ، لأنه كان في بادئ امره يشتغل وقادا بالأزهر (١)

ولد تقريبا سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة بجرجا بالصعيد ، وتحول وهو طفل مع أبويه الى القاهرة ، فقرأ القرآن والعمدة ومختصر أبي شجاع ، وتحول الى الازهر فقرأ فيه المنهاج ، وشيئا من العربية (٢) .

وذكر ابن العماد الحنبلي في شذرات الذهب انه اشتغل بالعلم على كبر ، فقد كان وقادا بالازهر وعمره ست وثلاثون سنة ، فسقطت منه يوما فتيلة على كراس احد الطلبه ، فشتمه وعــيره بالجهل ، فترك الوقادة ، واكب على طلب العلم ، واشتغل على جل علماء عصره ، منهم : امــين الاقصرائي والتقي الحصيني ، والشمني ، والجوهري والسخاوي وغيرهم .

وبرع في العربية ، وشارك في غيرها من الفنون ، وتصــدى للتدريس في اكثر من موضوع ، فانتفع به الطلبة (٣) .

---

(١) الضوء اللامع حـ ٣ ص ١٧١ ، وانظر شذرات الذهب حـ ٨ ص ٢٦ .

(٢) الضوء اللامع حـ ٣ ص ١٧١ .

(٣) شذات الذهب حـ ٨ ص ٢٦ .

وكان له اهتمام خاص بمؤلفات ابن هشام ، فشرح كتابه « الاعراب عن قواعد الاعراب » ، وكذلك شرح كتابه « اوضح المسالك الى الفية ابن مالك » وسمى هذا الشرح بـ « التصريح بمضمون التوضيح » ، ويعد هذا الكتاب أهم الشروح التي وضعت على توضيح ابن هشام ، بل لعله اهم الشروح النحوية الموسعة التي صنفت في العصور المتأخرة (١) .

وله مصنفات أخرى ، هي : المقدمة الازهرية ، وشرحها ، وهما مطبوعان ، وشرح قواعد الاعراب لابن هشام سماه : موصل الطلاب ، وشرح على الاجرومية ، واعراب ألفية ابن مالك ، وشرح على الجزرية في التجويد ، وآخر على البردة ، وغيرها (٢)

وقد كثر النفع بتصانيفه لاخلاصه ، ووضوحها (٣) ، توفي ببركه الحاج خارج القاهرة وهو راجع من الحج سنة ٩٠٥هـ (٤) .

---

(١) المدارس النحوية ص ٣٥٩ ، وانظر اوضح المسالك لابن هشام الانصاري دراسة وتحليل رسالة جامعية للاستاذ صاحب جعفر ص ٩٨ .

(٢) شذرات الذهب حـ ٨ ص ٢٦ ، وانظر الضوء اللامع حـ ٣ ص ١٧٢ . وكشف الظنون م ١ ص ١٢٤ .

(٣) شذرات الذهب حـ ٨ ص ٢٦ .

(٤) شذرات الذهب حـ ٨ ص ٢٦ . وانظر تاريخ مصر لابن اياس حـ ٢ ص ٣٦١ ـ ٣٦٢ .

(٥) الاشموني :

هو نور الدين علي بن محمد بن عيسى بن يوسف بن محمد الشافعي ، الأصل ، ثم القاهرة ، ولد في شعبان سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة بنواحي قناطر السباع ، ونشأ هناك ، وحفظ القرآن والمنهاج وجمع الجوامع وألفية ابن مالك (١) .

وتردد على مجالس املاء الحافظ ابن حجر للحديث ، وكان ذلك سببا في اشتغاله بالعلم ، فأخذ الفقه عن المحلي والعلم البلقيني والمناوي ، والبامي ولازمه كثيرا ، والنور الجوجري وهو أول شيوخه وانتفع في الاصلين والعربية والفرائض وغيرها بجماعة ، منهم : الكافيجي ، وسيف الدين الحنفي ، والتقي الحصنى ، والشارمساحي وغيرهم (٢) .

وبرع في العلوم كافة ، خاصة اللغة العربية ، وتصدى للتدريس في سنة ٨٦٤هـ فانتفع به الطلبة ، واختاره القاضي زكريا الانصاري لنيابة القضاء في دمياط ، فمكث هناك مدة ، فاستفاد منه اهل تلك النواحي ايما استفادة (٣) .

وله من التصانيف : نظم المنهاج ، وشرحه ، ونظم جمع الجوامع في الأصول ، وشرحه ، ونظم مجموع الكلائي ، وايساغوجي في

---

(١) الضوء اللامع جـ ٦ ص ٥

(٢) المصدر السابق .

(٣) المصدر السابق .

المنطق ، وعمل حاشية على الانوار للاردبيلي ورد على البقاعي انتقاده قول الغزالي : ليس في الامكان ابدع مما كان ، وشرح قطعة من التسهيل ، وشرح الفية ابن مالك ، سماه « منهج المسالك الى الفية ابن مالك » ، وهو اهم كتبه ، وقد تمثل فيه الشروح الكثيرة التي سبقته تمثلا منقطع النظير ، كما تمثل كتابات النحاة المختلفين الذين سبقوه ، وضمن ذلك كله في شرحه هذا (١) .

مات رحمه الله سنة ٩٢٩هـ (٢) .

---

(١) المصدر السابق ، وانظر شذرات الذهب حـ ٨ ص ١٦٥ ، والمدارس النحوية ص ٣٦٠ .

(٢) شذرات الذهب حـ ٨ ص ١٦٥ .

البـــاب الاول

سيرة السيوطي وآثاره العامة

الفصل الاول : سيرة السيوطي

الفصل الثاني : آثاره العامة

الفصل الأول

سيرته

١ ـ مدينة اسيوط .

٢ ـ نسبه ومولده وأسرته .

٣ ـ ثقافته وشيوخه .

٤ ـ المناصب التي تولاها .

٥ ـ خصوماته .

٦ ـ تلامذته .

٧ ـ وفاتـــه .

(١)

اسيوط

أسيوط مدينة جليلة كبيرة تقع غربي النيل في صعيد مصر ، وهي أكبر مدن الصعيد وأهمها من الناحية الادارية والتجارية ، وتقع على خط عرض ١١ ـ ٧ شمالاً (١) .

ووردت لفظة اسيوط في معجم البلدان في موضعين (٢) الاول بالهمزة ، وضبطها بفتح الهمزة وسكون السين ، أما الموضع الثاني فقد وردت بدون همزة ، أي بلفظ « سيوط » ، وكان يطلق عليها في كتب الخطط التي سبقت القلقشندي (سيوط) بدون همزة ، وبهذا وردت في خطط المقريزي ، وشاع استعمال (اسيوط) منذ عهد القلقشندي (٣) .

---

(١) دائره المعارف الاسلامية م ٢ ص ٢٠١ ، وانظر الخطط التوفيقية الجديدة حـ ١٢ ص ٩٨ .

(٢) معجم البلدان م ١ ص ١٩٣ وانظر م ٣ ص ٣٠١ .

(٣) دائرة المعارف الاسلامية م ٢ ص ٢٠٢ ، وانظر خطط المقريزي حـ ١ ص ١٨٩ .

ووردت اللفظتان في نسب الشيخ جلال الدين ، فتارة يسمى بـ « السيوطي » وتارة أخرى بـ « الاسيوطي » ، ولقد استعمل هو نفسه اللفظتين فذكر لفظ «الاسيوطي» عندما ترجم لنفسه ولفظ السيوطي عندما ترجم لوالده(١) وذكر عنه انه كان يكتب في نسبه «السيوطي» وان غيره يكتب « الاسيوطي » (٢) . ولما تعرض لهذا اللفظ في كتابه « لب اللباب » قال : « الاسيوطي : بضم أوله والتحتية ، وسكون السين ، الى « اسيوط » ، ويقال : « سيوط » ، بلد بصعيد مصر (٢) ونقل عنه صاحب السنا الباهر انه قال : « والذي تحرر لي ان في « اسيوط » خمس لغات : اسيوط بضم الهمزة وفتحها ، وسيوط بتثليث السين (اي بضم السين وفتحها وكسرها) (٤) .

وكانت مدينة اسيوط او سيوط او ليكوبولس - كما يسميها اليونان — مدينة هامة منذ القدم : وذلك بفضل وقوعها في اضيق بقاع وادي النيل واكثرها خصوبة ، ووقوعها ايضا على رأس عدة طرق تجارية (٥) .

واشتهرت هذه المدينة منذ القدم بانتاج وتصدير قسم من

---

(١) حسن المحاضره حـ ١ ص ٣٢٠ ، وانظر ص ٤٤١ ، والضوء اللامع حـ ١١ ص ٧٢ و حـ ٤ ص ٢٦٨ .

(٢) السنا الباهر ص ٧٨ .

(٣) لب اللباب في الانساب ص ١٥ .

(٤) السنا الباهر ص ٧٨ وانظر لب اللباب في الانساب ص ١٥-١٦

(٥) دائرة المعارف الاسلامية م ٢ ص ٢٠١ .

المنسوجات مثل الارمني والديبقي المثلث ، وجميع انواع السكر(١)

وجاء في معجم البلدان ان الدنيا صورت للخليفة هارون الرشيد فلم يستحسن منها كوره الا كورة اسيوط ، وذكر ان فيها ثلاثين الف فدان في استواء واحد ، بحيث لو وقعت فيها قطرة ماء لانتشرت في جميعها (٢) ، ولجودة مناخها وجمال طبيعتها اتخذها ابو الجيش خمارويه بن احمد بن طولون احدى منتزهاته (٣) ، وقد وصفها الشاعر ابو الحسن علي بن محمد بن علي الساعاتي فقال (٤) :

لله يوم في سيوط وليلة ... صرف الزمان بمثلها لايغلط
بتنا وعمر الليل في غلوائه ... وله بنور البدر فرع اشمط
والطير يقرأ والغدير صحيفة ... والريح تكتب والغمامة تنقط
والطل في تلك الغصون كلؤلؤ ... نظم يصافحه النسيم فيسقط

والذين عرفوا بالسيوطي او الاسيوطي — غير صاحبنا — كثيرون ، منهم : ابو الحسن علي بن الخضر بن عبد الله الاسيوطي

---

(١) معجم البلدان م ١ ص ١٩٣ ، ودائرة المعارف الاسلامية م ٢ ص ٢٠٢ .

(٢) معجم البلدان م ١ ص ١٨٩ ، وانظر خطط المقريزي حـ ١ ص ١٨٩ ، والنور السافر ص ٥٧ .

(٣) معجم البلدان م ١ ص ١٩٤ ، وانظر الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة ص ٦٢ .

(٤) معجم البلدان م ٣ ص ٣٠١ ، وانظر روضات الجنات ص ٤١٩

المتوفي سنة ٣٧٢هـ (١) ، وشمس الدين محمد بن الحسن الاسيوطي المتوفي سنة ٨٠٨هـ وهو من النحاة الذين ترجم لهم في البغية ، وكان يعلم بالاجرة ، ويقرىء كل بيت من الالفية بدرهم (٢) ومنهم كذلك الشريف صلاح الدين محمد بن ابي بكر المعروف بالشريف السيوطي المتوفي سنة ٨٥٦هـ(٣) صاحب كتاب « المرج النضر والارج العطر » الذي نسب لجلال الدين خطأ (٤) ومنهم ايضا الشيخ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن شهاب الدين المنهاجي السيوطي المولود سنة ٨١٠هـ ، صاحب كتاب « اتحاف الاخصا بفضائل المسجد الاقصى » وقد طبعت ترجمة لقسم من هذا الكتاب باللغة الانجليزية ونسبت خطأ لصاحبنا جلال الدين السيوطي (٥) ومنهم كذلك قاضي القضاة ولي الدين احمد بن عبد الخالق السيوطي الشافعي المتوفي سنة ٨٩١هـ ، الذي تولى قضاء الشافعية بالديار المصرية عام ٨٧٠هـ ولبث فيه نحوا من ست عشرة سنة (٦) .

وجلال الدين السيوطي لم ير مدينة اسيوط على الرغم من كثرة

---

(١) معجم البلدان م ١ ص ١٩٤ .

(٢) بغية الوعاة حـ ١ ص ٩١ . وانظر حـ ٢ ص ٣٦٨ .

(٣) نظم العقيان في اعيان الاعيان ص ١٤١ ، وانظر صفحات من تاريخ مصر ٢٥٦ .

(٤) صفحات من تاريخ مصر في عصر السيوطي ص ٢٥٦ .

(٥) معجم المطبوعات العربية والمعربة م ١ ص ١٠٨٥-١٠٨٦ ،

(٦) نظم العقيان في أعيان الاعيان ص ٣٥ .

اسفاره ، وقد افردها بالتأليف اقتداء بمن افرد لبلده تاريخا ، فوضع فيها كتابين هما : « تاريخ اسيوط » و « المضبوط في اخبار اسيوط » ، وله مقامه في الاحاجي النحوية سماها : « المقامة الاسيوطية » (١) .

(٢)

نسب السيوطي ومولده واسرته

هو جلال الدين ابو الفضل عبد الرحمن بن ابي بكر الكمال بن محمد ابن سابق الدين بن الفخر عثمان ناظر الدين بن سيف الدين خضر ابن نجم الدين ابي الصلاح ايوب بن ناصر الدين محمد ابن الشيخ همام الدين الهمام الخضري الاسيوطي (٢) هكذا اثبت هو نفسه نسبه عندما ترجم لنفسه في كتابه حسن المحاضرة ، وكل من ترجم له اعتمد على هذا النسب ، وقد أوضح لنا الاسباب التي حملته على ان يترجم لنفسه ضمن من ترجم لهم فقال : « وانما ذكرت ترجمتي في هذا الكتاب اقتداء بالمحدثين قبلي ، فقل ان الف احد منهم تاريخا الا وذكر ترجمته فيه ، وممن وقع له ذلك الامام عبد الغافر الفارسي في تاريخ نيسابور ، وياقوت الحموي في معجم الادباء ولسان الدين بن الخطيب في تاريخ غرناطة ، والحافظ تقي الدين الفاسي في تاريخ مكة ، والحافظ ابو الفضل ابن حجر في قضاة

---

(١) السنا الباهر ص ٧٨ ، وانظر حسن المحاضرة حـ ١ ص ٣٤٤ .

(٢) حسن المحاضرة حـ ١ ص ٣٣٥ .

مصر ، وابو شامة في الروضتين ، وهو اورعهم وازهدهم » (١) .

وكان مولده بعد المغرب ليلة الاحد مستهل رجب سنة تسع واربعين وثمانمائة في مدينة القاهرة (٢) ، وقد اكتنفت ولادته حادثة طريفة ، وذلك ان والده كان من اهل العلم واحتاج الى كتاب فأمر زوجه ان تأتيه بالكتاب من مكتبته ، فذهبت لتأتي به ، فجاءها المخاض بين الكتب فوضعته ، فأطلق أهله عليه ابن الكتب (٣) فكان هذا اللقب من الموافقات العجيبة اذ صار حقا ابن الكتب فافنى عمره في مطالعتها وتحريرها .

وينتمي جلال الدين السيوطي الى اسرة كانت مستقرة في مدينة اسيوط منذ عدة اجيال ، وربما كان اصل هذه الاسرة من المشرق فقد ورد في نسبه انه « خضيري » ولم يقطع هو نفسه قطعا باتا في حقيقة هذه النسبة ، فقد قال في ترجمته الذاتية : « واما نسبتنا الى الخضيري فلا اعلم ما تكون اليه هذه النسبة ، الا الخضيرية محلة في بغداد ، وقد حدثني من اثق به انه سمع والدي رحمه الله تعالى يذكر ان جده الاعلى كان اعجميا او من المشرق ، فالظاهر ان

---

(١) حسن المحاضرة حـ ١ ص ٣٣٦ وانظر السنا الباهر ص ٧٨ والفلك المشحون ص ٦ ، وكشف الظنون م ١ ص ١٣ .

(٢) حسن المحاضرة حـ ١ ص ٣٣٦ ، وانظر الضوء اللامع حـ ٤ ص ٦٥ .

(٣) النور السافر ٥٤ .

النسبة الى المحلة المذكورة » (١) وقال في لب اللباب : « الخضيري » مصغرا الى الخضيرية ، محلة في بغداد ، وهي من انساب سلفي ، والظاهر انه اليها » (٢) .

وحدثنا السيوطي في اثناء ترجمته لنفسه عن بعض اعيان اسرته حديثا مقتضبا فقال : « اما جدي الاعلى همام الدين فكان من اهل الحقيقة ومن مشايخ الطرق . وسيأتي ذكره في قسم الصوفية (٣) ، ومن دونه كانوا من اهل الوجاهة والرياسة ، منهم من ولي الحكم ببلده ومنهم من ولي الحسبة بها ، ومنهم من كان تاجرا في صحبة الامير شيخون وبنى مدرسة بأسيوط . ووقف عليها أوقافا ، ومنهم من كان متمولا ولا اعرف منهم من خدم العلم حق الخدمة الا والدي » (٤) .

وبناء على ما ذكره عن اسرته نستطيع ان نقرر انه نشأ في

---

(١) حسن المحاضرة حـ ١ ص ٣٣٦ .

(٢) لب اللباب ص ١٢١ ، وانظر معجم البلدان م ٢ ص ٣٧٧ ، فقد ورد فيه ان الخضيرية بلفظ تصغيرة خضرة محلة كانت ببغداد تنسب الى خضير مولى صالح صاحب الموصل وكانت بالجانب الشرقي .

(٣) لم اجد اي ترجمة لجد السيوطي الاعلى (همام الدين) ضمن تراجم الصوفية في حسن المحاضرة .

(٤) حسن المحاضرة حـ ١ ص ٣٣٦ .

اسرة مليئة بأسباب الجاه من مال وعلم ورئاسة ، فقد ضمت سلسلة نسبه طائفة من رجال العلم والحكم والمال والوجاهة (١) .

ولم يذكر السيوطي في ترجمته الذاتية اي شيء عن والدته الا انه أشار اليها اشارة طفيفة في مقامته « طرز العمامة » ملمحاً الى ان اصلها من الجركس (٢) ، بينما ذكر الذين ترجموا له : أنها أم ولد تركية (٣) . وقيل ، ان اسمها « فطلوباي كلستان » (٤) .

واما والده فهو ابو المناقب ابو بكر كمال الدين بن محمد بن بن سابق الدين ابي بكر الخضيري السيوطي ، وقد ولد في مدينة اسيوط (٥) ، ولم يحدد ابنه لما ترجم له ضمن الفقهاء الشافعية سنة مولده تماما ، بل اكتفى بقوله : « ولد رحمه الله بسيوط ، بعد ثمانمائة تقريبا » (٦) وترجم له السخاوي (٧)

---

(١) طرز العمامة ق ١٨ .

(٢) طرز العمامة ق ١٨ .

(٣) النور السافر ص ٥٤ وانظر الضوء اللامع حـ ٤ ص ٦٥ .

(٤) انظر المجموع الادبي رقم ٢٩٥ أدب تيمور ص ٣٧ .

(٥) حسن المحاضرة حـ ١ ص ٤٤١ .

(٦) حسن المحاضرة حـ ١ ص ٤٤١ .

(٧) السخاوي : هو المؤرخ والمحدث شمس الدين محمد بن عبد الرحمن المتوفي سنة ٩٠٢هـ .

مرتين وفي كل منهما جعل لمولده تاريخا معينا ، ففي التبر المسبوك جعله من مواليد سنة ٨٠٩هـ (١) ، وفي الضوء اللامع جعله من مواليد سنة ٨٠٤هـ (٢) .

ونشأ والد السيوطي نشأة علمية اهلته لان يتولى قضاء مدينة اسيوط (٣) ولم اجد أحداً ممن ترجم له حتى ولده قد ضبط لنا تاريخ توليه هذا المنصب ولو على وجه التقريب .

ويبدو ان الشيخ كمال الدين هو اول من ترك مدينة اسيوط من اسرة السيوطي ، فقد قدم القاهرة بعد عام ٨٢٠هـ (٤) واستقر به المقام فيها .

ولازم علماء القاهرة وتردد الى مشاهيرهم وبخاصة العلامة القاياتي المتوفي سنة ٨٥٠هـ (٥) فقد درس عليه الفقه والاصول والنحو والمعاني والكلام والمنطق (٦) .

---

(١) التبر المسبوك ص ٣٥٦ .

(٢) الضوء اللامع جـ ١١ ص ٧٢ .

(٣) حسن المحاضرة جـ ١ ص ٤٤١ وانظر الضوء اللامع جـ ١١ ص ٧٢ .

(٤) الضوء اللامع جـ ١١ ص ٧٢ .

(٥) القاياتي : هو قاضي القضاة شمس الدين محمد بن علي بن يعقوب الشافعي ، انظر حسن المحاضرة جـ ١ ص ٤٤٠ ـ ٤٤١ .

(٦) بغية الوعاة جـ١ ص ٤٧٢ ، وانظر حسن المحاضرة جـ١ ص ٤٤١

ولم تستند الى والد السيوطي مناصب مهمة الا انه تولى تدريس الفقه بالجامع الشيخوني وخطب بالجـامع الطولوني ، وافتى سنين ، وناب في الحكم عن الحافظ ابن حجر اكثر من مرة (١) .

وكان قد ادى فريضة الحج سنة ٨٤٢هـ وجاور بمكة المكرمة ، وانتفع به هناك جماعة منهم قاضي مكة برهان الدين بن ظهيرة وابن عمه المحب بن ابي السعادات (٢) .

ولوالد السيوطي صلة وثيقة بالخليفة العباسي المستكفي بالله ، وقد كتب له عهد الخلافة بيده ، وصورة العهد مثبتة في كتاب حسن المحاضرة ، وكان اماماً له في الصلاة ، وقد قرأ الخليفـة عليه شيئـا من العلم (٣) .

ومات والد السيوطي الشيخ كمال الدين في الخامس من صفر سنة ٨٥٥هـ (٤) ، وكان عمر جلال الدين آنذاك اقل من ست

---

(١) حسن المحاضرة جـ ١ ص ٤٤١ ، وانظر طبقات الحفاظ للسيوطي ص ٣٨١ .

(٢) الضوء اللامع جـ ١١ ص ٧٣ ، وانظر التبر المسبوك ص ٣٥٧ ، ونظم العقيان ص ٢٠ .

(٣) حسن المحاضرة جـ ٢ ص ٩٠ ، وانظر تاريخ الخلفاء ص ٥١١ ـ ٥١٢ ، وانظر ترجمة المستكفي بالله في نظم العقيان ص ١١٧

(٤) حسن المحاضرة جـ ١ ص ٤٤٢ .

سنوات ، وقد رثاه الشيخ شهـــاب الدين المنصوري (١) بقصيدة طويلة ، مطلعها :

مات الكمال فقالوا ولى الحجـــا والجـــلال
فللعيون بكاء وللدموع انهمـــال (٢)

ويبدو ان الشيخ كمال الدين لم ينجب غير ولده جلال الدين وقد عهد بالوصية عليه لبعض الفضلاء الصالحين ، وكان على رأسهم العلامة كمال الدين بن الهمام الحنفي المتوفي سنة ٨٦١هـ (٣) .

(٣)

ثقافته وشيوخه

بدأ السيوطي حياته العلمية منذ نشأته الاولى ، فقد حفظ القرآن وله دون ثماني سنين ، ثم حفظ عمدة الاحكام ، ومنهاج النووي ، وألفية النحو لابن مالك ، ومنهاج البيضاوي ، وعرض

---

(١) شهاب الدين المنصوري : هو الشاعر ابو العباس احمد بن محمد ، المعروف بالهائم ، انظر ترجمته في حسن المحاضرة حـ ١ ص ٥٧٤ . ونظم العقيان ص ٧٧ ـ ٩٠ .

(٢) حسن المحاضرة حـ ١ ص ٤٤٢ .

(٣) بغية الوعاة حـ ١ ص ١٦٧ ، وانظر النور السافر ص ٥٤ ، وكمال الدين بن الهمام هو : محمد عبد الواحد بن عبد الحميد ترجم له السيوطي في البغية ، انظر حـ ١ ص ١٦٦ ـ ١٦٩ .

الثلاثة على مشايخ الاسلام : العلم البلقيني ، والشرف المناوي ، والعز الحنبلي ، وشيخ الشيوخ الاقصرائي ، وغيرهم ، وحصلت له اجازة بذلك منهم (١) .

وكان والده شديد الحرص على ان يتجه ابنه نحو العلم وحلقاته لذا نراه يحضره وهو صغير اكبر مجلس علم في زمانه ، فقد ذكر ان والده احضره مجلس رجل كبير من العلماء وقد اخبره بعض اصحاب ابيه : انه مجلس الحافظ ابن حجر (٢) « المتوفي سنة ٨٥٢هـ » وحمل في حياة ابيه الى الشيخ محمد المجذوب ، وهو رجل كان من كبار الاولياء بجوار المشهد الحسيني فبرك (٣) عليه .

ولما توفي والده أولاه وصيه العلامة كمال الدين ابن الهمام رعايته وقرره في وظيفة الشيخونية وكان قد وصل آنذاك في قراءة القرآن الى سورة التحريم (٤) .

وشرع في الاشتغال بالعلم في مستهل سنة أربع وستين (٥) ،

---

(١) حسن المحاضرة حـ ١ ص ٣٣٦ ، وانظر الضوء اللامع حـ ٤ ص ٦٩ ، وشذرات الذهب حـ ٨ ص ٥٢ .

(٢) الكواكب السائرة حـ ٢ ص ٢٢٦ ، وانظر شذرات الذهب حـ ٨ ص ٥٢ .

(٣) حسن المحاضرة حـ ١ ص ٣٣٦ .

(٤) الكواكب السائرة حـ ١ ص ٢٢٦ .

(٥) حسن المحاضرة حـ ١ ص ٣٣٦ .

فلازم أكثر شيوخ عصره واخذ عنهم مختلف فنون الثقافة مع حرصه الشديد على المتابعة الشخصية ، فقد اهتم بالبحث والتحقيق اهتماما بالغا لذا نراه يقول في كتابه حسن المحاضرة : « ولم اكثر من سماع الرواية لاشتغالي بما هو اهم ، وهو قراءة الدراية » (١) .

وذكر الخونساري في روضات الجنات : ان قراءته ، واخذه وروايته في مراتب المعقول والمنقول ، قد انتهت الى جماعه كثيرة لم يعهد مثلها لاحد من الفحول بحيث ذكر بعضهم انه اخذ عن غالب علماء عصره ، وبلغ مجموع شيوخه نحو من ثلاثمائة شيخ (٢) .

وذكر تلميذه الداودي في ترجمته اسماء شيوخه اجازة وقراءة وسماعا مرتبين على حروف المعجم ، فبلغت عدتهم واحدا وخمسين شيخا » (٣) .

ويبدو لي ان هذا العدد الذي نقل عن الداودي يتعلق بخاصة شيوخ السيوطي لأن السيوطي نفسه ذكر في ترجمة حياته في كتابه حسن المحاضرة : ان شيوخه في الرواية والسماع والاجازة كثيرون ، قال : « اوردتهم في المعجم ، الذي جمعتهم فيه ، وعدتهم نحو مائه وخمسين » (٤) .

---

(١) حسن المحاضرة حـ ١ ص ٣٣٩ .

(٢) روضات الجنات ص ٤١٥ .

(٣) الكواكب السائرة حـ ١ ص ٢٢٨ .

(٤) حسن المحاضرة حـ ١ ص ٣٣٩ .

ونقل عنه تلميذه الشعراني في ذيل طبقـــاته انه كان يقول : « اخذت العلم عن ستمائة نفس ، وقد نظمتهم في أرجوزة » (١) .

وقد حرص السيوطي على ان يسجل اسماء مشايخه الذين اخذ عنهم العلم فوضع فيهم خمسة مصنفات وهي :

١ ــ حاطب ليل وجارف سيل ، وهو معجم شيوخه الكبير ، اشار اليه عند ذكر مؤلفاته في كتابه حسن المحاضرة ، في فن التاريخ والأدب (٢) .

٢ ــ زاد المسير في الفهرست الصغـــير ، ورد ذكره في فهرست مؤلفاته . وتوجد منه نسخ مخطوطة ، منها نسخة في مكتبة دار الكتب المصريه ، تحت رقم « ٨٠ » مصطلح الحديث . وقد تضمن هذا الفهرست مروياته ، مع ذكر اسانيدها وذلك بأن يذكر الكتب وعمن تلقـــاها مسندا هذا التلقى الى المصنف .

٣ ــ فهرست المرويات ، ويسمى انشاب الكتب في انساب الكتب ، ورد في فهرست مؤلفاته ، واشار اليه صاحب كشف الظنون (٣) .

---

(١) ذيل طبقات الشعراني ق ٣ .

(٢) حسن المحاضرة ﺣ ١ ص ٣٤٤ ، وانظر كشف الظنون م ٢ ص ٩٤٨ .

(٣) كشف الظنون طبعة اوربا ﺣ ٦ ص ٦٧٠ .

٤ ــ المنتقى ، وهو المعجم الصغير ، ورد ذكره ضمن مؤلفاته في كتابه حسن المحاضرة ، في فن التاريخ والادب (١) .

٥ ــ المنجم في المعجم : ورد ذكره في فهرست مؤلفاته . في فن التاريخ ، وهو يتضمن اسماء شيوخه مرتبين على حروف المعجم مع ترجمة موجزة لكل منهم ، وقد اهتم في ذكر اسماء الذين اخذ عنهم شيوخه ، وهو مرجع هام في هذا الباب ، اذ ضم اسماء اغلب علماء القرنين الثامن والتاسع ، واسماء تلامذتهم وشيوخهم .

وقد قمت باحصاء عدد شيوخه فيه فبلغوا مائة وثمانية وتسعين شيخا ، وتوجد من هذا المعجم عده نسخ مخطوطة ، منها نسخة في مكتبة جامعة اسطنبول تحت رقم « ١٤٤٥ » ، وهي بخط تلميذه الداووي (المتوفي سنة ٩٤٥هـ) ، ونسخة اخرى في مكتبة دار الكتب المصرية تحت رقم « ٥٢٦ تاريخ » ويبدو انها مسودة المؤلف (٢) .

وجل شيوخه الذين ذكرهم في هذا المعجم مصريون ، وفيهم كثير من المكيين والمدنيين والشاميين ، وشيخ حلبي واحد ، هو

---

(١) حسن المحاضرة حـ ١ ص ٣٤٤ .

(٢) فهرس دار الكتب حـ ٥ ص ٣٦٩ ، وانظر تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان حـ ٣ ص ٢٣١ .

العلامة محمد بن مقبل (المتوفي سنة ٨٧١هـ) (١) .

وكان في ابتداء طلبه للعلم قد قرأ شيئا في علم المنطق ، ثم ألقى الله كراهيته في قلبه ، اذ سمع ان ابن الصلاح افتى بتحريمه فتركه ، فعوضه الله عنه علم الحديث الذي هو اشرف العلوم (٢) . وقد ألف في تحريم المنطق حينذاك كتابا ، ضمنه نقول أئمـة الاسلام في تحريمه سماه (٣) : « القول المشرق » وذلك ما بين سنة ٨٦٧هـ وسنة ٨٦٨هـ . والف بعد ذلك في تحريمه أربعة كتب اخرى هي : « صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكـلام » و « وجهد القريحة في تجريد النصيحة » و « فصل الكلام في ذم الكلام » و « الغيث المغدق في تحريم المنطق » (٤) .

وتردد في اول ايام طلبه العلم على الشيخ السخاوي (المتوفي سنة ٩٠٢هـ) ، وأرجح انه لم يقرأ عليه كتابا معينا ، ولا أخـذ عنه شيئا كثيرا ، اذ لم يذكر اسمه في المنجم في المعجم ، ولا في

---

(١) المنجم في المعجم ص ١٣٤ ، وانظر فهرس الفهارس للكتابي حـ ١ ص ٤١٣ .

(٢) حسن المحاضرة حـ ١ ص ٣٣٩ .

(٣) صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكـلام ص ٢/١ وانظر حسن المحاضرة حـ ١ ص ٣٤٢ .

(٤) صون المنطق والكلام ص ٤/٣ وانظر حسن المحاضرة ص ٢٤٢ والسنا الباهر ص ٧٩ .

زاد المسير ، الا ان السخاوي قد ذكر ذلك في كتابيه التبر المسبوك والضوء اللامع عندما ترجم لوالد السيوطي وللسيوطي نفسه ، قال في الضوء اللامع : « ولازمني دهرا وكتب الي في نثر طويل ... بل قد مدحني بغير ذلك في نظم ونثر » (١) ، وقال في التبر المسبوك معرفا بوالده « وهو والد الفاضل جلال الدين عبد الرحمن احد من اكثر التردد الي ومدحني نظما ونثرا » (٢) .

وحضر مجالس جلال الدين المحلي (المتوفي سنة ٨٦٤هـ) (٣) سنة كاملة ، كان يحضرها في كل اسبوع مرتين (٤) ، وقد ترجم له ترجمة مختصرة في معجم شيوخه ، واسهم في تكملة تفسيره للقرآن الكريم الذي مات قبل ان يتمه فأكمله على نمط تفسير المحلي له (٥) .

وكان شمس الدين محمد بن موسى بن محمود السيرامي الحنفي الامام بالخانقاه الشيخونية المتوفي سنة ٨٧١هـ (٦) أول شيوخه في

(١) الضوء اللامع جـ ٤ ص ٦٦ .

(٢) التبر المسبوك ص ٣٥٧ .

(٣) انظر ترجمة المحلي في حسن المحاضرة جـ ١ ص ٤٤٣ ـ ٤٤٤ والمنجم في المعجم ص ١٠٢ ـ ١٠٣ .

(٤) شذرات الذهب جـ ٨ ص ٥٢ ، وانظر الكواكب جـ ١ ص ٢٢٦

(٥) المنجم في المعجم ص ١٠٢ ، ١٠٣ .

(٦) انظر ترجمته في زاد المسير في الفهرست الصغير ص ٤٩ والمنجم في المعجم ص ١٣٨ .

العربية ، فقد قرأ عليه ألفية ابن مالك ، وقبل ان يتمها قرأه عليه صنف كتابا في العربية ، وقرأ عليه ايضا قطعة من التسهيل وسمع عليه الكثير من شرح ابن المصنف والتوضيح لابن هشام وشرح شذور الذهب ، وقرأ عليه كذلك في الحديث صحيح مسلم الا قليلا ، والشفاء للقاضي عياض ، وقرأ عليه المغني في اصول الفقه الحنفي . وشرح العقائد للتفتازاني ، وهو اول شيخ اجازه بالعربية ، وكانت اجازته له سنة ٨٦٦هـ .

ودرس العربية كذلك على الشيخ شمس الدين محمد ابن الشيخ سعد الدين خليل المرزباني الحنفي المتوفى سنة ٨٦٧هـ (١) ، خازن كتب الشيخونية ، قرأ عليه الحاجبية وشرحها للمصنف والمتوسط والشافية وبعض شرحها للجاربردي ، وتلخيص المفتاح .

ويعد الشيخ علم الدين صالح البلقيني المتوفي سنة ٨٦٨هـ (٢) أبرز العلماء الذين تلقى عنهم السيوطي العلم ، فقد لازمه ملازمة تامة واجازه بالتدريس والافتاء سنة ٨٦٧هـ ، وحضر تصديره (٣) الذي ألقاه يوم جلس للتدريس بجامع شيخون ، وذلك يوم الثلاثاء

---

(١) انظر ترجمته في زاد المسير في الفهرست الصغير ص ٤٩ ، ونظم العقيان ص ١٤٩ . وبغية الوعاة حـ ١ ص ٥٧٨ .

(٢) انظر ترجمته في حسن المحاضرة حـ ١ ص ٠٠٠ ـ ٥٠٠

(٣) توجد نسخة من هذا التصدير ضمن مجموعة كتب للسيوطي في مكتبة الازهر برقم « ٩٧٩ » .

تاسع ذي القعدة ، وقد مضى من عمــره أنذاك ثماني عشرة سنة وأربعة اشهر وثمانية أيام .

ولما توفي العلم البلقيني لزم الشيخ شرف الدين يحيى بن محمد المناوي المتوفى سنة ٨٧١هـ (١) ، وهو استاذه الثاني في الفقه ، اذ يأتي بعد علم الدين البلقيني لذلك لما عرض لسلسلة الفقــه في كتابه زاد المسير بدأ بالبلقيني ثم ثنى بالمناوي .

وأخذ الحديث والعربية عن الامام تقي الدين احمد بن محمد الشمني (٢) المتوفى سنة ٨٧٢هـ ، وواظب عـلى حضور مجلسـه مدة أربع سنوات ، وكتب له تقريظا على شرح ألفية ابن مالك ، وعلى جمع الجوامع في العربية ، وشهد له اكثر من مرة بالتقدم في العلوم وبلسانه وبنانه .

ويعد الشمني أبرز شيوخ السيوطي في النحو ، وقد خـرج له الحديث المسلسل بالنحـاة ، قال في المنجم : « لازمت الشيخ مدة سنين في الرواية والدراية ، فقرأت عليه وسمعت منه رواية الكثير مما هو مبين في فهرستي ، وخرجت له الحديث المسلسل بالنحاة ،

---

(١) انظر ترجمته في حسن المحــاضرة حـ ١ ص ٤٤٥ ، والمنجم في المعجم ص ٥٠ .

(٢) انظر ترجمته في حسن المحاضرة حـ ١ ص ٤٤٧ ـ ٤٧٤ ، وبغية الوعاة حـ ١ ص ٣٧٥ ـ ٣٨١ والمنجم في المعجم ص ٣٣ وزاد المسير ص ٤٨ ، وتاريخ مصر لابن اياس حـ ٢ ص ٩٩ .

وفرح به لما خرجته له ، وعجب منه ، وقال لي : من أين وقع لك هذا فاني ما سمعت به قط ، قلت رأيته في رحلة الحافظ محب الدين ابن رشيد بمكة وتسمى : « ملء العيبة فيما جمع بطول الغيبة في الرحلة الى مكة وطيبة » ، وهي ستة مجلدات فوصلت سندكم به ، وكل من كتبه من اهل العصر فانما استفاده من ذلك الجزء .

وقد درس عليه السيوطي دراسة دراية وبحث وتحقيق غالب المطول وتوضيح ابن هشام والكثير من المغنى وحاشيته عليه ، والمسير من تفسير البيضاوي ، وحاشيته على الشفا .

وتعد ملازمته للشيخ محي الدين الكافيجي (١) المتوفى سنة ٨٧٩هـ أطول مدة تلمذ فيها لشيخ معين ، فقد ذكر انه لازمه مدة أربع عشرة سنة واخذ عنه فنون التفسير والاصول والنحو وسائر

---

(١) الكافيجي : هو محي الدين ابو عبد الله محمد بن سليمان بن مسعود البرومي البرعمي الحنفي ، اكثر من قراءة الكافية لابن الحاجب ومن ثم نسب اليها بزيادة جيم كما هي عادة الترك في النسب فأصبح يعرف بالكافيجي ، انظر في ترجمته حسن المحاضرة حـ ١ ص ٥٤٩ـ٥٥٠ وبغية الوعاة حـ ١ ص ١١٧ـ١١٩ والمنجم في المعجم ص ١٠٦ وزاد المسير ص ٥٠ ولب اللباب ص ٢١٨ وتاريخ مصر لابن اياس حـ ٢ ص ١٥١ والبدر الطالع حـ ٢ ص ١٧١ ، والمدارس النحوية ص ٣٥٨ ، وعلم التاريخ عند المسلمين ص ٣١٧ .

علوم العربية ، وكتب له اجازة عظيمة ، والسيوطي شديد الاعجاب بشيخه هذا ، قال عنه : « ما جئته مرة الا وسمعت منه من التحقيقات والعجائب ما لم اسمعه قبـــل ذلك ، قال لي يوما : اعرب « زيد قائم » فقلت : صرنا في مقام الصغار ، نسأل عن هذا ! ، فقال لي : في « زيد قائم » مائة وثلاثة عشر بحثا ، فقلت : لا أقوم من هذا المجلس حتى استفيدها ، فأخرج لي تذكرته فكتبتها منها .

وقد نقل هذه المسألة في كتابه الاشباه والنظائر تحت اسم(١) « فائدة من مولدات شيخنا العلامة الكافيجي » والبحث اقرب الى الفلسفة والمنطق منه الى النحو وسبب ذلك تعمقه بالعلوم العقلية .

ويبدو ان صلة محي الدين الكافيجي بأســـرة السيوطي قديمة بدأت منذ أيامه الاولى في القاهرة ، فقد كان على صلة وثيقة بوالده ومما قوى هذه الصلة أنهما كانا يمارسان التدريس في الشيخونية سوية ولما توفي والد السيوطي وحل ابنه مكانه في الشيخونية أولاه الكافيجي رعايته ونظره ، لذا وجدناه يقول عنه في البغية : « وما كنت أعد الشيخ « اي الكافيجي » الا والدا لي بعد والدي لكثرة ما له علي من الشفقة والافادة » .

ونستطيع ان نقرر ان الشمني والكافيجي هما اهم شيوخـــه واساتذته الذين اخذ عنهم النحو وعلوم العربية واكثر عنهم النقل في مختلف مؤلفاته النحوية والعربية .

---

(١) الاشباه والنظائر في النحو حـ ٤ ص ٢٣١ .

وللسيوطي شيوخ آخرون كثيرون ، ولعل أبرزهم من الناحية العلمية العامة والمكانة الاجتماعية هو الشيخ قاضي القضاة أمين الدين يحيى ابن محمد الاقصرائي الحنفي المتوفى سنة ٨٨٠هـ (١) ، فقد اخذ عنه اعراب ابي البقاء العكبري وسائر كتبه .

واخذ بمكة المكرمة عن الشيخ محي الدين عبد القادر بن ابي القاسم الانصاري المالكي النحوي المتوفى سنة ٨٨٠هـ (٢) ، قال عنه في البغية : « ليس بعد شيخي « الكافيجي والشمني » انحى منه مطلقا ... وكتب على شرحي في الذي على الالفية تقريظا بليغا » . ووصفه بأنه قد تفرد في الاقطار الحجازية بمعرفة العربية .

وذكر السيوطي في ترجمته الذاتية انه حضر عند الشيخ سيف الدين محمد بن محمد بن عمر بن قطلوبغا البكتمري الحنفي المتوفى سنة ٨٨١هـ (٣) ، واخذ عنه دروسا عديدة في الكشاف والتوضيح وحاشيته عليه وتلخيص المفتاح وشذور الذهب ، وقال عنه في حسن المحاضرة : « هو آخر شيوخي موتا »

---

(١) انظر في ترجمته حسن المحاضرة حـ ١ ص ٤٧٨ ونظم العقيان ص ١٧٧ والمنجم في المعجم ص ١٠١ وزاد المسير ص ٤٠ .

(٢) انظر ترجمته بغية الوعاة حـ ٢ ص ١٠٤ ـ ١٠٥ ، والمنجم في المعجم ص ٨٣ والضوء اللامع حـ ٤ ص ٦٦ وشذرات الذهب حـ ٧ ص ٣٢٩ ـ ٣٣٠ .

(٣) انظر في ترجمته حسن المحاضرة حـ ١ ص ٤٧٨ والمنجم في المعجم ص ٣٣ .

ولم يقتصر صاحبنا في تلقيه العلم على الاخـــذ عن الرجال بل أخذ كذلك عن شهيرات نساء عصره ممن تصدرن للعلم سواء أكن من مصر أم من البلدان التي شملتها رحلاته المتعددة ، فقد حوى فهرس مروياته ومعجم شيوخه ذكر عدد كبير من أولئك النسوة ، فقد ذكر انه اخذ عن ام هانىء بنت ابي القاسم الانصاري (١) اخت محي الدين عبد القادر الانف الذكر ، وذلك لما حج سنة ٨٦٩هـ ، فقد أخذ عنها كتب ابي البقاء العكبري ، وسمع على خديجة بنت ابي الحسن اخت جلال الدين بن الملقن(٢) واخذ عن ام هانىء مريم بنت الشيخ نور الدين ابي الحسن الهوريني والدة شيخه سيف الدين الحنفي (٣) .

ولقد كانت همة السيوطي عالية ورغبته في تلقى العلم قوية فقد دفعه ذلك للقيام برحلات علمية كثيرة ، ولم يقتصر برحلاته هذه على الديار المصرية مثل الفيوم والمحلة ودمياط والرشيد والاسكندرية بل تجاوزها الى بلاد الاسلام الاخرى فسافر الى الحجاز لتـــأدية فريضة الحج سنة ٨٦٩هـ (٤) ، وزار الشام ورحل الى اليمن والهند وطاف في بلاد المغـــرب وزار بلاد التكرور (٥) — وهي بلاد

---

(١) المنجم في المعجم ص ٥٧ ، وانظر زاد المسير ص ٢٠ .

(٢) المنجم في المعجم ص ٦٦ ، وانظر زاد المسير ص ٩ .

(٣) المنجم في المعجم ص ٥٤ .

(٤) حسن المحاضرة حـ ١ ص ٣٣٨ ، وانظر بغية الوعاة حـ ١ ص ٥

(٥) حسن المحاضرة حـ ١ ص ٣٣٨ .

غانا وما يجاورها من الاصقاع ـ والتقى بأهل العلم والمعرفة وتبادل معهم مختلف فنون الثقافة .

وان سعة شيوخ السيوطي وكثرتهم وانتشارهم في كثير من الديار الاسلامية وانتماءهم لمختلف فنون المعرفة يفسر لنا جانبا هاما من جوانب اتساع ثقافته التي كان من نتائجها كثرة مصنفاته ومن ثم انتشارها في أرض الله الواسعة .

لقد تزود بزاد العلم وانتهل من فنون المعرفة ما وسعه ان ينتهل ، فلم يترك جانبا من جوانبها ، عظم شأنه او هان أمره الا وتعمق فيه ، فهو مثلا لم يقتصر في ثقافته الدينية على دراسة مذهبه الشافعي والاخذ عن شيوخه ، بل نراه يتجاوز ذلك ويأخذ عن شيوخ المذاهب الاسلامية الاخرى وغالب رؤسائها شيوخه ، مثل شيخ الاسلام عز الدين الحنبلي (١) (المتوفى سنة ٨٧٦هـ) (٢) وقاضي القضاة أمين الدين الاقصرائي الحنفي المتوفى سنة ٨٨٠هـ ، ولم يكتف في تلقيه العلم على لون معين بل اخذ من كل علم بنصيب وضرب في كل فن بسهم ، فكان فيها كلها من البارعين ، والمصنفين المجيدين وما اصدقه حين يقول عن نفسه : (ورزقت التبحر في سبعة علوم : التفسير ، والحديث ، والفقه ، والنحو ، والمعاني ، والبيان ، والبديع ، على طريقة العرب البلغاء ، لا على طريقة العجم واهل

---

(١) حسن المحاضرة حـ ١ ص ٣٣٨ ـ ٣٣٩ .

(٢) انظر ترجمته في حسن المحاضرة حـ ١ ص ٤٨٤ ، ونظم العقيان ص ٣١ .

الفلسفة ، والذي اعتقده ان الذي وصلت اليه في هذه العلوم السبعة سوى الفقه ، والقول الذي اطلعت عليها فيها لم يصل اليه ولا وقف عليه احد من اشياخي ، فضلا عمن هو دونهم ، واما الفقه فلا اقول فيه ، بل شيخي فيه اوسع نظرا . واطول باعا ، ودون هذه السبعة في المعرفة : اصول الفقه والجدل والتصريف ، ودونها الانشاء والترسل والفرائض ، ودونها القراءات ولم آخذها عن شيخ ، ودونها الطب ، واما علم الحساب فهو اعسر شيء علي وابعده عن ذهني ، واذا نظرت في مسألة تتعلق به ، فكأنما احاول جبلا احمله (١) .

(٤)

المناصب التي تولاها السيوطي

ان المناصب التي كانب تسند الى العلماء كثيرة ، ولكن غالبها كان ينحصر في وظائف الوقف والقضاء والحسبة والتدريس ، والافتاء وكان مركز السيوطي العلمي ومكانة أسرته يؤهلانه لان يتولى أي منصب من تلك المناصب ، ولكن لم يتفق له ان تولى أي شيء من ذلك غير التدريس والافتاء ، الا ان الخليفة العباسي المتوكل على الله قد عينه قاضيا كبيرا ، وفوض اليه امر القضاء بالديار المصرية وكتب له عهداً شريفاً خوله فيه امور القضاء يحق له بموجبه تولية من يشاء وعزل من يشاء من القضاة وهذه الوظيفة لم ينلها

(١) حسن المحاضرة حـ ١ ص ٣٣٨ ـ ٣٣٩ .

قط سوى القاضي تاج الدين بن بنت الاعز في دولة بني ايوب ، فلما بلغ القضاة ذلك شق عليهم واستخفوا عقل الخليفة في ذلك ، وقالوا ليس للخليفة مع وجود السلطان حل ولا ربط ولا ولاية ولا عزل ولكن الخليفة استخف بالسلطان لكونه صغيرا ، وكان يومذاك السلطان محمد قايتباي ، فلما قامت الدائرة والالسنة على الخليفة رجع عن ذلك ، وقال — على حد تعبير ابن اياس ، أيش كنت أنا ، الشيخ جلال الدين هو الذي حسن لي ذلك ، وقال لي هذه كانت وظيفة قديمة وكان الخلفاء يولونها من يختارونه من العلماء ثم اشهدوا على الخليفة الرجوع عن ذلك ، وبعث الى الشيخ جلال فأخذ العهد الذي كتبه له ، « قال ابن اياس معقبا على ذلك : « وكادت ان تكون فتنة كبيرة بسبب ذلك ووقعت امور يطول شرحها ثم سكن الحال بعد مدة » (١) .

ولم يتولى منصب قاضي قضاة الشافعية ، مع انه كان موئل استفتاء الناس وسؤالهم والرجوع اليه في كثير من شؤون الشرع ، وقد عزا بعضهم عدم توليه منصب القضاء الاكبر الى اشتغاله بالتدريس والتأليف ، وان كثيرا من علماء عصره كانوا يترفعون عن القضاء لما قد يجره عليهم من اثم وحرج عادلين عنه الى

---

(١) تاريخ مصر لابن أياس حـ ٢ ص ٣٠٧ ، وانظر السنا الباهر ص ٩١ ـ ٩٢ .

(٢) عصر سلاطين المماليك م ٥ ص ٤٢٧ .

التدريس ، زلفى لله وتقرباً ونشرا للدين الاسلامي (١) ، وقد يكون هذا التعليل الى حد ما وجيها الا انني اعتقد ان صاحبنا كان يتوق الى منصب القضاء لا سيما انه قد ادعى الاجتهاد والتجديد وأمرهما لا شك أكبر من اي منصب ، وان اشتغاله بالتدريس لم يكن حائلا دون ذلك ، فأغلب القضاة في عصره كانوا مدرسين ، واعتقد ان السبب الوحيد الذي حال دون توليه ذلك المنصب هو انه كان على رأس القضاه الشافعي عالم جليل له مكانته المرموقة عند معاصريه وبضمنهم السيوطي ، وهو الشيخ زكريا الانصاري المتوفي سنة ٩٢٦هـ الذي تولى منصب القضاء نحوا من عشرين سنة ، فانه تولى في دولة الاشرف قايتباي في سادس رجب سنة ثمانين وثمانمائة وبقى في هذا المنصب الى اواخر ايام قايتباي المتوفي سنة ٩٠١هـ (٢) .

وكان أول منصب تولاه السيوطي هو اجازته بتدريس العربية في مستهل عام ٨٦٦هـ(٣) والذي اجازه هو الشيخ تقي الدين الشمني ، ثم تولى وظيفة التدريس بالشيخونية وقد ورثها عن والده ، وقرر له ذلك الشيخ علم الدين البلقيني ، وحضر تصديره الذي القاه عند اجلاسه ، وذلك سنة ٨٦٧هـ (٤) .

---

(١) عصر سلاطين المماليك م ٥ ص ٤٢٧ .

(٢) تاريخ مصر لابن اياس حـ ٢ ص ٢٧٦ ، ص ٢٧٧ ، والكواكب السائرة للغزي ص ١٩٩/١ .

(٣) حسن المحاضره حـ ١ ص ٣٣٧ .

(٤) حسن المحاضرة حـ ١ ص ٣٣٧ ، وانظر الضوء اللامع حـ ٤ ص ٦

وتصدى للافتاء العام سنة ٨٧١هـ ، وذكر انه خالف أهل عصره خمسين مسألة ، وانه ألف في كل مسألة مؤلفا ، بين فيه وجهة نظره (١) .

وورث عن والده وظيفة التدريس بالجامع الطولوني ، وكان قد بدأ باملاء الحديث في هذا الجامع سنة ٨٧٢هـ ، وكان املاء الحديث قد انقطع بالديار المصرية بعد الحافظ ابن حجر ، وذكر السيوطي ان أول من أملى الحديث في الجامع الطولوني هو الربيع بن سليمان صاحب الامام الشافعي ، رضي الله عنهما (٢) .

وقد انتقده بعض معاصريه على املائه الحديث ، ومنهم السخاوي فرد عليهم بقوله (٣) :

عاب الاملاء للحديث رجال قد سعوا في الضلال حثيثا
انما ينكر الامالي قوم لا يكادون يفقهون حديثا

وكان يملي الحديث يوم الجمعة ، اتباعا للحفاظ المتقدمين كالخطيب البغدادي وابن السمعاني وابن عساكر ، بخلاف ما كان عليه بعض المتأخرين مثل العراقي وولده وابن حجر ، فانهم كانوا

---

(١) حسن المحاضرة حـ ١ ص ٣٣٨ ، وانظر السنا الباهر ص ٨٠

(٢) ذيل طبقات الشعراني ق ٤ ، وانظر حسن المحاضرة حـ ١ ص ٣٣٨

(٣) الكواكب السائرة حـ ١ ص ٢٣٠ ، وانظر الضوء اللامع حـ ٤ ص ٦٨ وفهرس الفهارس للكتابي حـ ٢ ص ٣٥٢ .

يعملون يوم الثلاثاء (١) .

وذكر السخاوي انه تولى مشيخة التصوف بتربة برقوق نائب الشام التي بباب القرافة ، وذلك بمساعدة احد ابناء بلدته . وتولى تدريس الحديث بالشيخونة ومنصب الاسماع بها ، عوضا عن الشيخ فخر الدين المقسمي بحكم وفاته ، وقد انتقده السخاوي على توليه هاتين الوظيفتين ، وعد دلك مخالفا لشرط الواقف ، لان ، المقسمي ترك ولدا ، وشرط الواقف ان يرث هذا الولد وظائف أبيه (٢)

ولما كان توفي الشيخ جلال البكري سنة ٨٩١هـ ، شيخ الخانقاه البيبرسية عين مكانه ، وكان الساعي له في هذه المشيخة الخليفة العباسي عبد العزيز (٣) ، وقد بقى في هذه المشيخة الى سنة ٩٠٣هـ وفي هذه السنة ثار عليه صوفية الخانقاه البيبرسية ، وكان قد قال لهم « لستم بصوفية ، وانما الصوفي من يتخلق باخلاق الاولياء ، كما يشهد بذلك كتاب الحلية لابي نعيم ورسالة القشيري وغيرهما من الكتب ، ومن يأكل المعلوم بغير تخلق باخلاقهم كأنما يأكل حراما » . فقطع عنهم جعيلتهم ، فقاموا عليه وكادوا يقتلونه ، فاستغل خصومه هذه الحادثة وكان على رأسهم الامير طومان باي الدوادار ، فحوكم ، ورتبوا عليه تهمة مفادها بأن

---

(١) ذيل طبقات الشعراني ق ٤/ب

(٢) الضوء اللامع حـ ٤ ص ٦٧ .

(٣) تاريخ مصر لابن اياس حـ ٢ ص ٢٣٦ .

طمعه افسده ، وان تفكيره في الاستيلاء على دراهم الصوفية الفقراء جعله غير صالح للبقاء في مشيخته ولذا عزل . وحاول صوفية هذه الخانقاه الايقاع به عند السلطان ليقتله فاظهر ازاء ذلك جلادة وقوة احتمال عاليتين ، وكان يقول : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبرني بأنني منصور عليهم ، قال الشعراني : « ثم ان جميع من قام على الشيخ حصل له مقت بين العباد ، ومات على أسوء حال » (١) .

ويبدو لي ان السيوطي بقي شيخا لهذه الخانقاه على الرغم مما حدث له ، وعلى الرغم من الحكم بعزله ، واستمر فيها الى سنة ٩٠٦هـ ، فلما تولى الملك العادل طومان باي السلطنة ، وكان خصما عنيدا للسيوطي ، فاختفى طيلة ايام حكمه فاعتبره معزولا بسبب هذا الاختفاء وعين في هذه المشيخة شخصا آخر ، هو الشيخ ياسين البلبيسي (٢) .

ولما ظهر بعد زوال حكم طومان باي عرض عليه السلطان الغوري أن يعيده الى هذه المشيخة ، فرفض ذلك ، ورفض ان يتولى اي وظيفة ، وبقى معتزلا الناس الى ان مات (٣) . وجاء في السنا

---

(١) ذيل طبقات الشعراني ق ٢١ ـ ٢٢ .

(٢) تاريخ مصر لابن اياس حـ ٠ ص ٣٩٥ ـ ٣٩٦ ، وانظر سلاطين المماليك م ٣ ص ٣٥٩ .

(٣) تاريخ مصر لابن اياس حـ ٤ ص ٥ ـ ٦ ، وانظر ذيل طبقات الشعراني ق ٢١/أ .

الباهر (١) ان الغوري لما تولى سأله ان يكون شيخ مدرسته التي أنشأها فلم يقبل ، فسأله ان يرتب له مرتبا معينا فلم يقبل ، فسأله ان يعيده الى مشيخة البيبرسية فلم يقبل ، وكان رحمه الله تعالى اذا احتاج شيئا باع بعضا من كتبه ، واعتاش بثمنه .

وكان الامراء والاغنياء يأتون الى زيارته ويعرضون عليه الاموال النفيسة فيردها وارسل له السلطان الغوري خصيا وألف دينار ، فرد الالف واخذ الخصي ، فاعتقه وجعله خادما في الحجرة النبويه وقال لقاصده لا تأتينا قط بهدية ، فان الله اغناني عن مثل ذلك (٢) .

(٥)

خصوماته

تألب على السيوطي معاصروه من أقرانه ومنافسوه من العلماء ، وطعنوا في طباعة ، ومواهبه ، وعلمه ، ومؤلفاته ، وتحاملوا عليه ، ورموه بما ليس فيه ، حسدا منهم وحقدا عليه : ولما كان له من الشهرة دونهم . كما هي عادة الاقران في كل زمان ، مما وقع بين العلماء المتعاصرين للمنافسة العلمية ، ممن هم اعـــلم واورع من السيوطي ومنافسيه ، وما جرى بين الحافظ ابن حجر والعلامة بدر الدين العينى ، ليس بخاف على اقل الناس اطلاعا على تاريخ هذه

---

(١) السنا الباهر ص ٨٩ .

(٢) ذيل طبقات الشعراني ق ١٨ .

الفترة ، وقد لمح السخاوي لذلك فقال : « مع انه كان بينهما « يعنى بين ابن حجر والعيني » ما يكون بين العصريين » (١) .

ولما كانت العادة ان يحدث بين الاقران من التنافس ما يدعو الى طعن بعضهم في بعض ، قرر علماء الجرح والتعديل : « ان قول المتنافسين لا يقبل في بعضهم » (٢) .

واصبح في عصر السيوطي معسكران ، معسكر يقوده السخاوي ، ويضم شمس الدين محمد الجوجري « المتوفي سنة ٨٨٩هـ) . وبرهان الدين ابراهيم ابن الكركي (المتوفي سنة ٩٢٢هـ) ، واحمد بن محمد القسطلانى (المتوفي سنه ٩٢٣ هـ (، واحمد بن الحسين بن العليف المكى تلميذ الجوجري (المتوفي سنة ٩٢٦هـ) ، وغيرهم . اما المعسكر الآخر الذي يقوده السيوطي فيضم الشيخ زين الدين القاسم الحنفي (المتوفي سنة ٨٧٩هـ) والعلامة امين الدين يحيى الاقصرائي (المتوفي سنة ٨٨٠هـ) والشيخ فخر الدين عثمان الديمى (المتوفي سنة ٩٠٨هـ) وغيرهم .

وقد أسدت هذه المنافسة التي جرت بين الفريقين فوائد علمية جمة ، اذ أدت الى دفع كلا الفريقين ان يؤلف في المسائل المتنازع عليها المؤلفات الكثيرة ليدعم كل منهم وجهة نظره ، واخذت الخصومة بينهم زمنا طويلا تبادل فيها الفريقان التهم والنقائص

---

(١) التبر المسبوك ص ٣٧٨ .

(٢) البدر الطالع حـ ١ ص ٣٣٣ .

والسباب والمثالب ، وألف بسبب ذلك رسائل وكتب ومقامات كثيرة .

وكان السخاوي حامل لواء الثورة على السيوطي ، بيد أنه لم يتنكر له هذا التنكر العنيف الا بعد ان صار من أقرانه في العلم (١) ، وبعد ان ادعى انه مجتهد عصره : اما قبل ذلك فقد كان السخاوي حسن الرأي فيه ، فقد قال في ترجمة والده أبي بكر الكمال السيوطي في كتابه « التبر المسبوك » ، وهو والد الفاضل جلال الدين عبد الرحمن ، أحد من أكثر التردد علي ومدحني نظما ونثرا نفع الله به » (٢) .

أما في كتابه الضوء اللامع فقد ترجم له ترجمة ظالمة ومجحفة في حقه ووجه له تهما كثيرة ، ووصفه بالحمق والهوى ، وختم ترجمته بقوله : « فسبحان واهب العقول » (٣) .

وكان السخاوي في كتابه هذا كلما وجد مناسبة تحامل فيها عليه وذمه كقوله في ترجمة تلميذه عبد الجبار بن علي الاخطابي » . ولا يخلو من هوس كشيخه » (٤) .

---

(١) نظم العقيان في أعيان الاعيان : مقدمة المحقق الدكتور فيليب حتى الصفحة (ز) .

(٢) التبر المسبوك ص ٣٥٧ .

(٣) الضوء اللامع جـ ٤ ص ٧٠ .

(٤) الضوء اللامع جـ ٤ ص ٣٦ .

ونسب له سوء العشرة عندما ترجم لابن المغيزل(١) ، ووصفه بالحمق عندما ترجم للاشموني فقد قال فيه « وراج امره (يعني أمر الاشموني) هناك ، ورجح على الجلال بن الاسيوطي ، مع اشتراكهما في الحمق ، غير ان ذلك ارجح (٢) ، ووصفه بالحسد وذلك عندما ترجم لابي النجا ، فقال : « وتردد لكثير من الجوامع الكبار ، والمشاهد العظام لعمل المواليد وتزايد الاقبال عليه بحيث حسده الجلال بن الاسيوطي لاقبال اهل خطته عليه بجامع ابن طولون ونحوها ، ولم يلتفت الناس اليه بل اشبعوه كلاما وملاما ، وحملوا صاحب الترجمة (يقصد أبا النجا بن خلف) على عقد المجلس بالبيبرسية محل جلوس هذا المسكين (يعني السيوطي) » .

والمطاعن التي وجهها السخاوي له كثيرة تتلخص في انه كان بليداً بدليل عدم معرفته للحساب ، وقد صرح السيوطي نفسه في حسن المحاضرة بذلك فقال :

« واما الحساب فأعسر شيء علي وأبعده عن ذهني واذا نظرت في في مسألة تتعلق به فكأنما أحاول جبلا » . والحساب في نظر السخاوي فن ذكاء ، والذي لا يجيده بليد ، وقد اجاب السيوطي عن هذه التهمة ، وذلك فيما نقله عنه صاحب السنا الباهر ، وهو

---

(١) الضوء اللامع حـ ٤ ص ٢٦٦ .

(٢) الضوء اللامع حـ ٦ ص ٥ .

قوله (١) : « وأما الحساب فأعسر شيء علي مع معرفتي به ولكن يثقل النظر علي فيه وتضيق أخلاقي ، ومن ظن اني قلت ذلك قصورا عنه فذلك لجهله بمقصودي ، وكم من مسألة عرضت علي فيه نظما ونثرا فأجبت عنها في الحال ، وانما قصدي ثقل النظر لعدم ملائمته لطبيعتي ، وقد قال امام الحرمين لا يصبر على الحساب الا البليد ، وقال ابن تيمية : الحساب وان كان حقا في نفسه الا انه من علوم الاوائل وكان الصحابة يقسمون « يعني الغنائم والمواريث » بما عندهم من العلم ، وبما ركز في طباعهم من غير اعتبار القواعد التي اصطلح عليها أهل احساب » .

وعاب عليه كذلك قوله : ان مؤلفاته بلغت ثلاثمائة ، فقال : « وذكر ان تصانيفه زادت على ثلاثمائة كتاب ، رأيت منها ما هو في ورقة ، واما ما هو دون كراسة فكثير » (٢) وقد تولى الشوكاني — لما ترجم للسيوطي — الاجابة عن ذلك فقال : « وقوله انه رأى بعضها في ورقة لا يخالف ما حكاه صاحب الترجمة من ذكر عدد مصنفاته فانه لم يقل انها زادت على ثلاثمائة مجلد بل قال انها زادت على ثلاثمائه كتاب ، وهذا الاسم يصدق على الورقة وما فوقها (٣).

---

(١) السنا الباهر ص ٨٢ ، وانظر البدر الطالع حـ ١ ص ٣٣٢/٣٣٣ والضوء اللامع حـ ٥ ص ٦٧ .

(٢) الضوء اللامع حـ ٥ ص ٦٨ .

(٣) البدر الطالع حـ ١ ص ٣٣٣ .

وعاب عليه تأليفه في القراءات العشر ألفية مع اعترافه بأنه لا شيخ له فيها ، ولذلك لم يقرئها لاحد لانها فن اسناد (١) .

واتهمه باختلاس مصنفات الشيخ الحافظ بن حجر ، عد منها : لباب النقول في اسباب النزول ، وعين الاصابة في معرفة الصحابة ، والنكت البديعات على الموضوعات ، والمدرج الى المدرج ، وتذكرة المؤتسى بمن حدث ونسى ، وتحفة النابه بتلخيص المتشابه ، وما رواه الواعون في اخبار الطاعون ، والاساس في مناقب بني العباس، وجزء في اسماء المدلسين. وكشف النقاب عن الالقاب ونشر العبير في — تخريج احاديث الشرح الكبير ، قال السخاوي : « فكل هذه تصانيف شيخنا ، وليته اختلسها ولم يمسخها. ولو نسخها على وجهها لكان انفع » (٢) ووصفه بأنه اختلس منه بعض مؤلفاته حينما كان يتردد اليه قال: واختلس حين كان يتردد الي مما عملته كثيرا كالخصال الموجبة للظلال ، والاسماء النبوية ، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، وموت الابناء ، وما لا احصره (٣) » . واتهمه كذلك في انه اخذ من كتب المحمودية وغيرها كثيرا من التصانيف المتقدمة مما لا عهد لكثير من العصريين بها في فنون كثيرة ، وقدم فيها وأخر ، ونسبها لنفسه ، وهول في مقدماتها بما يتوهم منه الجاهل شيئا (٤).

---

(١) الضوء اللامع حـ ٤ ص ٦٨ .

(٢) المرجع السابق حـ ٤ ص ٦٦ .

(٣) المرجع السابق حـ ٤ ص ٦٦ .

(٠) المرجع السابق .

وهذه التهم التي وجهها السخاوي للسيوطي باطلة ، لانها دعوى بلا دليل ، والواقع ان السيوطي أهل لأن يؤلف مثل هذه المؤلفات وأما كتب الخزانة المحمودية فقد كانت قبل السيوطي في امانة الحافظ ابن حجر وقبله الفخر عثمان البكري المعروف بالطاعي ، ولم ينقل ان احدا منهما اخذ منها شيئا مع امكان ذلك ، نعم ان السيوطي استفاد من هذه المكتبة أيما استفادة ، ولكنه كان دائما يشير الى ما ينقله منها وكان يصرح بأن بركة العلم في عزوه الى قائله (١) ، وقد انتقد السيوطي احد معاصريه لانه اخذ منه مسودة كتابه « الخصائص النبوية » وادعاها لنفسه ، فاضطر ان يعيد تأليف الكتاب من جديد ، وكتب في ذلك مقامة سماها « الفارق بين المؤلف والسارق » ، وقال في هذه الحادثة : « لعمري ان المؤلف انما يطلب أجره من الله تعالى على تأليفه ، فكيف يطلب أجره على ما لم يعلمه » (٢) .

ولم يكن السيوطي بدعا بين المؤلفين ، وقد جبلوا على الاخذ من كتب من سبقهم ، قال الشوكاني : « ما زال دأب المصنفين يأتي الاخر فيأخذ من كتب من قبله ، فيختصر او يوضح او يعترض او نحو ذلك من الاغراض التي هي الباعثة على التصنيف ، ومن ذاك الذي

---

(١) المنجم في المعجم ص ٩٣ ، وانظر الكاوي على تاريخ السخاوي ق ٤ ،

(٢) ذيل طبقات الشعراني ق ١٢ ب .

يعمد الى فن قد صنف فيه قبله فلا يأخذ من كلامه ؟ » (١) .

ومما لاشك فيه ان كتب السيوطى مشحونة بالنقول ، بل النقل هو اهم ميزة من مميزات مؤلفاته ، ومن المعلوم لمن عرف اطواره في ممارسة العلوم والتأليف انه كان أول أمره ملخصا ومختصرا ثم استقل بالتأليف المستوعب مع النقل الكثير من كتب السابقين (٢) .

ووجه السيوطى مثل هذه التهمة لخصمه العنيد السخاوي ، فذكر عنه في كتابه الكاوي في تاريخ السخاوي : ان غالب ما ألفه السخاوي في فن الحديث والاثر مسودات ظفر بها في تركة الحافظ ابن حجر ، فنسبها لنفسه مثل مؤلفه في الخصال الموجبة للظلال ، وانه اخذ كلام فتح الباري بنصه ، وساقه بحروفه وجعله مؤلفا لنفسه في مؤلفه « في قلم الاظفار » (٣) .

وانتقده لما بدأ يملي الحديث في الجامع الطولوني فقال عنه في الضوء اللامع : وكذا درس جمعا من العوام بجامع ابن طولون . بل صار يملي على بعضهم ممن لا يحسن شيئا بحيث كان ذلك وسيلة لمساعدة شهاب الدين بن الطباخ ، حيث رباه عند برسباي استدار الصحبة ، حتى قرره في تدريس الحديث

---

(١) البدر الطالع حـ ١ ص ٣٣٣ .

(٢) تدريب الراوي — مقدمة المحقق الدكتور عبد الوهاب عبد اللطيف الصفحة (ف) .

(٣) الكاوي على تاريخ السخاوي ق ٤ .

بالشيخونية بعد وفاة الفخر عثمـــان المقسمي ، مع تركه ولدا ، وكذا استقر في الاسماع بها وليس بموافق شرط الواقف فيها (١).

ومما لا شك فيه ان السيوطي كان اهـلا لاملاء الحديث ، وكتبه التي بين أيدينا من أمثال الجامع الكبير والجامع الصغير واللآلئ المصنوعة شاهدة على قوة تمكنه فيه ، وقد شهد له من ترجم حياته بالحفظ والاطلاع الواسع ، قال عنـه الشوكاني « وكان رضي الله عنه أعلم أهل زمانه بعلوم الحديث وفنونه حافظا متقنا يعرف غريب ألفاظه واستنباط الاحكام ، وقد بيض ابن حجر عدة احاديث لا يعرف من خرجها ولا مرتبتها فخرجها الشيخ « يعني السيوطي » وبين مرتبتها من حسن وضعيف وغير ذلك » (٢) .

وقال عنه ابن اياس لما ارخ وفاته « وتوفى الحافظ العـــلامة جلال الدين عبدالرحمن الاسيوطي وكان من اعيان علماء الشافعية وكان بارعا في علم الحديث » (٣) .

ومن التهم التي وجهها السخاوي للسيوطي وصفه بالكذب والادعاءات الباطلة قال عنه في الضوء اللامع « ... والا فهو كثير المجازفة زعم انه قرأ مسند الشافعي على القمصي في يوم ، فلم يلبث

---

(١) الضوء اللامع حـ ٤ ص ٦٧ ، وانظر ص ٦٨ .

(٢) ذيل طبقات الشعراني ق ٢/١٣ .

(٣) تاريخ ابن اياس حـ ٣ ص ٦٣ وانظر مفاكهة الخلان في حوادث الزمان حـ ١ ص ٣٠٢ .

ان جاء القمصي واخبرني متبرعا بما تضمن كذبه ، حيث بقي معه جانبا (١) » ، وانكر عليه كذلك ادعاءه انه عمل النفحة المسكية والتحفة المكية في كراسة ، وهو بمكة ، على نمط عنوان الشرف لابن المقرى في يوم واحد ، وانه احيا املاء الحديث بعد موت الحافظ ابن حجر ، وانه عمل الفية في الحديث فائقة ألفية العراقي (٢) .

وقد اجاب الشوكاني في معرض دفاعه عن السيوطي عن بعض تلك التهم فقال : « وقوله انه كذبه القمصي بتصريحه انه بقي من المسند بقية ليس بتكذيب ، فربما كانت تلك البقية يسيرة والحكم للاغلب ، لاسيما السهو والنسيان من العوارض البشرية ، فيمكن انه حصل لاحدهما للشيخ او تلميذه » (٣) ، وقد ألف السيوطي في هذه المسألة كتابا اسماه « تذكرة المؤتسي بمن حدث ونسى » (٤)

ووصفه بأنه كثير التصحيف والتحريف لانه عديم الفهم لكونه لم يزاحم الفضلاء في دروسهم ولا جلس بينهم في مسائلهم وتعريسهم بل استبد بأخذه العلم من بطون الكتب والدفاتر ، وقال عنه : انه تزيب قبل ان يتحصرم ، وانه اطلق لسانه وقلمه في شيوخه فمن فوقهم ، وقال فيه : « ولو شرحت امره لكان خروجا عن الحد ، وبالجملة فهو سريع الكتابة ، لم ازل اعرفه بالهوس ومزيد الترفع

---

(١) الضوء اللامع حـ ٤ ص ٦٨ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) البدر الطالع حـ ١ ص ٣٣٣ .

(٤) مخطوطة/مكتبة الظاهرية بدمشق برقم ٧٦٦٤ عام .

حتى على امه ، بحيث كانت تزبد في التشكي منه ، ولا زال أمره في تزايد ... فالله تعالى يلهمه رشده » (١) .

وأما كون السيوطي كثير التحريف والتصحيف فهي كما يقول الشوكاني « دعوى عاطلة عن البرهان (٢) » فهذه مؤلفاته على ظهر البسيطة محررة احسن تحرير متقنة ابلغ اتقان .

واما ترفعه وتكبره حتى على أمه فهو أمر عار عن الصحة ، فالمعروف ان والدته توفيت بعده ، وانها عملت له على قبره بناء لطيفا وانها كانت تزوره كثيرا في ضريحه ، وما ذلك الا لبره ، ورضاها عنه (٣) ، ونزعة السيوطي وتحريه للشرع واضح في جميع مؤلفاته ، ولا يتصور من مثله ان يقع في مثل هذه الكبائر ، ومما يؤيد هذا انه كان كثير الاجلال والتبجيل لشيوخه خلافا لما ذكر عنه السخاوي وهذه تراجمهم في كتبه شاهدة على ذلك .

ووصفه كذلك بقلة الوفاء فقال عنه : « وفارقه المحيوي بن مغيزل لما رأى منه الجفاء الزائد بعد كونه القائم بالتنويه به ،

---

(١) الضوء اللامع حـ ٤ ص ٦٨ ، و ص ٦٩ ، ص ٦٧ .

(٢) البدر الطالع حـ ١ ص ٣٣٣ .

(٣) السنا الباهر ص ٩٢ ، وانظر لواقح الانوار القدسية الورقة ١٧٢ ب ، وصفحات من تاريخ مصر ص ٢٥٢ ، وتدريب الراوي — مقدمة المحقق الدكتور عبد الوهاب عبد اللطيف الصفحة (س) .

وذكر عنه الحقد والاوصاف والتعاظم ما يصدقه فيه الحال ومن ذلك انه توصل عند الامام البرهان الكركي في تعيينه لحجة كانت تحت نظره ، فأجابه وزاده من عنده ضعف الاصل ، وحضر اليه مع العلم سليمان الخليفتي لقبض ذلك ، فما قال له : جزيت خيرا ، ولا أبدى كلمة مؤذنة بشكره » (١) ،

والظاهر ان تولية السيوطي النظر على الجهة التي اشار اليها السخاوي واعتبرها منة كبرى عليه ، وانما تمت بناء على حجة شرعية استند اليها السيوطي ولا فضل لاحد عليه في ذلك (٢) .

ومما لا شك فيه ان صاحبنا كان عزيز النفس لا يبدي الخضوع لاي انسان ، ووقائعه مع سلاطين عصره تشهد بذلك ، وعزته هذه هي التي جعلت بعض معاصريه امثال ابن مغيزل — ان صح ما نقله عنه السخاوي — يصفونه بالترفع والتعاظم .

والمسألة الوحيدة التي اعتقد ان السخاوي كان محقا فيها فيما وجهه للسيوطي من انتقادات ، هي مسألة نقله عن السيد الجرجاني انه يقول : ان الحرف لا معنى له في نفسه ولا في غيره ، قال السخاوي « وهذا كلام السيد ناطق بتكذيبك فيما نسبته اليه ، فأوجدنا مستندك فيما زعمته ، فقال « يعني السيوطي » : انني لم أر له كلاما ولكنني لما كنت بمكة تجاريت مع بعض الفضلاء في المسألة

---

(١) الضوء اللامع ج ٤ ص ٦٩ - ٧٠ .
(٢) الدوران الفلكي ص ٧٩ .

فنقل لي ما حكيته ، وقلدته فيه، وعقب السخاوي على ذلك فقال : « ... هذا عجيب ممن يتصدى للتصنيف كيف يقلد في مثل هذا مع هذا الاستاذ (يعني الجرجاني) » (١) .

وتعرض السيوطي لهذه المسألة في كتابه الاشباه والنظائر في فن الغرائب وهي انه لما حج سنة ٨٦٩هـ ، حضر مجلس علم بمكة ودار البحث فيه عن معنى الحرف ، فذكر السيوطي ان ابن النحاس خالف اجماع النحاة ، فقال : ان الحرف له معنى في نفسه ، بينما اجماع النحاة منعقد على انه لا معنى له في نفسه وانما معناه في غيره ، وكان في المجلس ، رجل قال عنه السيوطي : من افاضل العجم اسمه : محمد بن عبد الله الشيرازي ، نقل هذا الرجل عن الجرجاني انه ذهب الى ان الحرف لا معنى له اصلا لا في نفسه ، ولا في غيره ، وانه قد ألف في ذلك رسالة ، قال السيوطي : « ثم احضر لي مظفر الدين المذكور تأليفا لنفسه أختصر فيه « شرح الكافية » للرضى سماه « مرضى الرضى » فرأيته نقل فيه عن الشريف هذا البحث » ، ثم ذكر السيوطي انه تطلب هذه الرسالة التي ألفها الجرجاني حتى حصلها ، ولكن الذي يجعل الانسان في حيرة تجاه ما ذكره السيوطي ، هو انه قال سيسوق هذه الرسالة ولكن النسخ التي بين ايدينا مطبوعها ومخطوطها كلها خالية من هذه

---

(١) الضوء اللامع حـ ٤ ص ٦٧ ، وانظر كتاب التعريفات للجرجاني ص ٩٠ .

الرسالة (١) :

وهناك مسألة لغوية اختلف فيها السخاوي والسيوطي ، وهي تتعلق بضبط لفظه وردت في عبارة في آخر كتاب الشفاء للقاضي عياض ، وهي قوله : « ويخصنا بخصيصى زمرة نبينا وجماعته »(٢) فقد ضبط السيوطي « خصيصى » بالقصر اي مفردة ، وضبطها السخاوي بالياء ، اي مثناة ، والف احد انصار السخاوي رسالة في ذلك رد فيها على السيوطي سماها « المفصل في الرد على المغفل » (٣) ، والف السيوطي في هذه المسألة رسالتين الاولى « القول المجمل في الرد على المهمل » (٤) والثانية « ألوية النصر في خصيصى بالقصر » ، وهي مطبوعة ضمن الحاوي » (٥) .

وتتبع السيوطي هذه اللفظة في شتى مظانها ، ونقل ان ائمة اللغة والعربية قد اجمعوا على ان خصيصى بالقصر ، وانها قد تمد شذوذا ، فيقال : خصيصاء مصدر بمعنى الخصوصية ، ويقال : خصه بالشيء خصوصا ، وخصوصية ، وخصيصى ، وخصيصاء في لغة ،

---

(١) الاشباه والنظائر جـ ٣ ص ٤ .

(٢) الحاوي للفتاوى جـ ٢ ص ٤٨٧ .

(٣) الضوء اللامع جـ ٤ ص ٦٩ .

(٤) الكاوي على تاريخ السخاوي ق ٣ ، وانظر الدوران الفلكي على ابن الكركي ص ٨٧ .

(٥) الحاوي للفتاوي جـ ٢ ص ٤٧٩ .

وخاصة ، وذكر ان ذلك رأي سيبويه في كتابه ، والسيرافي في شرحه والقالي في كتـــابه المقصور والممدود ، وابن دريد في الجمهرة ، والجوهري في الصحاح والفيروزآبادي في القاموس وغيرهم من العلماء المعتبرين . وجزم السيوطي بأنه لم يأت خصيص البتة ، حتى يقال : خصيصان ، ونقل عن ابن دريد في الجمهرة انه عقد بابا لفعيل ، وفعيلى ، فذكر ما جاء منهما ، ثم قال (يعني ابن دريد) بعد ذلك : « ليس لمولد ان يبنى فعيلا الا ما بنت العرب وتكلمت به ، ولو أجيز ذلك لقلب اكثر الكلام ، فلا تلتفت الى ما جاء على فعيل مما لا تسمعه الا ان يجيء به شعر فصيح » (١)

ولعل أهم المسائل التي أثارها السخـــاوي ضد السيوطي هي ادعاؤه الاجتهاد وربما كانت هذه الدعوى هي السبب الذي جعله يواجه كل تلك الحملة القاسية من قبل منافسيه ، وقد صـــرح السخاوي نفسه بذلك فقال : وقد قام عليه الناس كافة لما ادعى الاجتهاد (٢) » وذكر عنه انه سكت لما قيل له نجمع لك كافة اهل الفنون فتناظرهم ، فان تميزت على كل منهم ، اعترفنا لك بالاجتهاد ، واعتبر سكوته هذا دليلا على عجزه (٣) ، وبطلان

---

(١) الحاوي للفتاوى حـ ٢ ص ٤٧٩ ، وانظر الجمهرة لابن دريد حـ ٣ ص ٣٧٦ .

(٢) الضوء اللامع حـ ٢ ص ٦٩ .

(٣) الضوء اللامع حـ ٤ ص ٦٨ .

ادعائه — وقد تصدى الشوكاني للسخاوي في مقالته هذه ، فقال وهو يدافع عن السيوطي : « وكذلك سكوته عند قول القائل له نجمع لك اهل كل فن من فنون الاجتهاد ، فان هذا كلام خارج عن الانصاف لان رب الفنون لا يبلغ تحقيق كل واحد منها ما يبلغه من هو مشتغل به على انفراده (١) .

وقال الشوكاني في موضع آخر : « واما ما نقله من اقوال من ذكره من العلماء مما يؤذن بالحط على صاحب الترجمة « اي على السيوطي » فسبب ذلك دعواه الاجتهاد ، كما صرح به ، وما زال دأب الناس مع من بلغ الى تلك الرتبة ... انها جرت عادة الله سبحانه ، كما يدل عليه الاستقراء ، برفع شأن من عودي بسبب علمه وتصريحه بالحق ، وانتشار محاسبته بعد موته ، وارتفاع ذكره وانتفاع الناس بعلمه وهكذا كان أمر صاحب الترجمة فان مؤلفاته انتشرت في الاقطار وسارت بها الركبان الى الانجاد والاغوار ، ورفع الله له من الذكر الحسن والثناء الجميل ما لم يكن لاحد من معاصريه والعاقبة للمتقين » (٢) .

هذه هي اهم المسائل التي آثارها السخاوي ضد السيوطي ، ومما يجب ان ننبه عليه هو ان السيوطي لم يكن الشخصية الوحيدة التي نالها لسان السخاوي الجارح وقلمه اللاذع ، فان كتابه الضوء اللامع حافل بأمثال هذه الخفقات التي لم يسلم منها

(١) البدر الطالع ج ١ ص ٣٣٣ .
(٢) المرجع السابق ص ٣٣٤ .

كبار رجال عصره، امثال الشيخ زكريا الانصاري الذي كان مفخرة من مفاخر عصره، فقد وصفه بأن حب الدنيا غلب عليه، وقال عنه: « وكنت اتوهم ان كتابته امتن من عبارته الى ان اتضح لي امره حين شرع في غيبتي يشرح ألفية الحديث مستمدا من شرحي، بحيث عجب الفضلاء من ذلك، وقلت لهم: من ادعى ما لم يعلم كذب في ما علم » (١).

ولم يكن رأي السخاوي بالبقاعي بأحسن من رأيه في السيوطي فقد طعن فيه طعنا شديدا، ووصفه بأنه: « ... صاحب تلك العجائب والنوائب والقلائل والمسائل المتعارضة المتناقضة، ويقال انه يلقب ابن عويجان، تصغير أعوج ».

ووصفه بأنه لم يبلغ مرتبة العلم وقصارى امره ان يدرج في مرتبة الفضلاء، واتهمه باللحن، وانه اهلكه التيه والعجب وحب الشرف والسمعة، وان له في كل من ذلك حكايات تسود الصحائف وتبيض النواصي، ما سكن في بلد الا اقام بها شرورا وشحنها فجورا. وترجم له ترجمة طويلة وشحنها بالمساوىء في حقه ولم يترك عيبا الا ألصقه به (٢).

---

(١) الضوء اللامع ح ٣ ص ٣٣٦. وانظر ص ٣٣٨، وانظر ترجمة الشيخ زكريا في نظم العقيان ص ١١٣، وفي النور السافر ص ١٢٠.

(٢) الضوء اللامع ح ١ ص ١٠١ ـ ١١١.

والذين طعن فيهم السخاوي كثيرون غير من ذكرنا ، فقد طعن بالمقريزي المؤرخ الكبير واتهمه بالكذب والسرقة ، وقال عنه : « وأقام ببلده عاكفا على الاشتغال بالتاريخ حتى اشتهر به ذكره ، وبعد فيه صيته ، وصارت له فيه جملة تصانيف ، كالخطط للقاهرة ، وهو مفيد لكونه ظفر بمسودة الاوحدي كما سبق في ترجمته فأخذها وزادها زوائد غير طائلة » وقال عنه في موضع آخر : « وكان حسن المذاكرة في التاريخ لكنه قليل المعرفة بالمتقدمين ، ولذلك يكثر له فيهم وقوع التحريف والسقط ، وربما صحف في المتون » (١) .

وقد تنبه متأخرو المؤرخين الى افراط السخاوي في نقده خصومه ومعاصريه ، وانتقدوه على هذه الخصلة ، من ذلك ما ذكره الشوكاني في كتابه البدر الطالع حيث قال « ولكنه (يعني السيوطي) لم يسلم لحاسد من فضله وجاحد لمناقبه ، فان السخاوي وهو من اقرانه ترجمه ترجمة مظلمة ، غالبها ثلب فظيع وسب شنيع ، وانتقاص وغمط لمناقبه ، تصريحا وتلويحا . ولا جرم فذلك دأبه في جميع الفضلاء من اقرانه . وقد تنافس هو وصاحب الترجمة منافسة اوجبت تأليف صاحب الترجمة لرسالة سماها (الكاوي لدماغ السخاوي) فليعرف المطلع على ترجمة هذا الفاضل في

---

(١) الضوء اللامع حـ ٢ ص ٢١ ، ٢٢ وانظر ترجمة الاوحدي في حسن المحاضرة حـ ١ ص ٥٥٦ ، وهو شهاب الدين احمد بن عبد الله بن الحسن بن طوغان المتوفى سنة ٨١١ .

اللامع انها صدرت من خصم له غير مقبول عليه » (١) .

وقال في موضع آخر : « وعلى كل حال فهو غير مقبول عليه ، لما عرفت من قول ائمة الجرح والتعديل بعدم قبول قول الاقران في بعضهم بعضاً مع ظهور ادنى منافسة فكيف بمثل المنافسة بين هذين الرجلين التي أفضت الى تأليف بعضهم في بعض . فان اقل من هذا يوجب عدم القبول ، والسخاوي رحمه الله وان كان اماما غير مدفوع ، لكنه كان كثير التحامل على أكابر اقرانه ، كما يعرف ذلك من طالع كتاب (الضوء اللامع) . فانه لا يقيم لهم وزنا بل لا يسلم غالبهم من الحط منه ، وانما يعظم شيوخه وتلاميذه ، ومن لم يعرف ممن مات في اول القرن التاسع قبل موته ، ومن كان من غير مصره ، او يرجو خيره ، او يخاف شره ، وما احسن ما ذكره في كتابه الضوء اللامع في ترجمة (عبد الباسط بن يحيى شرف الدين) فانه قال : وبما صرح بالانكار على الفقهاء فيما يسلكونه في تنقيص بعضهم لبعض ، وقد حكى انه بينما هو عند الدوادار ، وبين يديه فقيه ، واذا بآخر ظهر .. فاستقبله ذلك الجالس بالتنقيص عند صاحب المجلس . واستمر كذلك حتى وصل اليهم ، فقام اليه ثم انصرف ، فاستدبره القائم حتى اكتفى ، ثم توجه . قال : فسألني الدوادار من الصادق منهما ؟ فقلت انتم اخبر ، فقال : انهما كاذبان فاسقان ، ونحو ذلك » (٢) .

---

(١) البدر الطالع حـ ١ ص ٣٢٨/٣٢٩ .

(٢) البدر الطالع حـ ١ ص ٣٣٣/٣٣٤ وانظر الضوء اللامع حـ ٤ ص ٣٢ .

وقد شارك ابن اياس الشوكاني رأيه في تاريخ السخاوي وذلك لما تعرض لحوادث سنة ٩٠٢ ﻫ ، وهي سنة وفاته فقال : « وكان عالما فاضلا بارعا في الحديث والف تاريخا فيه اشياء كثيرة من المساويء في حق الناس » (١) .

وتعرض ابن العماد في شذرات الذهب بصورة مقتضبة لما وقع بين السخاوي والسيوطي فقال (٢) : « وكان بينه (اي السخاوي) وبين البرهان البقاعي والجلال السيوطي ما بين الاقران حتى قال السيوطي فيه :

قل للسخاوي إن تعروك نائبة
علمي كبحر من الامواج ملتطم
والحافظ الديمي غيث السحاب فخذ
غرفا من البحر او رشفا من الديم

وقال العيدروسي في النور السافر : « قال بعض الفضلاء ، والحق ان كلا من الثلاثة (يعني السخاوي والديمي والسيوطي) كان فردا في فنه مع المشاركة في غيره ، فالسخاوي تفرد بمعرفة علل الحديث ، والديمي باسماء الرجال ، والسيوطي بحفظ المتن ، والله اعلم » ثم قال : « وكان بينه (يقصد السيوطي) وبين الحافظ

---

(١) تاريخ مصر لابن اياس ﺣ ٢ ص ٣٢٢ .

(٢) شذرات الذهب ﺣ ١ ص ١٧/١٦ ، وانظر الكواكب السائرة ﺣ ١ ص ٥٤/٥٣ .

السخاوي منافرة كما يكون بين الاقران » (١) .

وتعرض العلامة محيي الدين عبد القادر الحسيني في كتابه الارج المسكي في التاريخ المكي لما كتبه السخاوي في الضوء اللامع فقال :

« فلا يجوز اعتماد شيء مما في تاريخه الضوء اللامع ، فانه بناه على اتباع الغرض والهوى واستكمال النفس وحب الظهور ، فيزيد وينقص ويقدم ويؤخر باعتبار غرضه ، ولقد كان السيوطي يسميه الجراح ، ومن رأى ترجمته في تاريخه المذكور للشيخ الديمي والقاضي زكريا وغيرهما من الاجلاء رأى العجيب العجاب ، فانه ما زاد ان جعل الواحد منهم طويلب علم ، لا طالب ، سامحه الله تعالى » (٢) .

(٦)

تلامذته

تصدى السيوطي للتدريس منذ وقت مبكر من حياته العملية

---

(١) النور السافر ص ٥٧ .

(٣) الارج المسكي في التاريخ المكي صفحة ٦ وانظر فرس الفهارس حـ ٢ ص ٣٣٨ والتاج المكلل من جواهر مآثر الاخر والاول ص ٣٤٩ ، ٣٤٠ .

وذلك في سنة (٨٦٦هـ) (١) ، واستمر على نفع الطلبة ، وافادة المتعلمين الى ان اعتزل الافتاء والتدريس في اواخر عمره (٢) .

وكان مجلسه عامرا بطلبة العلم من افاضل عصره ، فلا غرو ان تخرج به جم غفير من العلماء ، وقد برعوا في شتى الفنون ، فكان منهم الفقيه البارع . والمحدث الحافظ . والمؤرخ الحاذق . وعلى كثرتهم لم اجد بينهم من تخصص بالنحو . وان مارس الكتابة فيه بعضهم .

وقد اسهم هؤلاء التلامذة اسهاما فعالا في نشر مؤلفاته . فتناولوها بالنسخ والشرح والتعليق والتذييل .

ولما كان تلامذته . ورواة اخباره . وحملة مصنفاته كثيرين(٣). ولذلك سأقتصر على ذكر مشاهيرهم فقط . مع تبيان مدى علاقتهم به . وهم :

١ — ابن اياس : وهو مؤرخ مصر الشهير محمد بن احمد بن اياس المتوفى تقريبا سنة ٩٣٠هـ . كان يعبر عن السيوطي اثناء كتابته حوادث تاريخة بعبارة « شيخنا » وقد تكررت هذه

---

(١) حسن المحاضرة حـ ١ ص ٣٣٧ .

(٢) المقامة اللؤلؤية في الاعتذار عن الافتاء والتدريس ق ٤ .

(٣) روضات الجنة ص ٤١٨ .

العبارة في كتابه « بدائع الزهور في وقائع الدهور » اكثر من مرة (١) ، وبناء على هذا فقد عده اغلب الباحثين المعاصرين (٢) من جملة تلامذته ، وان كانت المصادر التي ترجمت للسيوطي لم تكشف لنا عن مدى علاقة ابن اياس به ولولا انه كان يطلق عليه عبارة « شيخنا » لما عددناه ضمن تلامذته .

٢ ـ الشيخ عبد القاهر بن محمد الشاذلي المؤذن المصري الشافعي : اخذ عن الشيخ جلال الدين ، ولازمه فترة طويلة وكتب له ترجمة سماها(٣)« بهجة العابدين بترجمة الحافظ جلال الدين » ، وقد لخص الشيخ عبد الوهاب الشعراني هذه الترجمة (٤) ، وساقها في ذيل طبقاته ، وله عدة مصنفات منها : فوائد الافراح في فوائد النكاح ، وتشنيف الاسماع بشرح احكام الاجماع ، وشفاء المتعال بأدوية السعال (٥) .

---

(١) بدائع الزهور في وقائع الدهور ج ٢ ص ٣١٦ ص ٣٩١ ، ج ٤ ص ٧٩ ص ٨٣ .

(٢) عصر سلاطين المماليك م ٢ ص ٣٥٩ ، وانظر المؤرخون في مصر في القرن الخامس عشر الميلادي ص ٤٨ ـ ٤٩ .

(٣) السنا الباهر ص ٧٧ .

(٤) ذيل طبقات الشعراني ق ٣ .

(٥) معجم المؤلفين ج ٥ ص ٢٩٨ ، وانظر كشف الظنون ص =

وقد توفي رحمه الله حدود سنة ٩٣٥هـ (١) .

٣ ــ الحافظ شمس الدين محمد بن يوسف الشامي الصالحي الدمشقي ولد في الصالحية بدمشق ، ثم انتقل الى مصر ، وسكن البرقوقية بصحراء القاهرة (٢) واتصل بالشيخ جلال الدين السيوطي ، وأخذ عنه .

وكان عالما صالحا مفننا العلوم كافة ، وله السيرة المعروفة بالشامية ، وهي اجمع وأفيد ما الفه المتأخرون في السيرة النبوية ، سماها : « سبل الرشاد في سيرة خير العباد » في سبع مجلدات (٣) .

وله ايضا « النكت على الفية ابن مالك » اقتضبه من نكت شيخه السيوطي عليها وعلى شذور الذهب (٤) والكافية والشافية ، وزاد عليها شيئا يسيرا ، وكتاب « مرشد السالك الى ألفية ابن مالك » وغير ذلك من الكتب .

= ٤٠٩ ، ص ١٠٥٦ ، وهدية العارفين جـ ٢ ص ٥٩٨ ، وايضاح المكنون جـ ١ ص ٢٠٢ ، جـ ٢ ص ٦٠٣ .

(١) هدية العارفين جـ ١ ص ٥٩٨ .

(٢) شذرات الذهب جـ ٨ ص ٢٥٠ ، وانظر فهرس الفهارس جـ ٢ ص ٣٩٢ .

(٣) فهرس الفهارس جـ ٢ ص ٣٩٢ .

(٤) شذرات الذهب جـ ٨ ص ٢٥١ ، وانظر فهرس الفهارس جـ ٢ ص ٣٩٢ ، ٣٩٣ والاعلام جـ ٨ ص ٣٠/٣١ .

توفي رحمه الله سنة ٩٤٢هـ (١) .

٤ ــ شمس الدين الداودي : وهو ابو الحسن محمد بن علي الداودي الشافعي ، وقيل المالكي ، وهو من اشهر تلامذة السيوطي ، واكثرهم اتصالا به وكان شديد الاعجاب به ، وقد قام بنسخ كثير من مؤلفات شيخه بقلمه ، وفي الخزانة التيمورية مجموع تحت رقم (٢٠٢ مجاميع) ، فيه عشر رسائل للسيوطي ، كثير منها بخط تلميذه الداودي ، منها « الرد على من اخلد الى الارض وجهل ان الاجتهاد في كل عصر فرض » كتبها سنة ٩٠١هـ ، ومقامة « الاستنصار بالواحد القهار » كتبها سنة ٨٩٨هـ .

وقد كتب الداودي ترجمة حافلة لشيخه السيوطي ، ذكر المؤرخ نجم الدين الغزى في الكواكب السائرة : انها في مجلد ضخم (٢) .

وله عدة مصنفات منها : طبقات المفسرين ، وهو بدون خطبة وقد رتبه على الحروف ، وانهى تأليفه سنة ٩٤١هـ ، وهو لا زال مخطوطا وتوجد منه نسخة في دار الكتب المصرية تحت رقم (١٦٨ تاريخ) (٣) .

---

(١) شذرات الذهب حـ ٨ ص ٢٥٠ ، فهرس الفهارس حـ ٢ ص ٣٩٣

(٢) الكواكب السائرة حـ ٢ ص ٧١ .

(٣) الاعـــلام للزركلي حـ ٧ ص ١٨٤ ، وانظر بروكلمان حـ ٢ ص ٢٨٩ ، وفهرس دار الكتب المصرية حـ ٥ ص ٢٥٤ .

وله كذلك ذيل على طبقات الشافعية للسبكي، وذيل على لب اللباب لشيخه السيوطي (١) .

توفي سنة ٩٤٥هـ ، وقيل سنة ٩٤٦هـ ، ودفن بتربة فيروز بالصحراء خارج باب النصر (٢) .

٥ — ابن طولون : وهو المؤرخ شمس الدين محمد بن علي بن طولون صاحب التصانيف الكثيرة ، وقد عبر عنه العلامة احمد تيمور بسيوطي الشام ، لمشابهته شيخه جلال الدين بكثرة التصانيف ، في جميع الفنون (٣) .

وذكر المؤرخ نجم الدين الغزي في الكواكب السائرة عندما ترجم له : انه اخذ عن السيوطي اجازة مكاتبة ، وانه كتب بخطه كثيرا من مؤلفات شيخه (٤) .

وكان ابن طولون في ترجمته الذاتية في كتابه « الفلك المشحون »

---

(١) هدية العارفين م ٢ ص ٣٧ ، وانظر فهرس الفهارس حـ ١ ص ٢٩٢ .

(٢) شذرات الذهب حـ ٨ ص ٢٦٤ ، وانظر الكواكب السائرة حـ ٢ ص ٧١/٧٢ .

(٣) المؤرخون في مصر في القرن الخامس عشر ص ٧٨ .

(٤) الكواكب السائرة حـ ٢ ص ٥٣ .

يعبر عن السيوطي دائما بقوله (١) « شيخنا » . وان كان لم يفصح لنا عما اخذه عنه .

ووضع حواشي وتعاليق كثيرة على مؤلفات شيخه منها : حاشية على « الاقتراح » وشرح ممزوج على « الفيته في النحو » وشرح ممزوج كذلك على ألفيته المسماة « عقود الجمان في علم المعاني والبديع والبيان » ، وغير ذلك ، مما أشار اليه عند سرده مؤلفاته في كتابه « الفلك المشحون » (٢) .

وله تصانيف كثيرة اهمها :« مفاكهة الخلان في حوادث الزمان » و « التمتع بالاقران بين تراجم الشيوخ والاقران » (٣) .

توفى رحمه الله سنة ٩٥٣هـ (٤) .

٦ ــ العلامة شمس الدين محمد بن عبد الرحمن العلقمي :

أخذ عن جماعة منهم الشيخ جلال الدين السيوطي ، واجيز بالتدريس والافتاء . وكانت له حلقة تدريس بالجامع الازهر (٥) .

وقد ترجم له الشهاب الخفاجي في ريحانه الالبا ، فقال عنه :

---

(١) الفلك المشحون ص ٦ ، ١٤ ، ١٧ ، ٣٥ ، ٣٩ .

(٢) الفلك المشحون ص ٣٥ ، ٣٩ ، ٣٨ ، ٤٢ .

(٣) الفلك المشحون ص ٣٣ ، ٤٥ .

(٤) الكواكب السائرة حـ ٢ ص ٥٤ .

(٥) شذرات الذهب حـ ٨ ص ٧٧ ـ ٧٨ .

« شيخ الحديث في القديم والحديث . لم تزل سحب افادته في رياض الفضل دوارف ، حتى صار وهو العلم المفرد من أعرف المعارف ، قد تحلى بخدمة الجلال السيوطي كمالا ، ورقى سماء المعالي فزاد فزاد جمالا » (١) .

وقد عده الكتاني في فهرس الفهـــارس من حفاظ الحديث المتأخرين (٢) . وله شرح على الجامع الصغير لشيخه السيوطي ، سماه « الكوكب المنير في شرح الجامع الصغير » وله ايضا « ملتقى البحرين في الجمع بين كلام الشيخين » (٣) .

توفى رحمه الله تقريبا سنة ٩٦١هـ (٤) .

(٧)

وفاتـــه

ذكر الذين ترجموا له انه توفى عام ٩١١هـ (٥) ، ايام الغوري ولكن الخوانساري في روضات الجنات نقل رواية تنص على انه توفى

---

(١) ريحانة الالبا حـ ٢ ص ٧٧ ـ ٧٨ .

(٢) فهرس الفهارس حـ ٢ ص ٢٠٦ .

(٣) الاعلام للزركلي حـ ٧ ص ٧٨ .

(٤) هدية العارفين م ٢ ص ٢٤٤ .

(٥) تاريخ ابن اياس حـ ٣ ص ٦٣ ، وانظر الكواكب السائرة حـ ١ ص ٢٣٠

في عام ٩١٠هـ (١) وما نقله غير صحيح ، لانه مخالف للمشهور عن وفاته ، ولأن كثيرا من الذين نصوا على ان وفاته في عام ٩١١هـ كانوا معاصرين له مثل ابن اياس والشعراني (٢) .

وقد وقع اختلاف بسيط في تحديد يوم وفاته ، حيث ذكر ابن اياس انه توفى في يوم الخميس التاسع من شهر جمادي الاولى(٣) بينما ذكر غيره انه توفى في يوم الجمعة التاسع عشر من جمادي الاولى (٤) ، واختلف القائلون بذلك في تحديد وقت وفاته ، فمنهم من قال : انه توفى العصر ، ومنهم من قال : انه توفى وقت السحر واعتقد ان الرأي الثاني اصوب واضبط ، لان احد القائلين به كان ممن حضروا الصلاة عليه ، وهو الشعراني ، قال في ذيل طبقاته : « مات رضي الله عنه في سحر ليلة الجمعة ، تاسع عشر جمادي الأولى سنة ٩١١هـ (٥) ، وقال في موضع آخر : « ثم سمعت ناعيه

---

(١) روضات الجنات للخوانساري ص ٤١٩ .

(٢) لواقح الانوار القدسية ق ٢٧٢ ، وانظر تاريخ ابن اياس حـ ٣ ص ٦٣ ، حـ ٤ ص ٧٩ .

(٣) تاريخ ابن اياس حـ ٤ ص ٧٩ ، وانظر مفاكهة الخلان في حوادث الزمان حـ ١ ص ٣٠١ .

(٤) النور السافر ص ٥٤ . وانظر البدر الطالع حـ ١ ص ٣٣٤ - ٣٣٥ .

(٥) ذيل طبقات الشعراني ق ٢٢ ، وانظر ق ٢ ، وشذرات الذهب حـ ٨ ص ٥٥ .

ينعى موته ، فحضرت الصلاة عليه عند الشيخ احمد الاباريقي بالروضة عقب صلاة الجمعة في سبيل المؤمنين عند الجامع الجديد بمصر العتيق » (١) .

وكان رحمه الله قد مرض سبعة ايام بورم شديد في زراعه الايسر (٢) ، وقد استكمل آنذاك احدى وستين سنة وعشرة اشهر وثمانية عشر يوما ، وقد قرأ عند موته سورة يس (٣) ، وكان لتشييعه مشهد عظيم ، ودفن في قبر والده ، بجوار خانقاه قوصون خارج باب القرافة ، وعملت والدته على قبره بناء لطيفا ، وعمل له الامير الكبير قرقماش صندوقا من خشب وسترا خليفتي اسود مطرزاً بآية الكرسي مكتوبة بالابيض . وصار ضريحا مقصودا للزيارة والتبرك (٤) .

ولما مات لم يتعرض احد لتركته ، مع ان الزمن كان زمن جور ، ونقل عن الغوري انه قال بعد وفاته : « لم يقبل الشيخ منا شيئا في حياته فلا تتعرض لتركته في مماته » .

ولما بلغ خبر وفاته اهل الشام اسفوا عليه ، وصلوا عليه صلاة

---

(١) نفس المصدر السابق .

(٢) السنا الباهر ص ٩٢ .

(٣) المصدر السابق .

(٤) تاريخ ابن اياس ح ٤ ص ٨٣ ، وانظر الكواكب السائرة ح ١ ص ٢٣١ .

الغائب بالجامع الاموي يوم الجمعة الثامن من رجب سنة احدى عشرة ، أي بعد وفاته بما يقرب من عشرين يوما (١) ، وقيل ان الغاسل الذي غسله اخذ قميصه وقبعه الذي على رأسه ، فاشترى بعض الناس قميصه بخمسة دنانير ، وابتاع بعضهم قبعه بثلاثة دنانير للتبرك به (٢) .

ورثاه جماعة منهم الشيخ عبد الباسط خليل الحنفي (٣) ، حيث قال فيه :

مات جلال الدين غيث الورى   مجتهد العصر امام الوجود
وحافظ السنة مهدي الهدى   ومرشد الضال لنفع يعود

وللسيوطي قبر بأسيوط يزار ، ولكنه — على حد تعبير الدكتور فيليب حتى (٤) قبر مزور ، لان الثابت في ترجمة حياته انه توفى بالقاهرة ، ودفن بها في مقبرة قوصون ، وقد ألف الاستاذ المرحوم

---

(١) الكواكب السائرة حـ ١ ص ٢٣١ ، وانظر مفاكهة الخلان حـ ١ ص ٢٩٥ .

(٢) تاريخ ابن اياس حـ ٤ ص ٨٣ ، والكواكب السائرة حـ ١ ص ٢٣١ .

(٣) تاريخ ابن اياس حـ ٤ ص ٨٣ ، وانظر الكواكب السائرة حـ ١ ص ٢٣١ ، وانظر مفاكهة الخلان في حوادث الزمان حـ ١ ص ٣٠٢ .

(٤) نظم العقيان ، مقدمة المحقق الدكتور فيليب حتى الصفحة (ر)

احمد تيمور كتابا في تحقيق موضع قبره ، جاء فيه « والخلاصة أن الذي دلت عليه هذه النصوص والآثار ، وطابقه ايضا المعروف عن موضع قبره الآن ، انه مدفون في هذه البقعة الواقعة شرقي باب القرافة ، المعروف اليوم عند العامة ببوابة السيدة عائشة ، وعند بعضهم ببوابة حجاج خطأ ، فاذا خرج قاصد زيارته من هذا الباب متجها الى الشرق وسار قليلا مجتازا السكة الحديد الذاهبة من قرا ميدان الى طرا اعترضه في اول هذه الجبانة شارع يمتد من الشمال الى الجنوب كتب على الواجهة شارع القرافة الكبرى ، ثم يواجهه شارع خارج منه الى جهة الشرق كتب عليه (شارع سيدي جلال) والمراد جلال الدين السيوطي لانه يفضي بسالكه الى حوش قوصون الذي دفن فيه (١) .

وقبره مشهور عند اهل هذه الناحية يعرفه الخلف عن السلف من زمن وفاته الى اليوم لا يشك في ذلك شاك ، ويرجع الفضل في حفظه من الدثور كل هذه المدة الى حسن اعتقاد الناس فيه وقصدهم اياه بالزيارة كل حين ، وكانوا يقيمون له (حضرة) كل اسبوع ، ثم ابطلوها ، واقتصروا على المولد الذي اعتادوا عمله كل سنة في نصف شعبان ، وقد زاره العلامة عبد الغني النابلسي في أوائل القرن الثاني عشر وذكره في رحلته الكبرى المسماة بالحقيقة والمجاز ، عند ذكره لجامع قوصون الذي بالقرافة اتجاه

---

(١) قبر الامام السيوطي وتحقيق موضعه للسيد احمد تيمور ١٦/١٧ .

خانقاهه(١) فقال : « ثم ذهبنا الى مزار الشيخ الامام والعالم العامل الهمام جلال الدين السيوطي رحمه الله تعالى صاحب التصانيف العديدة والكتب المعتبرة المفيدة ، وهو مدفون في مكان مخصوص به وحوله قبور اخرى ، وعلى قبره ثوب اخضر ، وقبة مبنية في بيت لطيف . ومحل شريف ، فيه الجلالة والهيبة والوقار ولوامع الانوار الاسرار ، ففتح لنا الباب ، ودخلنا فزرنا وقرأنا الفاتحة ودعونا الله تعالى (٢) .

وزاره بعد ذلك في اوائل القرن الثالث عشر سنة ١٢١١هـ الفقيه ابو العباس احمد بن محمد الفاسي ، وذكره في رحلته الى الحجاز وترجم له ترجمة حسنة (٣) .

---

(١) المصدر السابق .

(٢) الحقيقة والمجاز في رحلة مصر والشام والحجاز للعلامة عبد الغني النابلسي ص ٣٥٣/٣٥٤ .

(٣) قبر الامام السيوطي وتحقيق موضعه للسيد احمد تيمور ص ١٦/١٧ ، وانظر رحلة الفاسي ابي العباس احمد ابن محمد الفاسي ص ٢٥٥ .

الفصل الثاني

آثاره العامة

١ ـ طبيعة آثاره .

٢ ـ عدة مؤلفاته .

٣ ـ اسباب كثرة مؤلفاته .

٤ ـ مؤلفاته في النحو والصرف واللغة والبلاغة .

٥ ـ مؤلفاته في العلوم الدينية .

٦ ـ مؤلفاته في التاريخ .

٧ ـ أدبه .

٨ ـ التعريف بنماذج من مؤلفاته .

(١)

طبيعة مؤلفاته

امتاز السيوطي من بين سائر المؤلفين بكثرة ما انتجه من المؤلفات وهو يعد أغزر المؤلفين المصريين في العصر المملوكي ، بل لعله أغزر كتاب العربية قاطبة (١) ، فلا اظن ان هناك كاتبا عربيا قاربت مؤلفاته في العدد هذا الشيخ الجليل ، فان قلمه لم يعرف الملل ، فلم يترك فنا من فنون الثقافة المعاصرة له الا تناوله بالبحث والكتابة ، والعلم الوحيد الذي لم يؤلف فية هو علم الحساب ، اما المنطق فقد مال اليه في بدء حياته العلمية ، ولكنه لما سمع ان ابن الصلاح يحرم الاشتغال به تركه ، وألقى الله في قلبه كراهيته ، بل ألف في تحريمه عدة كتب أولها كتابه « الغيث المغدق في تحريم المنطق » (٢) .

---

(١) دائرة المعارف الاسلامية م ١٣ ص ٢٧ .

(٢) حسن المحاضرة حـ ١ ص ٣٣٩ ، وانظر السنا الباهر ص ٩١ ، ولواقع الانوار القدسية ق ٢٦٦/ب .

وهو يمثل في كتاباته العقلية العلمية للعصر الذي عاش فيه ، فالنزعة الموسوعية التي اتسم بها عصره ظاهرة جلية في تأليفه ، فقد ألف اكثر من ستمائة مؤلف بين مطول وموجز في مختلف الفنون منها كتب في التفسير والفقه والحديث ، واخرى في التاريخ واللغة والنحو ، وغير ذلك من العلوم ، حتى الآداب والانشاء والمقامات وفي كل مؤلف من تلك المؤلفات ترى النزعة الموسوعية مسيطرة على قلمه ، فهو شديد العناية بحشد الروايات والاخبار والنصوص والاحاديث التي تجمعها جامعة ما فيحشدها في صعيد واحد ليجعل منها مؤلفا متسقا جامعا لشتات تلك النصوص والاخبار ، فكتبه دوائر معارف عظيمة القيمة ، كل منها في بابه ، بل كان السيوطي بحد ذاته دائرة معارف واسعة جمع في ذهنه الخارق مختلف العلوم والفنون ، النقلية والعقلية (١) .

لقد هدفت حركة التأليف في عصر المماليك الى احياء التراث القديم وجمعه والمحافظة عليه ، خوفا من ضياعه واندثاره ، فجاءت أغلب تصانيف ذلك العصر تعاليق ومختصرات وذيولا وشروحا لما سبقتها من الكتب ، وكان جل اعتماد مؤلفيها على النقل والجمع ، وتعد مؤلفات السيوطي خير نموذج لهذه الحركة (٢) ، ولنأخذ على

(١) عصر سلاطين المماليك م ٣ ص ٣٦٢ ، وانظر مقدمة كتاب نظم العقيان ص (خ) وكتاب صفحات من تاريخ مصر ص ١٤٠/١٤١ .

(٢) صفحات من تاريخ مصر في عصر السيوطي ص ٦١ .

ذلك مثلا كتبه النحوية ، فهي ما بين تعاليق على كتب سابقة او شروح او مختصرات او كتب اعتمدت على الجمع والنقل أكبر الاعتماد ، فكتابه « فتح القريب » حاشية على كتاب المغني لابن هشام ، وكتابه البهجة المرضية شرح لألفية ابن مالك وكتابه « جمع الجوامع » عبارة عن خلاصة لمائة كتاب ، وكتابه الاشباه والنظائر عبارة عن مجموعة كبيرة من النقول ، جمعت من مئات الكتب النحوية والادبية والتاريخية والفقهية .

والعلوم التي برع فيها السيوطي كثيرة حدثنا عنها في كتابه حسن المحاضرة فقال : « ورزقت التبحر في سبعة علوم : التفسير والحديث والفقه والنحو والمعاني والبيان والبديع على طريقة العرب البلغاء ، لا على طريقة العجم واهل الفلسفة ، والذي اعتقده ان الذي وصلت اليه في هذه العلوم السبعة ، سوى الفقه ، والنقول التي اطلعت عليها فيها لم يصل اليه ولا وقف عليه احد من اشياخي فضلا عن دونهم واما الفقه فلا اقول ذلك فيه ، بل شيخي « يعني علم الدين البلقيني) فيه اوسع نظرا واطول باعا » (١) .

وتأتي معرفته بأصول الفقه والجدل والتصريف والانشاء والترسل والفرائض والقراءات والطب بالمرتبة الثانية ، قال في حسن المحاضرة « ودون هذه السبعة (يعني دون العلوم السبعه التي ذكرها آنفا) في المعرفة اصول الفقه والجدل والتصريف ودونها الانشاء والترسل والفرائض ، ودونها القراءات ولم آخذها عن شيخ ، ودونها الطب ،

---

(١) حسن المحاضرة حـ١ ص ٣٣٨ ، وانظر السنا الباهر ص ٨١/٨٢

واما علم الحساب فهو اعسر شيء علي ، وابعده عن ذهني . واذا نظرت في مسألة تتعلق به فكأنما أحاول جبلا » (١) .

وهو لا يعني في كلامه الاخير ان معرفته في هذه العلوم ضئيلة او انه اقل الماما بها من معاصريه ، وانما يعني أنه لم يتعمق فيها تعمقه في تلك العلوم السبعة التي أشار اليها في أول كلامه ، فلقد كانت معرفته في هذه العلوم عالية تشهد له بذلك تلك المؤلفات القيمة التي ألفها ، بل ربما كانت معرفته في هذه العلوم عالية تشهد له بذلك تلك المؤلفات القيمة التي ألفها ، بل ربما كانت معرفته في قسم من هذه العلوم فوق معرفة معاصريه ، فقد ذكر ان معرفته بالفرائض تفوق معرفة الموجودين في عصره بأسرهم ، وأنه ألف في هذا الفن كتابا سماه « الجامع » ، قال عنه : « ولم أسبق الى مثله جمعت فيه جميع مسائل الفن ، وما فيها من خلاف حتى مذاهب الصحابة والتابعين ومن بعدهم ، وهو في غاية الوجازة بحيث صار في كراسين » (٢) .

ودفعه اطلاعه الواسع في العلوم كافة الى ان يقول متحدثا عن نفسه : « ولو شئت ان اكتب في كل مسألة مصنفا بأقوالها وأدلتها النقلية والقياسية ومداركها ، ونقوضها واجوبتها والموازنة بين اختلاف المذاهب فيها لقدرت على ذلك من فضل الله لا بحولي ولا

---

(١) حسن المحاضرة حـ ١ ص ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، وانظر ذيل طبقات الشعراني ق ٦/أ .

(٢) السنا الباهر ص ٨٢ .

بقوتي ، فلا حول ولا قوة الا بالله ، ما شاء الله لا قوة إلا بالله » .

وقد صنف السيوطي كتبه الى سبعة أقســـام ، القسم الاول أدعى فيه التفرد ، قال : « ومعناه لم يؤلف له نظير فيما علمت وليس ذلك لعجز المتقدمين ، ولكن لم يتفق انهم تصدوا لمثله ، اما أهل العصر فانهم لايستطيعون ان يأتوا بمثله » . والقسم الثاني : ما يناظره ، اي يشبه الاول ، الا انه يستطيع العلماء ان يأتوا بمثله والثالث : ما تم من الكتب المعتبر الصغيرة الحجم من كراسين الى عشرة ، والرابع : ما كان كراسا ونحوه ، والخامس : ما ألف في واقعات الفتاوى ، من كراس وفوقه ودونه ، والسادس مؤلفات لا اعتداد بها ، قال : لأنها على طريقة البطالين ، الذين ليس لهم اعتناء الا بالرواية المحضة ، ألفتها زمن السماع ، السابع : ما بدأ بتأليفه ثم فتر عنه عزمه فلم يتمه (١) .

والكتب التي تفرد بهـا ـــ على حد قوله ـــ كثيرة ، منهـا : كتاب الاقتراح في اصول النحو ، والاتقان في علوم القرآن ، وجمع الجوامع والمزهر في علوم اللغة ، فقد أشار في مقدماتها الى انه تفرد في تأليفها ولم يسبق الى مثلها .

أما الكتب التي لا اعتداد بها ، والتي ينطبق عليها وصفه اياها انه الفها على طريقة البطالين فكثيرة ، نذكر منها على سبيل المثال « بلوغ المـآرب في قص الشـارب » و « بلوغ المـآرب في اخبـار

---

(١) السنا الباهر ص ٨١ .

العقارب » و« الاسفار في قلم الاظفار » و« الظفر في قلم الظفر » و « الطرثوث في فضل البرغوث « و » وما رواه الواعون في اخبار الطاعون » وغير ذلك كثير (١) .

وكتبه من حيث الحجم متفاوتة قد تبلغ المجلدات مثل : الجامع الكبير في الحديث والدر المنثور في التفسير بالمأثور، وترجمان القرآن في التفسير بالمسند ، والاشباه والنظائر في النحو . ومنها ما يبلغ كراسا او كراسين مثل : رياض الطالبين في شرح التعوذ والبسملة والاقتراح في علم اصول النحو ، واليد البسطى في تعيين الصلاة الوسطى ، ومنها ما كان في ورقة او أقل ، مثل : نظام البلور في اسامي النسور ، والتبري من معرة المعري .

وكان كثيرا ما يهدف من تأليفه الى تكوين مدرسة ثقافية متكاملة للفنون العلمية التي يتناولها بالبحث ، وهذه الحقيقة ظاهرة في مؤلفاته الكثيرة ، فكل مجموعة منها تمثل فنا متكاملا بحث فيه كل ما يندرج تحت ذلك الفن من المسائل الجزئية والكليه ، نأخذ على ذلك مثلا فن التفسير ، فانه وضع فيه مجموعة متكاملة من المؤلفات تشكل مكتبة تفسيرية كاملة يجد فيها الباحث كل ما يحتاج اليه في هذا الفن ، فكتبه مجمع البحرين ومطلع البدرين ، والاتقان في علوم القرآن ، والدر المنثور في التفسير المأثور ، ونواهد

(١) انظر مقدمة الدكتور فيليب حتى لكتاب نظم العقيان صفحة (خ) .

الابكار وشوار الافكار ، والاكليل في استنباط التنزيل ، والتحبير في علوم التفسير ، وقطف الازهار في كشف الاسرار ، والمهذب فيما وقع في القرآن من المعرب ، ومفحمات الاقران في مبهمات القرآن ، والناسخ والمنسوخ ، ولباب النقول في اسباب النزول ، ومراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع ، بعد كل منها حلقة مكملة لغيرها ، وتشكل في مجموعها فنا تفسيريا متسقا تعرض فيه المؤلف لكل ما يتعلق بهذا الفن من مسائل ، وقد نبه السيوطي نفسه الى هذه الحقيقة في مقدمة كتابه قطف الازهار ، وتعد مقدمة هذا الكتاب خير مثال يوضح جهوده في هذا الفن وكيف ان كتبه يكمل بعضها بعضا فقد جاء فيها قوله (١) : « وبعد فان الله سبحانه وله الحمد قد من علي بالنظر في علوم القرآن وحقائقه وتتبع أسراره ووقائعه حتى صنفت في تعلقاته كتبا شتى منها التفسير الملقب ترجمان القرآن ، وهو الوارد بالاسناد المتصل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه الذين شاهدوه وتلقوا منه الوحي والتنزيل وسمعوا منه التفسير والتأويل .. ولما كان هذا التفسير المشار اليه نقلا محضا ليس فيه اعراب ولا سر بياني أردفته بكتب ، من ذلك كتاب الاتقان في علوم القرآن ، وهو كالمقدمة لمن يريد التفسير ، وأكثر قواعده كلية ... ثم وضعت في الاحكام كتاب الاكليل في

---

(١) اسرار التنزيل ويسمى قطف الازهار في كشف الاسرار ، مخطوطة تحت رقم ٤١ مراد بخاري في المكتبة السليمانيه باسطنبول ، وانظر بروكلمان الملحق جـ ٢ ص ١٨١ ، وكشف الظنون م ص ١٣٥٢ .

استنباط التنزيل وهو مجلد لطيف يشتمل على جميع ما ذكره المصنفون في احكام القرآن ... ثم أفردت كتابا في اسباب النزول سميته : « لباب النقول » بالغت في ايجـــازه وتحريره بحيث فاق الكتب المؤلفة في نوعه ، ثم افردت كتابا وجيزا في المبهمات لم يؤلف في نوعة أجمع ولا أوجز (يعنى بذلك كتاب مفحمات الاقران في مبهمات القرآن) ... ثم افردت كراسة في ما وقع فيه من الالفاظ المعربة (سماها : المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب) ... ثم كراسة سميتها : معترك الاقران في مشترك القرآن فائقة معناها ، ثم مختصر يسمى : مجاز الفرسان الى مجاز القرآن ، وهذا لم يتم بعد ، ثم كتابا يسمى خمائل الزهر في فضائل السور وهذا كتاب (يعني كتاب قطف الازهار) شفعت به تلك ، ونظمته معها في سلك اسرار التنزيل . اذكر فيه جميع ما وصل الى علمي من كلام العلماء في النظم القرآني ... فاذا تم هذا الكتاب ، وانضم الى تلك الكتب استغنى بها محصلوها عن جميع التفاسير » .

وتعد مقدمات كتبه على جانب كبير من الاهمية لانه غالبا ما كان يوضح فيهـا خطته في التأليف والمصـادر التي اعتمد عليهـا في كتابته ، خذ مثلا كتبه : الاقتراح في علم أصول النحو ، وكتابه شرح شواهد المغني ، وكتابه بغية الوعاة ، تجده قد بين في مقدماتها المصادر التي استقى منها كتابه ، وخطته في البحث ، واهميته ، وقد يضمن هذه المقدمات فوائد علمية تتعلق بفن الكتاب ، من ذلك ما ذكره في مقدمة كتابه نظم العقيان في اعيان الاعيان ، ومقدمة كتابه الاشباه والنظائر النحويه ، والاشباه والنظائر الفقهية . وغير

ذلك من كتبه الكثيرة .

ومن اهم ما يؤاخذ عليه السيوطي في كتبه هو انه كان مجرد ناقل استنفد جهوده كافة طيلة عمره في جمع النقول من هنا وهناك وعمل بكل ما أوتي من حذق وبراعة في لم شتات تلك النقول وصاغ منها مؤلفاته الكثيرة ، وفي رأي أن هذا المغمز الذي يوجه له انما هو في حد ذاته عمل لا يستهان به ، اذ كان من ثمراته المفيدة انه استطاع ان يحفظ لنا نصوصا كثيرة اصبحت اصولها مفقودة او في حكم المفقودة ، فقدم بذلك خدمة بالغة الاهمية اذ حافظ على التراث الفكري لهذه الامة (١) .

واسهمت كتبه اسهاما فعالا في نشر الثقافة الاسلامية في حياته وبعد مماته فانتشرت في الاقطار كافة ، من بلاد المغرب والتكرور (وهي بلاد غانا وما حولها) الى اليمن والهند (٢) ، وذاع صيته ذيوعا يشهد به انتشار كثير من مؤلفاته في مختلف مكتبات العالم التي تعنى بالتراث العربي ، فلاتخلو اي خزانة من خزائن المخطوطات من ان تضم العشرات من مؤلفاته . ان لم نقل المئات ، ومن اراد ان يتأكد من صحة كلامنا هذا ، فليأخذ فهرس اي مكتبة من مكتبات العالم ، التي تحتفظ بالمؤلفات العربية ، ويتصحفه ، فانه لن يقلب صفحة من صفحاته الا وجد فيها للسيوطي مؤلفا او اكثر

---

(١) صفحات من تاريخ مصر في عصر السيوطي ص ٢٤٨ .

(٢) ذيل طبقات الشعراني ق ٢٢/أ وانظر السنا الباهر ص ٨٩ ، ورحلة الفاسي ص ٢٥٦ .

وقد حظيت مؤلفاته بعناية كبيرة من الناشرين والطابعين ، فقامت دور النشر والطباعة في مختلف انحاء العالم بطبع عدد كبير منها ، فقد احصى له الاستاذ يوسف سركيس في معجم المطبوعات العربية (١) (٩٢) كتابا ، الى عهد وضعه هذا المعجم سنة (١٢٧١هـ ـ ١٨٥٢م) وقد طبع له بعد ذلك كثير من المؤلفات .

واسهمت دور النشر والطباعه في الهند وأوربا وأمريكا بنشر كثير من هذه المؤلفات ، فقد طبع له في الهند العشرات ، ومن أهمها : الاتقان في علوم القرآن ، والاشباه والنظائر في النحو . والاقتراح في أصول النحو ، اما في اوربا وامريكا فقد نشرت له مجموعة هامة من كتبه منها : نظم العقيان في اعيان الاعيان ، ولب اللباب في تحرير الانساب ، والشماريخ في علم التاريخ ، وطبقات المفسرين ، وغزوات قبرص ورودس .

وتبين لي أثناء تتبعي مؤلفاته ان قسما لا يستهان به منها قد فقد ، من ذلك : كتاب « التحدث بنعمة الله تعالى » ، وهو من كتبه الهامة لانه ذكر فيه وقائعه مع اهل عصره ، ورده عليهم ، وذكر فيه مؤلفاته وشيوخه ، ودعوى الاجتهاد والتجديد ، وترجم فيه لنفسه ، ولابيه (٢) .

ومن كتبه المفقودة : تذكرته المسماة : « الفلك المشحون » ،

---

(١) معجم المطبوعات العربية والمعربة حـ ١ ص ١٠٧٤ ـ ١٠٨٥ .
(٢) السنا الباهر ص ٧٧/٧٨ .

« وقطر الندى في ورود الهمزة للنداء » ، « وقطف الورد من امالي ابن دريد ، وأرجوزته التي ضمنها اسماء شيوخه ، وقطف الزهر في الرحلة الجامعة بين البر والبحر والنهر ، والنحلة الزكية في الرحلة المكية ، والاغتباط في الرحلة الى الاسكندرية ودمياط ، ومجاز الفرسان الى مجاز القرآن ، ومختصر معجم البلدان لياقوت الحموي وغير ذلك من الكتب الهامة .

وتبين لي كذلك ان هناك كتبا كثيرة نسبت اليه ، وهي في الحقيقة ليست له اما لسيوطي آخر ، واما نسبت اليه خطأ وذهولا وان قسما من هذه الكتب طبع اكثر من مرة وهو يحمل اسمه خطأ ، من ذلك كتاب « الكنز المدفون والفلك المشحون » ، الذي طبع أربع طبعات ، آخرها سنة ١٩٥٦م ، في شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي بالقاهرة وقد اعتمد بعض الباحثين المعاصرين هذه النسبة ، فنقل من الكتاب عدة مقتطفات ليستدل بها على براعة السيوطي في الادب والطرائف والموازنات ، ولو دقق النظر في هذا الكتاب ، لتبين له ان مؤلفه الحقيقي هو الشيخ يونس المالكي ، فقد ورد في الصفحة السادسة عشرة بعد المائتين ما ينص على ذلك بكل جلاء ووضوح وهو قوله « الحمد لله من كلام كاتبه جامع هذا الكتاب الفقير يونس المالكي ، خدم بها سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانشدها بالحضرة الشريفة ... الخ » (١) .

---

(١) الكنز المدفون والفلك المشحون ، الطبعة الرابعة سنة =

ويبدو لي ان الذي جعل الناشرين وقسما من الباحثين المعاصرين أمثال الاستاذ محمود رزق سليم (١) ، والاستاذ عبد الوهاب حموده (٢) ، يعتقدون ان هذا الكتاب للسيوطي ، هو انه كتاب جامع . اعتمد فيه مؤلفه على النقل والجمع ، فهو يشبه الى حد كبير كتب السيوطي في طريقة تأليفه ، وثم أمر آخر ، وهو ان السيوطي ذكر في فهرست مؤلفاته ان له تذكرة تسمى (٣) « الفلك المشحون » وهي — على حد قوله — في خمسين مجلدا لطافا ، فتوهم الناشرون والباحثون المصريون ، فنسبوا كتاب « الكنز المدفون والفلك المشحون » للسيوطي خطأ .

ونسبت اليه كتب اخرى منها :

١ — برد الاكباد عند فقد الاولاد : نسب وهماً للسيوطي لما طبع في مصر ، وهو من مؤلفات الشيخ محمد بن ابي بكر ناظر

= ١٩٥٦ ص ٢١٦ ، وانظر معجم المطبوعات العربية م ٢ ص ١٩٦٠ .

(١) عصر سلاطين المماليك م ٣ ص ٣٨٣ .

(٢) صفحات من تاريخ مصر ص ٢٤٢ .

(٣) فهرس مؤلفات السيوطي : مطبوع في آخر الجزء السادس من كتاب كشف الظنون طبعة اوربا ص ٦٧٦ ، وانظر عقود الجوهر ص ٢٠٩ .

الدين المتوفى (سنة ٨٤٢هـ) (١) .

٢ ـــ المرج النضر والارج العطر : وهو لسيوطي آخر ، من علماء القرن التاسع اسمه الشريف صلاح الدين محمد بن ابي بكر الحسني الاسيوطي ، (المتوفى سنة ٨٥٩هـ) ، وقد ترجم له جلال الدين السيوطي في كتابه « نظم العقيان » وذكر هذا الكتاب ضمن مؤلفاته ، فقال : « وعني بالادب فنظم كثيرا وجمع في الادب مجاميع منها : رياض الالباب ومحاسن الاداب والمرح النضر والارج العطر » (٢) .

وقد طبع هذا الكتاب في دمشق سنة ١٣٥٠هـ ، ونسب لجلال الدين السيوطي ، واعتمد على هذا الطبعة العلامة بروكلمان فعده ضمن مؤلفاته (٣) .

٣ ـــ غلطات العوام : ورد هذا الكتاب منسوبا للسيوطي في اكثر من نسخة مخطوطة ، منها نسخة في مكتبة كبريللي باسطنبول تحت رقم ٦٩٢ لغة ، ونسخة في مكتبة جامعة اسطنبول تحت رقم ١٤٩٦ ، ونسخة ثالثة في مكتبة طلعت بدار الكتب

---

(١) معجم المطبوعات العربية م ٢ ص ١٦٢٦ .

(٢) نظم العقيان في اعيان الاعيان ص ١٤١ ، وانظر الخطط التوفيقية الجديدة حـ ١٢ ص ١٠٧ ، ومعجم المطبوعات العربية حـ ١ ص ١٠٨٧ .

(٣) تاريخ الادب العربي بروكلمان حـ ٢ ص الاصل ص ١٥٨ .

المصرية تحت رقم ٣٤٨ لغة طلعت ، وقد ثبت نتيجة التحقيق الدقيق الذي قام به الدكتور الفاضل رمضان عبد التواب(١) ان هذا الكتاب ليس للسيوطي ، وانما هو كتاب : « تقويم اللسان » لابن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧هـ ، ونسب للسيوطي خطأ .

(٢)

عدة مؤلفاته

ذكر السيوطي في ترجمته الذاتية في كتابه حسن المحاضرة ان مؤلفاته قد بلغت ثلاثمائة مصنف سوى ما غسله ورجع عنه(٢) ومما لاشك فيه انه قد صنف كتابه حسن المحاضرة في وقت متقدم من حياته العلمية الحافلة بالتأليف ، لذا نجده يذكر في كتاب آخر له اسمه « التنبئة بمن يبعثه الله على رأس كل مائة » ان له خمسمائة (٣) مؤلف ، علما بأنه قد ألف كتابه « التنبئة » قبل وفاته بما لا يقل عن اثنتي عشرة سنة ، اذ ان النسخة المخطوط من هذا الكتاب المحفوظة في الخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية ضمن مجموع تحت (٢٠٢ مجاميع تيمور) قد كتبت بخط ابي الحسن المالكي في محرم سنة

---

(١) لحن العامة والتطور اللغوي ص ٢٨٤ ـ ٢٨٥ .

(٢) حسن المحاضرة حـ ١ ص ٣٣٨ .

(٣) التنبئة عمن يبعثه الله على رأس كل مائه ص ٤٥ .

٨٩٩هـ ، وابو الحسن هو الحافظ شمس الدين الداودي تلميذ السيوطي .

وقد اتفقت كلمة الذين ترجموا له على ان مؤلفاته قد بلغت المئات ، فقد نسب له كل من ابن لياس وابن طولون نحوا من ستمائة مصنف ، قال ابن اياس عندما ارخ وفاته : « وكان كثير الاطلاع ، نادرة في عصره ، ... وبلغت عدة مصنفاته نحوا من ستمائة تأليف » (١) .

أما ابن العماد الحنبلي في شذرات الذهب فقد ذكر ان الحافظ شمس الدين الداودي قد استقصى مؤلفات شيخه السيوطي الحافلة الكثيرة ، فنافت على خمسمائة مؤلف (٢) ، ويفهم من عبارة ابن العماد ان هذا الاستقصاء لا يشمل جميع مؤلفاته وانما يشمل الكبيرة الجامعة فقط (٣) .

ونسب له كل من الشعراني في ذيل طبقاته والشبلي اليمنى في السنا الباهر ، والاسدي في طبقات الشافعية أكثر من اربعمائة مؤلف ، قال الشعراني في ترجمته : « وله من المؤلفات أربعمائة

---

(١) تاريخ مصر لابن اياس حـ ٤ ص ٥٨٣ و حـ ٣ ص ٦٣ وانظر مفاكهة الخلان في حوادث الزمان حـ ١ ص ٣٠٢ .

(٢) شذرات الذهب حـ ٨ ص ٣٥٣ .

(٣) فهرس الفهارس حـ ٢ ص ٣٥٩ .

وستون مؤلفا مذكورة في كتاب فهرست كتبه ، من عشرة مجلدات الى ما دونها (١) .

وقال عنه ابن الغزي في كتاب ديوان الاسلام : « الامام الحبر البحر أعجوبة الدهر شيخ الاسلام ... صاحب المؤلفات الحافلة المتقنة التي تزيد على خمسمائة مصنف ، وقد تداولها الناس وتلقوها بالقبول واشتهرت وعم نفعها » (٢) .

وذكر الكتاني في فهرس الفهاس انه ظفر بكراسة من تأليف السيوطي عدد فيها تصانيفه الى سنة (٩٠٤هـ) ، اي قبل وفاته بسبع سنين ، فبلغت خمسمائة وثمانين وثلاثين كتابا ، مرتبة حسب الفنون العلمية (٣) .

وللسيوطي فهرس مؤلفات من وضعه ، ضمنه غالب مؤلفاته ، ولا زالت خزائن الكتب تحتفظ بعدة نسخ من هذا الفهرس ، منها نسخة في دار الكتب ضمن مجموع تحت رقم (٣٢ مجاميع) ، وهي الرسالة الاولى من المجموع ، وقد طبع هذا الفهرس في آخر الجزء السادس من كتاب كشف الظنون المطبوع في اوربا ، وهو يحتوي

---

(١) ذيل طبقات الشعراني ق ٥ ، وانظر السنا الباهر ص ٨١ ، ص ٩٢ ، وطبقات الشافعية للاسدي ق ١٣٥ .

(٢) ديوان الاسلام ق ٤٧ .

(٣) فهرس الفهارس حـ ٢ ص ٣٥٩ .

على خمسمائة واربعة كتب ، مرتبة بحسب الفنون العلمية (١) .

واعتنت المراجع المتأخرة بجمع مؤلفاته ، وكلها تشير الى ان له مئات التصانيف ، وان اختلف في تحديد مقدارها ، ففي كشف الظنون سرد له حاجي خليفة (١٠٥٧هـ) مؤلفا مبثوثة في ثنـــايا الكتاب ، وعد له اسماعيل البغدادي في هدية العارفين (٢) (٥٨٤) مصنفا ، مرتبة بحسب حروف الهجاء .

وذكر له جميل العظم في كتابه « عقود الجوهر » (٣) (٥٧٦) كتابا ، واثبت له العلامة فلوجل (٥٦١) مؤلفا (٤) .

أما العلامة بروكلمان في كتابه « تاريخ الادب العربي » (٥) فقد أورد له (٤١٥) مصنفا ، بين مطبوع ومخطوط موزعة على مكتبات العالم الغربي والشرقي ، التي تيسر له الاطلاع على فهارسها ، فكيف لو ان الفرصة قد واتته فاطلع على فهارس خزائن الكتب العربية

---

(١) كشف الظنون طبع أوربا جـ ٦ ص ٦٦٥ ـ ٦٧٩ .

(٢) هدية العارفين م ١ ص ٥٣٤ ـ ٥٤٤ .

(٣) عقود الجوهر ص ١٩٤ ـ ٢١٦ .

(٤) نظم العقيان في اعيان الاعيان / مقدمة المحقق الدكتور فيليب حتي صفحة (ح) وانظر معجم المطبوعات العربية جـ ٦ ص ١٠٧٤ هامش رقم (١) .

(٥) تاريخ الادب العربي لبروكلمان الاصل جـ ٢ ص ١٤٤ ـ ١٥٨ والملحق جـ ٢ ص ١٧٨ ـ ١٩٨ .

كافة .

وقد تتبعت مؤلفاته المطبوعة والمخطوطة والمفقودة بحسب ماتيسر لي من فهارس وكتب عنيت بذكر التصانيف والآثار ، فأنافت على سبعمائة مصنف في مختلف الفنون ، واعل الله ييسر لي في قابل الايام نشر فهرس لها يعين الباحثين على التعرف عليها ونشر ما لم ينشر منها .

(٣)

اسباب كثرة مؤلفاته

لقد رأينا في البحث السابق كيف ان مصنفات السيوطي قد بلغت من الكثرة ما بلغت . بحيث انافت على سبعمائة مؤلف ، ومما لا شك فيه ان هناك اسبابا كثيرة يسرت له ذلك ، ولعل في انصرافه الى الاشتغال منذ بدء حياته العلمية اثرا كبيرا في ذلك ، فقد بدأ التأليف في سنة ٨٦٦هـ . ويومها كان شابا يافعا لما يبلغ السابعة عشرة من عمره ، وألف آنذاك كتابين ، هما : « شرح الاستعاذة والبسملة » وكتاب « الحيعلة والحوقلة » ، وهما أول تآليفه وأوقف عليهما شيخه علم الدين صالح البلقيني المتوفى سنة ٨٦٨هـ ، فقرظهما له ، وكان يقول عنهما : « وهذان الكتابان لولا ان شيخنا شرفهما بخطه لغسلتهما في جملة ما غسلت » (١) .

---

(١) السنا الباهر ص ٧٩ ، وانظر حسن المحاضرة ج ١ ص ٣٣٧ .

وبعد ذلك بقليل وضع كتابين في النحو هما « البهجة المرضية في شرح الالفية » و « وجمع الجوامع في العربية » (١) .

ولما حلت سنة ٨٦٨هـ اخذ يفكر في وضع المؤلفات الكبار ، حيث بدأ آنذاك بوضع مسودة لكتاب في طبقات النحاة اتمها سنة ٨٦٩هـ ، وبلغت آنذاك سبعة مجلدات (٢) .

وكانت سرعته في الكتابة والتأليف سببا هاما من أسباب كثرة تأليفه ، فقد حدثنا تلميذه الداودي انه رأى « الشيخ وقد كتب في يوم واحد ثلاثة كراريس ، تأليفا وتحريرا ، وكان مع ذلك يملي الحديث ويجيب عن المتعارض منه بأجوبة حسنة » (٣) .

والاسباب الاخري التي ادت الى وفرة مؤلفاته كثيرة منها عدم توليه اي منصب حكومي غير التدريس ، فانه لو اشتغل في اي وظيفة اخرى كالقضاء مثلا لما استطاع ان يمد المكتبة العربية بتلك المؤلفات الكثيرة .

وكان لتصدره للتدريس والافتاء اثر فعال في زيادة نشاطه التأليفي ، فكثير من مؤلفاته انما وضعها بقصد الاجابة عن تلك الفتاوى والاسئلة التي كانت تلقى اليه في اثناء تصدرة للتدريس ، او ترد اليه من مختلف الاقطار يسأله فيها اصحابها عن مختلف

---

(١) حسن المحاضرة حـ ١ ص ٣٣٧ .

(٢) بغية الوعاة حـ ١ ص ٣ ، ص ٥ .

(٣) لواقح الانوار القدسية ق ٢٦٩ .

الموضوعات من ذلك : كتابه الاوج في خبر عوج ، فقد وضعه جوابا لسؤال ورد اليه من الشام (١) ، وكتابه « الفاشوش في حكم قراقوش » صنفه اجابة عن سؤال وقع له وهو يدرس في الجامع الطولوني (٢) ، والكتب التي ألفها في هذا المجال كثيرة ، وقد بلغت أكثر من ثمانين رسالة ، وقد ضم كتاب الحاوي للفتاوي أغلب هذه الرسائل .

وكان صاحبنا شديد الحساسية ، كثير الغضب ، وكثيرا ما دفعه غضبه الى التأليف للرد على خصومه ومنافسيه الكثيرين ، فكان ذلك سببا هاما من أسباب كثرة تأليفه ، والكتب التي ألفها للرد على مخاليفه كثيرة ، نذكر منها على سبيل المثال : « الكاوي في الرد على السخاوي » ، « واللفظ الجوهري في رد خباط الجوجري » ، « والمجمل في الرد على المهمل » ، « الاعراض والتولي عمن لا يحسن يصلي » وغير ذلك من الكتب .

وهو اذا آمن بمسألة ما فانه يشبعها بحثا ويتناولها من وجوهها كافة ، ويؤلف فيها اكثر من مؤلف ، وكان ذلك سببا آخر من الاسباب التي جعلت مؤلفاته تصل الى ذلك العدد الكبير ، فمثلا لما اعتقد باحياء ابوى الرسول صلى الله عليه وسلم ، وانهما مؤمنان ،

---

(١) الحاوي للفتاوي ﺣ ٢ ص ٥٧٣ .

(٢) عصر سلاطين المماليك م ٣ ص ٣٥٨ .

ألف في ذلك ستة مؤلفات (١) هي : « السبل الجلية في الاباء العلية » و « المقامة السندسية في النسبة المصطفوية » و « مسالك الحنفا في والدي المصطفى » و « التعظيم والمنة في ان ابوي الرسول في الجنة » و « سبل النجاة » و « نشر العلمين المنيفين في الابوين الشريفين » .

ولما آمن بتحريم المنطق الف في ذلك عدة كتب ، منها : « الغيث المغدق في تحريم المنطق » و « القول المشرق في تحريم المنطق » و « صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام » و « جهد القريحة في تجريد النصيحة » .

وكان لادعائه الاجتهاد والتجديد اثر كبير في كثرة مؤلفاته ، لأن هذه الدعوى تطلبت منه ان يؤلف في كل فن ليثبت تمكنه فيه ، والكتب التي ألفها تحت تأثير هذه الدعوى كثيرة ، اذكر منها على سبيل المثال : « الرد على من اخلد الى الارض وجهل ان الاجتهاد في كل عصر فرض » .

وبلغ نشاطه في التألف ذروته في أواخر عمره ، اذ اعتزل الناس ، وترك وظائفه التدريسية كافة ، وترك الافتاء ، وانزوى في بيته في الروضة ، وانصرف الى تنقيح مؤلفاته وتحريرها ، وكان ذلك سبباً آخر من اسباب كثرة هذه المؤلفات ، قال الشعراني في لواقع الانوار : « واخبرني الشيخ عبد القادر الشاذلي : لما بلغ

---

(١) لواقع الأنوار القدسية ق ٢٧٠/أ .

الشيخ جلال اربعين سنة اخذ في التجرد للعبادة ... والاعراض عن الدنيا واهلها ، حتى كأنه لم يعرف أحدا منهم ، وشرع في تحرير مؤلفاته ، وترك الافتاء والتدريس ، وألف كتابا سماه : التنفيس في الاعتذار عن ترك الافتاء والتدريس ، واقام في روضة المقياس فلم يتحول عنها الى ان مات » (١) .

هذه اهم الاسباب التي اتاحت للسيوطي ان يتحف المكتبة العربية بما اتحفها من مئات المؤلفات ، وقد وجدت بعض البـــاحثين المعاصرين يضيفون أمرين آخرين ينقصهما — في رأي — الدليل والبرهان ، واحدهما مفاده انه كان يستعين بتلامذته في تأليف قسم من كتبه ، وهذه بلا ريب دعوى بلا دليل ، والثاني انه قد سطا على مؤلفات كثيرة لمؤلفين سابقين او معاصرين ثم نسبها لنفسه (٢) وهي تهمة سبق ان الصقها به خصمه العنيد شمس الدين السخاوي فجاء بعض المعاصرين فرددها دونما تحفظ ولا تدقيق ، وقد عرضت لهذه التهمة اثناء حديثي عن خصوماته في الفصـــل الاول ، وقد رددتها هناك ، ولا حاجة لتكرار ما قلناه في ذلك الموضع .

---

(١) لوافح الانوار القدسية ق ٢٧١ ؛ وانظر السنا الباهر ص ٨٧ .

(٢) نظم العقيان في اعيان الاعيان : مقدمة المحقق الدكتور فيليب حتي صفحة (د) .

(٤)

مؤلفاته في النحو والصرف واللغة والبلاغة

اتجه السيوطي لدراسة العربية والتأليف فيها مبكرا ، فوضع فيها كتبا كثيرة ، صغيرة وكبيرة ، منثورة ومنظومة ، اهلته ان يتبوأ مكانا علميا بين الذين صنفوا في النحو والصرف واللغة على مر العصور ، ولما كنا قد خصصنا اكثر من فصل في الباب الثاني والثالث لدراسة كتبه النحوية سنقتصر في هذا الموضع على سرد مؤلفاته في االنحو والصرف واللغة والبلاغة ، مرتبة على حروف المعجم .

أ ـ فن النحو :

(١) الاخبـــار المروية في سبب وضع العربية (مطبوع ضمن التحفة البهية / مطبعة الجـــوائب بالقسطنطينية سنة ١٣٠٢ﻫ) (٢) الاشباه والنظائر في النحو (مطبوع / حيدر آباد سنة ١٣١٦ﻫ وسنة ١٣٥٩ﻫ) (٣) الاقتراح في علم اصول النحو (مطبوع / حيدر آباد سنة ١٣١٠ﻫ وسنة ١٣٥٩ﻫ) (٤) البهجة المرضية في شرح الالفية (مطبوع / الخيرية بالقاهرة سنة ١٣١٠ﻫ) (٥) التحفـة السنية في قواعد العربيـــة (مخطوط / دار الكتب المصرية ١٠٦٨ نحو) (٦) تحفة النجبا في قولهم هذا برا أطيب منه رطبا (مطبوع ضمن الاشباه والنظائر) (٧) التوشيح على التوضيح (مفقود) وهو حاشية على كتاب التوضيح لابن هشام (٨) توجيه العزم الى اختصاص الاسم

بالجر والفعل بالجزم (مفقود) (٩) جمع الجوامع (مخطوط / الظاهرية بدمشق برقم ٥٨٤٨ عام، وهو مطبوع ضمن همع الهوامع) (١٠) حاشية نثر الزهور في شرح الشذور (مفقود) وهي حاشية على شرح شذور الذهب (١١) حاشية درر التاج في اعراب مشكل المنهاج (مخطوط / الظاهرية ٥٨٩٦ عام) (١٢) رفع السنة عن نصب الزنة (مطبوع ضمن الحاوي) (١٣) السلسلة الموشحة في النحو (مخطوط برل ٢٠٧) (١٤) السيف الصقيل في حواشي ابن عقيل (مفقود) (١٥) شذا العرف في اثبات المعنى للحرف (مفقود) (١٦) شرح شواهد المغني (مطبوع / دمشق / تحقيق لجنة التراث العربي بدون تاريخ) (١٧) شرح الملحة (مفقود) (١٨) الشمعة المضية في علم العربية ، وضعه للمبتدئين (مخطوط / مكتبة الازهر ٧٧٦) (١٩) الشهد قصيدة في علم النحو (مفقود) (٢٠) فتح القريب في حواشي مغني اللبيب (مخطوط / دار الكتب المصرية ١١٣٨ نحو ، ينتهي بالكلام على حتى ، جاء في آخره : هذا آخر ما وجد من خط مؤلفه) (٢١) فجر الثمد في اعراب : اكمل الحمد (مطبوع ضمن الحاوي للفتاوي) (٢٢) الفريدة . وهي ألفية في النحو (مطبوع / القاهرة سنة ١٣٢٢هـ) (٢٣) قطر الندى في ورود الهمزة للندا (مفقود) (٢٤) الكر على ابن عبد البر في اعراب آية (مخطوط / سليم اغا باسطنبول (١٦١) (٢٥) كشف الغمة عن العمة (مخطوط / الظاهرية بدمشق ٤٥٧١ عام) (٢٦) مختصر الملحة (مفقود) (٢٧) مسألة (ضربي زيدا قائما) (مطبوع / ضمن الاشباه والنظائر في النحو) (٢٨) المطالع

السعيدة في شرح الفريدة (مخطوط / دار الكتب المصـــرية ٩٨٨ نحو (٢٩) الموشحة في النحو (مخطوط / دار الكتب المصرية ١٠٦٧ نحو) (٣٠) نشر الطيب على الخطيب (مخطوط الخزانة التيمورية ٢٦٨ مجاميع) (٣١) النكت على الالفية والكافيـة وشـذور الذهب ونزهة الطرف . وهي في مؤلف واحد (مخطوط / دار الكتب المصرية برقم ٣٥٩ نحو ، تمت كتابة من خط المؤلف سنة ٨٩٦هـ وعلى هذه النسخة في مواضع متعددة بخـط المؤلف ما يفيـد قراءة ناسخها عليه) (٣٢) نكت على شرح الشواهد للعيني (مفقـــود) (٣٣) همع الهوامع شرح جمع الجوامع (مطبوع / القاهرة مطبعة السعادة ١٣٢٧هـ) (٣٤) الوفية في اختصار الالفية (مفقود) .

ب ــ فن الصرف :

(١) ألوية النصر في خصيصى بالقصر (مطبوع ضمن الحاوي للفتاوى ((٢) شرح تصريف العزى (مفقود) (٣) شرح ضرورى التصريف لابن مالك (مفقود) (٤) شرح القصيدة الكافية في التصريف (مخطوط / ٨٦) (٥) القول المجمل في الرد على المهمل (مخطوط دار الكتب المصـــرية ١١٨ مجاميع) (٦) اللازوردي في حواشي الجاربردي (مفقود) .

حـ ــ فن علم اللغة :

(١) الافصـاح في زوائد القـاموس عـلى الصحـاح (مفقود)
(٢) التبري من معرة المعري (مخطوط/الظاهرية بدمشق ٥٨٩٦ عام)

(٣) التهذيب في اسماء الذيب (مخطوط / مكتبة الازهر ١٣٢ مجاميع) (٤) جر الذيل في علم الخيل (مخطوط / السليمانية باسطنبول / ايا صوفيا ٩٨٣ ضمن مجموع) (٥) حسن السير فيما في الفرس من اسماء الطير (مخطوط / الظاهرية بدمشق / ٥٨٩٦ عام) (٦) ديوان الحيوان (مخطوط / عارف حكمت بالمدينة المنورة / ١٧ ، وهو مختصر حياة الحيوان للدميري) (٧) شرح لمعة الاشراق في الاشتقاق (مخطوط / مكتبة الازهر ٢٠٤ مجاميع) (٨) غاية الاحسان في خلق الانسان (مخطوط / مكتبة الازهر ١٨٧ مجاميع) (٩) المزهر في علوم اللغة وأنواعها (مطبوع / تحقيق محمد ابي الفضل ابراهيم وجماعة ، طبع دار احياء الكتب العربية بالقاهرة سنة ١٩٦٠م) (١٠) المنى في الكنى (مخطوط / مكتبة الازهر ٢٠٤ مجاميع) (١١) نظام البلور في اسامي السنور (مخطوط / الظاهرية ٥٨٩٦ عام) (١٢) نظام اللسد في اسامي الاسد (مخطوط / الظاهرية ٥٨٩٦ عام) .

د ــ فن البلاغة والبديع والمعاني والبيان :

(١) البديعية ، وتسمى نظم البديع في مدح الشفيع (مخطوط / الظاهرية بدمشق ٨٧٣٠ عام) (٢) جنى الجناس في فن البديع والاقتباس (مخطوط / الظاهرية بدمشق برقم ٧٦٧٧ عام) (٣) حل العقود ، وهو شرح ألفية عقود الجمان في المعاني والبيان (مطبوع / القاهرة سنة ١٣٠٢هـ) (٤) شرح البديعية ، ويسمى الجمع والتفريق بين الانواع البديعية (مطبوع / القاهرة سنة

١٢٩٨هـ) (٥) عقود الجمان ، وهي ألفية في المعاني والبديع والبيان (مخطوط / مكتبة الازهر برقم ١٥٦) (٦) اللطائف المصاغة في الفصاحة والبلاغة (مخطوط / السليمانية باسطنبول / أصف افندي ١/١٥٤/٩٨) .

(٥)

مؤلفاته في العلوم الدينية

لم يقتصر السيوطي فيما كتبه من مؤلفات على لون من الالوان فقد يسرت له ثقافته الواسعة ان يكتب في كل فن . وكما برز في التصانيف النحوية واللغوية فقد برز فيما كتبه من العلوم الدينية من تفسير وعلوم قرآن وحديث وفقه وتصوف ، وله في ذلك مؤلفات تعد من اهم المصادر التي يعول عليها مثل : الاتقان في علوم القرآن والتحبير في علوم التنزيل والاشباه والنظائر في الفقه والجامع الصغير والجامع الكبير في الحديث ، والكوكب الساطع نظم جمع الجوامع في الاصلين والتصوف ، والفيته في الحديث ، وغير ذلك من المؤلفات النافعة .

ولما كانت مؤلفاته في العلوم الدينية كثيرة ، فقد بلغت في فن الحديث وحده مثلا اكثر من مائتي مصنف ، لذلك سأقتصر على سرد أهم مؤلفاته في هذه العلوم ، موزعة على كل علم منها مرتبة على حروف المعجم .

أ ـ علوم القرآن والتفسير :

(١) الاتقان في علوم القرآن (مطبوع عدة طبعات منها طبعة الازهرية سنة ١٣١٨هـ) (٢) اتمام النعمة في اختصاص الاسلام بهذه الأمة (مطبوع ضمن الحاوي / طبعة السعـادة سنة ١٩٥٩م) (٣) اسرار التنزيل ، ويسمى : قطف الازهار في كشف الاسرار مخطوط / مكتبة السليمـانية باسطنبول / فيض الله برقم ٤٩) (٤) الاكليل في استنباط التنزيل (مطبوع / القاهرة سنة ١٣٧٣هـ) (٥) التحبير في علوم التفسير (مخطوط / الخزانة التيمورية / ٧٣ مجاميع) (٦) تكملة تفسير جلال الدين المحلى المتوفى سنة ٨٦٤هـ ، ويسمى بمجموعهما تفسير الجلالين (مطبوع / القاهرة / دار احياء الكتب العربية سنة ١٣٤٢) (٧) الدر المنثور في التفسير بالمأثور (مطبوع / الميمنية بالقاهرة سنة ١٣٠٣هـ) (٨) شرح الشاطبيـة بالقراءات (مخطوط / دار الكتب المصرية ٣٣ تفسير) (٩) الفتح الجليل للعبد الذليل (مطبوع بدون تاريخ) (١٠) لباب النقول في اسباب النزول (مطبوع بهامش الجلالين / طبعة دار احياء الكتب العربية سنة ١٣٤٢هـ) (١١) المتوكلى وهو مختصر فيما وقع في القرآن من المعرب (مطبوع / دمشق سنه ١٣٤٨هـ) (١٢) مراصد المطالع في تناسب المطالع والمقاطع) (مخطوط / السليمانية باسطنبول مجموع ١٠٣٠) (١٣) المعاني الدقيقة في ادراك الحقيقة (مطبوع مع كتاب طرح الدر للشيخ علي بن يوسف بمصر سنة ١٢٨٠هـ) .

ب - علوم الحديث :

(١) أبواب السعادة في اسباب الشهادة (مطبوع ضمن أثنتي عشرة رسالة كلها للسيوطي في لاهور سنة ١٨٩١م) (٢) احياء الميت بفضل اهل البيت / طبع ضمن مجموع في لاهور سنة ١٨٩٣م) (٣) الازهار المتناثرة في الاخبار المتواترة (مطبوع / القاهرة سنة ١٣٠٢هـ) (٤) اسعاف المبطا برجال الموطأ (مطبوع حيدر آباد الدكن ١٣٢٠هـ) (٥) اعمال الفكر في فضل الذكر (مطبوع ضمن الحاوي) (٦) البدور السافرة عن أمور الآخرة (مطبوع / الهند سنة ١٣١١هـ) (٧) بشرى الكئيب بلقاء الحبيب (مطبوع / الميمنية بالقاهرة سنة ١٣٠٩هـ بهامش شرح الصدور في شرح حال الموتى في القبور له ايضا) (٨) تدريب الراوي شرح تقريب النواوي (مطبوع / تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف / القاهرة / مكتبة القاهرة سنة ١٣٧٩هـ - ١٩٥٩م) (٩) تزيين الارائك في ارسال النبي الى الملائك (مطبوع ضمن الحاوي) (١٠) التعظيم والمنة في ان والدي المصطفى في الجنة ، مطبوع / حيدر آباد سنة ١٣١٧هـ) (١١) التعقبات على الموضوعات (مطبوع / طبعة حجر بالهند سنة ١٣٠٤هـ) (١٢) تنوير الحوالك على موطأ الامام مالك (مطبوع / القاهرة دار احياء الكتب العربية سنة ١٣٣٣هـ) (١٣) الجامع الصغير (مطبوع / بولاق سنة ١٢٨٦ ، وطبع في مرسليا سنة ١٨٥١م مجموعة حكم مأخوذة من الجامع الصغير ، ومعها ترجمة فرنسية في ١٣٦ صفحة) (١٤) جامع المسانيد ويسمى الجامع الكبير وجمع الجوامع (مخطوط / السليمانية باسطنبول / رقم ٢٨١ داماد ابراهيم

باشا) (١٥) الحجج المبينة في التفضيل بين مكة والمدينة (طبع في لاهور سنة ١٨٩١هـ) .

ح ـ علوم الفقه واصوله :

(١) الاشباه والنظائر في الفقه (مطبوع / القاهرة مطبعة مصطفى البابي الحلبي سنة ١٣٧٨هـ ـ ١٩٥٩م) (٢) القام الحجر لمن زكى ساب أبي بكر وعمر (مخطوط / دار الكتب المصرية ٣٢ مجاميع) (٣) بذل المجهود في خزانة محمود (مخطوط / المكتبة الظاهرية بدمشق ٦٣٧٦ عام) (٤) بذل الهمة في طلب براءة الذمة (مطبوع ضمن الحاوي) (٥) جزيل المواهب في اختلاف المذاهب (مخطوط / الظاهرية بدمشق ٦٩٨٧ عام) (٦) جهد القريحة في تجريد النصيحة ، مختصر نصيحة الايمان في الرد على منطق اليونان لابن تيمية (مطبوع مع صون المنطق للسيوطي ايضا في مطبعة السعادة سنة ١٣٦٦ وبتحقيق الاستاذ علي سامي النحار) (٧) الحاوي للفتاوي (مطبوع / مطبعة السعادة بالقاهرة سنة ١٩٥٩م تحقيق الاستاذ محمد محيي الدين عبد الحميد (٨) الدرر الحسان في البعث ونعيم الجنان (طبع حجر / مصر سنة ١٢٩٩هـ) (٩) الرد على من أخلد الى الارض وجهل ان الاجتهاد في كل عصر فرض (مطبوع / الجزائر سنة ١٣٢٥هـ) (١٠) الرحمة في الطب والحكمة (مطبوع / المطبعة الشرفيه بالقاهرة سنة ١٣١١هـ) (١١) رفع الباس وكشف الالتباس في ضرب المثل من القرآن والاقتباس (مطبوع ضمن الحاوي) (١٢) رفع منار الدين وهدم بناء المفسدين (مخطوط دار

الكتب المصرية ٩٩٦ فقه) (١٣) صون المنطق المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام (مطبوع / القاهرة / تحقيق الاستاذ علي سامي النجار / مطبعة السعادة سنة ١٣٦٦هـ) (١٤) فتح المطلب المبرور وبرد الكبد المحرور في الجواب عن الاسئلة الواردة من بلاد التكرور (مطبوع ضمن الحاوي) (١٣) قطع المجادلة عند تغيير المعاملة (مطبوع ضمن الحاوي) (١٦) القول المشرق في تحريم الاشتغال بالمنطق (مطبوع ضمن الحاوي) .

د - فن التصوف :

(١) الاستيقاظ والتوبة (مخطوط / المكتبه السليمانية باسطنبول ٥٩٨) (٢) البرق الوامض في شرح يائية ابن الفارض (مخطوط / المكتبه الظاهرية بدمشق ٥٥٥٧) (٣) تأييد الحقيقة العلية وتشييد الطريقة الشاذلية (مخطوط / الظاهرية بدمشق ٤٥٣٠ عام) (٤) تشييد الاركان في ليس في الامكان أبدع مما كان (مخطوط / دار الكتب المصرية ٣٢ مجاميع) (٥) تنبيه الغبي بتبرئة ابن عربي (مخطوط / الموصل / مكتبة يحيى باشا مجموع ٤٨) (٦) لبس خرقه التصوف وتلقين الذكر والصحبة (مخطوط / دار الكتب المصرية ٢٥ مجاميع قوله) (٧) سفينة السلامة في الاعتداد ليوم القيامة (مخطوط / اسعد افندي بالسليمانية في اسطنبول ٣٥٥٤) (٨) اللفظ الرائق والمعنى الفائق في الحقائق والرقائق / مخطوط برلين ٨٤٠٩) (٩) معيار الانام (مخطوط / اسطنبول مكتبة ملة مجموع ٤٣٦٩) .

(٦)

مؤلفاته في التاريخ

لم يفصح لنا السيوطي في ترجمته الذاتية عن مدى تبحره في علم التاريخ ، ولعل ذلك يرجع الى عدم اعتداده به كاعتداده بالفقه والحديث والعربية ، الا انه - والحق يقال - يعد من خيرة المؤرخين المصريين المشهود لهم بسعة الاطلاع والقدرة على الكتابة في التاريخ وله في ذلك مؤلفات احتلت مكانه سامية بين المراجع التاريخية ، خصوصا فيما يتعلق بتاريخ مصر والقاهرة والتراجم والسير وطبقات الرجال .

ولما كان غرضنا من هذا البحث تناول الجانب النحوي من شخصية السيوطي المتعددة الجوانب ، لذا سنكتفي في هذا الموضع بسرد اهم مؤلفاته التاريخية مرتبة على الحروف ، على النمط الذي مر بنا في سائر مؤلفاته السابقة ، واليك بيان ذلك :

(١) الانوار السنية في تاريخ الخلفاء والملوك بمصر السنية (مخطوط / اسطنبول / لالا اسماعيل ٦٧٨) (٢) بغيه الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة (مطبوع / تحقيق محمد ابي الفضل ابراهيم دار احياء الكتب العربية بالقاهرة سنة ١٩٦٥م) (٣) تاريخ الخلفاء (مطبوع / تحقيق الاستاذ محمد محي الدين عبد الحميد / مطبعة الفجالة الجديدة بالقاهرة سنة ١٩٦٩م) (٤) تبييض الصحيفة في مناقب ابي حنيفة (مطبوع / الهند / حيدر آباد سنة ١٣١٧هـ)

(٥) تحفة الحبيب في نحاة مغنى اللبيب (مخطوط / السليمانية باسطنبول / فيص الله ١٤١٤) (٦) تحفة العجلان في فضل عثمان « رضي الله عنه » مخطوط / الخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية ٣٠١ مجاميع تيمور) (٧) حسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة (مطبوع / تحقيق محمد ابي الفضل ابراهيم / دار احياء الكتب العربية بالقاهرة ١٩٦٧م) (٨) ريح النسرين فيمن عاش من الصحابة مائة وعشرين (مخطوط الظاهرية بدمشق ٩٠١٦ عام) (٩) الشماريخ في علم التاريخ (مطبوع / ليدن سنة ١٨٩٦م) (١٠) طبقات الحفاظ ، وهو مختصر طبقات الذهبي مع زيادة ، مطبوع التوفيق بدمشق سنة ١٣٤٧هـ) (١١) طبقات المفسرين (مطبوع / فرنسا سنة ١٨٣٩م) (١٢) لب اللباب في تحرير الانساب (مطبوع سنة ١٨٤٠م (١٣) نظم العقيان في اعيان الاعيان (مطبوع / تحقيق الدكتور فيليب حتى / المطبعة السورية الامريكية بنيويورك سنة ١٩٢٧م) .

(٦)

ادبـــه

اعترف السيوطي في ترجمة حياته انه في الانشاء والترسل اقل براعة مما في غيرهما ، وهو لا يقصد بذلك ان بضاعته في هذه الفنون ركيكة او ضعيفة ، وانما قصد انه لا يجاري في هذا المضمار امثال ابن عبد الظاهر وابن فضل الله والقلقشندي وابن نباتة

والصفدي وابن حجة الحموي ، وقد صرح بذلك فيما نقله عنه صاحب السنا الباهر فقال : « فلا اقول مرتبتي في الانشاء والترسل تبلغ مرتبة ابن عبد الظاهر ولا ابن فضل الله ، بل هي دون ذلك في حد المتوسط (١) .

وكان لاشتغاله بالحياة العلمية ، واعتنائه بجمع النصوص ونشرها ، والانكباب على جمع الفوائد الفقهية والحديثية والنحوية اكبر الاثر في عدم اعتنائه الاعتناء اللازم بالانشاء والترسل .

واذا كان الانشاء يعني قدرة المرء على التعبير عن مراده بأسلوب واضح اخاذ (٢) فان مؤلفات السيوطي الكثيرة تشهد له بأنه كان ذا ذوق ادبي رفيع ، فقد كانت كتبه البالغة الكثرة خالية من الغموض واضحة العبارة ، خالية من التعابير الركيكة ليس فيها مفردات عامية ، ولا كلمات غير عربية ، وهي صفة قلما توفرت في كثير من اكابر معاصريه .

ويغلب على كتاباته الاسلوب العلمي المتميز بروح السرد والقص مع عدم التقيد بالسجع والمحسنات البديعية ، وان امتازت كثير من مقدمات كتبه وقسم كبير من مقاماته بسيطرة روح السجع

---

(١) السنا الباهر ص ٨٢ ، وانظر عصر سلاطين المماليك م ٣ ص٨٢ .

(٢) عصر سلاطين المماليك م ٣ ص ٨٢ .

والبديع عليها .

وتعد مقاماته من امثل ما كتبه في فن الادب ، وهي كثيرة ، فقد عد له حاجي خليفة تسعا وعشرين مقامة ، وهي بلاشك لاترقى الى درجة مقامات الحريري والهمداني واسلوبها يختلف تماما عنها ، واغلبها في الوصف والمحاورة والرد على مخالفيه .

وقد سيطرت الروح العلمية على كثير من مقاماته ، فهي مملوءة بالنصوص المنقولة والفوائد العلميه ، وقد الف بعضها لاغراض ادبية طبية ، مثل المقامة المسكية في انواع الطيب ، والمقامة الوردية في الرياحين ، والمقامة التفاحية في انواع الفواكه (١) .

ومما يلاحظ على مقاماته انها لم تكتب بأسلوب واحد ، فأسلوبها يختلف من مقامة لاخرى . فهو مثلا في المقامة المسكية اعتمد على الوصف ، وفي المقامة الوردية ركن الى المحاورة والمناظرة ، وفي الطاعونية مال الى السرد التاريخي ، وفي مقامة الحمى اعتمد على نقل النصوص والاثار ، وفي المقامة السندسية تناول مسألة نجاة أبوي الرسول من النار ، مع ابراز اقوال العلماء والفقهاء في ذلك وتزييف آراء مخالفيه ، وهي تشبه رسالته : السبل الجلية في الاباء العلية ، فموضوعها واحد ، بل هل تكرار للرسائل الست التي صنفها في نجاة ابوي الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولكن هذه المقامة امتازت عن تلك الرسائل بأنها كتبت بروح أدبية وتلك الرسائل

---

(١) مقامات السيوطي طبعة القسطنطينية ص ٢ ، ص ١١ ، ص ٢٤ .

صنفت بأسلوب علمي بحت (١) .

وامتازت احدى مقاماته بسيطرة روح الادب المكشوف عليها ، وهي المقامة المسماة « رشف الزلال من السحر الحلال » (٢) ، وقد يطلق عليها مقامه النساء كتبها على لسان عشرين عالما ، فيهم الفقيه والمحدث ، والصوفي ، والمفسر ، والنحوي ، يصف كل منهم ليلة زفافه على أن يوري بمصطلح علمه ، وقد جاءت هذه المقامة مليئة بالادب المكشوف ، ومع ذلك فهي تدل على قوة تمكنه في التعبير ، وسعة اطلاعه على مصطلحات العلوم كافة والقدرة على التعبير في كل فن بمصطلح أهله .

وله مقامتان تشبهان — الى حد ما — في اسلوبهما اسلوب مقامات الحريري وهي المقامة الجيزية ، التي بدأها بوصف الجيزة ، والمقامة الاسيوطية التي ضمنها أحاجي نحوية ، ولقد اخترع لهما شخصية طريفة سماها « هاشم بن القاسم » جعل المقامتين تدوران على لسانه (٣) .

---

(١) عصر سلاطين المماليك م ٣ ص ٣٨٢ .

(٢) فهرس دار الكتب المصرية حـ ٣ ص ٣٧٧ ، وانظر عصر سلاطين المماليك م ٣ ص ٣٨١ .

(٣) فهرس دار الكتب المصرية حـ ٣ ص ٣٧٤ ، وانظر عصر سلاطين المماليك م ٣ ص ٣٨٠ .

وأما شعره ، فهو كما قال ابن العماد الحنبلي في الشذرات : « وله شعر كثير ، جيده كثير ، ومتوسطه اكثر ، وغالبه في الفوائد العلمية والاحكام » (١) .

وله ديوان شعر اسمه « حديقة الاريب وطريقة الاديب » ، وقد التقط منه مقاطع وابياتا ، وضمنها مصنفا سماه : « نور الحديقة ونور الطريقة » وتوجد منه نسخة مخطوطة محفوظة في دار الكتب المصرية ضمن مجموع تحت رقم (٧٤٦ مجاميع) (٢) ونسخة اخرى في المكتبة الظاهرية تحت رقم (٨٧٢٥ عام) .

وأجود شعره مراثيه وله في هذا الغرض عدة قصائد ، قالها في رثاء شيوخه وهي تنم عن مدى حبه ووفائه لهم ، فقد رثى كلاً من تقي الدين الشمني ، والعلم البلقيني وشرف الدين المناوي وسيف الدين الحنفي والعلامة محمد بن مقبل الحلبي .

قال في رثاء الشمني (٣) :

رزء عظيم به تستنزل العبر
وحادث جل فيه الخطب والغير

---

(١) شذرات الذهب ﺣ ٨ ص ٥٤ .

(٢) فهرس دار الكتب المصرية ﺣ ٣ ص ٢٤٤ ، وانظر كشف الظنون م ٢ ص ١٩٨٢ .

(٣) حسن المحاضرة ﺣ ١ ص ٤٧٥ ، وانظر بغية الوعاة ﺣ ١ ص ٣٧٩ .

رزء مصاب جميع المسلمين به
وقلبهم منه مكلوم ومنكسر
ما فقد شيخ شيوخ المسلمين سوى ا ن
هدام ركن عظيم ليس ينغمر
رزية عظمت بالمسلمين وقد
عمت وطمت فما للقلب مصطبر
تبكيه عين أولى الاسلام قاطبة
ويضحك الفاجر المسرور والغمر
من قام بالدين في دنياه مجتهدا
وقام بالعلم لا يألوا ويقتصر

والقصيدة طويلة وعدتها خمسون بيتا . وله في رثائه ثلاث قصائد اخرى ، منها قصيدته التي أدرجها في معجم شيوخه ، والتي مطلعها :

الا قد طال تبريحي وحزني
على الشيخ الامام الشمني
امام العالمين بكل علم
وشيخ المسلمين بكل فن
ومن قد كان للدنيا عصاما
وللاسلام ركنا اي ركن (١)

---

(١) المنجم في المعجم ص ٤٢/٤١ .

وهذه القصيدة أقل جودة من سابقتها ، وكذلك أقل منها أبياتا فعدتها ثمانية عشر بيتا فقط .

وقد رثى شيخه علم الدين البلقيني لما مات سنة ٨٦٨هـ ، وهي أول مراثيه قاطبة ، ومطلعها :

مات امام الناس شيخ الورى فغاضت الاعين مما جرى
وناحت الورق على أيكها وغابت الشمس وماج الورى
واظلم الافق وقد كان من وجوده في عصره أزهرا (١)

وعدة هذه القصيدة واحد وعشرون بيتا ، أدرجها في معجم شيوخه ، ضمن ترجمة شيخه البلقيني ، وقد كان عمر السيوطي لما نظم هذه القصيدة أقل من عشرين سنة ، أي في مبتدأ بروزه ونبوغه .

وله في الوصف شعر كثير ، مبثوث في كتبه ونقل له ابن اياس عدة مقاطع شعرية في الوصف ، وهي تشير الى مدى مشاركته في احداث زمانه ، من ذلك ما قاله ابن اياس ، وهو يتكلم عن حوادث سنة ٨٩٦هـ : « وفي شوال ليلة عيد الفطر كان وفاء النيل المبارك ، فأخرّ السلطان فتح السد في ذلك اليوم ، وفتح في اليوم الثاني من شوال ووافق ذلك خامس عشر مسرى القبطي فصار العيد عيدين ، فعد ذلك من النوادر ، وفي هذه الواقعة يقول شيخنا جلال الدين السيوطي هذه الابيات :

(١) المنجم في المعجم ص ٧٣ .

يوم عيـــد الفطر وافى بهنـــاء وسعـــادة
ختم الصـــوم وأوفى النيـــل في أحسن عادة
يا له من يوم عيـــد فيه حسنى وزيادة (١)

ونقل له ابن اياس كذلك عدة ابيات قالها في الطاعون الذي حل بمصر سنة ٩١٠ وقد فتك بالناس فتكا ذريعا ، فقال الشيخ في هذه الواقعة :

يارب بالهادي النبي المجتبي أغمد عن الاسلام أسياف الوبا
يارب لا نشكو أليم عذابه الا اليك فقد أخاف وأرعبا
كم حل في دار فبدد شمل من فيها فلا يجدون منه مهربا
يارب لطفا بالعباد فمالهم رب سواك يقيهم المستصعبا
انا اعترفنا بالذنوب فكلنا عاص مسيء للعذاب استوجبا
لكن اذا قرنت عظيم ذنوبنا بعظيم عفوك كان عفوك أغلبا
ان كان لا يرجوك الا محسن في العالمين فمن يجير المذنبا (٢)

وأما المدح فقد كان مقلا فيه ، ولم يمدح غير شيوخه ، من ذلك ما قاله في مطلع احدى قصائده التي قالها في مدح الشيخ الشمني :

لذ بمن كان للفضائل أهلا من قديم ومنذ قد كان طفلا
وبمن حاز سؤددا وارتفاعا ومكانا على السماك وأعلى

---

(١) تاريخ مصر لابن اياس حـ ٢ ص ٢٧١/٢٧٢ .

(٢) تاريخ مصر لابن اياس حـ ٤ ص ٧٩ .

عالم العصر من علا في حديث وزكا في القديم فرعا واصلا(١)

وهي عشرون بيتا أوردها في كتابه بغية الوعاة وفي معجم شيوخه عندما ترجم لشيخه المذكور .

وأما نظمه في الفوائد العلمية والاحكام الشرعية فكثيرة جدا ، من ذلك ما نقله ابن العماد الحنبلي في الشذرات ، وهو قوله :

فوض احاديث الصفا ت ولا تشبه او تعطل
ان رمت الا الخوض في تحقيق معضلة فأول
ان المفوض سالم مما تكلفه المؤول (٢)

واما كتبه التي ألفها في الادب فهي كثيرة ، نذكر منها هذه المجموعة المفيدة :

(١) اتحاف النبلاء بأخبار الثقلاء (مخطوط / مكتبة الازهر (٦٢٤) اباظة ٧٢١٩) (٢) بهجة الخاطر ونزهة الناظر ، جمع فيه ما قيل في وصف مصر (مخطوط دار الكتب المصرية ٣٢ مجاميع) (٣) تحفة المجالس ونزهة المجالس (مطبوع / مطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٢٦هـ) (٤) درر الكلم وغرر الحكم (مطبوع / لاهور سنة ١٨٩٢م) (٥) وصف اللآل في وصف الهلال (مطبوع ضمن التحفة

---

(١) بغية الوعاة جـ ١ ص ٣٧٩ ، وانظر المنجم في المعجم ص ٣٠ — ٤٠ .

(١) شذرات الذهب جـ ٨ ص ٥٤ .

البهية / مطبعة الجوائب بالقسطنطينية سنة ١٣٠٢هـ) (٦) الشهاب الثاقب في ذم الخليل والصاحب (مطبوع / دمشق مطبعة الترقي سنة ١٣٦٨هـ) (٧) كنه المراد في شرح بانت سعاد (مخطوط / مكتبة الازهر ٨٩٩) (٨) المحاضرات والمحاورات (مخطوط / الظاهرية بدمشق ٢٨٦ أدب) (٩) المستظرف في أخبار الجواري (مطبوع / تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد / سنة ١٩٦٣م) (١٠) مفاخرة بين الروضة والمقياس ومصر القاهرة (مخطوط / السليمانية باسطنبول / لاله لي ٢٧٠٦) .

(٨)

التعريف بنماذج من مؤلفاته

ان الكتابة عن مؤلفات السيوطي جميعها عمل واسع وجهد كبير وهو بلا شك خارج عن صدد بحثنا المتعلق بالسيوطي النحوي ، ولكن أرى ان تمام البحث وكماله التعريف بأهم مؤلفاته التي تعد من خيرة المصادر في أبوابها ، وسوف لا أتحدث عن شيء من كتبه النحوية ، لان لها موضعا خاصا من هذا البحث ، واليك تفصيل ذلك :

١ ــ الاتقان في علوم القرآن :

يأتي هذا الكتاب في مقدمة كتبه من حيث الاهمية العلمية ، وهو من اهم المصادر التي يرجع اليها الباحثون في علوم القرآن ،

وقد تضمن خلاصة وافية لكثير من المؤلفات التي صنفت في هذا الفن الجليل .

ويتضح من مقدمة هذا الكتاب ان السيوطي لما ألف كتابه « التحبير في علوم التفسير » ، سنة ٨٧٢هـ ، بدأ يفكر في وضع كتاب واسع في القرآن ، وكان يظن أنه لم يسبقه احد الى التفكير في ذلك ثم تبين له ان الشيخ بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي (المتوفى سنة ٧٩٤هـ) قد صنف في ذلك كتابا سماه : « البرهان في علوم القرآن » ، فلما اطلع عليه قوي عزمه على تنفيذ ما هفت اليه نفسه فوضع كتاب « الاتقان » ، قال عنه « ورتبت أنواعه ترتيبا احسن من ترتيب البرهان وادمجت بعض الانواع في بعض . وفصلت ما حقه ان يبان ، وزدته على ما فيه من الفوائد والفرائد ، والقواعد والشوارد ، ما يشنف الاسماع ، وسميته : بالاتقان في علوم القرآن ، وسترى في كل نوع منه ان شاء الله تعالى ما يصلح ان يكون بالتصنيف مفرداً ، وستروى من مناهله العذبة رياً لا ظمأ بعده أبدا ، وقد جعلته مقدمة للتفسير الكبير الذي شرعت فيه وسميته بمجمع البحرين ومطلع البدرين ، الجامع لتحرير الرواية ، وتقرير الدراية » (١) .

وتدور مباحث هذا الكتاب حول انواع الفنون القرآنية ، وفيه بحوث في التجويد وبحوث تاريخية ، وبحوث في علوم اللغه والنحو

---

(١) الاتقان في علوم القرآن حـ ١ ص ٧/٦ .

والبلاغة ، وبحوث في التوحيد وبحوث في اعجاز القرآن ، وضمّنه كذلك الكلام على شروط المفسر وآدابه ، وعن غرائب التفسير ، وختم الكتاب بفصل ممتع عن المفسرين (١) من الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم ، وتطرق فيه الى كتب التفاسير وخصائصها واقسامها فجعل منها ما يهتم بالتفسير بالمأثور مثل تفاسير الصحابة والتابعين ومن التزم اسلوبهم في التفسير ، ومنها ما يغلب عليه الفن الذي برع فيه المفسر ، فالنحوي تراه ليس له هم الا الاعراب ، وتكثير الاوجه المحتملة فيه ، والاخباري ليس له شغل الا القصص واستيفائها وجمع الاخبار عمن سلف ، سواء أكانت صحيحة أم باطلة ، والفقيه يكاد يسرد فيه الفقه من أوله الى آخره ، وصاحب العلوم العقلية يملأ تفسيره بأقوال الحكماء والفلاسفة ، والمبتدع ليس له قصد الا تحريف الآيات وتسويتها على مذهبه الفاسد .

وقد بلغت الانواع القرآنية التي تكلم عنها في كتابه القيم هذا ثمانين نوعا (٢) تذكر منها بعض الانواع على سبيل التمثيل ، فالنوع الاول جعله لمعرفة المكي والمدني ، والثاني لمعرفة الحضري والسفري ، والسابع لاول ما نزل والثامن لآخر ما نزل ، والتاسع لأسباب النزول ، والعاشر لما ذكر على لسان بعض الصحابة ، والحادى والاربعين ترفع لمعرفة الاعراب ، والسابع والاربعين في

---

(١) الاتقان في علوم القرآن حـ ٢ ص ٢٢٦ .

(٢) الاتقان في علوم القرآن حـ ١ ص ٧/٦ .

الناسخ والمنسوخ ، والثاني والخمسين في حقيقته ومجازه ، والسادس والسبعين في رسم الخط وآداب كتابته ، والسابع والسبعين معرفة تأويله وتفسيره وبيان شرفه والحاجة اليه والتاسع والسبعين في غرائب التفسير ، والثمانين في طبقات المفسرين ، ولما أنهى هذه الانواع الثمانين أعقبها بذكر التفاسير المرويه عن النبي صلى الله عليه وسلم (١) وقد رتب ذلك بحسب سور القرآن ، بدأها بالفاتحة والبقرة وآل عمران ، واستمر في ذكر سور القران سورة سورة ، الى ان ختم ذلك بسورة الفلق والناس .

وكتاب الاتقان كتاب عجيب في بابه ، ويعد فريدا لا نظير له وليس معنى ذلك ان مسائله لم يتكلم فيها احد ، او لم ترد في غيره من الكتب ، لا ، بل وردت ، ولكنها مبثوثة في كتب عدة ، وفي أبواب متفرقة ، وتكلم فيها اناس كثيرون ، ولكن يرجع الفضل للسيوطي في انه لمّ شملها ، وجمعها منظمة منسقة في كتابه هذا ، حتى صارت هيكلا مستقلا متناسق الاجزاء ، منسجم المباحث ، ذا وحدة موضوعية مترابطة ، وهذه قدرة عجيبة منه ، تدل على ذهنية متوقدة ، اتجهت به الى مثل هذا الموضوع الفريد ، فطاف على مؤلفات كثيرة العدد ، مختلفة المشارب متشعبة الاقوال والمذاهب ، فحقق فيها ودقق ، حتى استبانت له وجوه الصواب ، فحشدها في كتاب واحد ، بعد ان زودها بما له من ثاقب رأي وصائب فكر(٢)

---

(١) الاتقان في علوم القرآن حـ ٢ ص ٢٢٧ .

(٢) صفحات من تاريخ مصر في عصر السيوطي ص ١٦٠ ،

والمصادر التي اعتمد عليها في تصنيفه هذا السفر القيم كثيرة وقد سردها في مقدمته ، مرتبة بحسب الفنون المتعلقة في التفسير ، فمنها مثلا البرهان في علوم القرآن للزركشي وتفسير ابن جرير الطبري ، وتفسير الحافظ عماد الدين بن كثير ، وفضائل القرآن لأبي عبيد ، والنشر والتقريب لابن الجزري ، ومفردات القرآن للراغب ، وغريب القرآن لابن قتيبة ، وشرح التسهيل والارتشاف لأبي حيان ، والمغنى لابن هشام ، واعراب القرآن لأبي البقاء ، والمحتسب والخصائص لابن جنى ، وأحكام القرآن لأبي بكر الرازى، وغير ذلك من الكتب التى لها علاقة بعلوم القرآن . (١)

وطبع الاتقان أكثر من طبعة (١) ، منها : في كلكتا سنة ١٢٧١ هـ ، ومصر ١٢٧٩ ، ١٢٨ ، ١٣١٨ .

بغية الوعاة :

يعد كتاب بغية الوعاة خلاصة كافية لموسوعة كبيرة في طبقات النحاة كان السيوطي قد وضع مسودتها ، فقد ذكر أنه كان يتشوق الى كتاب يجمع أخبار النحويين، لمزيد اختصاصه بهذا الفن، اذ هو أول فنونه ، فجال جولة واسعة بين الكتب التي عالجت تراجم النحاة ، أمثال : أخبار النحويين للسيرافي ، ومراتب النحويين لأبي

---

١ - الاتقان في علوم القرآن جـ ١ ص ٨ — ١٠

٢ — معجم المطبوعات العربية جـ ٦ ص ١٠٧٤

الطيب اللغوي ، وغير ذلك ، فوجدها كلها لا تشفي الغليل ، فعزم على جمع كتاب في طبقات النحاة ، جامع مستوعب لاخبارهم ، وكان ذلك سنة ٨٦٨ هـ (١) ، فطالع من أجل وضع هذا الكتاب ما ينيف على ثلاثمائة مجلد ، منها : تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ، وتاريخ حلب للكمال بن العديم ، وتاريخ علماء الاندلس لأبي الوليد بن الفرضى ، والصلة عليه لابن بشكوال ، والاحاطة في تاريخ غرناطة للسان الدين بن الخطيب ، وتاريخ مصر لأبي سعيد بن يونس ، وتاريخ مكه للحافظ تقي الدين الفاسي، والتاريخ الكبير للحافظ أبي عبد الله الذهبي ، والتاريخ الكبير للصلاح الصفدي والدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر ، وأمالي أبي علي القالى ، والكامل للمبرد . (٢)

فجمع كل ما تضمنته الكتب الكثيرة التي أطلع عليها من تراجم النحاة ، طالت أو قصرت خفيت أخبارهم أو اشتهرت ، وأورد من فوائدهم ومناظراتهم وأشعارهم ومروياتهم ما لم يجتمع في كتاب آخر، على حد قوله — بحيث بلغت المسودة سبعة مجلدات . (٣)

---

١ — بغية الوعاة جـ ١ ص ٣

٢ بغية الوعاة جـ ١ ص ٣ — ٥

٣ - بغية الوعاة جـ ١ ص ٣ـ٥

وقد عرض هذه المسودة على الحافظ نجم الدين بن فهد بمكة ، وذلك عندما حج سنة (٨٦٩ هـ) ، فأقترح عليه أن يلخص منها أخبار النحاة في مجلد واحد ، يحتوي على المهم من التراجم . فاستجاب السيوطي لهذا الاقتراح ، فلخص منها اللباب في مجلد (١)، وسماه : « بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة » .

وقد رتب السيوطي تراجم هذا الكتاب على حروف المعجم ، وابتدأ بالمحمدين فالأحمدين ، ثم سائر الحروف .

وبحث في آخره موضوعات كثيرة تتضمن فوائد جمة ، وجعلها في أبواب وفصول متفرقة ختم بها التراجم ، منها : باب في الكنى والألقاب والنسب والاضافات (٢) ، وفصل فيمن شهرته باسمين ، مضمومان كل منهما الى الآخر ، وباب المتفق والمفترق ، (٣) وباب المؤتلف والمختلف ، (٤) وفصل فيمن آخر اسمه (ويه) (٥) ، وفصل في الآباء والأبناء والاحفاد والأخوة والأقارب . (٦)

---

١ - بغية الوعاة جـ ١ ص ٤ — ٥
٢ — بغية الوعاة جـ ٢ ص ٣٦٧
٣ - بغية الوعاة جـ ٢ ص ٣٨٩
٤ — بغية الوعاة جـ ٢ ص ٣٩١
٥ — بغية الوعاة جـ ٢ ص ٣٩٣
٦ — بغية الوعاة جـ ٢ ص ٣٩٥

وامتاز كتاب بغية الوعاة عن بقية الكتب المؤلفة في طبقات النحاة بأنه : اشمل كتاب ألف في هذا الفن ، أتى فيه السيوطي على ما في الكتب السابقة ، وأضاف اليها ما فاتها من تراجم ، وضم اليه ما وقع له من أخبار شيوخه ومعاصريه ، وما تجمع لديه من ثمرات اسفاره العلميه ، واطلاعاته الواسعة ، وقد بلغت عدة التراجم التي جمعها فيه تسعا ومائتين والفين (١) ، وكثير منها تراجم موجزة في سطر أو سطرين .

وخطته فيه تختلف من نحوى لأخرى ، بحسب المعلومات المتوفرة لديه عن المترجم له ، لذلك تجده فى بعض الاحيان يكتفي بذكر اسم النحوى ومؤلفه الذي اشتهر به ، ولا يذكر عنه شيئا آخر ، فمثلا لما ترجم للنحوي « محمد بن محمد بن احمد بن تاج الدين الاسفراييني » ، قال عنه (٢) : « صاحب اللباب ، لم اقف له على ترجمة » .

أما اذا كانت المعلومات المتجمعة عنده كثيرة ، فانه يكتب عن النحوى المترجم له ترجمة وافية يضمنها نبذة من حياته ، وثقافته وشيوخه ، وتلامذته وكتبه ، وأخباره وشعره ان كان له شعر ، ويختم ذلك بذكر تاريخ وفاته ، والأمثلة على ذلك كثيره ، نذكر

---

١ — بغية الوعاه ج ٢ ص ٣٦٦

٢ — بغية الوعاة ج ١ ص ٢١٩

منها ترجمة كل من النحاة : بدر الدين ابن الامام جمال الدين بن مالك (١) ، وكمال الدين بن الهمام الحنفي (٢) ، وبهاء الدين بن النحاس وغيرهم (٣) .

ومما يزيد من اهمية كتاب البغية أنه ضم تراجم نحاة جميع العصور والاصقاع فهو مصدر هام لمن اراد ان يتتبع نحاة الأقاليم ، وخصوصا المغاربة والاندلسيين ، وقد ذكر عنهم السيوطي أنهم أهل اعتناء شديد بالنحو ، وان النحاة فيهم جم غفير (٤) .

وقد وصف السيوطي كتابه هذا فأحسن الوصف اذ قال : الطافح بكثرة جمعه على البحر العباب ، الجامع من كل شريدة وفريدة العجب العجاب ، الآنق من الروض الأرض اذا أرج زهره ، ... ، بنيت فيه للنحاة طبقات قواعدها على ممر الزمان لا تمسي ، وأحييت فيه ميتهم ، فلم اغادر شهيرا ، ولا خاملا الا نظمته في سلك عقدة البهى ، ... ولا أدعي أنه لم يفتني فيه فاضل أو علامة ، أنى لي ونجباء الدنيا لا تحصى ، واخبارهم شتى ، لا تستقصى .

---

١ — بغية الوعاة حـ ١ ص ٢٢٥
٢ — بغية الوعاة حـ ١ ص ١٦٦
٣ — بغية الوعاة حـ ١ ص ١٣
٤ — بغية الوعاة حـ ٢ ص ٤٢٨

ومما تجدر الاشارة اليه : ان للسيوطي ثلاث كتب في طبقات النحاة ، وهي : الطبقات الكبرى والوسطى والصغرى (١) .

اما « الكبرى » فمفقودة ، وقد أشار اليها في « البغية » في اكثر من موضع ، من ذلك قوله في ترجمة أبي القاسم الزجاجي (٢) : « أسندنا حديثه في الطبقات الكبرى ، وذكرنا فيها جملة من فوائده وفتاويه » .

وأما الوسطى فقد ذكر بروكلمان : انه توجد منها نسخة في باريس تحت رقم (٢١١٩) .

وأما الصغرى ، فهي (٣) : « بغية الوعاة » ، وقد طبع (٤) في مطبعة السعادة سنة ١٣٢٦ هـ ، وطبع أخيرا بتحقيق الاستاذ محمد أبي الفضل ابراهيم ، في مطبعة عيسى البابي الحلبي بالقاهرة سنة ١٩٦٥ ، في جزئين ، الأول في ٦٠٧ صفحة ، والثاني ٤٢٩ صفحة

---

١ — حسن المحاضرة جـ ١ ص ٣٤٤ ، وانظر كشف الظنون م ٢ ص ١١٠٧

٢ — بغية الوعاة جـ ٢ ص ٢٧٧ ، وانظر جـ ١ ص ٣٢ ، ص ٢٠٨ ، جـ ٢ ص ٢٢ ، ٢٥

٣ — كشف الظنون م ٢ ص ١١٧

٤ — معجم المطبوعات العربية م ١ ص١٠٧٦

والحق فيه فهارس اعلام وشعراء وأماكن .

٢ ـ تاريخ الخلفاء :

هذا كتاب جليل من كتب السيوطي ، واسمه الكامل « تاريخ الخلفاء امراء المؤمنين القائمين بأمر الله » ترجم فيه لجميع الخلفاء ، الذين تولوا الخلافة الاسلامية بعد النبي (صلى الله عليه وسلم) ، من لدن أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) ، الى اخر ايام الخليفة العباس بمصر المتوكل على الله عبد العزيز بن يعقوب (المتوفى سنة ٩٠٣ هـ) (١) .

وقد اعتمد السيوطي في تأليفه هذا الكتاب على تاريخ الذهبي ، وعلى تاريخ ابن كثير ، وعلى المسالك للمقريزي ، وعلى إنباء الغمر لابن حجر .

وطالع بسببه كتبا عدة منها تاريخ الخطيب البغدادي ، وتاريخ دمشق لابن عساكر ، والأوراق للصولي ، والحلية لأبي نعيم ، والمجالسة للدينوري ، والكامل للمبرد ، وأمالي ثعلب ، وغير ذلك (٢) .

---

١ ـ تاريخ الخلفاء ص ٥١٤

٢ ـ تاريخ الخلفاء ص ٥١٦/٥١٧

ولم يترجم في صلب الكتاب للخلفاء الفاطميين ، اعتقادا منه ان خلافتهم غير صحيحة ، وانهم ليسوا قريشيين وأورد لذلك حججا كثيرة في خطبة الكتاب ، منها : « أن أكثرهم زنادقة ، خارجون عن الاسلام ، ومنهم من اظهر سب الأنبياء ، ومنهم من أباح الخمر ، ومنهم من أمر بالسجود له ، والخير منهم رافضي خبيث لئيم يأمر بسب الصحابة رضي الله عنهم ، ومثل هؤلاء لا تعقد لهم بيعة ولا تصح لهم أمامة (١) .

ولم يترجم كذلك لخلفاء بني أمية في الاندلس في صلب كتابه ، ولكن طبعه التاريخي وحبة للأستطراد أبيا عليه الا أن يكتب عنهم وعن الفاطميين فصلين قصيرين في آخر الكتاب ، ضمنها سردا لأسماء من تولى الحكم منهم ، من غير أن يترجم لأحد منهم (٢) .

ويعد هذا الكتاب حلقة من سلسلة متكاملة ، قام بتأليفها

---

١ — تاريخ الخلفاء ص ٥

٢ — تاريخ الخلفاء ص ٥٢٢ ، وانظر ص ٥٢٤ ، وحصر سلاطين المماليك م ٤ ص ٢٨٦

السيوطي ، تناول فيها مختلف طبقات الناس ، من أنبياء ، وصحابة ومفسرين ، وحفاظ ، ونحاة ولغويين ، وأصوليين ، وأولياء وفرضيين وبيانيين ، وكتاب ، وخطاطين ، وشعراء العرب الذين يحتج بشعرهم (١) .

وخطته في هذا الكتاب أنه بدأ بالخلفاء على ترتيب زمانهم الأول فالأول وذكر في ترجمة كل منهم ما وقع في أيامه من المستغربة ، وما كان في ايامه من ائمة الدين وأعلام الأمة ،ووفيات الأعلام في زمن كل خليفة ، مع ذكر ما قيل فيهم من شعر ، وما قالوه هم أنفسهم من شعر ، وبث خلال ذلك استطرادات أدبية شائقة وتاريخية نافعة .

وكان السيوطي في كتابه هذا حريصا على اسناد كل ما ينقله فيه من أخبار وحوادث وذلك خروجا من عهدتها ، وقد نبه على ذلك في خطبة الكتاب ، فقال :

---

٢ — تاريخ الخلفاء ص ٣/٤ ، وأغلب هذه الكتب التي ألفها السيوطي في الطبقات مفقودة ، والموجود منها هو (طبقات المفسرين ، وطبقات الحفاظ ، وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاه) وكلها مطبوعة ، أنظر معجم المطبوعات العربية م ١ ص ١٠٨٢ وص ١٠٧٦

« وما أوردته من الوقائع الغريبة ، والحوادث العجيبة ، فهو ملخص من تاريخ الحافظ الذهبي ، والعهدة في امره عليه »(١) .

والكتاب في جملته عبارة عن مجموعة نقولات ، الا أنه يعد من أهم المراجع التي عالجت تاريخ الخلفاء وأصحها وأوفاها ، قال عنه حاجي خليفة في كشف الظنون : « هو أحسن ما صنف فيه » (٢) .

واورد السيوطي في كتابه هذا نبذا مستعذبة من منادمات الخلفاء ومجالس لهوهم ، وفيه من الأشعار والأخبار والنوادر ما يضفي عليه مسحة أدبية شيقة ، فهو اذن يعد مرجعا أدبيا مفيدا ، أضافة الى كونه مرجعا تاريخيا هاما .

وقد أثبت في آخر الكتاب قصيدة رائية طويلة ، عدة أبياتها مائة وستة عشر بيتا نظم فيها تاريخ الخلفاء ووفياتهم ، ونتفا قليلة من اخبارهم (٣) ، وهي تعد من الشعر القصص التاريخي ، وهي غير أرجوزته المسماة « تحفة الظرفاء بأسماء الخلفاء (١) .

---

١ — أرجوزة لامية ، مخطوطة في دار الكتب المصرية رقم (٤٧٦٥ تا) أنظر فهرس دار الكتب حـ ٨ ص ٢٠٤ ، وفهرس مكتبة الأزهر حـ ٥ ص ٣٩٢ وكشف الظنون م ١ ص ٢٩٣

١ — تاريخ الخلفاء ص ٦

٢ — كشف الظنون م ١ ص ٢٩٣

٣ — عصر سلاطين المماليك م ٤ ص ٢٨٧

وكتاب تاريخ الخلفاء طبع عدة مرات ، منها : في كلكتا بالهند سنة ١٨٥٦ م ولاهور سنة ١٨٧٠ م ، والقاهره سنة ١٣٠٥ هـ (٢) ، وآخرها طبعة بتحقيق الأستاذ محمد محي الدين عبد الحميد سنة ١٩٦٩ م ، وقامت بنشره المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة ، وهو يقع في ٥٢٧ صفحة ، ألحق به فهرس موضوعات الكتاب فقط .

٤ — حسن المحاضرة :

يعد هذا الكتاب من المراجع المهمة في دراسة تاريخ مصر ، لأن السيوطي ضمنه معلومات فائقة تتعلق بتاريخ مصر من أقدم العصور الى عصره ، وقد قال في مقدمته (٣) : « هذا كتاب سميته » : حسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة ، وأورد فيه فوائد سنية وغرائب مستعذبة مرضية ، تصلح لمسامرة الجليس ، وتكون للموحدة نعم الأنيس » .

وقد اعتمد في تأليف هذا الكتاب على مصادر كثيرة ذكر أهمها في مقدمته ، وهي ثمانية وعشرون كتابا . جلها من الكتب المؤلفة في أخبار مصر ، منها (١) : فتوح مصر لابن عبد الحكيم ،

---

١ — معجم المطبوعات العربيه م ١ ص ١٠٧٦/١٠٧٧

٢ — حسن المحاضرة جـ ١ ص ٣

٣ — حسن المحاضرة حـ ١ ض ٣ ـ ٤ ، وأنظر كشف الظنون م ١ ص ٦٦٧

وفضائل مصر لأبي عمر الكندي ، وتاريخ مصر لابن زولاق ، والخطط للمقريزي ، والاصابة في معرفة الصحابة لابن حجر، وطبقات الحفاظ للذهبي ، والطالع السعيد في أخبار الصعيد للادفوي ، وطبقات الشافعية للسبكي .

وقد بحث فيه موضوعات كثيرة بمختلف النواحي من تاريخ مصر ، فتناول في الجزء الأول منه : ما ورد عن مصر في القرآن والحديث وعند المؤلفين القدامى ، وتاريخ مصر منذ الخليقة ، وما بها من عجائب ، ثم ما كان من فتوح مصر ، وما أقامه المسلمون من منشآت ، ثم أشار الى من دخل مصر من الصحابة (رضي الله عنهم) وترجم لمن كان ، بمصر من مشاهير التابعين ، والائمة المجتهدين ، والمحدثين ، والفقهاء من مختلف المذاهب ، والقراء والصوفية ، والنحاة واللغويين ، والحكماء والاطباء والمنجمين ، والوعاظ والقصاص والمؤرخين والشعراء والادباء ، وذكر امراء مصر من حين فتحت الى أن ملكها الفاطميون وختمه بالامراء الفاطميين ، وهو يطلق عليهم بني عبيد .

وقد أدمج في هذا الجزء رسالة له ألفها فيمن دخل مصر من الصحابة ، اسمها : « در السحابة فيمن دخل مصر من الصحابة » (١) ضمنها ذكر اكثر من ثلاثمائة صحابي مرتبين على الحروف .

---

١ ـــ حسن المحاضرة ح ١ ص ١٦٦ ـــ ٣٥٤

أما الجزء الثاني فقد بحث فيه ذكر امراء مصر الايوبيين ، وسلاطين المماليك الأتراك والجراكسة الى زمن السلطان الملك الناصر أبي السعادات محمد بن قايتباي الذي تولى ملك مصر (سنة ٩٠١ هـ)

وتعرض في هذا الجزء الى انتقال الخلافة العباسية الى مصر ، وسرد اسماء الخلفاء العباسيين الى عصره ، مع نبذة موجزة من تراجمهم .

وعالج فيه كذلك ما كان للدولة المملوكية من نظم ورسوم وتقاليد ، ووصف معالم مصر في زمنه كالجوامع والمدارس وفيضان النيل ، وذكر قضاة مصر من مختلف المذاهب ، ووزراءها ، وكتاب السر ، والحوادث الغريبة الكائنة بمصر في ملة الاسلام من غلاء ووباء وزلازل ، والنيل وما قيل فيه من أشعار ، وما في مصر من الرياحين والأزهار ، والنباتات ، والخضروات والفواكه ، وما قيل في ذلك من آثار وأشعار .

وأورد في هذا الجزء عدة أراجيز منها : أرجوزة الجزار في الأمراء المصرية ، التي سماها (١) «العقود الدرية في الامراء المصرية» ضمنها ذكر امراء مصر من سيدنا عمرو بن العاص (رضي الله عنه) الى الملك الظاهر بيبرس ، وأرجوزة محمد بن دانيال الموصلي فيمن

---

١ - حسن المحاضرة جـ ٢ ص ٤٠ ـ ٤٤

ولي قضاء مصر من حين فتحت الى عهد البدر بن جماعـــة (٢) ، وقد ذيل عليها السيوطي الى عهد القاضي زكريا الأنصاري (٣) .

وتتمثل أهمية هذا الكتاب في انة تضمن تراجم لعدد كبير من مشاهير أهل مصر من مختلف طبقاتهـــم ، وفي مختلـــف العصور الأسلامية ، كما يضم مقتضيات موجزة عن خطط مصر وآثارها .

ومما يؤاخذ به السيوطي في هذا الكتـاب أنـه كان غير عميق الاستنباط وغير معلل للحوادث الا ما ندر ، وقد حوى كتابه كثيرا من الروايات الخرافية التي طافت في الكتب التاريخية القديمـــة ، كما جاءت كثير من التراجم فيه مختصره وغـير وافيـة ، على أن هذا كله لا يغض من قيمة الكتاب ، ولا يقلل من أهميته باعتباره من اهم مراجع تاريخ مصر وأعلامها (١) .

وطبع هذا الكتاب اكثر من مرة ، منها : طبعـــة حجر بمصر سنة ١٨٦٠ م ، وطبعة مطبعة الوطن سنة ١٢٩٩ هـ ، وطبعة السعادة سنة ١٣٢٤ (٢) ، ومطبعة دار احياء الكتب العربية بالقاهرة سنـة ١٩٦٧ م ، بتحقيق الاستاذ محمد أبي الفضل ابراهيم في جزئيين ،

---

٢ ـــ حسن المحاضرة ﺟ ٣ ص ١٧٥ ـ ١٨١

٣ ـــ حسن المحاضرة ﺟ ٢ ص ١٨١ ـ ١٨٣

١ ـــ عصر سلاطين المماليك ﺟ ٣ ص ٣٦٩ ، وانظر علم التاريـخ عند المسلمين ص ٢١٤

٢ ـــ معجم المطبوعات العربية والمصرية م ١ ص ١٠٧٨ ، وأنظـر الدليل البيلوجرافي للقيم الثقافية ص ٥١٤

الأول في (٦١٦) صفحة ، والثاني في (٤٥٤) صفحة ، والحق فيهما فهارس بالأعلام والاشعار والأماكن ، ومراجع التحقيق .

٥ - المزهر في علوم اللغة :

ان للسيوطي فضلا كبيرا على المكتبة العربية ، اذ اتحفها بجملة وافرة من المؤلفات في مختلف الفنون ، واذا كان قسم من كتبه قليل الجدوى ، وفيها عدد غير قليل من الرسائل الصغيرة ، وبحوث تتعلق بمسائل لا أهمية علمية لها ، الا انه مع ذلك فقد قدم لنا دراسات تعد في مقدمة البحوث التي وضعت على مر العصور ، ويأتي كتاب « المزهر في مقدمتها » وهو بحث مبتكر في علوم اللغة ابتكر فيه السيوطي تبويبه وترتيبه وأنواعه ، فقد قال في مقدمته : « هذا علم شريف ، ابتكرت ترتيبه ، واخترعت أنواعه وتبويبه ، وذلك في علوم اللغة وانواعها وشروط أدائها وسماعها ، حاكيت به علوم الحديث في التقاسيم والأنواع ، وأتيت فيه بعجائب وغرائب حسنة الابداع ، وقد كان كثير ممن تقدم يلمّ بأشياء من ذلك ويعني في بيانها بتمهيد المسالك، غير أن هذا المجموع لم يسبقني اليه سابق، ولا طرق سبيله قبلي طارق ، وقد سميته « المزهر في علوم اللغة » (١) .

---

١ — المزهر في علوم اللغة ج ١ ص ١

ويعد كتاب « المزهر » أول كتاب جامع (١) يتناول الكلام على اللغة ورواتها وفنونها ، وقد بناه السيوطي على خمسين نوعا وهي : (١) معرفة الصحيح الثابت (٢) معرفة ما روى من اللغة ولم يصح ولم يثبت (٣) معرفة المتواتر والآحاد (٤) معرفة المرسل والمنقطع (٥) معرفة الأفراد (٦) معرفة من تقبل روايته ومن ترد (٧) معرفة طرق الاخذ والتحمل (٨) معرفة المصنوع ، وهو الموضوع ويذكر في المدرج والمسروق .

(وهذه الانواع الثمانية راجعة الى اللغة من حيث الاسناد)

(٩) معرفة الفصيح (١٠) معرفة الضعيف والمنكر والمتروك من اللغات (١١) معرفة الرديء المذموم من اللغات (١٢) معرفة المطرد والشاذ (١٣) معرفة الحوشي والغرائب والشوارد والنوادر (١٤) معرفة المهمل والمستعمل (١٥) معرفة المفاريد (١٦) معرفة مختلف اللغة (١٧) معرفة تداخل اللغات (١٨) معرفة توافق اللغات (١٩) معرفة المعرب (٢٠) معرفة الألفاظ الاسلامية (٢١) معرفة المولد .

(هذه الأنواع الثلاثة عشر راجعة الى اللغة من حيث الألفاظ)

(٢٢) معرفة خصائص اللغة (٢٣) معرفة الاشتقاق (٢٤) معرفة الحقيقة والمجاز (٢٥) معرفة المشترك (٢٦) معرفة الأعداد (٢٧) معرفة المترادف (٢٨) معرفة الاتباع (٢٩) معرفة الخاص والعام (٣٠)

---

١ ــ الدليل الببليوغرافي للقيم الثقافية العربية ص ٢٧٢

معرفة المطلق والمقيد (٣١) معرفة المشجر (٣٢) معرفة الابدال (٣٣) معرفة القلب (٣٤) معرفة النحت .

(وهذه الأنواع الثلاثة عشر راجعة الى اللغة من حيث المعنى)

(٣٥) معرفة الأمثال (٣٦) معرفة الأباء والأمهات والأبناء والبنات والاخوة والاخوات والأذواء والذوات (٣٧) معرفة ما ورد بوجهين بحيث يؤمن فيه التصحيف (٣٨) معرفة ما ورد بوجهين بحيث اذا قرأه الألثغ لا يعاب (٣٩) معرفة الملاحم والألغاز وفتيا فقيه العرب

(وهذه الأنواع الخمسه راجعة الى اللغة من حيث لطائفها وملحها) .

(٤٠) معرفة الأشباه والنظائر .

(وهذا راجع الى حفظ اللغة وضبط مفاريدها) .

(٤١) معرفة آداب اللغة (٤٢) معرفة كتابة اللغة (٤٣) معرفة التصحيف والتحريف (٤٤) معرفة الطبقات والحفاظ والثقات والضعفاء (٤٥) معرفة الاسماء والكنى والألقاب والأنساب (٤٦) معرفة المؤتلف والمختلف (٤٧) معرفة المتفق والمفترق (٤٨) معرفة المواليد والوفيات .

(وهذه الأنواع الثمانية راجعة الى رجال اللغه ورواتها) .

(٤٩) معرفة الشعر والشعراء (٥٠) معرفة اغلاط العرب

وقبل ان يشرع السيوطي في الكلام على مباحث كتابه قدم له

بمقالة نقلها من كتاب « الصاحبي في فقه اللغة » لأحمد بن فارس ، والتي ورد فيها قوله (١) : « اعلم أن لعلم العرب أصلا وفرعا، أما الفرع فمعرفة الأسماء والصفات ، كقولنا : رجل وفرس ، وطويل وقصير ، وهذا هو الذي يبدأ به عند التعليم ،واما الأصل فالقول على وضع اللغة وأوليتها ومنشئها، ثم على رسوم العرب في مخاطباتها ، وما لها من الافتنان تحقيقا ومجازا .

والناس في ذلك رجلان رجل شغل بالفرع فلا يعرف غيره والآخر جمع الامرين معا وهذه هي الرتبة العليا ، لأن بها يعلم خطاب القرآن والسنة ، وعليها يعول أهل النظر والفتيا .

وسعى السيوطي خلال مباحث الكتاب الى أن يربط ربطا متيناً بين دراسة اللغة ودراسة الحديث ، وأن يعقد صلة وثيقة بين اللغويين والمحدثين ، وأن يجعل فن دراسة اللغة علماً يشبه الى حد بعيد علم الحديث ، فكثير من الأنواع التي أدرجها في كتابه انما هي مصطلحات حديثية استعارها من علم الحديث وطبق عليها الدراسات اللغوية مثل الصحيح والمتواتر والمرسل والمنقطع والموضوع والضعيف والمنكر والمدرج (١) .

---

١ — المزهر في علوم اللغة حـ ١ ص ٤ ـ ٦

١ — المزهر في علوم اللغة حـ ١ ص ٧ ، انظر ص ١١٣ وص ١١٤ وص ١٢٥

والمصادر التي اعتمد عليها في جمعه مباحث هذا الكتاب كثيرة وجلها كتب لغوية ، وفيها كتب نحو صـــرف وأدب وتفسير وحديث وفقه وأصول فقه ومصطلح حديث وتاريخ ، نذكر منها على سبيل المثال : إصلاح المنطق لابن السكيت ، وأمـالى القـــالى ، وديوان الأدب للفارابي ، وشرح التسهيل لأبي حيان ، وشــــرح المنهاج للتاج السبكي ، وصحاح اللغة للجوهري ، وفقه اللغة لابـن فارس ، وكتاب سيبويه ، ونظم الفرائد لابن مالـك والوصـول الى الأصول لأبي الفتح بن برهان .

وكتاب المزهر مبحث لغوي واسـع استطـاع السيوطي أن يقدم من خلاله دراسة مستفيضة عن قضايا لغوية كثيرة تتعلق بحد اللغة ، وواضعها ، وهل هي توقيفية أو اصطلاحية ومـدى الارتباط بين المعاني وألفاظها ، والقياس في اللغة وذكر أن اللغـة لا تثبت قياساً ، ولا يجري القياس فيها وتعرض كذلـك الى خصائـــص العربية واختلاف لغاتها ، وعدة ابنيتها وطرائفهـــا ورواتهـــا وحملتها ، وأولية الشعر ومشاهير الشعراء ، وأغلاطهم وأغلاط الرواة.

وتعرض فيه أيضا الى الكتب التي ألفت في اللغة وبحثها بحثـا تاريخيا (١) فذكر ان أول من ألف فيها الخليل بن احمد الفراهيدي وذلك في كتابه « العين » ونقل لنا آراء العلماء فيه وفي نسبته الى الخليل ، ثم تعرض للكتب التي ألفت بعد العين وما وضع عليه من

---

١ — المزهر في علوم اللغة ج ١ ص ٧٧

مستدركات ومختصرات ، وما نسج على منواله ، وعد كتاب الجمهرة لأبي بكر بن دريد من مشاهير الكتب التي وضعت على منوال العين (٢) .

وذكر أن غالب الكتب التي ألفت بعد العين لم يلتزم بها مؤلفوها الصحيح ، بل جمعوا فيها ما صح وغيره ، وان أول من التزم بالصحيح مقتصرا عليه هو الجوهري ، ولهذا سمى كتابه « الصحاح » فهو في كتب اللغة نظير صحيح البخاري في كتب الحديث (٣) .

وتتضح أهمية كتاب « المزهر » في أنه موسوعة لغوية هامة ضمت آراء صفوة علماء اللغة في مختلف العصور ، وهو يمثل خلاصة وافية للمراجع القيمة التي ألفت في هذا الفن وقد ضمنه المباديء الأساسية التي قامت عليها الدراسات اللغوية من ايام الخليل وسيبويه الى عصر المصنف .

واضافة الى ذلك فان كتاب « المزهر » يعد معجما لغويا حشد فيه السيوطي مفردات لا تحصى تتعلق بأبواب خاصة مثل الألفاظ المعربه والألفاظ التى استحدثت في الاسلام والاسماء الخاصة بخلق الانسان وأيمان العرب ، وأبنية الأسماء ، والألفاظ المتضادة ،

---

٢ — المزهر في علوم اللغة حـ ١ ص ٩٢

٣ — المزهر في علوم اللغة حـ ١ ص ٩٨ وص ١٠١

والأسماء المشتركة والمترادفات ، نحو اسماء العسل واسماء الأسد وأسماء السيف ، وما في الفرس من اسماء الطير (١) .

وهذا الكتاب دليل على همة مؤلفه وصبره على البحث والتتبع مع الامانة في النقل فقد كان يعزو كل رأي يذكره فيه الى قائله وهو يعد ذلك من شكر العلم (٢) .

وقد طبع « المزهر » عدة طبعات أولاها طبعة المطبعة الاميريه ١٢٨٢ هـ وآخرها طبعة دار احياء الكتب العربية سنة ١٣٦٤ هـ بتحقيق الاساتذة محمد احمد جاد المولى وعلي محمد البجاوي ومحمد أبي الفضل ابراهيم (١) .

---

١ — المزهر في علوم اللغة جـ ١ ص ٣٦٩ وانظر ص ٣٨٧ وص ٤٠٢ وجـ ٢ ص ٤

٢ — صفحات من تاريخ مصر في عصر السيوطي ص ١١٩ وانظر المزهر جـ ٢ ص ٣١٩

١ — معجم المطبوعات العربية جـ ١ ص ١٠٨٤ وانظر الدليل البيبليوغرافي للقيم الثقافية العربية ص ٢٧٢

الباب الثاني

في الاصول

الفصل الأول : الاقتراح في علم أصول النحو وجدله

الفصل الثاني : الأشباه والنظائر في النحو

الفصل الأول

الاقتراح في علم أصول النحو

وجدله

١ ـ علم أصول النحو
٢ ـ مصادر كتاب الاقتراح
٣ ـ مواد الكتاب
٤ ـ السماع
٥ ـ الاجماع
٦ ـ القياس
٧ ـ الاستصحاب
٨ ـ قيمة الكتاب

والقواعد العامة التي ضمها كتاب الفراء لا ترقى بأي حال من الأحوال الى مصاف القواعد التي ضمها كتاب سيبويه بله أن تفوقها وتسبقها كما زعم بعض الباحثين المعاصرين (١) حيث قرر أن الفراء وحده هو الذي وضع أصول النحو ونفى ان يكون للخليل أو سيبويه نصيب ذو بال في وضع الأصول النحوية ، وكأن هذا الباحث - سامحه الله - قد نسي او تناسى ان الفراء وسائر الكوفيين المتقدمين والمتأخرين قد اعتمد على كتاب سيبويه واتخذوه مصدرا من مصادر بحوثهم ، (٢) وان الفراء نفسه كان لا يفارقه الكتاب ، قال ابو عمر الزاهد الملقب بغلام ثعلب ، وهو من متأخري الكوفيين : « ان ثعلبا قال : مات الفراء وتحت رأسه كتاب سيبويه » (٣) ويروى ان الجاحظ أهدى الى محمد بن عبد الملك الزيات نسخة من كتاب سيبويه ، كان قد اشتراها من ميراث الفراء ، وهي بخط الفراء ومقابلة الكسائي (٤) .

---

١ — ابو زكريا الفراء ومذهبه في النحو واللغة ص ٢٣٥ ، وانظر (أبو علي الفارسي) ص ٦٦٨ .

٢ — مدرسة الكوفة ص ٦٩

٣ — معجم الادباء ج ١٦ ص ٨٥ ، وانظر طبقات النحويين المزبيدي ص ٧٣ ، ومراتب النحويين ص ٨٧ وبغية الوعاة ج ١ ص ٢٣٣

٤ — انباء الرواة ج ٢ ص ١٥١ ، وانظر تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج ٢ ص ١٩٦

والكتب النحوية التي اعقبت كتاب سيبويه كلها نهجت نهجه فكانت تضم الى جانب البحوث الفرعية مباحث اصولية كثيرة ، ولم تظهر كتب خاصة بأصول النحو طيلة القرن الثالث الهجري بل حتى منتصف القرن الرابع ، اما كتاب (الأصول) لابن السراج المتوفى سنة ٣١٦ هـ ، والذي ظن كثير من الباحثين المعاصرين أنه كتاب (أصول) حتى نسبوا لمؤلفه أنه هو أول من وضع كتابا خاصا بأصول النحو (١) ، فهو في الحقيقة ليس كتاب أصول ، وانما هو كتاب نحو عام ضم فيما ضم قواعد نحوية أصولية كثيرة مبثوثة في ثنايا الكتاب بجانب المسائل النحوية والصرفيه الكثيرة التي هي ام الكتاب وأساسه الذي انعقد عليه وضم أيضا فصولا كثيرة تتعلق بمسائل التمارين النحوية من باب الاخبار بالذي وفروعه .

ومادة كتاب ابن السراج لا تختلف بأي حال من الأحوال عن مادة كتاب سيبويه وقد تنبه للذين ترجموا له لهذا الأمر فنصوا على أنه انتزع كتابه (الأصول) من « ابواب كتاب سيبويه » وانه ادخل فيه لفظ التقاسيم « فأما المعنى فهو كله من كتاب سيبويه » على ما قسمه ورتبه ، الا انه عوّل فيه على « مسائل الاخفش » ومذاهب الكوفيين ، وخالف اصول البصريين في ابواب كثيرة (٢) .

---

١ — انظر مقدمة كتاب سر صناعة الاعراب ص ٦ ، وابو علي الفارسي ص ٢٦٨ ، ٢٦٩ حـ ٢ ص ١٩٦

٢ — انباه الرواة حـ ٣ صـ ١٤٩ ، وانظر نزهة الالباء ص ٦١

(١)

علم أصول النحو

ان المتتبع للدراسات الأصولية في النحو يلمح أنها قـد بدأت بداية بسيطة ، وهذه هي سنة النشوء ، فكل شيء يبدأ بسيطا ثم ينمو ويتكامل حتى ينضج (١) ، وهكذا كانت نشأة علم أصول النحو ، فقد بدأت خطواته الأولى ببداية الدراسات النحوية ممتزجة بها غير منفصلة عنها ، فقد كان النحاة الأوائل يتناولون قواعد النحو وأصوله العامة خلال دراساتهم الفرعية والجزئية للنحو ، فهذا كتاب سيبويه الذي يعد أقدم نص نحوي وصل الينا حوى جملة ضخمة من القواعد الأصولية وردت منشورة في مباحثه المختلفة ونـدر أن يخلو باب من ابوابه من قاعدة أصولية ، أو أكثر ، والأمثلة على ذلك كثيرة ، نذكر منها هذه القواعد العامة ، وهي : « ليس كل شيء يكثر في كلامهم يغير عن الأصل ، لأنه ليس بالقياس عندهم فكرهوا ترك الاصل (٢) « و » وما يشبه بالشيء في كلامهم وليس مثله في جميع احواله كثير . (٣) « استعمل من هـذا ما استعملت

---

١ — اتمام الدراية ص ٢٣

٢ — الكتاب جـ ١ ص ٣١٨

٣ — الكتاب حـ ١ ص ١٩٨

العرب وأجز منه ما أجازوا (١) وأجر الاشيـاء كمـا أجروها (٢) « و » قد يشذ الشيء في كلامهم عن نظائره ، ويستخف في موضع لا يستخفونه في غيره (٣) . « و » ليس شيء مما يضطرون اليـه الا وهم يحاولون به وجها (٤) وغير ذلك من القواعد الأصولية الـــتي يزخر بها الكتاب .

وربما كان كتاب « معاني القرآن » للفراء من اشهـــر الكتب التي عنت بالأصول العامة بعد كتاب سيبويه ، فقد ضم في ثنايـا فصوله عددا وافرا من القواعد الأصولية ، نحو قوله : « من شأن العرب الايجاز وتقليل الكثير اذا عرف معناه (٥) و « لكل لغـــة مذهب في العربية » (٦) و « انما يحسن الاضمار في الكلام الـذي يجتمع ويدل أوله على آخره » (٧) .

---

١ ــ الكتاب جـ ١ ص ٢٠٦

٢ ــ الكتاب حـ ١ ص ٢٠٨

٣ ــ الكتاب حـ ١ ص ١٠٧

٤ ــ الكتاب حـ ١ ص ١٣

٥ ــ معاني القرآن حـ ١ ص ٢

٦ ــ معاني القرآن حـ ١ ص ٥

٧ ــ معاني القرآن حـ ١ ص ١٣

والذي يطلع على كتاب ابن السراج ويديم النظر فيه ويقارن ابوابه ومحتوياته بأبواب سيبويه يتيقن ان ما قاله القدامى فيه انما عين الحقيقة والصواب فان كثيرا مما فيه من ابواب وآراء وشواهد وامثلة وتعابير منتزعة من كتاب سيبويه انتزاعا ومرتبة ترتيبا حسنا اضفى عليها شيئا من الجده والابتكار .

وابن السراج نفسه لم يزعم انه سبق غيره في وضعه كتاب (الاصول) فقد روى ابو الحسن علي بن عيسى الرماني (١) انه جرى بحضرة ابن السراج ذكر كتابه في الاصول النحوية الذي صنفه ، فقال قائل هو احسن من كتاب (المقتضب) للمبرد (٢) ، فقال ابو بكر بن السراج : لا تقل هذا ، فانما استفدنا ما استفدناه من صاحب المقتضب ، وانشد :

ولكن بكت قبلي فهيج لى البكا
بكاها فقلت : الفضل للمتقدم (٣) .

---

١ ـ ابو الحسن على بن عيسى الرمانى المتوفى سنة ٣٨٤ هـ شارح كتاب سيبويه

٢ ـ المبرد : هو النحوي الشهير ابو العباس محمد بن يزيد المبرد المتوفى سنة ٢٨٥ هـ

٣ ـ انباه الرواه حـ ٣ ص ١٤٩

وقد بدأ ابن السراج كتابه (الاصول) بخطبة وجيزة بين فيها معنى النحو واقسام علل النحويين وغرضه من كتابه هذا (١) ، وبعد ان انهى الخطبة شرع في ذكر ابواب الكتاب ، وبدأها بالحديث عن اجزاء الكلام فقال : « الكلام يتألف من ثلاثة اشياء : اسم وفعل وحرف » واعقب ذلك بشرح كل قسم من هذه الاقسام فقال : « شرح الاسم ما دل على معنى مفرد ، وذلك المعنى يكون شخصا وغير شخص ، فالشخص نحو : رجل ، وفرس ، وحجر ، وبلد ، وعمر ، وبكر ، واما ما كان غير شخص فنحو : الضرب ، والاول ، والظن ، والعلم واليوم » (٢) .

وبعد ان انهى القول في اقسام الكلام اخذ يشرح بقية ابواب الكتاب ، واليك سردا لتراجم الابواب الاولى منه ، وهي : « باب مواقع الحروف » و « باب ذكر ما يدخله التغيير في هذه الثلاثة » و « باب ذكر العوامل من الكلم الثلاث : الاسم والفعل والحرف » (٣) .

ويتضح مما ذكرناه عن كتاب ابن السراج ، ومن ابوابه التي

---

١ ـ الاصول لابن السراج لوحة رقم ١

٢ ـ الاصول لابن السراج لوحه رقم ١

٣ ـ اصول ابن السراج الجزء الاول ص ١ ـ ١٠

أوردناها انه لم يكن كتابا خاصا بالاصول بل هو كتاب نحو لا يختلف عن سائر الكتب النحوية ، وبخاصة كتاب سيبويه ، وكتاب المقتضب للمبرد .

واذا ما جاوزنا ابن السراج وكتابه وانتقلنا الى النصف الثاني من القرن الرابع فاننا سنجد انفسنا امام اول محاولة لوضع كتاب خاص بأصول النحو ، والذي قام بهذه المحاولة هو النحوي الشهير ابو الفتح عثمان بن جني المتوفى سنة ٣٩٢ هـ (١) ، وذلك بوضعه كتابه القيم (الخصائص) .

لقد تنبه ابن جني الى ضرورة ان يكون للنحاة كتب في الأصول تناظر كتب أصول الكلام والفقه (٢) ، وشعر ان النحاة السابقين من بصريين وكوفيين لم يعنوا بمثل هذه الدراسات فعقد العزم على أن يضع كتابا يعالج فيه المباحث الأصولية في النحو على مذهب أصول الكلام والفقه ، فوضع كتابه الخصائص الذي جاء زاخرا بالقواعد والاصول ، وخاصة فيما يتعلق بالقياس والعلة والمبادىء العامة للعربية .

---

١ ـ انظر ترجمة ابن جني في نزهة الالباء ص ٢٢٠ ـ ٢٢٢ ، وانباه الرواة حـ ٢ ص ٣٣٥ ـ ٣٤٠

٢ ـ الخصائص حـ ١ ص ٢ وانظر المدارس النحوية ص ٢٦٨

ويبدو ان ابن جني هو اول من نص على الصلة الوثيقة بين علل النحويين وعلل المتفقهين فذكر ان النحويين قد انتزعوا عللهم (١) من كتب محمد بن الحسن الشيباني المتوفى سنة ١٨٩ ، (٢)وهو أيضا اول من عقد الصلة بين علل النحويين - واعني بذلك حذاقهم المتقنين لا ألفافهم المستضعفين - اقرب الى علل المتكلمين منها الى علل المتفقهين ، وذلك انهم انما يحيلون على الحس ويحتجون فيه بثقل الحال او خفتها على النفس ، وليس كذلك حديث علل الفقه (٣) وقال في موضع آخر : « لسنا ندعي ان علل اهل العربية في سمت العلل الكلامية البتة ، بل ندعي انها اقرب اليها من العلل الفقهية » (٤) .

والبحوث الاصولية التي وردت في الخصائص كثيرة ، وغالب ابوابه عبارة عن قواعد عامة عالج المصنف ضمنها كثيرا من الجزئيات النحوية ، ولعل أشد الابواب التصاقا بمباحث اصول النحو هي تلك

---

١ - الخصائص حـ ١ ص ١٦٣ وانظر الاقتراح ص ٥١

٢ - محمد بن الحسن الشيباني المتوفى سنة ١٨٩ هـ هو صاحب الامام ابي حنيفة ، مات هو والكسائي في يوم واحد .

٣ - الخصائص حـ ص ٤٨ ، وانظر المدارس النحوية ص ٢٦٧

٤ - الخصائص حـ ١ ص ٥٣ ، وانظر الاقتراح ص ٥٠

الابواب التي تناول فيها ابن جني موضوعات العلة والقياس، والسماع والدور ، والتسلسل والاستحسان ، والاجماع ، وتركيب اللغات ، وتدريج اللغة ، وحمل الشيء على الشيء ، والحمل على احسن القبيحين ، وتعارض السماع والقياس، وتركيب المذاهب ، واختلاف اللغات وكلها حجه ، وخلع الادلة ، وشجاعة العربية ، وغير ذلك من الابواب .

ويغلب على بحوث الخصائص الجدة والابتكار ، فكثير من موضوعاته التي وردت فيه ربما لا يعثر عليها الباحث في غير هذا الكتاب ، وان عثر على شيء من ذلك فلا تتعدى ان تكون اشارات طفيفة خاطفة لا تشفي غليلا ولا تنقع ظمأ .

واظنني لا اغلوا اذا ما قلت: مامن احد من الباحثين القدامى او المحدثين عرض لقواعد العربية واصولها العامة بمثل الاسلوب الذي تناولها فيه ابن جني ، وذلك لان القدرات التي اجتمعت بابن جني قل نظيرها في غيره فهو رجل منطق وكلام ويملك قدرة على الاستنباط والتعليل والمقايسة بعيده التصور ، ويمتاز الى جانب ذلك بحافظة قوية جعلت فكره يختزن ثروة لغويه ضخمه تتمثل بتلك الشواهد القرآنية والحديثيه والشعريه والامثال والروايات التي امتلأ بها كتابه ، اضف الى هذا وذاك ان العربية وعللها وقياساتها واسرارها كانت همه وسدمه ، وخير شاهد على هذا الانشغال صحبته

لشيخه ابي علي الفارسي في حله وترحاله مدة اربعين سنة (١) ، وليس له في ذلك ارب سوى تلقف قياساته وتعاليله ومدارسة العربية معه . وقد كانت هذه الصحبة الطويلة سببا هاما في عناية ابن جني بالمباحث الاصولية ، لان ابا علي كان رجل مقايسة وتعليل واعتناء بالاصول العامة ، وكان ابن جني شديد الاعجاب بشيخه وتعليلاته حتى قال عنه في الخصائص : « احسب ان ابا علي قد خطر له وانتزع من علل هذا العلم ثلث ما وقع لجميع اصحابنا » (٢) ونقل عنه انه كان يقول : « اخطيء في خمسين مسألة في اللغه ولااخطيء في واحدة من القياس » (٣) وقوله ابي علي هذه تركت صدى قويا في نفس ابن جني فجعلته يقول كلمته المشهورة : « مسألة واحدة من القياس انبل وانبه من كتاب لغة عند عيون الناس » (٤) .

وعلى الرغم من ان كتاب الخصائص يعد اوسع واشمل كتاب في العربيه تناول قوانين القياس والعله والاصول النحويه والقواعد

---

١ ـ بغيه الوعاة حـ٢ ص ١٣٢، وانظر المدارس النحويه ص٢٦٥ـ٢٦٦

٢ ـ الخصائص حـ ١ ص ٢٠٨

٣ ـ الخصائص حـ ٢ ص ٨٨ ، وانظر نزهه الالباء ص ٢١٠

٤ ـ الخصائص جـ ٢ ص ٨٨

العامة الا انه مع ذلك لايعد مجرد كتاب فى أصول النحو وذلك لأن ابن جني قد تناول فيه الدراسات العربية كافة من نحو ولغة وصرف وقياس وتعليل وأصول ، كما تناول فيه اسرار العربية وخصائصها كصدق الرواة والنقلة وانتقال العربي من لغة الى اخرى ، وغير ذلك من الموضوعات التى تتعلق بدراسة كثير من الظواهر اللغوية ، وقد صرح ابن جني نفسه فى الخصائص بانه لم يضع كتابه هذا لاغراض نحوية فقط وانما وضعه لاغراض كثيرة متداخلة ، فهو : « ليس مبنيا على وجوه الاعراب وانما هو مقام القول على اوائل أصول هذا الكلام وكيف بديء ، والام نحى ، وهو كتاب يتساهم ذوو النظر من المتكلمين والفقهاء والمتفلسفين والنحاة والكتاب والمتأدبين التأمل له والبحث عن مستودعه فقد وجب أن يخاطب كل انسان منهم بما يعتاده ويأنس به ليكون له سهم منه وحصة فيه (١) .

ولم يظهر بعد كتاب (الخصائص) مؤلف تناول اصول النحو حتى برز ابن الانباري المتوفى سنة ٥٧٧ هـ ، فنشر كتابه (لمع الادلة فى علم اصول النحو) ليتناول فيه هذا الفن من البحث النحوي فى هيئة (علم) جديد متميز عن بقية علوم العربية ، له حدوده وأدلته ومسائله ، وكان ابن الانباري بوضعه هذا الكتاب أول من جرد مصنفا خاصا بعلم (اصول النحو) .

وكلامي الاخير لا يعني ان عمل ابن الانباري في (لمع الادلة) ارجح او اجدى من عمل ابن جني في (الخصائص) اذ لا مجال للمقارنة بين الكتابين ، واني لاعتقد انه لم يؤلف كتاب في علم العربية بعد (كتاب) سيبويه يضاهي (الخصائص). وانما اقصد ان ابن الانباري في كتابه (لمع الادلة) قد جعل (اصول النحو) فنا تأليفيا منفصلا عن بقية فنون العربية بينما بحثه ابن جني في (الخصائص) متداخلا مع غيره من البحوث النحوية والصرفيه واللغويه .

وقد صرح ابن الانباري في (نزهه الالباء) بانه هو الذي ابتكر فن (اصول النحو) ، وانه هو الذي اضافه الى علوم العربيه ، حيث قال : « ان علوم الادب ثمانيه : النحو ، واللغه ، والتصريف والعروض ، والقوافي ، وصنعة الشعر ، واخبار العرب ، وانسابهم ، والحقنا بالعلوم الثمانيه علمين وضعناهما ، وهما : علم الجدل في النحو ، وعلم اصول النحو(1) .

وكتاب (لمع الادله) مؤلف موجز ، وقد بناه مصنفه على ثلاثين فصلا ، بحث فيها كل ما يتعلق بعلم الاصول ، مثل : اصول النحو ومعناه ، وفائدته ، واقسام الادله النحويه ، والنقل واقسامه ، والعله ، والاستدلال ، والاستحسان ، واستصحاب الحال وما الى ذلك من انواع البحوث الاصوليه ، وقد تناول ذلك كله

1 ـ نزهه الالباء ص ٦١ ، وانظر الاقتراح ص ٣

على طريقة الاصوليين من اهل الفقه والحديث ، فجاءت تعـابيره ومصطلحاته مماثله لتعابيرهم والفاظهم ، والامثله على ذلك كثيرة ، فمثلا لما عرض لانواع النقل قال : « اعلم ان النقل ينقسم الى قسمين : تواتر ، وآحاد .

فاما التواتر فلغة القرآن وما تواتر من السنة وكلام العرب وهذا القسم دليل قطعي من ادلة النحو يفيد العلم .. وأما الآحاد فما تفرد بنقله بعض أهل اللغة ، ولم يوجد فيه شرط التواتر ، وهو دليل مأخوذ به ، (١) ولما عرض لمعنى المرسل والمجهول في رواية اللغة قال : اعلم ان المرسل هو الذي انقطع سنده نحو ان يروى ابن دريد عن ابي زيد ، والمجهول هو الذي لم يعرف ناقله ، نحو ان يقول ابو بكر بن الانباري حدثني رجل عن ابـن الاعرابي ، وكل واحد من المرسل والمجهول غير مقبول ، لان العدالة شرط في

---

١ ـ لمع الادلة ص ٨٤ ، وانظر الاقتراح ص ٣٤ ، لقد لخـص السيوطي هذا الموضوع وأورده في الاقتراح ، ونقلـه برمته في المزهر ح ١ ص ١١٣/١١٤ ، وزاد على ما كتبه ابـن الانبارى بأن ذكر أمثلة للتواتر وعقد فصلا لمعرفة الآحاد (الافراد) ومثل لذلك بطائفه كبيرة من الالفاظ ، انظر المزهر ح١ ص١٢٠، ص ١٢٩ ، وبحث ابن جني طرفا من هذا الموضوع تحت : (باب فيما يرد عن العربي مخالفا لمـا عليه الجمهور) أنظر الخصائص ح ١ ص ٣٨٥

قبول النقل ، والجهل بالناقل وانقطاع سند الناقل يوجبان الجهل بالعدالة (١) .

ولا بد لنا من ان نعرض لكتاب ابن الانباري الذي وضعه في جدل الاعراب ، وسماه (الاعراب في جدل الاعراب) لانه وثيق العلاقة بأصول النحو ، فقد تناول بحوثا أصولية كثيرة مثل : الاستدلال ، والنقل ، والقياس ، والادلة ، واستصحاب الحال ، وغير ذلك في موضوعات علم أصول النحو .

وكتاب (الاغراب) عبارة عن مزيج من الدراسات النحوية والكلامية والفقهية ، فقد ترددت فيه عبارات هذه الفنون جميعها ، والامثلة على ذلك كثيرة نذكر منها ما اورده عند كلامه عن الاستدلال ، حيث قال : « اعلم ان الاستدلال طلب الدليل ، كما ان الاستفهام طلب الفهم ، والاستعلام طلب العلم ... والدليل عبارة عن معلوم يتوصل بصحيح النظر فيه الى علم ما لا يعلم في مستقر العاده اضرارا » ثم قال : وأدله صناعه الآعراب ثلاثه : نقل ، وقياس ، واستصحاب حال ، فاما النقل : فالكلام العربي الفصيح المنقول النقل الصحيح الخارج عن حد القلة الى حد الكثره واما القياس : فهو حمل غير المنقول على المنقول اذا كان في معناه... واما استصحاب الحال فابقاء اللفظ على ما يستحقه في الاصل عند عدم دليل النقل عن الاصل كقولك في فعل الامر : انما كان مبنيا لان ألاصل في الافعال البناء ، وان ما يعرب منها لشبه الاسم ، ولا

---

١ ـ لمع الادله ص ٩٠ ـ ٩١

دليل يدل على وجود الشبه فكان باقيا على الأصل في البناء (١) .

واعتقد ان ابن الانباري قد افاد من كتاب (الخصائص) افاده عظيمه ، فهناك تشابه واضح بين مباحث (لمع الادلة) وكثير من مباحث كتاب (الخصائص) ، خاصة الموضوعات المتعلقه بالسماع والقياس والعله ، وان كان ابن الانباري لم يصرح بانه نقل عن ابن جني او اخذ منه شيئا .

واذا ما تركنا ابن الانباري وكتبه فاننا لا نجد احدا من النحاه قد عنى بالمباحث الاصولية العامة الى ان نبغ ابن هشام المتوفى سنة ٧٦١ هـ فاتحف المكتبه العربيه بكتابه الشهير (مغني اللبيب) الذي تناول في الجزء الثاني منه جملة كبيرة من القواعد العامة ، وخاصة الباب الثامن من الكتاب الذي خصصه لامور كلية يتخرج عليها ما لا ينحصر من الصور الجزئية (٢) ، وادرج ضمن ذلك كثيرا من قواعد العربية العامة ، نذكر منها هذه القواعد : « قد يعطي الشيء حكم ما اشبهه في معناه أو في لفظه او فيهما » . (٣) و « ان الشيء يعطى حكم الشيء اذا جاوره » (٤) و « انهم

---

١ ـ الاغراب في جدل الاعراب ص ٤٥ ٤٦

٢ ـ مغني اللبيب حـ ٢ ص ٧٥١ ـ ٧٨١

٣ ـ مغني اللبيب حـ ٢ ص ٧٥١

٤ ـ مغني اللبيب حـ ٢ ص ٧٣٠

يغلبون على الشيء ما لغيره لتناسب بينهما ان اختلاط » (١) و كثيرا ما يغتفر في الثواني ما لا يغتفر في الاوائل » ، (٢) وغير ذلك من القواعد العامة .

ولما ظهر السيوطي في النصف الثاني من القرن التاسع الهجري دفعته رغبته في التأليف الى وضع مؤلف في أصول النحو فوضع كتابه (الاقتراح) وزعم في مقدمته انه هو الذي ابتكر هذا الفن من التأليف ، وانه هو اول من جرد مؤلفا خاصا في أصول النحو واليك نص مقالته : « هذا كتاب غريب الوضع ، عجيب الصنع ، لطيف المعنى ، طريف المبنى ، لم تسمح قريحه بمثاله ، ولم ينسج ناسج على منواله ، في علم لم اسبق الى ترتيبه ، ولم اتقدم الى تهذيبه ، وهو أصول النحو ، الذي هو بالنسبة الى النحو كأصول الفقه بالنسبه الى الفقه ، وان وقع في متفرقات كلام بعض المؤلفين وتشتت في اثناء كتب المصنفين » (٣) .

ويظهر ان السيوطي قد ألف كتابه (الاقتراح) قبل ان يطلع على كتابي ابن الانباري (لمع الادله) و (الاغراب في الجدل الاعراب) (٤) لذلك زعم في مقدمته انه هو اول من الف كتابا

---

١ ـ مغني اللبيب حـ ٢ ص ٧٦٤
٢ ـ مغني اللبيب حـ ٢ ص ٧٧٢
٣ ـ الاقتراح ص ٢
٤ ـ الاقتراح ص ٢ ـ ٣

في هذ الفن ، وربما جره الى ذلك أنه كان نزاعا للفخر والمباهاة، فترك مقدمة كتابه على ما كانت عليه قبل ان يطلع على كتابي ابن الانباري ، مع نصه على انه افاد من الكتابين وانه ضم كثيرا من ابوابهما الى كتابه ، (١) وكان لا ينقل منهما شيئا الا معزوا اليهما على ما سنبينه بالتفصيل عند كلامنا على مصادر كتاب (الاقتراح) في المبحث القادم .

(٢)

مصادر كتاب الاقتراح

لا بد لاي مصنف يريد ان يضع كتابا يستوفي فيه مباحث فنه من ان يرجع الى المصنفات التي وضعت في ذلك الفن ، ليستفيد منها ، لذا حرص المصنفون في كل عصر على ان يستعين اللاحق منهم بجهد السابق ، فجاءت مصنفاتهم حلقات مترابطة ، يكمل كل منها ما سبقه . فقد حاول جميع المصنفين على مر العصور ان يستقوا من سابقيهم ما يرونه مفيدا ، ويضيفوا له ما أبدعه فكرهم وجادت به قرائحهم .

ويمثل السيوطي الذروة السابقة في الاعتماد على جهود السالفين من المنصفين ، فقد دأب على ان يتتبع مصنفات من سلفه ، ليلتقط

---

١ ـ الاقتراح ص ٤

منها ما يراه نافعا ومنسجما مع خطة بحثه التي يروم انتهاجها ، ومن ثم امتازت مؤلفاته بميزتين بارزتين ، الاولى : التعويل على النقل ، والثانية : الاستيعاب .

ويعد كتاب « الاقتراح » من خيرة النماذج التي تمثل هـــذا المسلك الذي اقتفاه المصنف في تصنيفه كتبه ، ولا اظنني مغاليـــا اذا ما قلت : ان هذا الكتاب على ضآلة حجمه ، كان خلاصة وافية لجميع الكتب والمراجع التي صنفت في « عـــلم اصول النحو » او عالجت فنونه ، منذ نشأة النحو الى عصر المؤلف .

لقد حرص - رحمه الله - على جمع النصوص التي عالجت « علم أصول النحو » والتي وقعت في متفرقات الكتب النحوية ، وضمن تلك النصوص كتابه « الاقتراح » .

وكان اعتماده على المصادر التي نقل منها متفاوتا ، ويرتبط هذا التفاوت بمدى اعتناء تلك المصادر بفن « أصول النحو » لذلك جاء نقله من كتب ابن جني وابن الانباري نقلا غزيرا ، بل استطيع ان اقرر ان اهم فصول الكتاب أخذت من الخصائص لابن جني ، ولمع الادلة ، والاغراب في جدل الاعراب ، والانصاف في مسائل الخلاف لابن الانباري .

ولما كان جل اعتماده في تصنيف « الاقتراح » على كتب ابـــن جني وابن الانباري - كما أسلفنا - خصصت هذه الكتب بشيء من

التفصيل ، مع الاشارة الى الفصول التي نقلها منها ، واليك بيان ذلـك :

١ ـ الخصائص لابن جني (٣٩٢ هـ) :

استمدت الدراسات النحوية واللغوية من كتاب الخصائص شيئا كثيرا ، وندر ان وضع كتاب في الحقبة المتأخرة ، ولم يأخذ منه كثيرا من مباحثه ، وليت شعرى هل يجد الباحثون اللغويون والنحويون كتابا وافيا بأغراضهم التي عنوا بها يضاهي هذا الكتاب ، حتى يتجاوزوه غير عابئين به ؟ .

ولقد حذا ابن جني حذو شيخه أبي عـلي الفارسي في عنايته بالقياس ، حتى ليمكن ان يقال : ان كتابه الخصائص انما هـو مجموعة كبيرة من الاقيسة السديده ، (١) وبلغ من عنايته به ان كان يقول : « ان مسألة واحده من القياس أنبل وأنبه من كتاب لغة عند عيون الناس (٢) وهو في قولته هذه انما يردد عبارة شيخه أبي علي حينما قال : « أخطىء في خمسين مسألـة في اللغة ، ولا أخطىء في واحدة من القياس » (٣) .

واننا لا نجانب الحقيقة اذا ما قلنا : انه قد تبوأ ذروة القياس

---

١ ـ المدارس النحوية ص ٢٧٦

٢ ـ المدارس النحوية ص ٢٧٦ ، وانظر الخصائص جـ ٢ ص ٨٨

٣ ـ نزهة الالباء ص ٢١٠

وفلسفته ، (١) وانه أستنطق العربية أسرارها ، واهتدى الى نظرياتها العامة ، ولا يزال كتابه (الخصائص) محط اعجاب علمـــاء العرب والغرب على السواء ، وحسبك ان ابن جني ابتدع فيه نظرية الاشتقاق الكبير ، ونثر فيه أسس علم فقه اللغة ، والمبادىء الهامة لعلم التصريف ، حتى عد امامه دون منازع ، وقلما تقرأ كتابا فيه ولا يكون كتاب الخصائص مرجع كثير من مسائله . (٢)

ولما عزم السيوطي ان يضع كتابا في أصول النحو ، يحاكي به أهل الفقه في أصولهم ، هرع الى كتاب الخصائص ، فانتزع منـــه كثيرا مما له علاقه بذلك ، وضمه الى كتابه الاقتراح ، وهو لم يكتم ذلك ، بل صرح به في مقدمة هذا الكتاب : فقال : « واعلم اني قد استمددت في هذا الكتاب كثيراً من كتاب الخصائص لابن جني فانه وضعه في هذا المعنى وسماه أصول النحو ، لكن اكثره خارج عن هذا المعنى ، وليس مرتبا ، وفيه الغث والسمين والاستطرادات — كذا — ، فلخصت منه جميع ما يتعلق بهذا المعنى بأوجـــز عبارة وأرشقها وأوضحها ، معزواً اليه » (١) .

---

١ - في أصول النحو ص ٨١ ، وانظر النحو العربي / العلة النحوية نشأتها وتطورها ص ١١٩

٢ - في أصول النحو ص ٨١/٨٢

٣ - الاقتراح في علم أصـــول النحو ص ٣ ، وانظر الخصائـــص جـ ١ ص ٢

ويتردد النقل من الخصائص في جل مسائل الكتاب ، ويبدأ من أول موضوع فيه ويستمر الى اخر مسألة من مسائله ، ومن الموافقات اللطيفة ان اول عباره نقلت في صلب الكتاب ، كانت من الخصائص ، وهي قوله : « قال ابن جني في الخصائص أدلة النحو ثلاثه السماع ، والاجماع ، والقياس » . (١) وان اخر عباره نقلت فيه كانت كذلك من الخصائص ، وهي قوله : « إذا اداك القياس الى شيء ما ثم سمعت العرب قد نطقت به بشيء آخر على قياس غيره فدع ما كنت عليه » (٢) .

واعتاد السيوطي في الاقتراح الا ينقل من الخصائص نقلا حرفيا ، وانما يلخص عبارة ابن جني تلخيصا ، وقد يشير الى ذلك ، قال في احدى مسائل السماع : « المسموع الفرد هل يقبل ويحتج به ؟ له أحوال لخصتها من متفرقات كلام ابن جني في الخصائص » (٣) .

والمسائل الواردة في الاقتراح والمنقولة من الخصائص كثيره ، فمثلا لما اراد السيوطي ان يحد اللغة استعار ذلك من حد ابن جني لها ، فقال : « قال في الخصائص : حد اللغة اصوات يعبر بها كل قوم عن اغراضهم » ، (٤) ولما عرض للأسباب التي دعت النحاة الى

---

١ ـ الاقتراح في أصول النحو ص ٤

٢ ـ نفس المصدر ص ٨٦

٣ ـ نفس المصدر ص ٢١ ، ص ٢٢

٤ ـ الاقتراح ص ٦ ، وانظر المزهر جـ ١ ص ٧ والخصائص جـ ١ ص ١٠

عدم الاعتماد على لغة أهل المدن ، قال : « قال ابن جنى : علة امتناع الاخذ عن أهل المدر كما يؤخذ عن أهل الوبر ، ما عرض للغات الحاضرة وأهل المدر من الاختلال والفساد ، ولو علم أن اهل مدينة باقون على فصاحتهم لم يعرض للغتهم شيء من الفساد لوجب الاخذ عنهم ، كما عن اهل الوبر ، كذلك لو فشا في اهل الوبر ما شاع في لغة اهل المدر من الخلل والفساد لوجب رفضها » . (١) ولما بحث موضوع التعارض والترجيح تطرق الى اللغات المختلفة وخلص الى انها كلها حجة ، وقد نقل ذلك برمته من ابن جني فقال : « قال في الخصائص اللغات كلها حجة ، الا ترى ان لغة الحجاز في اعمال ما ولغة تميم في تركه ، كل منهما يقبلها القياس فليس لك ان ترد احدى اللغتين بصاحبتها ، لانها ليست أحق بذلك من الاخرى ، لكن غاية مالك في ذلك ان تتخير احداهما على أختها ، وتعتقد ان اقوى القياسين اقبل لها واشد انسا بها ، أما رد احداهما بالاخرى فلا ، الا ترى الى قوله صلى الله عليه وسلم : نزل القرآن بسبع لغات كلها شاف كاف » . (٢)

٢ — كتب ابن الانباري :

انقطع ابن الانباري للتدريس والتأليف معظم سني حياته ،

---

١ ـ الاقتراح ص ٢٤ ، وانظر الخصائص ح ٢ ص ٥
٢ ـ الاقتراح ص ٧٧—٧٨ ، وانظر الخصائص ح ٢ ص ١٠

فصنف ما يزيد على مائة مصنف وغالبها في فنون العربيه ، (١)

وامتاز في التأليف بثلاثة فنون ، هي : فن الخلاف وفن الجدل وفن الاصول ، وله في كل فن من هذه الفنون مؤلف يعد المرجع الاول في بابه ، فكتابه (الانصاف في مسائل الخلاف) يعد سوقا تأليفيا اتحف به ابن الانباري المكتبه النحوية ، فقد سجل فيه مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين بطريقة ابتكرها فكره النير ، وقد رتب مسائله على ترتيب المسائل الخلافية بين الشافعي وابي حنيفه ، (٢) واما كتابه (الاغراب في جدل الاعراب) فهو الاول من نوعه بين كتب النحو ، فقد وضع فيه أسس الجدل في المباحث النحوية ولا اعتقد ان هناك كتابا قبله أو بعده عالج هذا الفن في النحو(٣) واما كتابه (لمع الادلة في أصول النحو) فهو — كما قلنا سابقا كتاب فريد ومؤلف مبتكر في بابه ، هدف فيه ابن الانباري الى صياغة فن نحوي جديد على نمط أصول الفقه ، وبناه على ثلاثين فصلا (٤) عالج فيها اصول النحو وأقيسته وأدلته وعلله ، وهو اول كتاب نحوي خاص في فن الاصول ، وان كانت كثير من مباحثه منثورة في كتب المتقدمين ، خاصة كتاب الخصائص لابن جني .

---

١ — انظر هدية العارفين م١ ص٥١٩—٥٢٠ ، وبغية الوعاة ح٢ص٨٧

٢ - الانصاف في مسائل الخلاف ح ١ ص ٣

٣ - الاغراب في جدل الاعراب ص ٣٥ - ٣٦

٤ — الاقتراح ص ٣

وقد اعتمد السيوطي في وضعه كتاب الاقتراح على كتب ابن الانباري الثلاثة الآنفة الذكر اعتماد كبيرا ، وتردد النقل عنها في جميع مباحث الكتاب .

ويظهر ان السيوطي لم يطلع في باديء الامر على كتابي (لمع الادلة) و (الاغراب في جدل الاعراب) ، ولما اوشك ان ينشر كتابه (الاقتراح) قرأ في (نزهة الالباء) لابن الانباري انه أضاف الى علوم الادب علمين من وضعه ، هما : علم اصول النحو ، وعلم جدل النحو ، فتطلب ما الفه ابن الانباري في هذين العلمين حتى وقف عليهما ، (١) فنقل منهما ما رآه مفيدا وضمه الى كتابه (الاقتراح) ، قال السيوطي : « وقد اخذت من الكتاب الاول (يعني لمع الادلة) اللباب وادخلته معزواً في خلل هذا الكتاب . وضممت الثاني (يعني الاغراب في جدل الاعراب) في مباحث العلة ، وضممت اليه من كتابه الانصاف في مباحث الخلاف جملة ، ولم انقل من كتبه حرفا الا مقرونا بالعزو اليه » (٢) .

والمباحث التي نقلها السيوطي من ابن الانباري كثيرة ، وقد تردد اسمه في فصول الكتاب كافة ، وسلك في النقل من كتبه نفس الذي سلكه في النقل من الخصائص ، فكان كثيرا ما يتصرف في النصوص التي ينقلها ، وقلما ينقل نصا نقلا حرفيا . وقد عمد

١ — الاقتراح ص ٣ ، وانظر نزهه الالباء ص ٦١
٢ — الاقتراح ص ٤

اكثر من مره الى ضم عدة فصول من كتب ابن الانباري بعضها الى بعض ثم يختصرها ويدرجها في كتابه في الموضــــع المناسب . ولنأخذ على ذلك هذا المثال ، قال في آخر باب السماع : « بعد ان حررت هذا الباب بفروعه وجدت أبن الانباري قال في أصوله ادلة النحو ثلاثة نقل وقياس واستصحاب حال ... » (١) وبعد ان اتم نقل المسألة قال : « هذا حاصل ما ذكره ابن الانباري في ثمانية فصول من كتابه » (٢) .

وسأضع بين يدي البحث هذه المسائل التي نقلها السيوطي من كتب ابن الانباري على سبيل التمثيل لا الحصر ، فهو مثلا لما عرض لحد القياس قال : «قال ابن الانباري في جدله هو (أي القياس) حمل غير المنقول على المنقول اذا كان في معناه » (٣) ولمـــا عرض للرد على من انكر القياس قال:«قال ابن الانباري في أصوله:اعلم ان انكار القياس لا يتحقق لان النحو كله قياس ، ولهذا قيل في حده: النحو علم بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب ، فمن أنكر القياس فقد انكر النحو ، ولا يعلم أحد من العلماء أنكره، لثبوته بالدلالة القاطعة ، وذلك انا اجمعنا على انه اذا قال العربي : كتب زيد * فانه يجوز ان يسند هـذا الفعل الى كل اسم مسمى

---

١ - الاقتراح ص ٢٤ـــ٣٥

٢ — الاقتراح ص ٣٥ ، وانظر لمع الادلة ص ٨١ـــ٩٢

٣ — الاقتراح ص ٣٨ ، وانظر الاعراب في جدل الاعراب ص ٤٥

يصح منه الكتابة ، نحو : عمرو ، وبهر وازدشير ، الى مـــا لا يدخل تحت الحصر ، واثبات ما لا يدخل تحـت الحصر بطريق النقل محال » (١) وعندما بحث اركان القياس قال : « للقيـــاس أربعة أركان ، أصل وهو المقيس عليه ، وفرع وهو المقيس ، وحكم، وعلة جامعة ، قال ابن الأنباري : وذلك مثل ان تركب قياسـا في الدلالة على رفع ما لم يسم فاعله ، فتقول : اسم أسند الفعل اليه مقدما عليه ، فوجب ان يكون مرفوعا قياسا للفاعل ، فالاصل هو الفاعل ، والفرع هو ما لم يسم فاعله ، والحكم هو الرفع ، والعلة الجامعة هي الأسناد ، والاصل في الرفع أن يكون للاصل الذي هو الفاعل وانما أجرى على الرفع الذي هو ما لم يسم فاعلـــه بالعلة الجامعة التي هي الاسناد » (٢) .

واظن أن هذه المسائل التي نقلناها كافية في الدلالة عـــلى مدى عناية السيوطي بكتب ابن الانباري ، ومدى اعتماده على مؤلفاته في وضعه كتابه (الاقتراح) .

وقد تنبه الاستاذ سعيد الافغاني للعلاقة الوثيقة بين (الاقتراح) وبين كتابي ابن الانباري (الاغراب في جدل الاعراب) و (لمـع الادلة) فاستعان به على تحقيق الكتابين لما عزم على نشرهما، ونقل منه ما وجده ناقصا في النسخ الخطية للكتابين ، بل كان لـــه في

---

١ ــ الاقتراح ص ٣٨ ٣٩ ، وأنظر لمع الادلة ص ٩٥
٢ ــ الاقتراح ص ٣٩ ، وأنظر لمع الادلة ص ٩٣

مقابلة النصوص كالنسخة الثانوية لكتابي ابن الانباري (١) .

٣ - مصادر اخرى :

لم يقتصر السيوطي في تصنيفه كتاب (الاقتراح) على النقل من كتب ابن جني وابن الانباري ، بل نقل كذلك من كتب غيرهم ، نذكر منها على سبيل المثال : أصول ابن السراج (٢) المتوفى سنة ٣١٦ هـ ، والالفاظ والحروف (٣) لأبي نصر الفارابي المتوفى سنة ٣٣٩ هـ ، والايضاح (٤) في علل النحو لأبي القاسم الزجاجي المتوفى سنة ٣٣٩ هـ ، والبديع (٥) في النحو لمحمد بن مسعود الغزني المتوفى سنة ٤٢١ هـ ، والمحصول (٦) للامام الفخر الرازي المتوفى سنة ٦٠٦ هـ ، والجزولية (٧) لأبي موسى عيسى بن عبد العزيز الجزولي المتوفى سنة ٦٠٧هـ ، والتبيين (٨) لأبي البقاء عبدالله

---

١ — الاغراب في جدل الاعراب/مقدمة المحقق ص ٢٢ وانظر لمع الأدلة ص ٨٠ هامش رقم (١) ، وص ٨١ هامش رقم (٤)

٣ — الاقتراح ص ٦

٣ - الاقتراح ص ١٩

٤ — الاقتراح ص ٥٦

٥ — الاقتراح ص ٦

٦ — الاقتراح ص ٣٠

٧ — الاقتراح ص ٤٤

٨ — الاقتراح ص ٣٧

بن الحسين العكبري المتوفى سنة ٦١٦ هـ ، والافصاح (١) للشيخ محمد بن يحي بن هشام الخضراوي المتوفى سنة ٦٤٦ هـ ، وشرح المفصل (٢) لأبي محمد القاسم بن أحمد الأندلسي المشهور بالعلم اللورقي المتوفى سنة ٦٦١ هـ ، ومنهاج البلغاء (٣) للعلامة حازم بن محمد القرطبي المتوفى سنة ٦٨٤ هـ ، والتعليقة (٤) على المقرب لبهاء الدين محمد بن ابراهيم بن النحاس المتوفى سنة ٦٩٨ هـ ، وشرح التسهيل (٥) لأبي حيان المتوفى سنة ٧٤٥ هـ ، والتذكرة (٦) المسماة بـ « قيد الأوابد » للشيخ تاج الدين أحمد بن عبد القادر بن مكتوم المتوفى سنة ٧٤٩ هـ ، وتعاليق (٧) ابن هشام على الألفية .

---

١ ــ الاقتراح ص ١٠

٢ ــ الاقتراح ص ٧١

٣ ــ الاقتراح ص ١١

٤ ــ الاقتراح ص ٣٤

٥ ــ الاقتراح ص ٢٠

٦ ــ الاقتراح ص ٤٨ ، وانظر كشف الظنون م ١ ص ٣٩٣

٧ ــ الاقتراح ص ٢٧

(٣)

مواد كتاب الاقتراح

بنى السيوطي كتابه « الاقتراح» على خطبة وعشر مقدمات وسبعة كتب ، وهذه الكتب هي مواد « الاقتراح » الاساسية ، وسنفصل القول في كل من ذلك على حدة :

أ — الخطبة

تطرق في هذه الخطبة الى اطراء كتابه هذا ، وذكر أنه لم يسبقه أحد الى تأليف مثله ، ثم بين لنا المصادر الاساسية التي اعتمد عليها في وضعه «الاقتراح » ، وتعرض الى علاقة أصول النحو بأصول الفقه ، وختمها بسرد فصول كتابي ابن الانباري « لمع الادلة في أصول النحو » و « الاغراب في جدل الاعراب » (١) .

ب — المقدمات :

بعد أن أنهى خطبة الكتاب بدأ يفصل القول في مقدماته ، وقد بحث في هذه المقدمات عشر مسائل أصولية مهمة ، وهي :

١ — حد أصول النحو :

حد السيوطي أصول النحو بأنه : « علم يبحث فيه عن أدلة

---

١ — الاقتراح ص ٣

النحو الاجمالية ، من حيث هي أدلته وكيفية الاستدلال بها وحال المستدل » (١) .

وبعد ان شرح هذا الحد بعبارة موجزة قال :« وبعد ان حررت هذا الحد بفكري وشرحته ، وجدت ابن الانباري قال : أصول النحو أدلة النحو التي تفرعت منها فروعه وفصوله ، كما ان أصول الفقه أدلة الفقه التي تنوعت عنها جملته وتفصيله ، وفائدتـــه التعويل في اثبات الحكم على الحجة والتعليل ، والارتفاع عن حضيض التقليد الى ايفاع الاطلاع على الدليل، فان المخلد الى التقليد لا يعرف وجه الخطأ من الصواب ، ولا ينفك في اكثر الامر عن عوارض الشـــك والارتياب » (٢) .

٢ ـــ حد النحو :

ذكر السيوطي ان للنحو حدودا شتى ، وأليقها بكتاب الاقتراح قول ابن جني في الخصائص : « انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من اعراب وغيره، كالتثنية والجمع والتحقير والتكسير والاضافة وغير ذلك ليلحق من ليس من اهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة ، وأصله مصدر نحوت ، بمعنى قصدت ، ثم خص به انتحاء هذا القبيل من العلم كما أن الفقه في الاصل مصدر فقهت بمعنى فهمت ثم خص به

---

١ ـــ الاقتراح ص ٤

٢ ـــ الاقتراح ص ٥

علم الشريعة » (١) .

وبعد ان نقل لنا تعريف ابن جني للنحو نقل لنا تعريف جملة من العلماء له وهم : ابن السراج ، وصاحب البديع محمد بن مسعود الغزني (٢) (المتوفى سنة ٤٢١ هـ) ، والخضراوي (٣) (المتوفى سنة ٦٤٦ هـ) ، وابن عصفور (٤) (المتوفى سنة ٦٦٣هـ) . وصاحب المستوفى القاضي كمال الدين علي بن مسعود الفرخان (٥).

٣ — حد اللغة :

نقل عن ابن جني انه قال : « حد اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن اغراضهم » (٦) .

---

١ — الاقتراح ص ٦ ، وانظر الخصائص حـ ١ ص ٣٤

٢ — انظر ترجمته بغية الوعاة حـ ٢ ص ٢٤٥ ، وكشف الظنون م ١ ص ٢٣٦

٣ — الخضراوي هو محمد بن يحيي بن هشام ، انظر ترجمته في بغية الوعاة حـ ١ ص ٢٦٧

٤ — ابن عصفور هو العلامة علي بن مؤمن بن محمد الاشبيلي ، انظر ترجمته في بغية الوعاة حـ ٢ ص ٢١٠

٥ — انظر ترجمته في بغية الوعاة ، حـ ٢ ص ٢٠٦ ، ولم يحدد السيوطي تاريخ وفاته ، وهو ممن أكثر ابو حيان النقل عنهم .

٦ — الاقتراح ص ٦ ، وانظر الخصائص حـ ١ ص ٣٢

وعرض في هذه المسألة الى أصل اللغة ، وهل هي بوضع الله . أو بوضع البشر ؟ ، ونقل لنا مذاهب أهل العلم في ذلــك ، وهي ثلاثة مذاهب :

١ ــ مذهب الاشعري : (١) انها بوضع الله ، ودليله قوله تعالى : « وعلم آدام الاسماء كلها » ، (٢) ونقل عن ابن عباس أنه قال في تفسير الآية : علمه اسم الصفحة والقدر حق الفسوة والفسية ، وفي رواية أخرى عنه انه جل وعلا : عرض عليه أسماء ولده انسانــا انسانا . والدواب فقيل هذا الحمار ، هذا الجمل ، هذا الفرس ».

وقد رجح السيوطي هذا المذهب ، وذكر أن تعليمه تعالى دال على أنه الواضع دون البشر ، وأن وصولها بالوحي الى آدم .

وذكر ان ابن جني مال الى هذا القول ، ونقله عن شيخه أبي علي الفارسي (٣) .

٢ ــ المذهب الثاني : اصطلاحية وضعها البشر ، ونقل عن ابن جني أنه تأول الآية على معنى (علم آدم) اقدره على وضعها (٤) .

---

١ ــ الاشعري : هو ابو الحسن علي بن اسماعيل من نسل الصحابي أبي موسى الأشعري ، توفى سنة ٣٣٣ هـ ،

٢ ــ سورة البقرة آية (٣١)

٣ ــ الاقتراح ص ٧ ، وانظر الخصائص جـ ١ ص ٤٠ ، وص ٤٧ ، وشرح الاقتراح لابن علان ص ٢٧ ، والتمهيد للأسنوي ص ٢٢

٤ ــ الاقتراح ص ٧ ، وانظر الخصائص جـ ١ ص ٤١/٤٠

٣ – المذهب الثالث : الوقف ، اي لا يدري أهي من وضع الله أم من وضع البشر لعدم وجود دليل قاطع في ذلك . وذكر المصنف ان ابن جني اختار هذا الرأي أخيراً . (١)

وبعد أن أتم بحث هذه المسألة اعقبها بذكر تنبيهين ، هما :

الاول : رد فيه على من زعم أن لا فائدة من بحث مثل هذا الموضوع فذكر ان له فائدتين ، احداهما فقهية ، ولذا ذكرت هذه المسألة في اصوله ، والاخرى نحوية ، تتعلق في جواز قلب اللغة ، فان كانت اصطلاحية جاز ، والا فلا . (٢)

الثاني : نقل عن ابن جني أنه قال « الصواب ، وهو رأي أبي الحسن الأخفش ، سواء قلنا بالتوقيت أم بالاصطلاح ، أن اللغة لم توضع كلها فى وقت واحد بل وقعت متلاحقة متتابعة . (٣)

٤ — علاقة اللفظ بالمعنى :

عرض السيوطي ، لما لاحظه النحاة من العلاقه الوثيقة بين

---

(١) الاقتراح ص٧ ، وانظر الخصائص حـ١ ص٤٧ ، وشرح الاقتراح لابن علان ص٣١

(٢) الاقتراح ص٧ ، والمزهر حـ١ ص٢٦ ، التمهيد للاسنوي ق٢٢ ، وعلم أصول الفقه ص١٨

(٣) الاقتراح ص٨ ، والمزهر حـ١ ص٢٨ / ٢٩ ، بحث السيوطي موضوع أصل اللغة بصورة موسعة فى المزهر حـ١ص٨– ٣٠، وأنظر الكوكب الساطع نظم جمع الجوامع ص١٤ ،والصاحبي ص٥ — ٧

اللفظ والمعنى ، وهو من أسرار العربية اللطيفة ، وقد نبه عليه الخليل وسيبويه ، وتلقته النحاة بالقبول والتسليم ، قال الخليل : « كأنهم توهموا فى صوت الجندب استطالة ، فقالوا صرّ ، وفى صوت البازي تقطيعاً ، فقالوا صرصر ، وقالى سيبويه : في المصادر التي جاءت على الفعلان أنها تأتي للاضطراب والحركة ، نحو الغليان والغثيان » (١)

وقد لخص المصنف هذه المسألة من الخصائص ، وذكر أن ابن جني قال فيه : « وقد وجدت أشياء كثيرة من هذا النمط ، من ذلك : المصادر الرباعية المضعفة تأتي للتكرير ، نحو الزعزعة والقلقلة والصلصلة والقعقعة والقرقرة » . (٢)

وهذا الباب واسع ، وقد تناوله ابن جني في الخصائص بصورة مفصلة ، وقال بعد أن انهى بحثه : « ولو شئت لكتبت من مثله أوراقاً مئين » . (٣)

٥ — الدلالات النحوية :

ذكر السيوطي أن للنحو ثلاث دلالات ، وهي : لفظية ، وصناعية

---

(١) الاقتراح ص٨ ، ٩ ، وأنظر الخصائص حـ٢ ص١٥٢ ، والمزهر حـ١ ص٤٨ ، والكتاب حـ٢ ص٢١٨

(٢) الاقتراح ص٩ ، وأنظر الخصائص حـ٢ ص١٥٣

(٣) الخصائص حـ٢ ص١٦٨

ومعنوية . ونقل عن ابن جني أنها في القوة على الترتيب السالف ، ومثل هذه الدلالات بالفعل ، فانه يدل بلفظه على مصدره ، وبينائه وصيغته على زمانه ، وبمعناه على فاعله . (١)

٦ — الحكم النحوي :

ذكر السيوطي أن الحكم النحوي ينقسم الى ستة اقسام ، وهي :

أ — واجب : كرفع الفاعل ، وتأخيره عن الفعل ، وجر المضاف اليه ، ونصب المفعول به .

ب — ممنوع : كجر الفاعل والمفعول به ، ورفع التمييز .

جـ - حسن : كرفع المضارع بعد شرط ماضٍ ، ومثاله قول زهير :

وان أتاه خليل يوم مسبغة … يقول لا غائب مالي ولا حرم

د — قبيح : كرفع المضارع الواقع بعد شرط مضارع ، ومثاله قول الشاعر :

يااقرع بن حابس يااقرع … انك ان يصرع اخوك تصرع(٣)

---

(١) الاقتراح ص١٠ / ١١ ، وانظر الخصائص جـ٣ص٩٨

(٢) شرح الاقتراح لابن الطيب ص٨٣ ، وانظر شرح الاقتراح لابن علان ص٥٢ ، وشرح الالفية لابن عقيل جـ٤ ص١٠١ ، وهمع الهوامع جـ٢ ص٦٠

(٣) الاقتراح ص١٠ ، وأنظر شرح الاقتراح لابن علان ص٥٢ ،وهمع الهوامع جـ٢ ص٦١

هـ - خلاف الاولى : نحو تقديم الفاعل فى مثل قولهم : (ضرب غلامه زيداً . (١)

٧ تقسيم آخر للحكم النحوي المحلي :

ذكر السيوطي أن للحكم النحوي تقسيما آخر ، فهو يقسم الى رخصة وغيرها ، والرخصة ما جاز استعماله لضرورة الشعر ، وقد يلحق بالضرورة ما فى معناها ، وهو الحاجة الى تحسين النثر بالازدواج .

وذكر ان الضرورة تقسم الى نوعين :

أ) ضرورة حسنة: وهي ما لا يستهجن، ولا تستوحش منه النفس ، كصرف ما لا ينصرف ، وقصر الجمع الممدود ، ومد الجمع المقصور .

ب) ضروره مستقبحة : وهى ما تستوحش منه النفس، مثل صرف الأسماء المعدولة . وما أدى الى التباس جمع بجمع ، كرد مطاعم الى مطاعيم ، أو عكسه ، فانه يؤدي التباس مطعم بمطعام . (٢)

وذكر السيوطي أن الناس اختلفوا فى حد الضرورة ، فقال ابن مالك : هو ما ليس للشاعر عنه مندوحة (٣) ، وقال ابن عصفور

(١) الاقتراح ص١٠
(٢) الاقتراح ص١١
(٣) الاقتراح ص١٢

الشعر نفسه ضرورة ، وان كان يمكنه الخلاص بعبارة أخرى .

وقول ابن عصفور أصح من قول ابن مالك ، اذ ليس في كلام العرب ضرورة الا ويمكن تبديل تلك الضرورة ونظم شيء مكانها (١) .

وتمثل المسألتان السادسة والسابعة طرفا من تأثر الدراسات النحوية بالدراسات الفقهية . فكما أن الحكم الفقهي يقسم الى فرض ومندوب ومكروه ورخصة ومباح وحرام ، فكذلك نقسم الأحكام النحوية الى واجب وممنوع وحسن وقبيح وجائز على السواء ورخصة .

٨ ـ تعلق الحكم النحوي :

ذكر السيوطي أن الحكم النحوي قد يتعلق بشيء أو اكثر مثل مسوغات الابتداء بالنكرة ، وعلامات الاسماء وعلامات الافعال ، ويلاحظ أنه في بعض الأحيان يجوز أن تجتمع هذه المتعلقات ، وفي احيان أخرى يمتنع اجتماعها ، وضرب المصنف لذلك عدة امثلة ، منها : أن (أل) والتصغير من علامات الاسماء ويجوز أن تجتمع فيه وأن التنوين والاضافة كذلك من علامات الاسماء ولكن يمتنع اجتماعهما فيه (٢) .

---

(١) الاقتراح ص ١٢

(٢) الاقتراح ص ١٢/١٣

وتعرض في هـذه المسألة الى بحث البدل والمبدل منه والعوض والمعوض منه ، وبين الفرق بينها ونقل عن ابن جني ان البدل أعم تصرفا من العوض ، فكل عوض بدل ، وليس كل بدل عوضا (١).

٩ – الواسطة في اللغة :

ذكر السيوطي أن المقصود بالواسطة هو ألا تكون الكلمة عربية ولا عجمية ، بل نوعا ثالثا ، ونقل عن ابن عصفور في (الممتع) أنه أعتبر الكلمات المصنوعة واسطة ، لأنها لا ترجع الى لغة من اللغات . وذكر السيوطي أن الخضراوي قد رد على ابن عصفو بان كل كلام ليس عربيا فهو عجمي (٢) .

١٠ – أقسام الألفاظ :

ذكر أن الألفاظ تقسم الى واجب وجائز وممتنع ، ونقل هـذا التقسيم من ابن الطراوة ، قال : « فالواجب : رجل ، وقائم ، ونحوهما ، مما يجب أن يكون في الوجود ولا ينفك الوجود عنه ، والممتنع ، لا قائم ، ولا رجل ، اذ يمتنع أن يخلو الوجود من أن يكون لا رجل فيه ولا قائم ، والجائز : زيد ، وعمرو ، لأنه جائز أن يكون وأن لا يكون » (٣) .

---

(١) الاقتراح ص ١٣ ، وأنظر الخصائص ح ١ ص ٢٦٥

(٢) الاقتراح ص ١٣

(٣) الاقتراح ص ١٤

ونقل في هذه المسألة مباحث غريبة لابـن الطراوة هي اقرب للفلسفة والمنطق منها الى النحو واللغة ، من ذلك قوله : « وكلام مركب من جائزين لا يجوز ، نحو : زيد اخوك ، لانـه معلوم ، لكن بتأخيره صار واجبا ، فصح الاخبار به ، لأنه مجهول في حـق المخاطب ، فالجائز بتأخيره يصير واجبا » (١) .

جـ ـ الكتب السبعة :

بعد أن أنهى السيوطي الحديث عن مقدمات الكتاب بدأ يبحث مواده الأساسية ، وقد جعلها على سبعة كتب ، وتناول في كـل كتاب منها مسألة أصولية معينة ، فبحث في الأول السماع وفي الثاني الاجماع والثالث القياس وفي الرابع استصحاب الحال ، وسنعرض لكل كتاب من هذه الكتب الأربعة على حدة وبصورة مفصلة . اما الكتاب الخامس فقد جعله تحت عنوان (في أدلة شتى) (٣) وتناول فيه أنواع الاستدلالات النحوية وذكر أنها كثيرة ، منها :

١ ـ الاستدلال بالعكس : كأن يقول البصري لو كان نصب الظرف في خبر المبتدأ بالخلاف لكان ينبغي أن يكون الأول (أي المبتدأ) منصوبا ، لان الخلاف لا يكون في واحد،وانمايكون من اثنين،فلو كان الخلاف عاملا موجبا للنصب في الظرف لكان موجبا للنصب في

---

(١) الاقتراح ص ١٤

(٢) الاقتراح ص ٧٣

الأول (المبتدأ) ، فلما لم يكن منصوبا دل على أن الخلاف لا يكون موجبا للنصب في الثاني (١) .

٢ — الاستدلال بعدم النظير : استدل به المازني ردا على من قال : ان السين وسوف ترفعان الفعل المضارع ، وذلك بأنا لم نر عاملا في الفعل يدخل عليه اللام (٢) ، وقد قال تعالى : (ولسوف يعطيك ربك) (٣) .

٣ — الاستقراء : كالاستدلال على أن انحصار أنواع الكلمات في ثلاثة أنواع : الاسم والفعل والحرف ، وانحصار الأعراب في أربعة أنواع : الرفع والنصب والجر والجزم ، فان شدة البحث وكثرة الاستقراء والتنقيب دلت على أن لا شيء وراء ذلك (٤) .

وقد بحث ابن الانباري (الاستدلال) في كتابة (لمع الأدلة) (٥) وعليه كان جل اعتماد السيوطي في كتابه هذا المبحث .

وبحث السيوطي في الكتاب السادس مسائل تتعلق بتعارض الأدلة والأحكام والآراء والترجيح فيما بينهما ، وجعله على مسائل

---

(١) الاقتراح ص٧٣، وأنظر الانصاف في مسائل الخلاف جا ص١٣٧
(٢) الاقتراح ص ٧٥ ، وأنظر الخصائص حـ١ ص ١٩٧
(٣) سورة (الضحى) آية رقم (٥)
(٤) الاقتراح ص ٧٧ ، وأنظر لمع الأدلة ص ١٤٢
(٥) لمع الأدلة ص ٤٥—٤٦

كثيرة ، منها :

١ — تعارض النقلين : قرر السيوطي انه اذا تعارض نقلان أخذ بأرجحهما ، فمثلا : أن يستدل الكوفي على النصب بـ (كما) اذا كانت بمعنى (كيما) بقول الشاعر :

اسمع حديثا كما يوما تحدثه من ظهر غيب اذا ما سائل سألا

فيقول له البصري : الرواة اتفقوا على أن الرواية (كما يوم تحدثه) بالرفع ، ولم يروه احد بالنصب غير المفضل بن سلمة ، ومن رواه بالرفع أحفظ منه وأكثر،فكان الاخذ بروايتهم أولى (١) .

٢ - تعارض قياسين : قال السيوطي : « اذا تعارض قياسان أخذ بارجحهما» وهو ما وافق دليلا آخر من نقل او قياس ، فمثلا أن يقول الكوفي : (انّ) تعمل في الاسم النصب لشبه الفعل ولا تعمل في الخبر الرفع ، بل الرفع فيه بما كان يرتفع به قبل دخولها فيقول البصري : هذا فاسد ، لأنه ليس في كلام العرب عامل يعمل في الاسم النصب الا ويعمل في الخبر الرفع ، فما ذهبت اليه يؤدي الى ترك القياس ومخالفة الأصول لغير فائدة ، وذلك لا يجوز (٢) .

٣ - تعارض قوة القياس وكثرة الاستعمال : قال السيوطي :

---

(١) الاقتراح ص ٧٧ ، وانظر لمع الأدلة ص ١٢٧/١٣١ ، والانصاف في مسائل الخلاف جـ ٢ ص ٣١١ والاغراب في جدل الاعراب ص ٤٦

(٢) الاقتراح ص ٧٨ ، وأنظر لمع الأدلة ص ١٣٨

« قدم ما كثر استعماله » ولذلك قدمت اللغة الحجازية على التميمية (يعني في اعمال ما النافية) لأن الأولى أكثر استعمالا ، ولذا نزل بها القرآن ، وان كانت التميمة أقوى قياسا (١) .

٤ ــ تعارض الاصل والغالب : اذا تعارض أصل وغالب في مسألة جرى قولان ، قال السيوطي : « والأصح العمل بالاصل ، كما (هو) في الفقه » (٢) ومثل لهذه القاعدة بمسألة نقلها عن أبي حيان ، وهي انه قال : « ان رحمان ولحيان . هل يصرف او يمنع ؟ مذهبان ، والصحيح صرفه . لأنا قد جهلنا النقل فيه عن العرب ، والاصل في الاسماء الصرف فوجب العمل به ، ووجه مقابله أن ما يوجد من (فعلان) الصفة غير مصروف في الغالب والمصروف منه قليل ، فكان الحمل على الغالب أولى (٣) .

٥ ــ تعارض مجمع عليه ومختلف فيه : ومثال ذلك اذا اضطر في الشعر الى قصر ممدود أو مد مقصور ، فأرتكاب الأولى أولى ، لاجماع البصريين والكوفيين على جوازه ، ومنع البصريين للثاني(٤) .

٦ ــ ترجيح لغة قريش على غيرها : ان ترجيح لغة قريش من

(١) الاقتراح ص ٧٩ وانظر الخصائص حـ ١ ص ١٢٥
(٢) الاقتراح ص ٧٩
(٣) الاقتراح ص ٨٠
(٤) الاقتراح ص ٨١ ، وانظر الانصاف في مسائل الخلاف حـ ٢ ص ٤٠١

الامور التي أجمع عليها أهل اللغة قاطبة . فقد كانت العرب تحضر الموسم في عام وتحج البيت في الجاهلية وقريش يسمعون لغات جميع العرب فما استحسنوه من لغاتهم تكلموا به ، فصاروا أفصح العرب ، وخلت لغتهم من مستبشع اللغات ومستقبح الألفاظ (١) .

واللهجات العربية كثيرة ، وقلما خلت احداهن - عدا لغة قريش - من شيء مستهجن ، نحو :

أ - الكشكشة : وهي ربيعة ومضر ، يجعلون بعد كاف الخطاب في المؤنث شينا ، فيقولون : رايتكش ، وبكش ، وعليكش ، ومنهم من يثبتها حال الوقف فقط ، وهو الاشهر ومنهم من يثبتها في الوصل أيضا ، ومنهم من يجعلها مكان الكاف ويكسرها في الوصل ويسكنها في الوقف فيقول : منش ، وعليش (٢) .

ب - الكسكسة : وهي في ربيعة ومضر ، يجعلون بعد الكاف أو مكانها في المذكر سينا على ما تقدم وقصدوا بذلك الفرق بينهما (٣) .

جـ - العنعنة : وهي في كثير من العرب ، في لغة قيس وتميم ،

---

(١) فقه اللغة للدكتور علي عبد الواحد وافى ص ١٠٤-١٠٨

(٢) الاقتراح ص ٨٣ ، وانظر المزهر جـ ١ ص ٢٢١ . وسر صناعة الاعراب ٢٣٤ ، ص ٢١٦

(٣) الاقتراح ص ٨٣ ، وانظر المزهر جـ ١ ص ٢٢١

تجعل الهمزه المبدؤ بها عينا ، فيقول في انك : عنك ، وفي اسلم : عسلم ، وفي اذن ، عذن (١) .

د — الاستنطاء : وهي لغة سعد بن بكر ، وهذيل ، والأزد ، وقيس ، والانصار ، يجعلون العين الساكنة نونا اذا جاورت الطاء كانطى في اعطى (٢) .

هـ — الوتم : وهي في لغة اليمن . تجعل السين تاء ، كالنات في الناس . وروى على هذه اللغة :

يا قاتل الله بنى السعلات عمرو بن يربوع شرار النات
ليسوا أعفاء ولا اكيات (٣)

٧ — الترجيح بين مذهب البصريين والكوفيين :

عقد المصنف - رحمه الله - مقارنة بسيطة بين نحـــاة البصرة والكوفة ، وذكر فيها :

١ — ان البصريين أصح قياسا من الكوفيين ، وعلل ذلك بأن أهل البصرة لا يلتفتون الى كل مسموع ، ولا يقيسون على الشاذ ، بينما الكوفيون لو سمعوا بيتا واحدا فيه جواز شيء مخالف للاصول

---

(١) الاقتراح ص ٨٣ ، وانظر المزهر جـ ١ ص ٢٢١
(٢) الاقتراح ص ٨٣ ، وانظر المزهر جـ ١ ص ٢٢١
(٣) الاقتراح ص ٨٤ . وانظر المزهر جـ ١ ص ٢٢٢ ، وســـر صناعة الاعراب ص ١٧٢

جعلوه أصلا وبوبوا عليه (١) .

٢ — ان الكوفيين اوسع رواية من البصريين ، ونقل عن ابن جني انه قال : « الكوفيون علامون بأشعار العرب ، مطلعون عليها (٢) .

وذكر ان ابا حيان مال الى رأي الكوفيين في مسألة العطف على الضمير المجرور بدون اعادة الجار ، وذلك اعتمادا على ما رواه الكوفيون ، ونقل عنه قال : « الذي يختار جوازه لوقوعه في كلام العرب نظما ونثرا ، ... ، ولسنا متعبدين باتباع مذهب البصريين بل نتبع الدليل » (٣) .

وكان تشدد البصريين في السماع والرواية ، ورفضهم كثيرا من شعر أعراب سواد العراق ، وسكان المدن ، ولهجات بعض القبائل العربية ، وعدم أخذهم الا عن العرب العرباء (٤) ، هو السبب الهام الذي جعل الكوفيين أكثر منهم رواية وجمعا للشعر لأنهم كانوا لا يتشددون في روايته وسماعه تشدد البصريين ، ولذلك افتخر البصريون عليهم ، فقال قائلهم : « نحن نأخذ اللغة من حرشة

---

(١) الاقتراح ص ٨٤

(٢) الاقتراح ص ٨٤ ، وانظر الخصائص ج ١ ص ٣٨٧

(٣) الاقتراح ص ٨٤

(٤) المدارس النحوية ص ١٥٩

الضباب وأكلة اليرابيع ، وأنتم تأخذونها من أكلة الشواريز ، وباعة الكواميخ « . (١)

وقال اليزيدي في الكسائي وأصحابه : (٢)

كنا نقيس النحو فيما مضى		على لسان العرب الاول
فجاءنا قـــوم يقيسونـــه		على لغى أشيـاخ قطر بل
فكلهم يعمـل فى نقض مـا		بـه يصاب الحق لا يأتلـي
ان الكسائي وأشيـــاعه		يرقون في النحو الى أسفل

وشروط الكوفيين فى رواية الشعر جعلت روايتهم له غير موثقة عند كثير من العلماء ، قال ابو الطيب اللغوي : « والشعر بالكوفة أكثر وأجمع منه بالبصرة ، ولكـن أكثره مصنوع ، ومنسوب الى من لم يقله وذلك بين فى دواوينهم . (٣) « وقال ابو حـــاتم : » اذا فسرت حروف القرآن المختلف فيها ، وحكيت عن العرب شيئـا فانما احكيه عن الثقـــات منهم ، مثل أبي زيد والأصمعي وأبي

١ الاقتراح ص٨٤ ، وأنظر اخبار النحويين للسيرافي ص٦٨ ، والمدارس النحوية ص١٦٠ ، ومدرسة الكوفة ص٥٦ والشواريز : جمع شيراز وهو اللبن الـرائب المصفى ، والكوامخ : جمع كامخ : وهو آدم يؤكـل لتشهى الطعام .

٢ - أخبار النحويين ص٣٥

١ المزهر حـ٢ ص٤١٠ ، وأنظر مراتب النحويين ص٧٤

عبيدة ويونس ، وثقات من فصحاء الأعراب وحملة العلم ، ولا ألتفت الى رواية الكسائي والاحمر والاموي والفراء ونحوهم » .(١)

وكان أهل الكوفة كلهم يأخذون عن البصريين وأهل البصرة يمتنعون من الاخذ عنهم لأنهم لا يرون الاعراب الذين يحكون عنهم حجة (٢) ، وقد انفرد ابو زيد الانصاري من البصريين بالاخذ عن الكوفيين ، قال ابن الانباري في نزهة الالباء : ولا يعلم أحد من علماء البصريين أخذ عن اهل الكوفة الا ابا زيد فانه روى عن المفضل الضبي . »وعامة كتاب (النوادر) لأبي زيد عن المفضل الضبي . (٣)

وهذا الخلاف في طرق الأخذ جعل البصريين يطعنون في روايات الكوفيين وأقيستهم ، من ذلك قولهم في الكسائي : انه كان يسمع الشاذ الذي لا يجوز من الاخطأ واللحن ، وشعر غير اهل الفصاحة والضرورات فيجعل ذلك أصلا ويقيس عليه حتى أفسد النحو » .(٤)
وقال ابو زيد الانصاري : « قدم الكسائي البصرة فأخذ عن أبي عمرو بن العلاء وعن يونس بن حبيب وعيسى بن عمر علما كثيرا

---

١ المزهر حـ٢ ص٤١٠ ، وأنظر مراتب النحويين ص٩٠ ، وأبو حاتم هو : سهل بن محمد السجستاني المتوفى سنة ٢٥٥هـ ويقال سنة ٢٥٠هـأنظر طبقات ابن الجزري حـ١ ص٣٢٠

٢ المزهر حـ٢ ص٤١٠ ، وأنظر مراتب النحويين ص٩٠

٣ نزهة الاوليــــاء ص٨٨ ، ص٨٩ ، وانظر اخبار النحويين ص٤٥ ومدرسة الكوفة ص٣٩

٤ معجم الأدباء حـ١٢ص١٨٣ ، وانظر المدارس النحوية ص١٦٠

صحيحا ، ثم خرج الى بغداد ، وقد قدم اعراب الحطمة وأخذ عنهم شيئا فاسدا ، فخلط هذا بذاك فأفسده » . (١)

لقد رام البصريون ان يجعلوا للسماع والقياس أسسا صلـــدة تتيح لهم بناء النحو على مقـــاييس علمية صحيحة ، فاشترطوا في الشواهد المستمد منها القياس أن تكون جارية على ألسنة العرب الفصحاء . وان تكون كثيرة بحيث تمثل اللهجة الفصحى وبحيث يمكن ان تستنتج منها القاعدة المطردة ، وبذلك احكموا قواعد النحو وضبوطها ضبطا دقيقا ، بحيث أصبحت علما واضح المعالم بين الحدود والفصول ، وجعلهم ذلك يرفضون ما شذ على قواعدهم ومقاييسهم لسبب طبيعي ، وهو ما ينبغي للقواعـــد في العلوم من اطرادها وبسط سلطانها على الجزئيات المختلفة المندرجة فيها » . (٢)

وبحث السيوطي في الكتـــاب السابع - وهو الاخير - أحوال مستنبط علم النحو ومستخرجه ، وتناول فيه عدة مسائل ، نذكـر منها هذه المسائل الأربع ، وهي :

١ - واضع علم النحو :

تناول السيوطي هذا الموضوع بايجاز ، وقرر في اول بحثه انه :

« اشتهر ان اول من وضع النحو علي بن ابي طالب رضي الله عنه » (٣)

---

١ انباه الرواة جـ٢ ص٢٧٤ ، وانظر بغية الوعاة جـ٢ ص١٦٣

٢ المدارس النحوية ص١٦١

٣ الاقتراح ص٨٤

وأنه وضعه لأبي الأسود الدؤلي ،(١) ثم نقل عن الفخر الرازي (٢) رواية تفيد أن واضعه هو ابو الأسود ، وأنه أخذه عن الامام علي فقد ذكر الرازي فى كتابه (المحرر فى النحو) : أن الامام عليـا رسم « لأبي الأسود باب (انّ) وباب (الاضافة) وباب (الامالة) ثم صنف أبو الأسود باب (العطف) وباب (النعت) ثم صنف باب (التعجب) وباب (الاستفهام) ، وتطابقت الروايات على أن اول من وضع النحو أبو الأسود ، وانه اخذه أولاً عن علي » .(٣)

واذا ما تجاوزنا كتاب (الاقتراح) وطفقنا نتتبع رأي السيوطي فى اول من وضع النحو ، فاننا نلقى رأيه فيه غير مستقر ، فهو تارة ينسبه للامام علي ، كما هو واضح فى اول الكلام ، وتارة أخرى ينسبه الى الاسود الدؤلي ، الذي وصفه في البغية بأنه اول من أسس النحو » (٤) بينما نجده في (الاشباه والنظائر) يلمح الى أن الأمام عليا هو واضع علم النحو ، فقد ذكر عند كلامه على تقسيم الكلام انه ينقسم الى ثلاثة : (اسم) ، و (فعل) ، و(حرف)

---

١ أبو الأسود : هو ظالم بن عمرو بن ظالم المتوفى سنة ٦٩هـ ، وهو اول من ضبط شكل القرآن ، صحب الامـام علي وشهد معه صفين وقدم على معاوية فأكرمه وأعظم جائزته ، أنظر ترجمته فى بغية الوعاة جـ٢ ص٢٢

٢ الفخر الرازي : الامام ابو عبد الله محمد بن الحسين المتوفى سنة ٦٠٦ ، انظر ترجمته في وفيات الأعيان جـ١ ص٦٠٠

٣ الاقتراح ص٨٤ ـ ٨٥

٤ بغية الوعاة جـ٢ ص٢٢

واستدل لذلك بعدة أدلة ، وكان أحد هذه الادلة أن هذا التقسيم الثلاثي للكلام قد ورد في (الأثر) (١) مرويا عن الامام علي رضى الله عنـــه .

وعبر عن هذا الرأي في كتابه (البهجة المرضية) بصراحة تامة فنص على ان الامام علي بن أبي طالب المبتكر لهذا الفن » . (٢)

ونقل لنا في خطبة (الأشباه والنظائر) خـبرا مسندا عن أمـالى الزجاجي يدل على ان واضع النحو هو الامام علي ، وذلك ان ابـا الأسود قال : « دخلت على علي بن ابي طالب رضى الله عنـــه فرأيته مطرقا متفكرا ، فقلت : فيم تفكر يا أمير المؤمنين ؟ ، قال اني سمعت ببلدكم هذا لحنـا فأردت ان اصنع كتـابا في أصـول العربية ، فقلت : ان فعلت هذا أحييتنا وبقيت فينا هذه اللغة . ثم أتيته بعد ثلاث . فألقى الي صحيفة فيها : بسم الله الرحمن الرحيم الكلام كله اسم وفعل وحرف ، فالاسم ما أنبأ عـن المسمى والفعل : ما أنبأ عن حركة المسمى ، والحرف : ما أنبأ عن معنى ليس باسم ، ولا فعل ، ثم قال لى : تتبعه وزد فيه ما وقع لك . واعلم يا ابـا الأسود أن الاشياء ثلاثة : ظاهر ، ومضمر ، وشيء ليس بظاهر ولا مضمر ، وانما تتفاضل العلماء في معرفة ما ليس بظاهر ولا مضمـر .

قال ابو الاسود : فجمعت منه أشياء وعرضتها عليه فكان من

---

(١) الاشباه والنظائر حـ٢ ص١٥ ، وانظر الوسـائل الى معرفـة الاوائل ص٤٤

(٢) البهجة المرضية على شرح الألفية ص٤

ذلك : حروف النصب ، فذكرت منها إنّ وأنّ وليت ولعلّ وكأنّ ولم اذكر لكنّ فقال لي : لم تركتها ؟ فقلت : لم احسبها منها فقال : بل هي منها ، فزدها . (١)

ولم ينفرد السيوطي بنقل هذا الخبر ، فقد نقله قبله ابن الانباري في (نزهة الالباء) (٢) والقفطي فى (انباه الرواة) (٣) وياقوت فى (معجم الأدباء) (٤) . علما بأن النص المحقق من أمالي الزجاجي قد خلا من هذا الخبر ، ولكن يبدو أن المحقق مال الى ان النص الذي عثر عليه من هذه الامالي ناقص ، لذلك ذيله بمجموعة نقولات وردت فى مراجع شتى معزوة الى (أمالي الزجاجي) ، وكان منها الخبر الذى نقله السيوطي . (٥)

وقضية وضع (النحو) من القضايا التي كثر فيها الخلاف واضطرب فيها النقل ، وقد عرض لهذا الموضوع المتقدمون (٦)

---

(١) الأشباه والنظائر ح١ ص٧ ، وانظر (رسالة في وضع العربية للسيوطي) ضمن التحفة البهية ص٥٠

(٢) نزهة الالباء ص٣

(٣) انباه الرواة ح١ ص٤

(٤) معجم الادباء ح١٤ ص٤٩

(٥) أمالي الزجاجي ص٢٣٨

(٦) انظر نزهة الالباء ص٢ ـ ٨ وطبقات النحويين واللغويين ص١٣ وانباه الرواة ح١ ص٤ ـ ١٦ ، واخبار النحويين البصريين ص١٠ ـ ١٦ومراتب النحويين ص٥ - ١٢

والمحدثون (١) ، فأدلى كل منهم فيه بنصيب ، فالآراء التى قيلت فى ذلك كثيرة وقد أجملها الاستاذ الجليل علي النجدي ناصف فى كتابه (أبو الأسود الدؤلى) فقال : « واضعه أبو الأسود الدؤلى بغير توجيه ولا اشارة من احد ، وواضعه أبو الاسود باشارة من عمر او علي و بموافقة وتوجيه من ابن عباس ، او باشارة من زياد ، وواضعه علي - رضى الله عنه - لكنه دفع ما وضع منه الى أبي الأسود فأضاف اليه ، ونحا نحوه فيه ، وواضعه عبد الرحمن بن هرمز أو نصر بن عاصم » (٢)

ولما كان أبو الأسود الدؤلى هو الذي نقط القرآن نقط الاعراب وان عملة هذا أعود على حفظ النصوص وضبطها من حدود النحو بل لعله كان أعظم خدمة قدمت للعربية حتى الآن ، لذلك فانى أميل الى ان أبا الأسود هو اول من خطا الخطوات الاولى فى بناء هذا العلم ، سواء اكانت الروايات التى نسبت اليه انه وضع بعض ابواب النحو صحيحة أم غير صحيحة ، لأن نقط الاعراب - كما يقول الاستاذ احمد أمين - « خطوه اولية فى سبيل النحو تتمشى مع قانون النشوء ، ويمكن ان تأتي من ابي الأسود ، وواضح أن هذا يلفت النظر الى النحو ، فعمل أبي الأسود يسلم الى التفكير فى

---

(١) انظر بحث الاستاذ ابراهيم مصطفى عن اوليات النحو المنشور فى مجلة كلية الآداب بجامعة القاهرة الجزء الثاني من المجلد العاشر ، ورد الاستاذ عبدالوهاب حموده عليه فى نفس المجلة المذكورة الجزء الاول من المجلد الثالث عشر .

(٢) أبو الأسود الدؤلى ص١٤٩

الاعراب ووضع القواعد له . (١)

٢ - اول من وضع فن الصرف

زعم السيوطي في الاقتراح ان اول من وضع فن الصرف (٢) هو معاذ بن مسلم الهراء المتوفى سنة ١٨٧ هـ ، وقد بنى ذلك على ما أثر عنه أنه كان يعرض لبعض مسائل التصريف ، وانه سأل يوما بعض مناظريه : « كيف تقول من (تؤزهم أزا) يا فاعل افعل ؟ وصلها بيا فاعل فاعل من (واذا المؤودة سئلت) » (٣) وليس في هذا الخبر أي حجه للسيوطي فيما ذهب اليه ، وكتاب سيبويه زاخر بما لا يكاد يحصى من امثلة هذه المسألة ، كما انه مملوء بالمسائل الصرفية الأخرى ، وبخاصة الجزء الثاني منه ، وقد خلصها المازني من الكتاب (٤) ووضع فيها كتابه (التصريف) ، ومما يؤكد وهم السيوطي فيما ادعاه هو ان الذين ترجموا لمعاذ ومنهم السيوطي - لم ينسبوا اليه أي كتـــاب في الصرف ، اضافة الى ان كتب الصرف ليس فيها آراء تنسب اليه ذات قيمة . (٥)

والذي ارجحه ان الدراسات الصرفية بدأت مع بداية الدراسات النحوية ، لأن الدافع لظهورها واحد ، هو فشو اللحن ، وخطورته وقد رست هذه الدرسات بأجمعها واتضحت قواعدها النحوية والصرفية

---

(١) ضحى الاسلام جـ٢ ص٢٨٦

(٢) الاقتراح ص٨٥ ، وانظر بغية الوعاة جـ٢ ص٢٩٠ - ٢٩١

(٣) سورة التكوير آية رقم (٨)

(٤) المدارس النحوية ص١٥٤

(٥) المدارس النحوية ص١٥٤

عندما وضع سيبويه كتابه القيم ، وكل ما ألف بعده في النحو والصرف قد أعتمد عليه وأخذ منه .

٣ ـ أحوال مستنبط علم النحو :

اشترط السيوطي فيمن يعنى باستنباط الأحكام النحوية أن يكون عالما بلغة العرب ، محيطا بكلامها ، مطلعا على نثرها ونظمها ، قال : « ويكفي في ذلك الآن الرجوع الى الكتب المؤلفة في اللغات والابنية والى الدواوين الجامعة لأشعار العرب ، وأن يكون خبيرا بصحة نسبة ذلك اليهم لئلا يدخل عليه شعر مولد أو مصنوع ، عالما بأحوال الرواية ليعلم المقبول روايته من غيره ، وباجماع النحاة كي لا يحدث قولا زائدا خارقا اذا قليا بامتناع ذلك » (١) .

٤ ـ بين السماع والقياس :

ختم الفن السابع بنقل عبارة من كتاب الخصائص لابن جني مفادها أنه : « اذا أداك القياس الى شيء ما ، ثم سمعت العرب قد نطقت فيه بشيء آخر على قياس غيره ، فدع ما كنت عليه » وقد عقب السيوطي على ذلك بقوله : « وهذا يشبهه شيء من أصول الفقه : نقض الاجتهاد اذا بان النص بخلافه » (٢) .

(٤)

السماع

بحث السيوطي السماع في الكتاب الاول من كتب الاقتراح

---

(١) الاقتراح ص ٨٦

(٢) الاقتراح ص ٨٦

السبعة ، وبدأ بحده ، فقال : « واعني به ما ثبت في كلام من يوثق بفصاحته فشمل كلام الله تعالى ، وهو القرآن ، وكلام نبيه صلى الله عليه وسلم، وكلام العرب قبل بعثته وفي زمنه وبعده الى أن فسدت الألسنة ، بكثرة المولدين ، نظما ونثرا ، عن مسلم أو لكافر ، فهذه ثلاثة أنواع لا بد في كل منها من الثبوت » (١) .

وبعد ان اورد هذه المقدمة التى تناول فيها تعريف السماع ، بدأ يفصل القول في المسموع ، فتناول الاحتجاج بالقراءات وبالحديث وبكلام العرب ، وبحث كلا من ذلك بصورة وافية ، واليك تفصيل ذلك :

١ ـ الاحتجاج بالقراءات :

أجاز السيوطي الاحتجاج بالقراءات كافة فقال : « أما القرآن فكلما ورد أنه قرىء به جاز الاحتجاج به في العربية سواء أكان متواترا أم أحادا أم شاذا (٢) .

ونقل ان النحاة قد اجمعوا على جواز الاحتجاج بالقراءات الشاذة ، ان لم تخالف القياس ، واذا خالفته يحتج بها في مثل ذلك الحرف بعينه ، ولا يجوز القياس عليها .

وذكر أنه لا يعلم خلافا بين النحاة في الاحتجاج بالقراءات الشاذة ، وان اختلف في الاحتجاج بها في الفقه ، ومن ثم احتج النحاة على جواز ادخال لام الامر على المضارع المبدوء بتاء الخطاب

---

(١) الاقتراح ص ١٤

(٢) الاقتراح ص ١٤ ـ ١٥ ، وانظر الاتقان في علوم القرآن جـ ١ ص ٧٥

بالقراءة الشاذة : (فبذلك فلتفرحوا) (١) ، كما احتج على صحة من قال : ان الله أصله (لاه) ، بما قرىء شاذا : (وهو الذي في السماء لاه وفي الأرض لاه) (٢) .

وقد رد السيوطي على النحاة الذين كانوا يعيبون على بعض القراء مثل حمزة وعاصم وابن عامر ، وينسبون اليهم اللحن ، فذكر أن قراءاتهم ثابتة بالأسانيد المتواترة الصحيحة التي لا مطعن فيها ، وثبوت ذلك دليل على جوازه في العربية (٣) .

وموقف السيوطي من القراءات موقف منصف ، وقد تبع فيه متأخري النحاة بمن أثارهم الموقف الخاطىء الذي وقفه قسم من النحاة من بعض قراءات القراء ، خصوصا المبرد الذي عاب على حمزة قراءته : (واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام) (٤) بجر (الارحام) ، فرد المبرد هذه القراءة ، وزعم أنه لا تحل بها القراءة (٥) ، وذلك لان فيها جواز العطف على الضمير المجرور دون اعادة الجار ، وقول المبرد هذا مردود من وجوه أولها : ان قارئها ثقة لا سبيل الى رد نقله ، وثانيها : انه قد قرأ بها جماعة

---

(١) سورة يونس اية رقم ٥٨ ، وانظر المحتسب حـ ١ ص ٣١٣

(٢) سورة الزخرف آية رقم ٨٤ ، وانظر الاقتراح ص ١٥ وأثر القراءات في الدراسات النحوية ص ٨٥

(٣) الاقتراح ص ١٥ ، وانظر شرح الاقتراح لابن علان ص ٧٤

(٤) سورة النساء آية رقم (١)

(٥) الكامل للمبرد حـ٢ ص٣٩ . وانظر الخصائص حـ١ ص٢٨٥ ،وشرح المفصل جـ٣ ص٧٨ ، ومدرسة الكوفة ص ٥٣

موثقون مثل : الحسن البصري والاعمش وقتاده ومجاهد وابن عباس وابن مسعود ، واذا صحت الرواية فلا سبيل الى ردها (١) .

وثالثها : قد وردت عدة شواهد شعرية فيها عطف على الضمير المجرور دون اعادة الجار ، منها قول الشاعر :

فاليوم قربت تهجونا وتشتمنا   فاذهب فما بك والايام من عجب (٢)

وقول الآخر :

آبك ايّه بي او مصدر   من حمر الجلّة جأب حشور (٣)

وهما من شواهد كتاب سيبويه ، وحملهما على الضرورة ، ولم يرد روايتهما ، او يخطيء منشدهما ، على الرغم من قائليهما مجهولان .

وأمر رابع : وهو ان الجر في (الارحام) يجوز ان يكون بحرف جر مقدر ، فكأن القارىء قد قال : (به وبالارحام) ، وقد حملها على هذا التقدير جماعة من حذاق النحويين ، مثل ابن جنى والزمخشري وابن الانباري وابن يعيش ، قال ابن جنى في الخصائص « ليست هذه القراءة عندنا من الابعاد والفحش والشناعة والضعف على ما رآه فيها وذهب اليه ابو العباس (يعنى المبرد) بل الامر فيها دون ذلك ، واقرب واخف والطف ، وذلك ان لحمزة ان يقول لابي العباس : انني لم احمل (الارحام) على العطف على المجرور المضمر بل اعتقدت ان تكون فيه (باء) ثانية ، حتى كأني قلت : (وبالارحام) ، ثم حذف (الباء) لتقدم ذكرها ، كما حذفت

(١) شرح المفصل ح ٣ ص ٧٨

(٢) الكتاب ح ١ ص ٣٩٢

(٣) الكتاب ح ١ ص ٢٩١

لتقدم ذكرها في نحو قولك : (بمن تمرر أمرر) و (على من تنزل أنزل) ولم تقل أمرر به ، ولا انزل عليه ، لكن حذفت الحرفين لتقدم ذكرهما . » (١)

ومما يعضد هذا الوجه ويقويه ان سيبوية فسر قول العرب : « ما كل سوداء تمرة ولا بيضاء شحمة » بأن (بيضاء) مجرورة بـ (كل) مقدرة غير مذكورة كأن المتكلم قد لفظها ، ومثل ذلك تفسيره لقول الشاعر أبي داود .

أكلّ امرىء تحسبين أمرأ ونار توقد بالليل نارا

فقد جعل جر (نار) في الشطر الثاني بكل مقدرة استغنى عنها المتكلم لذكره اياها في اول الكلام . (٢)

ان موقف المبرد وغيره من النحاه البصريين من بعض القراءات لا يمثل بأى حال من الاحوال موقف البصريين تمثيلا دقيقا ، ومن ثم ليس من حق اى باحث ان يعمم هذا الحكم على سائر البصريين فيزعم انهم كانوا يطعنون على القراءات (٣) ، او انهم كانوا لا يحتجون بالقراءات الا في القليل النادر الذي يتفق مع أصولهم

---

(١) الخصائص حـ١ ص٢٨٥ ـ ٢٨٦ ، وانظر الكشاف حـ١ ص٣٥٦ والانصاف فى مسائل الخلاف حـ٢ ص٤٨ ، والبيان فى غريب اعراب القرآن ص٢٤٠ ـ ٢٤١ ، وشرح المفصل لابن يعيش حـ٣ ص٧٨

(٢) الكتاب حـ١ ص٣٣ ، وانظر الانصاف حـ٢ ص٢٥١

(٣) المبرد حياته وآثاره ص١١١ ، وانظر مدرسة الكوفة ص٥٠ و ص٥٣ ، ص٣٩٥

ويتناسق مع مقاييسهم . (١)

والحق ان كثيرا من النحاة قد وقفوا من بعض القراءات موقفا مجانبا للصواب ، ولكن هؤلاء النحاه لم يكونوا كلهم بصريين ، فكما كان منهم بصريون امثال المازني والمبرد والزجاج ، كان منهم ايضا كوفيين امثال : الكسائى والفراء ، بل ربما كان الكسائى هو الذي بدأ تخطئة القراء (٢) . بينما لا نجد في كتـــاب سيبويه تخطئة واحدة لقراءة من القراءات مع كثرة ما استشهد به منها ، (٣) بل صرح بقبولها جميعا مهما كانت شاذة عن مقاييسه ، حيث قال : « القراءة لا تخالف لأنها السنة . (٤)

وكتاب سيبويه لا يمثل رأى صاحبه وحده فحسب ، بل يمثل آراء كافة النحـاه البصريين الذين رست على ايديهم اصول المذهب البصري لأنه ثمرة جهود ضخمة بذلت فى حلقات النحو البصرية منذ اول نشأة النحو الى عصـــر سيبويه ، وفيه للخليل وغيره من أئمة البصريين آراء كثيرة ، وخلوه من الرد على القراء يدل دلالة قويـة على ان أصل المذهب قائم على احترام القراءات .

---

(١) أثر القراءات فى الدراسات النحوية ص٧٩ ، وانظر (ابو حيان النحوي) ص٤١٧

(٢) المدارس النحوية ص١٥٧ ، وانظر معانى القـرآن حـ١ ص٧٥ وابو زكريا الفراء ص٣٨٨

(٣) المدارس النحوية ص١٥٧

(٤) الكتاب حـ١ ص٧٤ وانظر المدارس النحوية ص١٥٧ ، وأثـــر القراءات فى الدراسات النحوية ص١٤٨

وقد كان الاخفش تلميذ سيبويه ، وهو من اعلام البصريين يوجه القراءات التي لا تجري على مقاييس مدرسته لوجيها مقبولا ، (١) بل انه قد سبق غيره من النحاة بالاستشهاد بالقراءات التي ردها بعض النحاه مثل قراءة حمزة الآية الكريمة : (واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام) وقراءة ابن عامر لقوله تعالى : (وكذلك زين لكثير من المشركين قتل اولادهم شركائهم ، (٢) والاخفش هو الذي دفع الكوفيين الى اتخاذ القراءات مصدرا لقواعدهم . (٣)

فالبصريون اذن لم يكونوا اقل عناية بالقراءات من غيرهم ، وان الكوفيين لم يكونوا هم السابقين فى الاخذ بالقراءات ، وكما رد بعض النحاه البصريين قسما من القراءات ، فكذلك رد بعض نحاه الكوفة الأوائل قسما من القراءات على الرغم من صحة سندها .

٢ - الأستشهاد بالحديث :

عرض السيوطي لمسألة الاستشهاد بالحديث النبوي وبين موقفه من هذه المسألة التي احتدم فيها الخلاف بين النحاه المتأخرين فقال : « وأما كلامه صلى الله عليه وسلم فيستدل منه بما ثبت انه قاله

(١) المدارس النحوية ص١٠٠

(٢) سورة الانعام الآيه رقم (١٣٧) وقرأها الجمهور (وكذلك زين لكثير من المشركين قتل اولادهم شركاؤهم) ببناء زين للفاعل ونصب (قتل) مضافا الى اولادهم ورفع (شركاؤهم) فاعلا بزين ، انظر البحر المحيط حـ٤ ص٢٢٩

(٣) المدارس النحوية ص١٠٠

على اللفظ المروى ، وذلك نادر جدا انما يوجد فى الأحاديث القصار على قلة ايضا ، فان غالب الاحاديث مروى بالمعنى ، وقد تداولتها الاعـاجم والمولدون قبل تدوينهـا فرووها بما ادت اليه عبارتهم فزادوا ونقصوا وقدموا واخروا وابدلوا الفاظا بألفاظ ، ولهذا ترى الحديث الواحد فى القصة الواحدة مرويا على اوجه شتى ، بعبـارات مختلفة ، ومن ثم انكر على ابن مالك اثباته القواعد النحوية بالألفاظ الواردة فى الحديث » . (١)

ولم يقتصر السيوطي فى كلامه على الاستشهـاد بالحديث على عرض رأيه فقط بل تعرض ايضـا الى بيان موقف بعض النحـاة المتأخرين من هذه المسألة وبخاصة موقف ابي حيان ، وعني بنقل ردوده التي احتج بها على ابن مالك فى تجويزه الاستدلال بالحديث تجويزا مطلقا ، فقال : « قال ابو حيان فى شرح التسهيل قد اكثر هذا المصنف (يعني ابن مالك) من الاستدلال بما وقع فى الأحاديث على اثبات القواعد الكلية فى لسان العرب وما رأيت احدا من المتقدمـين والمتـأخرين سلك هذه الطريقة غيره ، على ان الواضعين الاولين لعلم النحو المستقرئين للاحكام من لسان العرب كأبي عمرو ابن العلاء ، وعيسى بن عمر والخليل وسيبويه من أئمة البصريين والكسائي والفراء وعلي بن مبارك الاحمر وهشام الضرير من أئمة الكوفيين ، لم يفعلوا ذلك ، وتبعهم على هذا المسلك المتأخرون ومن

---

(١) الاقتراح ص١٦ ، وانظر شرح الاقتراح لابن علان ص٨٠

الفريقين وغيرهم من نحاة الاقاليم كنحاة بغداد واهل الاندلس » . (١)

والذي دعا أبا حيان وغيره من النحاة الى عدم الاستدلال بالحديث هو عدم وثوقهم أن ذلك لفظ الرسول صلى الله عليه وسلم ، اذ لو وثقوا بذلك لجرى مجرى القرآن في اثبات القواعد الكلية ، واستدلوا على ان الحديث لم يرو بلفظ الرسول صلى الله عليه وسلم بأمرين أوردهما السيوطي في الاقتراح نقلا عن ابي حيان ، احدهما : ان الحديث الواحد في القصة الواحدة قد روي بأكثر من لفظ ، ومن المستبعد أن يكون الرسول قد لفظ بها جميعها ، نحو قوله : (زوجتكها بما معك من القرآن) . (ملكتكها بما معك) ، (خذها بما معك) وغير ذلك من الالفاظ الواردة في هذه القصة ، فنعلم يقينا أنه صلى الله عليه وسلم لم يلفظ بجميع هذه الالفاظ ، بل لا نجزم أنه قال بعضها ، اذ يحتمل أنه قال لفظا مرادفا لهذه الالفاظ فأتت الرواة بالمرادف ولم تأت بلفظه ، اذ المعنى هو المطلوب ، وقد صرح كثير من المحدثين أنهم انما يرون بالمعنى ، قال سفيان الثوري (٢) : « ان قلت لكم اني احدثكم كما سمعت فلا تصدقوني » .

والامر الثاني : أنه وقع اللحن كثيرا فيما روى من الحديث لان

---

(١) الاقتراح ص١٧ ، وانظر التذييل والتكميل حـ٥ ص١٦٩ ، وخزانة الأدب حـ١ ص١٠ ـ ١٢ ، وابو حيان النحوى ص٤٣٠ ، وفى اصول النحو ص٤٣ ـ ٤٤

(٢) سفيان الثوري : هو ابو عبدالله سفيان بن سعيد بن مسروق الكوفي المتوفى بالبصرة ١٦١هـ ، وانظر طبقات ابن الجزرى حـ١ ص٣٠٨

كثيرا من الرواة كانوا غير عرب بالطبع ، ولا يعلمون لسان العرب الا بصناعة النحو ، فوقع اللحن في كلامهم ، ووقع في كلامهم وروايتهم غير فصيح من لسان العرب ، ونعلم قطعا من غير شك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان افصح الناس فلم يكن ليتكلم الا بأفصح اللغات واحسن التراكيب واشهرها واجزلها ، واذا تكلم بلغة غير لغته فانما يتكلم بذلك مع اهل تلك اللغة على طريق الاعجاز وتعليم الله ذلك له من غير معلم (١) .

ولم يكن ابو حيان وحده الذي وقف من الاستشهاد بالحديث هذا الموقف المعارض ، بل سبقه في ذلك شيخه ابو الحسن بن الضائع (٢) المتوفى سنة ٦٨٠هـ ، فقد نقل السيوطي عنه انه قال في شرح الجمل ان « تجويز الرواية بالمعنى هو السبب عندي في ترك الائمة كسيبويه وغيره الاستشهاد على اثبات اللغة بالحديث ، واعتمدوا في ذلك على القرآن وصريح النقل عن العرب ، ولولا تصريح العلماء بجواز النقل بالمعنى في الحديث ، لكان الأولى في اثبات فصيح اللغة كلام النبي صلى الله عليه وسلم لانه افصح العرب (٣).

---

(١) الاقتراح ص١٧ـ١٨، وانظر التذييل التكميل حـ٥ص١٦٩، وخزانة الأدب حـ ١ ص ١٠

(٢) ابن الضائع : هو ابو الحسن علي بن محمد بن علي الكتامي المتوفى سنة ٦٨٠هـ وهو شيخ ابي حيان ، وانظر ترجمته في بغية الوعاة حـ ٢ ص ٢٠٤

(٣) الاقتراح ص١٨ ، وانظر شرح الاقتراح لابن الطيب ص ١٣٧

ونقل عنه في الاقتراح انه كان يعيب على ابن خروف (١) لاستدلاله بالحديث ، وانه كان يقول : ان « ابن خروف يستشهد بالحديث كثيرا ، فان كان على وجه الاستظهار والتبرك بالمروى فحسن، وان كان يرى ان من قبله اغفل شيئا وجب عليه استدراكه فليس كما راى » (٢) .

ولم ينفرد ابن الضائع وابو حيان في منعهم الاستشهاد بالحديث فقد شاركهم في ذلك جماعة ، ذكر منهم السيوطي في الاقتراح بدر الدين بن جماعة المتوفى سنة ٧٣٣ هـ (٣) وابا عبدالله الحسين بن هبة الله الدينوري صاحب ثمار الصناعة الشهير بالجليس الدينوري (٤) .

ويفهم من كلام السيوطي في الاقتراح وغيره انه كان اكثر ميلا

---

(١) ابن خروف : هو ابو الحسن علي بن محمد بن علي بن خروف الاندلسي المتوفى سنة ٦٠٩هـ وقيل سنة٦٠٥هـ ، وقال ياقوت سنة ٦٠٦ هـ ، انظر بغية الوعاة حـ ٢ ص ٢٠٣

(٢) الاقتراح ص ١٨

(٣) بدر الدين بن جماعة : هو محمد بن ابراهيم بن سعدالله بن جماعة الكناني الحموي الشافعي قاضي القضاة بالديار المصرية ، وكان ممن تتلمذ على ابن مالك ، مات سنة ٧٣٣هـ ، انظر حسن المحاضرة حـ ١ ص ٤٢٥

(٤) لم يذكر السيوطي تاريخ وفاته ، قل عنه : ان ابا حيان اكثر من النقل عنه انظر بغية الوعاة حـ ١ ص ٥٤٢ ، وكشف الظنون م ١ ص ٥٢٣

لراي ابي حيان منه لراي ابن مالك ، فقد قال في الاقتراح : « ومما يدل لصحة ما ذهب اليه ابن الضائع وابو حيان ان ابي مالك استشهد على لغة اكلوني البراغيث بحديث الصحيحين : (يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار) واكثر من ذلك حتى صار يسميها لغة يتعاقبون ، وقد استدل به السهيلي (١) ثم قال : لكني اقول : ان الواو فيه علامة اضمار لانه حديث مختصر رواه البزاز مطولا مجردا ، قال فيه : ان لله ملائكة يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ، وقال ابن الانباري في الانصاف في منع ان في خبر كاد : واما حديث كاد الفقر ان يكون كفرا ، فانه من تغييرات الرواه ، لانه صلى الله عليه وسلم افصح من نطق بالضاد (٢) .

وقد كرر في (همع الهوامع) تأييده لوجهة نظر ابن الضائع وابي حيان ، وذلك عندما عرض لحديث : (لولا قومك حديثو عهد بكفر لأسست البيت على قواعد ابراهيم) . فقال معقبا عليه : « قلت : الظاهر ان الحديث حرفته الرواة بدليل ان في بعض رواياته : لولا حدثان قومك ، وهذا جار على القاعدة ، وقد بينت

---

(١) السهيلي : هو عبد الرحمن بن عبدالله بن أصبغ الاندلسي المتوفى سنة ٥٨١هـ ، انظر بغية الوعاة جـ ٢ ص ٨١

(٢) الاقتراح ص ١٨ـ١٩ ، وانظر الانصاف في مسائل الخلاف جـ ٢ ص ٢٩٨ ، وخزانة الادب جـ١ ص ١٣ ، وابو حيان النحوي ص ٤٣٥ ، وشرح الاقتراح لابن الطيب ص ١٣٧

في كتاب اصول النحو (١) من كلام ابن الضائع وابي حيان أنه لا يستدل بالحديث على ما خالف القواعد النحوية لانه مروى بالمعنى لا بلفظ الرسول ، والاحاديث رواها العجم والمولدون لا من يحسن العربية ، فأدوها على قدر السنتهم » (٢) .

وعلى الرغم من التشابه الظاهر بين موقف ابي حيان وموقف السيوطي من مسألة الاحتجاج بالحديث ، واعرابه عن تأييد وجهة نظره في اكثر من موضع ، الا ان هناك فرقا هاما بين موقفيهما من هذه المسألة ، وهو ان ابا حيان قد منع ذلك منعا باتا وليس في كلامه ما يدل على انه يفرق بين الحديث المروى بالمعنى والحديث المروى باللفظ ، اما السيوطي فانه لم يمنع الأحتجاج بالحديث منعا باتا ، وانما منع الاحتجاج بما ثبت انه روى بالمعنى دون اللفظ ، واجاز الاستدلال بما ثبت انه روى باللفظ .

واعتقد ان موقف السيوطي من الاحتجاج بالحديث كان اصح من موقف كل من ابن مالك وابي حيان ، وذلك لان ابن مالك قد اجاز ذلك اطلاقا ، وكأنه كان يعتقد ان الاحاديث كلها مروية باللفظ ، واما ابو حيان فانه قد منع الاحتجاج بالحديث منعا مطلقا وكأنه كان يعتقد ان الاحاديث كلها قد رويت بالمعنى دون اللفظ ، بينما وقف السيوطي من ذلك موقف وسطا فاجاز الاستدلال بالحديث اذا ثبت انه روى باللفظ ، ومنع الاستدلال بما ثبت انه

(١) يعني كتاب (الاقتراح)

(٢) همع الهوامع حـ ١ ص ١٠٥ ، وانظر (ابو حيان النحوي) ص ٤٣٦

روى بالمعنى دون اللفظ . لأنه كان يعلم ان هناك محدثين يجيزون الرواية بالمعنى ، وانه كان الى جانبهم محدثون آخرون لا يجيزون الرواية بالمعنى ، وانما يشترطون فيما يرونه ان يكون مرويا بلفظة ومعناه .

ولم ينفرد السيوطي فيما ذهب اليه من التفريق بين الاحاديث المروية بالمعنى والاحاديث المروية باللفظ ، فقد سبقه الى ذلك ابو اسحق الشاطبي (١) (المتوفى سنة ٧٩٠ هـ) فقد قال في شرحه الألفية : اننا « لم نجد احدا من النحويين استشهد بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يستشهدون بكلام أجلاف العرب وسفهائهم الذين يبولون على اعقابهم، واشعارهم التي فيها الفحش والخنى، ويتركون الاحاديث الصحيحة ، لانها تنقل بالمعنى، وتختلف رواياتها والفاظها بخلاف كلام العرب وشعرهم، فأن رواته اعتنوا بالفاظها لما ينبني عليه من النحو، ولو وقفت على اجتهادهم قضيت منه العجب، وكذا القرآن ووجوه القراءات.

واما الحديث فعلى قسمين : قسم يعتني ناقله بمعناه دون لفظه ، فهذا لم يقع به استشهاد اهل اللسان ، وقسم عرف اعتناء ناقله بلفظه لمقصود خاص ، كالاحاديث التي قصد بها بيان فصاحته صلى الله عليه وسلم ، ككتابه لهمدان ، وكتابه لوائل بن حجر ، والامثال

---

(١) الشاطبي : هو ابو اسحق ابراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي المالكي المتوفى سنة (٧٩٠هـ) صاحب كتاب (عنوان التعريف باسرار التكليف) المعروف بـ (كتاب الموافقات) وهو غير الامام الشاطبي صاحب الالفية في القراءات المشهورة بـ (حرز الاماني) انظر هدية العارفين م ١ ص ١٨

النبوية فهذا يصح الاستشهاد به في العربية .

وابن مالك لم يفصل هذا التفصيل الضروري الذي لا بد منه، وبنى الكلام على الحديث مطلقا ، ولا اعرف له سلفا الا ابن خروف فانه أتى بأحاديث في بعض المسائل حتى قال ابن الضائع: لا أعرف هل يأتي بها مستدلا بها ، أم هي لمجرد التمثيل ؟ والحق ان ابن مالك غير مصيب في هذا ، فأنه بناه على امتناع نقل الحديث بالمعنى ، وهو قول ضعيف (١) .

٣ ـ كلام العرب :

بعد ان أنهى السيوطي علما الحديث والاستشهاد به عقد فصلا للاستشهاد بكلام العرب ، فقال : « واما كلام العرب فيحتج منه بما ثبت عن الفصحاء الموثوق بعربيتهم » .

واعتبر قبيلة قريش أفصح العرب لأنها : « كانت أجود العرب انتقاء للأفصح وأحسنها مسموعا وابانة عما في النفس » (٢) .

ونقل لنا عن كتاب (الألفاظ والحروف) (٣) لأبي الفارابي

(١) خزانة الادب حـ١ ص١٣ وانظر (أبو حيان النحوي) ص ٤٣٣

(٢) الاقتراح ص١٩ ، وانظر المزهر حـ١ ص٢٠٦ ، وفقه اللغة للدكتور علي عبد الواحد وافي ص ١٠٤

(٣) كتاب الألفاظ والحروف :نسبه ابن الطيب في شرح الاقتراح لاسحاق ابن ابراهيم الفارابي (المتوفى تقريبا سنة ٣٥٠هـ) صاحب كتاب (ديوان الأدب) وهو خال الجوهري صاحب (الصحاح) ، وقد وهم في ذلك ابن الطيب ، والصحيح هو لأبي نصر محمد بن محمد بن طرخان الفارابي الفيلسوف المشهور كما هو في هدية العارفين م٢ ص٣٩

سردا بأسماء القبائل العربية التي اعتمد عليها النحاة في استقرائهم قواعدهم التي بنوا عليها دراساتهم ، فقال : « والذين عنهم نقلت اللغة العربية ، وبهم اقتدى وعنهم اخذ اللسان العربي من بين قبائل العرب ، هم قيس وتميم وأسد ، فأن هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أخذ ومعظمه ، وعليهم اتكل في الغريب وفي الاعراب والتصريف ، ثم هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين ، ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم .

وبالجملة فانه لم يؤخذ عن حضري قط ، ولا عن سكان البراري ممن كان يسكن اطراف بلادهم التي تجاور سائر الامم الذين حولهم (١) .

وأعرب لنا عن الاسباب التي حملت النحاة على عدم الأخذ من القبائل الأخرى ، فقال : « فانه لم يؤخذ لا من لخم ولا من جذام فانهم كانوا مجاورين لاهل مصر والقبط ، ولا من قضاعة ولا من غسان ولا من أياد ، فأنهم كانوا مجاورين لأهل الشام ، واكثرهم نصارى يقرؤون في صلاتهم بغير العربية ، ولا من تغلب ولا النمر فانهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونانية ، ولا من بكر لأنهم كانوا مجاورين للنبط والفرس ، ولا من عبد القيس ، لأنهم كانوا سكان البحرين مخالطين للهند والفرس ، ولا من أزدعمان لمخالطتهم للهند والفرس ولا من أهل اليمن أصلا لمخالطتهم للهند والحبشة ، ولولادة الحبشة فيهم ، ولا من بني حنيفة وسكان اليمامة ، ولا من ثقيف وسكان الطائف لمخالطتهم تجار الامم المقيمين عندهم ، ولا من

---

(١) الاقتراح ص١٩ ، وانظر في أصول النحو ص ١٩

حاضرة الحجاز ، لان الذين نقلوا اللغة صادفوهم حين ابتدؤا ينقلون لغه العرب قد خالطوا غيرهم من الأمم وفسدت ألسنتهم » (١) .

وكأن هذا التصنيف الذي ذكره السيوطي نقلا عن أبي نصر الفارابي حاز القبول وجرى عليه العمل ، وكان الخروج عليه مدعاة الى النقد ، ولذلك لما اعتمد ابن مالك على لغات لخم وجذام وغسان تعقبه أبو حيان باللوم فقال في شرح التسهيل : « ليس ذلك من عادة ائمة هذا الشأن » (٢) .

وهذه القبائل التي حصر السيوطي الاحتجاج بلغاتها انما هي قبائل العرب المتبدية المحتفظة بملكه اللغة وسليقتها الصحيحة ،(٣) والتي قصر البصريون مصادرهم اللغوية عليها . أما الكوفيون فقد أجازوا الاحتجاج بلغات اقوام من العرب ممن لم يجوز البصريون الاحتجاج بشعرهم ، مثل عرب الارياف وأعراب سواد الكوفة وأعراب سواد بغداد من بني الحطمة الذين غلط البصريون لغتهم ولحنوها (٤) .

واشترط المصنف لقبول كلام العرب ان يكون مما رواه الثقاة

---

(١) الاقتراح ص٢٠ ، وانظر المزهر حـ١ ص٢١١ ، ومدرسة الكوفة ص٥٤ ، ومقدمة ابن خلدون ص ٦٤٩

(٢) الاقتراح ص ٢٠ ، وانظر في أصول النحو ص ٢٠

(٣) المدارس النحويه ص ١٨

(٤) مدرسة الكوفة ص٣٣١ ، وانظر ابو حيان النحوي ص٢٩٦ ، أخبار النحويين البصريين للسيرافي ص٤٤ ، والعربية ، ترجمة المرحوم الدكتور عبد الحليم النجار ص٦١

عنهم بالاسانيد المعتبرة من نظمهم ونثرهم ، وجعل من ذلك مـا دون من دواوين شعراء العرب العرباء ، كديوان امرؤ القيس والطرماح وزهير وجرير والفرزدق وغيرهم (١) .

واعتبر مصنفات الامام الشافعي رضي الله عنه (المتوفى سـنة ٢٠٤هـ) مما يعول عليه في الاستدلال في اللغة ، وذلك اعتمادا على ما نص عليه الامام احمد بن حنبل من أن « كلام الشافعي في اللغة حجة » ، لسلامة نشأته وتقلبه في البيئات العربية السليمة (٢).

وما ذكروه من صحة الاحتجاج بمصنفات الامام الشافعي ليس مما اتفق عليه النحاة ، وقد عد بعض الباحثين عدم اعتماد اهـل العربية على ما في كتب الامام الشافعي ومن في طبقته من الفصحاء الذين نشؤوا في بيئة سليمة ولم يتطرق الفساد الى لغتهم خسـارة كبيرة ، لأنه : « بتدوين مثل الشافعي علوم الشريعة اغناء للغـة العربية بوسائل التأدية أكثر مما اغناها به كثير من الشعراء » (٣).

قواعد فرعية في السماع :

أدرج السيوطي ضمن هذا المبحث قواعد فرعية كثيرة ، تتعلـق بالسماع وأنواعه وشروطه ، وقد بحث ذلك بشيء مـن الاقتضاب ، واليك تفصيل ذلك :

---

(١) الاقتراح ص ٢٠

(٢) الاقتراح ص ٢٠ ، وانظر في أصول النحو ص ٢٣ ، وص ٦٥

(٣) في أصول النحو ص ٦٥ ، وانظـر التطور النحوي ص ١٣٨ ، وبغية الوعاة جـ ٢ ص ١١٥

١ ـ اقسام المسموع :

قسم المسموع الى اربعة اقسام هي :

أ) مطرد في القياس والاستعمال معا ، وهو الغاية المطلوبة، نحو قام زيد ، وضربت عمرا ، ومررت بسعيد (١) .

ب) مطرد في القياس شاذ في الاستعمال ، مثل ماضي يذر ويدع فالقياس أن يأتي ماضيها على (وذر) و (ودع) بالتخفيف . ولكن ذلك لم يسمع منهم ، وما سمع قليل لا يعتد به ، ومثل ذلك قولهم : (مكان مبقل) هذا هو القياس ، والأكثر في السماع والاستعمال (باقل) ، وان كان الاول مسموعا أيضا ، ومنه كذلك منصوب (عسى) فقياس بابه ان يأتي اسما صريحا ، نحو : (عسى زيد قائما) ، غير ان الاكثر في السماع والاستعمال مجيئه فعلا نحو : (عسى أن يقوم زيد) وقوله تعالى : (عسى الله ان يكف بأس الذين كفروا). (٢) وقد جاء عن العرب شيء من الأول ، من ذلك المثل السائر : (عسى الغوير أبؤسا) (٣) .

جـ) مطرد في الاستعمال شاذ في القياس ، نحو قولهم : (استحوذ) و (استنوق الجمل) ، و (استصوبت الأمر) ، و (أبى يأبى) ،

---

(١) الاقتراح ص٢٠ ، وانظر الخصائص حـ١ ص٩٧ ، وفي أصول النحو ص٥٧ ، وانظر اللغة والنحو بين القديم والحديث ص٤٧

(٢) سورة النساء آية رقم (٨٤)

(٣) الاقتراح ص٢١ ، وانظر الخصائص حـ١ ص٩٧ ، وفي أصول النحو ص٥٧ ، والمزهر حـ١ ص٢٢٧

والقياس الاعلال في الثلاثة الأولى ، وكسر عين الأخير . (١)

(د) شاذ في القياس والاستعمال معا ، نحو : تتميم مفعول ، ما عينه واو ، نحو : ثوب مصوون ، وفرس مقوود . (٢)

٢ ـ ان العربي الذى يحتج بقوله لا تشترط فيه العدالة ، وانما يشترط فى الراوي ، ولذلك وقع الاعتماد فى العربية على اشعار الجاهليين وهم كفار . (٣)

٣ ـ المسموع الفرد هل يقبل ويحتج به ؟

قال السيوطي : « له أحوال لخصتها من متفرقات كلام ابن جنى ؛ احدها ان يكون المسموع فردا لا نظير له فى الالفاظ المسموعة ، مع اطباق العرب على النطق به ، فهذا يقبل ويحتج به ويقاس عليه اجماعا ، كما قيس على قولهم فى شنوءة شنأى . (٤)

الثاني : ان ينفرد به المتكلم من العرب مخالفا ما عليه جمهورهم فيقبل ان كان المتكلم به فصيحا ، لاحتمال ان يكون قد سمعه من لغة قديمة باد المتكلمون بها ، اذ روي عن أبي عمرو بن العلاء انه قال : « ما انتهى اليكم مما قالت العرب الا قلة ، ولو جاءكم

---

(١) الاقتراح ص٢١ ، وانظر الخصائص حـ١ ص٩٨ ، وفى اصول النحو ص٥٧ ، والمزهر حـ١ ص٢٢٨

(٢) الاقتراح ص٢١ ، وانظر الخصائص حـ١ ص٩٨ ، وفى اصول النحو ص٥٧ ، والمزهر حـ١ ٢٢٩

(٣) الاقتراح ص٢١ ، وانظر فى اصول النحو ص٥٨ ، ولمع الادلة ص٨٦

(٤) الاقتراح ص٢١ ، وانظر الخصائص حـ١ ص١١٦

وافرا لجاءكم علم وشعر كثير » . (٢)

والحال الثالث : ان ينفرد بـه المتكلم ولا يسمع من غيره ما يوافقه ولا ما يخالفه ، فيقبل ان كان المتكلم فصيحا ثقة ، والا فيرد ولا يقبل . (٣)

٤ ـ اللغـات كلها حجة : (٤) اللغات على اختلافها كلها حجة ، الا ترى ان لغة الحجازيين فى اعمال (ما) ، ولغة التميميين فى تركه كل منهما يقبله القياس ، وليس لك ان ترد احدى اللغتين بصاحبتها .

٥ ـ عدم الاحتجاج بلغة اهل المدر : نقل عن ابن جنى ان علة امتناع الأخذ عن اهل المدر هو ما عرض للغات الحاضرة من الاختلاف والفساد ، ولو علم ان اهل مدينة باقون على فصـاحتهم لم يعرض للغتهم شيء من الفساد لوجب الاخذ عنهم ، وكذلك لو فشا فى اهل الوبر ما شاع فى لغة اهل المدر من الخلل والفساد لوجب رفض لغتها . (١)

٦ تداخل اللغات : ان تعدد لغات العرب قد يؤدي الى تداخلها فيما بينها ، فربما يلتقي اصحاب لغتين ، فيسمع هذا لغة هذا ، وهذا

---

(٢) الاقتراح ص٢٢ ، وانظر الخصائص جـ١ ص٦٨٣

(٣) الاقتراح ص٢٣ ، وانظر الخصائص جـ٢ ص٢١ ، وفى اصول النحو ص٥٨

(٤) الاقتراح ص٢٤ ، وانظر الخصائص حـ٢ ص١٠ ، وفى اصول النحو ص٥٨

(١) الاقتراح ٢٤ ، وانظر الخصـائص حـ٢ ص٥

لغة هذا ، فيأخذ كل منهما من صاحبه ما يضمه الى لغته ، فتتركب اذ ذاك لغة ثالثة ، من ذلك ما رواه الاصمعي : ان رجلين اختلفا فى الصقر ، فقال احدهما : الصقر (بالصاد) ، وقال الآخر : (السقر) بالسين ، فتراضيا بأول وارد عليهما ، فحكيا له ما هما فيه ، فقال : لا اقول كما قلتما ، انما هو (الزقر) . (٢)

أفلا ترى الى كل واحد من الثلاثة كيف افاد فى هذه الحال الى لغته لغتين آخريين ، وهكذا تتداخل اللغات . قال السيوطي : « وعلى هذا يتخرج جميع ما ورد من التداخل نحو قلى يقلى ، وسلا يسلى ، وطهر فهو طاهر ، وشعر فهو شاعر فكل ذلك انما هو لغات تداخلت فتركبت ، بأن اخذ الماضي من لغة ، والمضارع أو الوصف من اخرى ، لا تنطق بالماضي كذلك ، فحصل التداخل ، والجمع بين اللغتين ، فان من يقول : قلا ، يقول فى المضارع يقلي ، والذى والذى يقول : يقلا ، يقول فى الماضى : قلى ، وكذا من يقول : سلا ، يقول فى المضارع يسلو ، ومن يقول فيه يسلا ، يقول فى الماضى سلى ، فتلاقى اصحاب اللغتين . . . فأخذ كل واحد من صاحبه ما ضمه الى لغته ، فتركبت هناك لغة ثالثة » . (١)

٧ ـ عدم الاحتجاج بشعر المولدين : ذكر المصنف ـ رحمه الله ـ ان النحاة أجمعوا على عدم الاحتجاج بكلام المحدثين والمولدين في اللغة والعربية ، وكان الزمخشري ممن خرج على هذا الاجماع ، فانه

---

(١) الاقتراح ص٢٦ ، وانظر الخصائص حـ١ ص٣٧٤

(٢) الاقتراح ص٢٦ ، وانظر الخصائص حـ١ ص٣٧٤ ـ ٣٩١ ، وفي اصول النحو ص٥٨

استشهد في الكشاف بشعر أبي تمام ، وعلل ذلـــك بوثوق روايته واعتماد الناس عليها (١) .

وذكر ان ابراهيم بن هرمه (المتوفى سنة ١٥٠هـ) آخر الاسلاميين الذين يحتج بأقوالهم ، فقد نقل عن الاصمعي انه قال : « ختم الشعر بابراهيم بن هرمه وهو اخر الحجج » (٢) . وأن اول الشعراء المحدثين بشار بن برد (المتوفى سنه ١٦٧هـ) ، ونقل عن المرزباني وغيره أن سيبويه في كتابه قد احتج ببعض شعر بشار تقربا اليه لانه كان هجاه لترك الاحتجاج بشعره (٣) .

وما ذكره السيوطي انما هو شطر بيت ورد في باب الادغـــام وهـــو : (٤)

وما كل مؤت نصحه بلبيب

وصدره :

وما كل ذي لب بمؤتيك نصحه

وقد ورد هذا البيت في الكتاب غفلا من اي نسبه ، فاذا كان

---

(١) الاقتراح ص ٢٦ ، ٢٧ ، وانظر شرح الاقتراح لابن الطيب ص ٢٤٢ وخزانة الادب حـ ١ ص ٧ ، والكشاف للزمخشري حـ١ ص ١٦٩/١٧٠

(٢) الاقتراح ص ٢٧ ، وانظر خزانة الادب حـ ١ ص ٨ ، وانظـر الاغاني حـ ٤ ص ١٠٤

(٣) الاقتراح ص ٢٧ ، وانظر خزانه الادب حـ ١ ص ٨

(٤) سيبويه امام النحاة ص ١٤٧ ، وانظر الكتاب جـ ٢ ص ٤٠٩ ، ورساله الغفران ص ٣٦٥

ما ذكره المرزباني ووافقه السيوطي صحيحا وأن سيبويه استشهد بشعر بشار خوفا منه ، فلماذا لم يذكره منسوبا اليه ؟

لقد كانت امنية بشار — فيما زعموا — أن يرفعه سيبويه الى مرتبة من كان يحتج بهم من الشعراء ، ولا يتحقق ذلك على وجهه الكامل الا اذا استشهد بشعره ، وذكر اسمه ازاء ذلك ، وهـذا لم يحصل في الكتاب ، فهل تظن ان بشارا كان يمكن ان يرضى بذلك ويجد فيه مقنعا فتهدأ ثورته ، فلا يهجو صاحب الكتاب (١) .

والذي أرجحه هو أن سيبويه لما استشهد بذلك الشطر كان يعتقد أنه لغير بشار ، فقد نسبه ناس الى أبي الاسود ، كمـا نسبه أناس الى بشار ، علما بأن قصائد ديوان بشار البائية خالية من هـــذا البيت (٢) .

٨ ـ لا يجوز الاحتجاج بشعر او نثر لا يعرف قائله ، قـــال السيوطي : « وكان علة ذلك خوف أن يكون لمولد ، او من لا يوثق بفصاحته ، ومن هذا يعلم انه يحتاج الى معرفة اسمـاء شعراء العرب وطبقاتهم » (٣) .

وقد رد البصريون كثيرا من شواهد الكوفيين لأن قائليهـــا مجهولون ، فمثلا أجاز الكوفيون اظهار (ان) بعد (كي) .

---

(١) سيبويه امام النحاة ص ١٤٨ ، وانظر خـبر بشـار وسيبويه في الاغاني حـ ٣ ص ٢١٠

(٢) سيبويه امام النحاة ص ١٤٨ وانظر رسالة الغفران ص٣٦٥

(٣) الاقتراح ص ٢٧

واستشهدوا بقول الشاعر :

اردت اليكما ان تطير بقربتي فتتركها شنا ببيداء بلقع

فرد البصريون عليهم ذلك ، بأن البيت غير معروف قائله .

ومثله ذهاب الكوفيين الى جواز دخول اللام في خبر (لكن) واحتجوا بقول الشاعر :

ولكنني من حبها لعميد .

وقد اجاب البصريون عن ذلك : « ان هذا البيت لا يعرف قائله ، ولا اوله ، لم يذكر منه الا هذا ، ولم ينشده احد ممن وثق في اللغة ولا عزى الى مشهور بالضبط والاتقان وفي ذلك ما فيه (١) .

٩ - الشاذ لا يعتد به : نقل عن ابن السراج انه قال في الاصول: « ليس البيت الشاذ والكلام المحفوظ بأدنى اسناد حجة على الاصل المجتمع عليه في كلام ولا نحو ولا فقه ، وانما يركن الى هذا ضعفة اهل النحو ومن لا حجة معه » (٢) .

١٠ - اذا دخل الدليل الاحتمال سقط به الاستدلال : نقل ذلك من شرح التسهيل لأبي حيان ، وانه رد بهذه القاعدة على ابن مالك كثيرا ، في مسائل استدل عليها بشواهد تحتمل اكثر من تفسير ، منها : استدلاله على قصر (الاخ) بقول الشاعر :

اخاك الذي ان تدعه لملمة يجبك بما تبغى ويكفيك من يبغى

---

(١) الاقتراح ص ٢٧ ، وانظر الانصاف في مسائل الخلاف حـ ٢ ص ٣٠٩ ، حـ ١ ص ١١٨

(٢) الاقتراح ص ٢٩ ، وانظر اصول ابن السراج ص ٩٣/٩٤

فانه يحتمل ان يكون منصوبا باضمار (الزم) في باب الاغراء وبهذا لا يصح الاستدلال بالبيت على قصر (الاخ) (١) .

١١ ـ تعدد روايات البيت : كثيرا ما تروى الابيات على اوجه مختلفة ، ويكون الشاهد في بعض دون بعض ، وفسر المصنف ذلك بأن الشاعر ربما يكون قد انشد البيت مرة هكذا ، ومرة هكذا.

ونقل عن ابن هشام ان قول الشاعر :

ولا ارض ابقل ابقالها (٢) .

روى بوجه آخر ، وذلك بالتأنيث مع نقل حركة الهمزة الى الى التاء ، فيكون هكذا :

ولا ارض ابقلت ابقالها .

قال ابن هشام : « فان صح ان القائل بالتأنيث هو القائل بالتذكير صح الاستشهاد به على الجواز من غير الضرورة ، والا فقد كانت العرب ينشد بعضهم شعر بعض ، وكل يتكلم على سجيته التي فطر عليها ، ومن هنا كثرت الروايات في بعض الابيات » (٣) .

١٢ ـ معرفة اللغة والنحو والتصريف فرض كفاية،لان معرفة الاحكام الشرعية متوقفة عليها ، وذلك لان ادلة الاحكام انما هي القرآن والسنة ، وهما بلغة العرب ، ومعرفتها متوقفة على معرفة اللغة

---

(١) الاقتراح ص ٢٩

(٢) الاقتراح ص ٣٠ ، والشاهد عجز بيت لعامر بن جوين الطائي ، وصدره : فلا مزنة ودقت ودقها .

(٣) الاقتراح ص ٣٠ ، وانظر في اصول النحو ص ٥٩

والنحو والتصريف (١) .

١٣ ـ نقل اللغة: ينقسم نقل اللغة والنحو والتصريف الى قسمين متواتر وآحاد ، وان غالب ما نقل منها ، انما هو متواتر ، والعلم بها حاصل بصورة قطعية ، فانا نجد انفسنا مثلا جازمة بأن السماء، والارض ، والماء ، والهواء ، وكثيرا من امثالها كانت مستعملة في معناها المعروف عند العرب قبل فشو اللحن ، وكذلك لم يزل الفاعل مرفوعا والمفعول منصوبا ، والمضاف اليه مجرورا . وجميع ألفاظ القرآن ونحوه وتصريفه من هذا النوع (٢) .

١٤ ـ أدلة النحو : نقل عن ابن الانباري ان ادلة النحو ثلاثة : نقل ، وقياس ، واستصحاب حال .

وحد النقل بأنه : « الكلام العربي الفصيح ، المنقول بالنقل الصحيح ، الخارج عن حد القلة الى حد الكثرة » (٣) .

ونحب أن نشير هنا ألى ان النقل والسماع مصطلحان يعنيان شيئا واحدا ، وسبق للسيوطي ان حد السماع في اول كلامه في هذا المبحث ، (٤) وعاد هنا وحده مرة اخرى ، وقد نقل هذا الحد من كتاب (لمع الأدلة) لابن الأنباري ، وذلك لأنه لم يطلع على

---

(١) الاقتراح ص ٣٠ ، وانظر مقدمة ابن خلدون ص ٦٣٨ ، وشرح عقود الجمان ص ٣

(٢) الاقتراح ص٣٣/٣٤ ، وانظر لمع الأدلة ص٨٣

(٣) الاقتراح ص ٣٤ ، وانظر لمع الأدلة ص٨١

(٤) الاقتراح ص١٤

هذا الكتاب الا بعد تصنيفه كتابه (الاقتراح) .

وبهذه المسألة ينتهي الكتاب الاول ، الذي خصصه للسماع ، وبحث فيه كل ما يتعلق به ، وضمنه قواعد كثيرة ترتبط بالاحتجاج وغالب مسائل هذا الكتاب منقولة بتصرف من كتاب (الخصائص) لابن جني ، (وشرح التسهيل) لأبي حيان ، و (لمع الأدلة) لأبن الأنباري.

(٥)

الاجمـــاع

يبحث هذا الموضوع في الكتاب الثاني من الاقتراح ، وتناول فيه اربع مسائل ، هي : اجماع النحاة ، واجماع العرب ، وتركيب المذاهب ، واحداث قول ثالث .

١ ـ اجماع النحاة : قال : « والمراد به اجماع نحاة البلدين : البصرة والكوفة » (١) .

ونقل عن ابن جني : ان الاجماع يكون حجة « اذا لم يخالف المنصوص ولا المقيس على المنصوص والا فلا ، لانه لم يرد في قرآن ولا في سنة انهم لا يجتمعون على الخطأ ... وانما هو علم منتزع من استقراء هذه اللغة ، فكل من فرق له عن علة صحيحة ، وطريق نهجه كان خليل نفسه ، وابا عمرو وفكره ، الا اننا مع ذلك لا نسمح له بالأقدام على مخالفة الجماعة التي طال بحثها ، وتقدم نظرها الا بعد امعان واتقان « (٢) .

وذكر السيوطي عدة امثلة لخروج بعض النحاة على الاجمـــاع ، منها : ان النحاة اجمعوا على جواز تقديم خبر ليس عليها ، وخالف ابو العباس المبرد هذا الاجماع فمنع ذلك ، قال في الاقتراح نقلا عن ابن جني : « فأحد ما يحتج به عليه (يعني على المبرد) ان يقال

(١) الاقتراح ص ٣٥

(٢) الاقتراح ص٣٥ ، وانظر الخصائص حـ١ ص١٨٩/١٩٠

هذا اجازه سيبويه ، وكافة اصحابنا ، والكوفيون ايضا ، فاذا كان ذلك مذهبا للبلدين ، وجب ان تنفر عن خلافة » (١) .

وما ذكره ابن جني والسيوطى من خروج المبرد على اجماع النحاة يخالف تماما لما نقله غيرهما من النحاة ، فقد قال ابن الانباري في الانصاف : « ذهب الكوفيون الى انه لا يجوز تقديم خبر (ليس) عليها ، واليه ذهب ابو العباس المبرد من البصريين ، وزعم بعضهم انه مذهب سيبويه ، وليس بصحيح ، والصحيح انه ليس له في ذلك نص ، وذهب البصريون الى انه يجوز تقديم خبر « ليس » عليها كما يجوز تقديم خبر كان » (٢) .

وقد صحح ابن الأنباري ما ذهب اليه الكوفيون .

واما ابن مالك فقد قال في التسهيل : «ولا يتقدم خبر دام اتفاقا ولا خبر ليس على الاصح » (٣) وقال في الالفية :

ومنع سبق خبر ليس اصطفى وذو تمام ما برفع يكتفى

وقال ابن عقيل في الشرح : « اختلف النحويون في جواز تقديم خبر (ليس) عليها ، فذهب الكوفيون والمبرد والزجاج وابن السراج واكثر المتأخرين — ومنهم المصنف - الى المنع ، وذهب ابو علي وابن البرهان الى الجواز ، فتقول : (قائما ليس زيد) .

واختلف النقل عن سيبويه ، فنسب قوم اليه الجواز ، وقوم

---

(١) الاقتراح ص٣٥ ، وانظر الخصائص حـ١ ص١٨٨

(٢) الانصاف حـ٩٢وانظر ص٩٥ ، ص ١

(٣) التسهيل ص ٥٤

المنع » (١) .

ونقل أبو حيان فى الارتشاف الخلاف الواقع فى هذه المسألة فقال : « وأما تقديم خبر ليس عليها فذهب جمهور الكوفيين والمبرد والزجاج ، وابن السراج ، والسيرافى ، وابو علي فى الحلبيات ، وابن عبد الوارث ، والجرجاني ، والسهيلي ، وأكثر المتأخرين الى انه لا يجوز وذهب قدماء البصريين ، والفراء ، وأبو علي فى المشهور ، وابن برهان ، والزمخشري ، والاستاذ ابو على الشلوبين الى جواز ذلك واختاره ابن عصفور ، وروى ايضا عن السيرافى . واختلف النقل في ذلك عن سيبويه ، فنسب الجواز والمنع اليه » .(٢)

ومبعث هذا الخلاف منصب على عدم ورود نص مسموع فيه جواز التقديم ، وعلى هذا اعتمد الذين منعوا ذلك ، اما الذين أجازوا التقديم ، فانما أجازوه قياسا على تقديم خبر (كان) عليها وله وجة آخر من القياس عندهم ، وهو أنه ورد في كلام العرب ما ظاهره تقدم معمول خبر (ليس) عليها ، كقوله تعالى : (ألا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم) (٣)

فان (يوم يأتيهم) معمول الخبر الذي هو ، (مصروفا) وقد تقدم على (ليس) ، ولا يتقدم المعمول الا حيث يتقدم العامل .(٤)

---

(١) شرح ابن عقيل على الالفية حـ١ ص١٦٣/١٦٤

(٢) الارتشاف نسخة دار الكتب ٢٦ نحو حليم ق ٢٠٣ أ

(٣) سورة هود آية رقم (٨)

(٤) شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك حـ١ ص١٦٤

ولما كانت (ليس) محمولة على (كان) ، وجارية مجراها وان النحو – كما قيل – قياس يتبع ، لذلك فانني أعتقد ان الذين اجازوا التقديم لم يبعدوا عن الصواب ، وتابعهم فيه قياس صحيح ، لأنه لم يصطدم لا بمسموع حتى ينفر منه ، ولا بقاعدة نحوية حتى يفر منه ، بعدا عن مخالفة ما أصلوه ، وهذا هو القياس الصحيح لأن « للانسان أن يرتجل من المذاهب ما يدعو اليه القياس ما لم يلو (١) بنص أو ينتهك حرمة شرع » . (٢)

٢ ـ اجماع العرب : وهو حجة قوية ، اذا امكن الوقوف على ذلك قال السيوطي : « ومن صوره ان يتكلم العربي بشيء ، ويبلغهم ويسكتون عليه » . (٣)

فقد جوز العلامة ابن مالك نصب خبر (ما) ، وان توسط بينها وبين اسمها (٤) ، واحتج لذلك بقول الفرزدق :

فاصبحوا قد اعاد الله نعمتهم اذهم قريش واذ ما مثلهم بشر

فالفرزدق كان له أضداد من الحجازيين والتميميين ، ومن مناهم ان يظفروا له بزلة يشنعون بها عليه ، مبادرين لتخطئته ، ولو جرى شيء من ذلك لنقل لتوافر الدواعي على التحدث بمثل ذلك . قال ابن مالك فيما نقله عنه السيوطي : « ففي عدم نقل ذلك دليل على اجماع أضداده الحجازيين ، والتميميين على تصويب

(١) لوى بالكلام : اي خالف به عن جهته ، وانحرف عن قصده

(٢) الخصائص حـ١ ص١٨٩

(٣) الاقتراح ص٣٦

(٤) التسهيل ص٥٦

قوله » . (١)

وما احتج به ابن مالك في غاية الصحة ، ان سلم البيت من تحريف الرواة .

٢ تركيب المذاهب : وهو ان تضم المذاهب الى بعضها وينتحل من بين ذلك مذهب ثالث ، ويشبهه في اصول الفقه احداث قول ثالث والتلفيق بين المذاهب .

ومثل له بتصغير (يرى) اذا سميت به رجلا ، فعلا مذهب المازني تقول : رأيت يريئيا ، فترد المحذوف على رأي يونس ، وكان سيبويه لا يرده ، وتصرفه على رأي سيبويه ، وكان يونس لا يصرفه فقد لفق المـــازني من المذهبين مذهبا ثالثا ، فقال برد المحذوف وصرف الاسم . (٢)

٤ احداث قول ثالث : نقل عن ابي البقاء العكبري انه قال : (ان اهل العصر الواحد اذا اختلفوا على قولين جاز لمن بعدهم احداث قول ثالث ، هذا معلوم من اصول الشريعة ، وأصـول اللغة محمولة على أصول الشريعة » . (٣)

هذه هي المســائل التي عالجها السيوطي في الكتاب الثاني من الاقتراح .

---

(١) الاقتراح ص٣٦

(٢) الاقتراح ص٣٧ وانظر الخصائص حـ٢ ص٧١ / ٧٢

(٣) الاقتراح ص٣٨

وتعبر هذه المسائل جملة وتفصيلا عن مدى تأثر النحو بالعلوم الدينية، فما فيها من مصطلحات الاجماع ، والتلفيق واحداث قول ثالث ، انما هي في الواقع مصطلحات دأب الاصوليون من اهل الفقه على استعمالها ، فاستعارها منهم النحاة وطبقوها على دراساتهم النحوية .

(٦)

القيـــاس

القياس اصل هام من أصول النحو ، وقد بحثه السيوطي بحثا مستفيضا وتناوله من ثلاثة جوانب ، هي : حدّه ، والرد على من أنكره ، وأركانه .

١ — حد القياس :

نقل عن ابن الانباري انه قال في جدله : « هو حمل غير المنقول على المنقول اذا كان في معناه » (١) .

ولقد ارتبط النحو بالقياس ارتباطا وثيقا وصـــارا متلازمين ، لذلك نجد أن النحاة ذكروا في حده انه : « علم بمقاييس مستنبطة من استقراء كلام العرب » (٢) . وهذه العلاقة المتينة بدأت منـذ الأيام الاولى لنشأة النحو ، وقد عبر عنها الكسائي أصـدق التعبير حينما قال :

« انما النحو قياس متبع » (٣)

٢ — الرد على من انكر القياس : أجمع النحاة على ان القياس من أدلة النحو المعتبرة ، وان انكاره خرق للاجماع ، قال ابن الأنباري : « اعلم ان انكار القياس في النحو لا يتحقق لان النحو

---

(١) الاقتراح ص٣٨ ، وانظر الاغراب في جدل الاعراب ص٤٥

(٢) الاقتراح ص٣٨ ، وانظر لمع الأدلة ص٩٥

(٣) الاقتراح ص٣٨ ، وانظر انباه الرواة جـ٢ ص٢٦٧

كله قياس ... فمن انكر القياس فقد انكر النحو ، ولا يعلم احـــد من العلماء انكره ، لثبوته بالدلالة القاطعة ، وذلك انا أجمعنا انـه اذا قال العربي كتب زيد ، فانه يجوز ان يسند هذا الفعل الى كل اسم مسمى يصح منه الكتابة ، نحو : عمرو ، وبشر ، وازدشير ، الى ما لا يدخل تحت الحصر . واثبات ما لا يدخل تحت الحصر بطريق النقل محال ، وكذلك القول في سائر العوامل الداخلة عـلى الاسماء والافعال » (١) .

فلو لم يجز القياس ، واقتصر على مـــا ورد في النقل من الاستعمال ، لبقي كثير من المعاني لا يمكن التعبير عنها لعدم النقل وذلك مناف لحكمة الواضع ، فوجب ان يوضع النحو وضعا قياسيا عقليا » (٢) .

والقياس معتبر في كثير من العلوم الانسانية ، وقد اشار الى هذا صاحب المستوفى فيما نقله عنه السيوطي حيث قال : « كـــل علم فبعضه مأخوذ بالسماع والنصوص ، وبعضه بالاستنباط والقيـاس ، وبعضه بالانتزاع من علم آخر » (٣) .

ويعتبر القياس ابرز فرق بين علم اللغة والنحو ، لان اللغـة وضعت وضعا نقليا لا عقليا ، فلا يجوز القياس فيها ، بـل يقتصر عـــلى مـــا ورد به النقل ، قال ابـن الانباري : « الا ترى ان القارورة سميت بذلك لاستقرار الشيء فيها . ولا يسمى كل مستقر

(١) الاقتراح ص٣٨/٣٩ ، وانظر لمع الادلة ص٩٥
(٢) الاقتراح ص٣٩ ، وانظر لمع الادلة ص٩٩
(٣) الاقتراح ص٣٨

فيه قارورة ، وكذلك سميت الدار داراً لاستدارتها ، ولا يسمى كل مستدير دارا » (١) .

٣ — اركان القياس :

قال السيوطي : « للقياس اربعة اركان : أصل ، وهو المقيس عليه ، وفرع وهو المقيس ، وحكم ، وعلة » .

ومثاله ان تركب قياسا في الدلالة على رفع ما لم يسم فاعله ، فنقول : اسم اسند اليه الفعل مقدما عليه ، فوجب ان يكون مرفوعا قياسا على الفاعل ، فالاصل هو الفاعل ، والفرع هو ما لم يسم فاعله . والحكم هو الرفع ، والعلة الجامعة هي الاسناد (٢) .

وقد عقد السيوطي لكل ركن من هذه الاركان فصلا ، بحث فيه كل ما يتعلق بهذا الركن ، واليك تفصيل ذلك :

(أ) المقيس عليه :

جعل المصنف من شروطه الا يكون شاذا خارجا عن سنن القياس ، وما كان كذلك لا يجوز القياس عليه ، كتصحيح استحوذ واستصوب ، واستنوق . وحذف نون التأكيد في قول الشاعر :

اضرب عنك الهموم طارقها ضربك بالسيف قونس الفرس (٣)

---

(١) الاقتراح ص٣٩ ، وانظر لمع الادلة ص٩٩/١٠٠

(٢) الاقتراح ص٣٩ ، وانظر لمع الادلة ص٩٣

(٣) قال ابن برى : « البيت لطرفة ، ويقال انه مصنوع عليه » . انظر لسان العرب حـ٨ ص٦٧ ، وقونس الفرس : هو ما بين اذنيه ، وقيل عظم ناتىء ما بين اذنيه .

أراد الشاعر (اضربن) فحذف نون التوكيد ، وهو شاذ وضعيف قال السيوطي : « ووجه ضعفه في القياس ان التوكيد للتحقيق ، وانما يليق به الاسهاب والاطناب ، لا الاختصار والحذف » (١) .

وذكر انه كما لا يقاس على الشاذ نطقا ، لا يقاس عليه تركا ، فامتناعك من استعمال (وذر ، وودع) لا يحملك على ان تمتنع استعمال مثل (وزن ، ووعد) ، لان ترك الاول شاذ عن بابه ، والاصل والقياس فيه الاستعمال ، وقد قال ابن جني في الخصائص: « اذا كان الشيء شاذا في السماع مطردا في القياس ، تحامت ما تحامت العرب من ذلك ، وجريت في نظيره على الواجب في امثاله » (٢) .

والاصل في القياس كما هو معروف أن يجري على الأكثر ، ولكن ربما اجرت العرب القياس على القليل ، ومنعته من الكثير ، وذلك لموافقة القليل للقياس ومخالفة الكثير له .

فمثلا النسب الى شنوءة : شنئى ، ولم يرد في العربية على هذا القياس مثال آخر ، ولكن مع ذلك يحق لك ان تقيس عليه فتقول في ركوبة : ركبي ، وفي حلوبة : حلبي ، وفي قتوبة : قتبي .

وذلك لأنهم أجروا (فعولة) مجرى (فعيلة) لمشابهتها اياها من اوجه ، فان كلا منهما ثلاثي ، وان ثالثه حرف لين ، واخره تاء التأنيث ، وان فعولاً وفعيلا يتواردان ، نحو : أثيم وأثوم ،

---

(١) الاقتراح ص ٤٠ ، وانظر الخصائص ﺣ١ ص١٢٦

(٢) الاقتراح ص ٤١ ، وانظر الخصائص ﺣ١ ص٩٩

ورحيم ورحوم (١) .

بينما تحامت العرب القياس على مثل (قريش : قرشي ، وثقيف : ثقفي ، وسليم : سلمى) ، فهو وان كان اكثر من (شنؤة : شنئى) الا انه عند سيبويه ضعيف في القياس ، فلا يقال في سعيد : سعدى ولا في كريم : كرمى (٢) .

وبحث السيوطي في هذا الفصل انواع القياس ، وذكر انها أربعة انواع ، وهى :

(١) حمل فرع على أصل ، ومثاله : اعلال الجمع لاعلال المفرد مثل (قيمة : قيم) ، او تصحيحه لصحة المفرد ، مثل (ثور : ثورة) (٣)

(٢) حمل اصل على فرع ، كاعلال المصدر لاعلال فعله ، مثل (قام : قياما) ، وتصحيحه لصحة فعله ، مثل : (قاومت ؛ قواما) (٤) .

ونقل المصنف من ابن جني عدة امثلة جاء فيها حمل اصل على فرع ، منها : « حذف الحروف للجزم ، وهي اصول ، حملا على حذف الحركات له ، وهي زوائد . وحمل الاسم على الفعل في منع

---

(١) الاقتراح ص ٤١ ، وانظر الخصائص حـ١ ص١١٥ ، وفي أصول النحو ص ٩٨

(٢) الاقتراح ص ٤١ ، وانظر الخصائص حـ١ ص١١٦

(٣) الاقتراح ص ٤٢ ، وانظر الخصائص حـ١ ص١١٢

(٤) الاقتراح ص ٤٣ ، وانظر الخصائص حـ١ ص١١٣

الصرف ، وعلى الحرف في البناء ، وهو أصل عليهما » (١) .

(٣) حمل نظير على نظير : وذكر له أمثلة كثيرة ، منها : زيادة (ان) بعد (ما) المصدرية الظرفية ، و(ما) الموصولة ، حملا على زيادتها بعد (ما) النافية ، لأنها بلفظ واحد .

ومنه كذلك: حمل (غير قائم الزيدان) على (ما قائم الزيدان) لأنهما في معنى واحد (٢) .

(٤) حمل ضد على ضد : وجعل منه النصب ؛ (لم) حملا على الجزم ؛ (لن) ، فان الاولى لنفي الماضي ، والثانية لنفي المستقبل » (٣) .

(ب) المقيس :

ذكر السيوطي ان النحاة قد توسعوا في القياس توسعا اباح لهم ان يعتبروا ما قيس على كلام العرب فهو من كلامهم ، فقد قرر ذلك المازني حيث قال : « الا ترى انك لم تسمع انت ولا غيرك اسم كل فاعل ، ولا مفعول ، وانما سمعت البعض فقست عليه غيره فاذا سمعت قام زيد ، اجزت ظرف بشر ، وكرم خالد » (٤) .

وقد وافق المازني جل النحاة ، فقالوا بقوله ، منهم : ابو بكر

---

(١) الاقتراح ص٤٣ ، وانظر الخصائص حـ١ ص ٣١٠ ، ص٣١١ ، وفي اصول النحو ص ٩٩

(٢) الاقتراح ص٤٤

(٣) الاقتراح ص٤٤ ، وانظر الخصائص حـ١ ص٣٥٧

(٤) الاقتراح ص٤٤ ، وانظر الخصائص حـ١ ص٣٥٧

بن السراج ، وأبو علي الفارسي ، وابن جني ، (١) قال السيوطي : « قال ابن جني ... تقول في مثال صحح من الضرب : ضربرب ، ومن القتل قتلتل ، ومن الشرب : شربرب ،... ، وهو من العربية بلا شك ، وان لم تنطق العرب بواحد من هذه الحروف » (٢) .

والذي دعا النحاة الى القول بان « ما قيس على كلام العرب فهو من كلامهم » انهم وجدوا العرب الاقحاح يتوسعون في القياس فيأتون بألفاظ لم يسبقوا اليها ، فقد قيل عن رؤبة وابيه العجاج « انهما قاسا اللغة وتصرفا فيها ، واقدما على ما لم يأت به من قبلهما » (٣) .

وربما استعان النحاة بالقياس على اثبات صحة اللغة ، فقد ذكر ابو بكر بن السراج « ان منفعة الاشتقاق لصاحبه ان يسمع الرجل اللفظة ، فيشك فيها ، فأذا رأى الاشتقاق قابلا لها ، أنس بها وزال استيحاشه منها ، وهذا تثبيت اللغة بالقياس » (٤) .

(ج) الحكم :

بحث السيوطي موضوع الحكم بصورة مقتضبة ، وتناول فيما مسألتين وهما :

---

(١) الاقتراح ص٤٤ ، وص٤٥ ، وانظر الخصائص حـ١ ص٣٥٧

(٢) الاقتراح ص٤٥ ، وانظر الى الخصائص حـ١ ص ٣٦٠ ، وانظر ص١١٤ .

(٣) الاقتراح ص٤٥ ، وانظر الخصائص حـ١ ص٣٦٩

(٤) الاقتراح ص٤٥ ، وانظر الخصائص حـ١ ص٣٦٩

الأولى . ان الاصل في القياس ان يقاس على حكم ثبت بالسماع فهل يجوز ان يقاس على حكم ثبت بالقياس والاستنباط ؟

قال السيوطي : « ظاهر كلامهم نعم » . (١)

الثانية : الاصل في القياس ان يقاس على حكم اتفق عليه فهل يجوز ان يقاس على اصل اختلف في حكمة ؟

نقل المصنف عن ابن الانبارى انه اختلف فيه ، فأجازه قوم ومنعه قوم ، ومثل له بحمل (الا) في الاستثناء على (يا) النداء ، فانها حرف قام مقام فعل فوجب ان يعمل النصب ، كما عملت (يا) في النداء النصب ، وهذا القياس هو حمل على اصول مختلف فيه ، لأن اعمال (يا) في النداء مختلف فيه . (٢)

(د) العلة :

بحث السيوطي موضوع العلة بصورة مفصلة ، وتناول فيها ثلاث مسائل أساسية ، وهي :

(١) علاقة علل النحويين بعلل المتكلمين والمتفقهين :

نقل عن ابن جني انه قرر ان علل النحويين اقرب الى علل المتكلمين منها الى علل المتفقهين ، « وذلك انهم انما يحيلون على الحس ويحتجون فيه بثقل الحال او خفتها على النفس ، وليس كذلك علل الفقه ، لأنها انما هي اعلام وأمارات لوقوع الاحكام ، وكثير منه لا يظهر فيه وجه الحكمة كالاحكام التعبدية ، بخلاف النحو فان كله او غالبه مما تدرك علته وتظهر حكمته ، قال سيبويه : وليس

(١) الاقتراح ص٤٥ ، وانظر الخصائص ج١ ص١٨٦

(٢) الاقتراح ص٤٦ ، وانظر لمع الأدلة ص١٢٤

شيء مما يضطرون اليه ، الا وهم يحاولون به وجها » . (١)

وقد تكون علل العربية خفية ، غير مدركة بالحس ، فيحتل النحوي بالسمـــاع ، قال السيوطي : « قـــال بعضهم اذا عجز الفقيه عن تعليل الحكم قال : هذا تعبدى ، واذا عجز النحوى عنه قال هذا مسموع » . (٢)

وكون علل النحو اقرب الى علل الكلام منها الى علل الفقه لا يعنى ان علل النحو مباينة لعلل الفقه ، وذلك لأن العلاقـة بينهمـا متينه ، فان النحاة قد انتزعوا عللهم من كتب الفقه ، صرح بذلك ابن جنى ونقله عنه السيوطي ، فقال : « اعلم ان اصحابنا انتزعـوا العلل من كتب محمد بن الحسن ، وجمعوهـــا منها بالملاطفة والرفق « . (٣)

وقد دافع السيوطي عن علل النحويين فذكر انك : « اذا استقريت اصول هذه الصناعة علمت انها في غاية الوثاقة ، واذا تأملت

---

(١) الاقتراح ص٤٦ ، ٤٧ ، وانظر الخصائص حـ١ ص٤٨ ، وكتـاب سيبويه حـ١ ص١٣

(٢) الاقتراح ص٤٧

(٣) الاقتراح ص٥١ ، وانظر الخصائص حـ١ ص١٦٣ ، ومحمد بن الحسن ، هو صاحب الامام ابي حنيفة ، وله كتب مشهورة ، منهـا : الجامع الكبير والجامع الصغير ، مات بالري سنة ١٨٩ هـ في اليوم الذي مات فيه الكسائي ، وقد كانا بصحبة الرشيد فقال : « اليوم دفنت الفقه واللغة » انظر نزهة الالباء ص٤٨ ومراتب النحويين ص٧٥

عللها عرفت انها غير مدخولة ولا تسمح فيها ، واما ما ذهب اليه ذهب اليه غفلة العوام من ان علل النحو تكون واهية ومتمحلة ... فبمعزل عن الحق » . (١) ويعضد هذا ما نقله عن ابن جني :

« ان العرب قد ارادت من العلل والاغراض ما نسبناه اليها ، ألا ترى الى اطراد رفع الفاعل ونصب المفعول ، والجر بحروفه ، والنصب بحروفه ، والجزم بحروفه ، وغير ذلك من التثنية ، والجمع ، والاضافة والنسب ، والتحقير ، وما يطول شرحه ، فهل يحسن بذى لب ان يعتقد ان هذا كله اتفاق وقع ، وتوارد اتجه ؟ . » (٢)

وما قاله ابن جني ، ونقله عنه السيوطي في غاية الصحة والدقة ومما يؤيد هذا انه نقل عن العرب تعليلات دقيقة ، القوها على فطرتهم وسجيتهم ، من ذلك ما نقله الأصمعي عن ابي عمرو ابن العلاء قال : « سمعت اعرابيا يقول : فلان لغوب جاءته كتابي فاحتقرها ، قال : فقلت له : أتقول جاءته كتابي ؟ ، فقال : اليس بصحيفة ؟ ، فحمله على المعنى ، وقد جاء ذلك كثيرا في كلامهم . » (٣) فقال ابن جني معقبا على هذه الواقعة : « أفتراك تريد من ابي عمرو وطبقته وقد نظروا ، وتدربوا ، وقاسوا ، وتصرفوا ان يسمعوا اعرابيا جافيا غفلا يعلل هذا الموضع بهذه العلة ، ويحتج لتأنيث المذكر بما ذكره ، فلا يهتاجوا هم لمثله ، ولا يسلكوا فيه طريقته

---

(١) الاقتراح ص٤٦

(٢) انظر الخصائص حـ١ ص٢٤٩ ، والاقتراح ص٥٨

(٣) الخصائص حـ١ ص٢٤٩ ، وانظر الاشباه والنظائر حـ١ ص١٩٠ والعلة النحوية ص٥٣ ، ونزهة الالباء ص٢١

فيقولوا : فعلوا كذا لكذا ، وصنعوا كذا لكذا ، وقد شرع لهم العربي ذلك ، ووقفهم على سمته ، وامه » . (١)

وقد اجتهد النحاه في ان تكون تعليلاتهم موافقة لما قام في اذهان العرب من تعليلات ، وتحروا ان يتوصلوا الى ذلك ، لان العرب قد نطقت على سجيتها ، وقامت في عقولهم علل كلامهم ، وان لم ينقل عنهم ذلك ، فقام النحاة بالكشف عن تلك العلل بما عندهم من وسائل النظر والقياس والمحاكمة ، فقد سئل ، الخليل بن احمد الفراهيدي « عن العلل التي يعتل بها في النحو ، فقيل له عن العرب اخذتها ام اخترعتها من نفسك ؟ فقال : ان العرب نطقت على سجيتها وطباعها ، وعرفت مواقع كلامها ، وقامت في عقولها علله ، وان لم ينقل ذلك عنها ، وعللت انا بما عندي انة علة لما عللته منه ، فان أكن أصبت العلة فهو الذي التمست وأن يكن هناك علة غير ما ذكرت ، فالذى ذكرته محتمل ان يكون علة له ، ومثلي في ذلك مثل حكيم دخل دارا محكمة البناء ، عجيبة النظم والاقسام ، وقد صحت عنده حكمة بانيها بالخبر الصادق أو البراهين الواضحة والحجج اللائحة ، فكلما وقف هذا الرجل الداخل الدار على شيء منها قال : انما فعل هذا هكذا لعلة وسبب كذا ، لعله سنحت له وخطرت محتملة ان تكون علة لذلك ، فجائز ان يكون الحكيم الثاني للدار فعل ذلك للعلة التي ذكرها هذا الذي دخل الدار ، وجائز ان يكون فعله لغير تلك العلة ، الا ان ما ذكره هذا الرجل محتمل ان يكون علة كذلك ، فان سنح لغيري علة لما عللته من النحو هي

(١) الخصائص ح١ ص٢٤٩ ، وانظر الاقتراح ص٥٨

أليق مما ذكرته بالمعلول فليأت بها » . (١)

(٢) أقسام العلة :

نقل السيوطي عن الجليس الدينوري ان : « اعتلالات النحويين صنفان : فعلة تطرد على كلام العرب ، وتنساق الى قانون لغتهم وعلة تظهر حكمتهم ، وتكشف عن صحة اغراضهم ومقاصدهم في موضوعاتهم ، وهم للأولى اكثر استعمالا وأشد تداولاً ، وهي واسعة الشعب ، الا ان مدار المشهورة منها على اربعة وعشرين نوعا ، وهي : علة سماع ، وعلة تشبيه ، وعلة استغناء ، وعلة استثقال ، وعلة فرق وعلة توكيد ، وعلة تعويض ، وعلة نظير ، وعلة نقيض وعلة حمل على المعنى ، وعلة مشاكلة ، وعلة معادلة ، وعلة قرب ومجاورة وعلة وجوب ، وعلة جواز ، وعلة اختصار ، وعلة تخفيف ، وعلة دلالة حال ، وعلة أصل ، وعلة تحليل ، وعلة اشعار ، وعلة تضاد وعلة أولى » . (٢)

وأردف المصنف هذه العلل بشرح لها نقله من تذكرة ابن مكتوم ، ندونك طرفا من هذا الشرح :

علة سماع : مثل قولهم : امرأة ثدياء ، ولا يقال : رجل أثدي وليس لذلك علة سوى السماع .

علة استثقال : كأستثقالهم الواو في (يعد) لوقوعها بين (ياء)

---

(١) الاقتراح ص٥٧ / ٥٨ ، وانظر الايضاح في علل النحو ، ص ٦٥ / ٦٦ ، والعلة النحوية نشأتها وتطورها ص٨٨ / ٨٩

(٢) الاقتراح ص٤٧ / ٤٨ ، وانظر بغية الوعاة حـ١ ص٥٤١ ، وفي اصول النحو ص١٠١ / ١٠٢

و (كسرة) . علة فرق : وذلك فيما ذهبوا اليه من رفع الفاعل ونصب المفعول ، وفتح نون الجمع وكسر نون المثنى .

علة نظير : مثل كسرهم احد الساكنين اذا التقيا حملا للجزم على الجراذ هو نظيره .

وعلة معادلة : مثل جرهم ما لا ينصرف بالفتحة حملا على النصب ، ثم عادلوا بينهما فحملوا النصب على الجر في جمع المؤنث السالم . (١)

وما الصنف الثاني من العلل فهو الذي يطلق عليه بعض النحاة علة العلة ، فقد نقل المصنف عن ابن السراج انه قال : « اعتلالات النحويين ضربان ضرب منها هو المؤدي الى كلام العرب كقولنا : كل فاعل مرفوع ، وكل مفعول منصوب ، وضرب يسمى : علة العلة ، مثل : ان يقولوا : لم صار الفاعل مرفوعا ، والمفعول منصوبا ؟ ، وهذا ليس يكسبنا ان نتكلم كما تكلمت العرب ، وانما يستخرج منه حكمتها في الأصول التي وضعتها ، ويتبين به فضل هذه اللغة على غيرها . » (٢)

وأنكر ابن جنى (علة العلة) ، واعتبرها ما أطلقه ابو بكر بن السراج انما هو تجوز في اللفظ ، فأما في الحقيقة فهو شرح وتفسير وتتميم للعلة ، قال : « ألا ترى انه اذا قيل : فلم ارتفع الفاعل ؟

---

(١) الاقتراح ص٤٨

(٢) الاقتراح ص٤٩ ، وانظر الخصائص حـ١ ص١٧٣ ، واصول ابن السراج لوحة رقم١

قال لاسناد الفعل اليه ، ولو شاء الابتدأ هذا فقال في جواب رفع (زيد) من قولنا : (قام زيـد) انما ارتفع لاسناد الفعل اليه ، فكان مغنيا عن قوله انما ارتفع لأنه فاعل ، حتى يسأل فيما بعد عن العلة التي لها ارتفع الفاعل » . (١)

ونقل السيوطي تقسيما آخر للعلل النحوية ، ذكره الزجاجي في كتـابه الايضاح ، وهي على ثلاثة اضرب : علل تعليمية ، وعلل قياسية ، وعلل جدلية .

العلل التعليمية : وهي التي يتوصل بها الى تعلم كلام العرب لأنا لم نسمع نحن ولا غيرنا كل كلامنا منها لفظـا ، وانما سمعنا بعضـا فقسنا عليه نظيره ، قال الزجاجي : « ومثال ذلك اننا سمعنا قـام زيد ، فهو قائم ، وركب عمرو ، فهو راكب ، فعرفنا اسم الفاعل قلنا : ذهب ، فهو ذاهب ، وأكل ، فهو آكل ، ومن هذا النوع من العلل قولنا : ان زيدا قائم ، فان قيل لم نصبتم زيدا ؟ قلنـا بأن لأنها تنصب الاسم وترفع الخبر ، لأنا كذلك علمناه ونعلمه وكذلك قام زيد ، ان قيل : لم رفعتم زيدا ؟ قلنـا لأنه فاعـل اشتغل فعله به فرفعه ، فهذا وما أشبهه من نوع التعليم وبه ضبط كلام العرب » . (٢)

والعلل التعليمية عند الزجاجي هي التي اطلق عليها النحـاة « العلل الأول » وهي المحققـة لغـاية النحـو ، وقد تلقاها جميع

(١) الاقتراح ص٤٩ ، وانظر الخائص حـ١ ص١٧٣

(٢) الاقتراح ص٥٦ / ٥٧ ، وانظر الايضاح في علل النحو ص٦٤ والعلة النحوية : نشأتها وتطورها ص٩٦

النحويين بالقبول والتسليم ، حتى اللذين انكروا العلل كابن مضاء القرطبي الذي نص في كتابه الرد على النحاة على : « أن العلل الأول بمعرفتها تحصل لنا المعرفة بالنطق بكلام العرب المدرك منا بالنظر . » (١)

العلل القياسية : واما العلل القياسيه فهي ان يقـال ، لم نصب (زيد) بـ (انّ) في قوله : (ان زيداً قائم) ؟ ، ولم وجب أن تنصب (انّ) الاسم ؟ ، قال الزجاجي : « والجواب في ذلك ان نقول : لأنها وأخواتها ضارعت الفعل المتعدي الى مفعول فحملت عليه واعملت اعماله لما ضارعته ، فالمنصوب بها مشبه بالمفعول لفظا فهي تشبه من الافعال ما قدم مفعوله على فاعله ، نحو : ضرب اخاك محمد ، وما شبه » . (٢)

وهـــذا النمط من العلل هو الذي اطلق عليه ابن السراج علة العلة ، وسبق ان ذكرنا ان ابن جني اعترض على هذه التسمية ، وانكر ان تكون للعلة علة ، واعتبر ما مثل به ابن السراج انما هو شرح وتتميم للعلة .

وسمىّ ابن مضاء القرطبي في رده على النحاة هذا النوع من العلل بالعلل الثواني ، ونهـج نهج ابن جـنى في انكارها ، ودعا الى الغائها ، واحتج بأن هذه العلل مستغنى عنها ، ولا تفيدنا الا ان

---

(١) الرد على النحاة ص١٥٢ ، وأنظر مقدمة المحقق الدكتور شوقي ضيف للكتاب السابق ص ٣٣ — ٣٦ ، وشرح السيرافي لكتـاب سيبويه جـ ١ ص٢٦٥ ، والعلة النحوية ص٩٧

(٢) الاقتراح ص ٥٧ ، وانظر الايضاح في علل النحو ص٦٤

العرب امة حكيمة . (١)

العلل الجدليـــة النظرية : وهي كـل ما يعتل به بعد العلل التعليمية والقياسية ، فمثـلا ان يسأل في باب (انّ) : من أى جهة شابهت هذه الحروف الافعال ؟ وبأى الأفعال شبهتموها ابالماضية ام المستقبلة ام الحادثة في الحال ؟ ، وحين شبهتموها بالافعال لأي شيء عدلتم بها الى ما قدم مفعوله على فاعله ؟ ، الى غير ذلك من الأسئلة . فكل شيء اعتل به جوابا على هذه المسائل فهو داخل في الجدل والنظر . (٢)

وهذا الضرب من العلل هو الذى اطلق عليه ابن مضاء القرطبي (العلل الثوالث) ، ودعا الى اسقاطها من الدراسات النحويه ، لأنه ليس في تلكم التعليلات نفع ولا فائدة في ضبط الالسنة . (٣)

والعلل النحوية بدأت ملازمة للنحو ، فكانت في مراحلها الأولى عللا بسيطة ســاذجة ترتبط بالظاهر اللغوي ،.ولا تتعداه فهي علل تعليمية صرفة ، لا تحتاج الى تكلف في الاستنباط ولا امعان نظر يرى القارىء أو الدارس اختلاف الحـركات عند تغيير العبارات فيسأل لم ارتفع هذا الاسم في هذا الموضع ، وانتصب في موضع آخر وجر في موضع ثالث ؟ ، فيجيبه النحوى بناء على استقراءات سابقة : انه كان ـ مثلا ـ هنا فاعلا ، وهناك مفعولا ، وفي الآخر مسبوقا

---

(١) الرد على النحاة ص١٥١ وانظر المدارس النحوية ص٣٠٦ ، والعلة النحوية نشأتها وتطورها ص١٥٤

(٢) الاقتراح ص ٥٧ وأنظر الايضاح في علل النحو ص٦٥

(٣) الرد على النحاة ص١٥١ ، المدارس النحوية ص٣٠٦

بحرف الاضافة .

ثم نمت الدراسات النحوية ، وتعددت حلقـاتها ، وتزايد نظارها وتفاعلت مباحثها مع سائر العلوم من فقه ومنطق وكلام وفلسفة فتعمق الباحثون فيها ، وقوي نظرهم ، وتنوعت أسئلتهم ، وأخذوا يتطلعون الى ما وراء المظاهر اللغوية ، فدفعهم تطلعهم هذا الى القاء اسئلة أكثر تعمقا وابعد غورا في مسارب اللغة من اسئلتهم الاولى وربما سألوا - مثلا - عن سر رفع الفاعل وانتصـاب المفعول وجـر المضاف ، وهكذا تطور التعليل في اللغة ، فكانت العلل الثواني والثوالث ، وهذه العلل وان بدت لا علاقة لها بتعلم العربية واتقان النطق بها ، الا انها في الحقيقة انما تعبر عن رغبة الانسان المتزايدة في اكتشاف كل شيء حوله ، وان ورودها في ذهن الدارس أو الباحث ورودا لازما ، لأن مبعثها الكشف عن كل ظاهرة تلامس فكر الانسان ، ومن هنا كانت الدعوة الى الغاء العلل والتعليل دعوة تقضي الى تجميد التفكير والوقوف على النص وقفة جامدة ، فلا مجال للكشف عما وراءه ، فاذا سأل سائل لم ارتفع الفاعل ؟ فلمجب لأن العرب نطقت به (١) ، أو قال قائل لم انتصب المفعول ؟ فلنقل : هكذا سمعناه ممن يوثق بعربيته . ولكن يا ترى هل سيقنع السائل بهذا الجواب فيزيل الاشكال العالق في ذهنه ،فلا يعاود السؤال مرة أخرى : أو ان الاشكال سيبقى عالقا في الذهن حتى يقع على الجواب الشافي الذي مبعثه التعليل ؟

---

(١) الرد على النحاة ص١٥١ ، وأنظر العلة النحوية تطورها ونشأتها ص١٥٥

ولا يعني دفاعي عن العلة والتعليل أن كل ما ذكره النحاة الأول من تعليلات مستقيم ومقبول ، فقد كانت بعض تعليلاتهم واهية ومصطنعة ومتكلفة ، من ذلك ما اطلق عليه بعضهم (العلل الخيالية) ، ومثلوا لها بحرف الاستفهام (هل) ، « فان الأصل فيها دخولها على الفعل ، وقد تخرج عن الاصل فتدخل على اسم خبره اسم ، ولا تدخل على اسم خبره فعل مثل : (هل عمرو كتب ؟) وعللوا ذلك بأن (هل) اذا لم تر الفعل في حيزها تسلت عنه ذاهلة ، وان رأته في حيزها حنت اليه اسابق الالفة ، فلم ترض حينئذ الا بمعانقته . » (١) ، وربما كان هذا النوع من التعليل هو الذي دفع بعضهم الى ضرب المثل بضعفها ورقتها فقالوا « أضعف من حجة نحوي » (٢)

وقد سبقنا ابن جني الى التنبيه بأن قسما من التعليلات « لا تنطوي عليه النفس الا على تجشم واستكراه » . (٣) وهذا النوع هو الذي يجب أن يبتعد عنه النحوي ويسقطه من دراساته اللغوية .

---

(١) في اصول النحو ص١٠٣ ، وأنظر القياس في اللغة ص٧٦

(٢) قال ابن فارس (المتوفى سنة ٣٩٥) :

مرت بنا هيفاء مقدودة　　تركية تنمى لتركي

ترنو بطرف فاتن فاتر　　أضعف من حجة نحوي

(٣) الخصائص حـ١ ص٨٨ ، وانظر الاقتراح ص٥٠ ، والعلة النحوية نشأتها وتطورهاص١٢٥ .

٣) مسالك العلة :

ان مسالك التعرف على العلة كثيرة ، وقد اولاها المصنف عناية ملحوظة ، وبحثها بصورة وافية ، وذكر لها ثمانية مسالك ، هي : الاجماع ، والنص ، الايماء ، والسبر ، والتقسيم ، والمناسبة ، والشبه ، والطرد ، والغاء الفارق ،

وقد شرح المصنف هذه المسالك ، واليك شيئا من هذا الشرح:

(١) الاجماع : وذلك ان يجمع أهل العربية على ان علة هذا الحكم كذا ، كما جماعهم على ان علة تقدير الحركات في المقصور التعذر ، وفي المنقوص الاستثقال (١) .

(٢) النص : وهو ان ينص العربي على العلة ، ومثل له بجملة امثلة ، منها : ان المبرد قال : سمعت عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير يقرأ (ولا الليل سابق النهار) ، فقلت له : ما تريد ؟ قال: اردت سابق النهار وقيل له : فهلا قلته ، قال : لو قلته لكان اوزن ... وقال سيبويه : سمعنا بعضهم يدعو : اللهم ضبعا وذئبا ، فقلنا له : ما اردت ؟ فقال : أردت : اللهم اجمع فيها ضبعا وذئبا ، كلهم يفسر ما ينوي ، فهذا تصريح منهم بالعلة (٢) .

٣) السبر والتقسيم : وذلك بأن يذكر الوجوه المحتملة ، ثم يسبرها ، أي يختبر ما يصلح منها ، وينفي ما عداه .

---

(١) الاقتراح ص٥٨

(٢) الاقتراح ص٥٨ ، وانظر الخصائص حـ١ ص١٢٥ ، وص٢٤٩/٢٥٠، والكتاب حـ١ ص١٢٩

وقد استدل النحاة على اثبات كثير من احكامهم عن طريق هذا المسلك من ذلك استدلال ابن الانباري على عدم جواز دخول اللام في خبر لكن ، فقال : « لو جاز دخول اللام في خبر لكن لم يخل اما ان يكون لام التأكيد ، او لام القسم ، بطل ان يكون لام التوكيد لانها انما حسنت مع ان لاتفاقهما في المعنى ، وهو التأكيد ، ولكن ليست كذلك ، وبطل ان تكون لام القسم لانها انما حسنت مع (ان) لان (ان) تقع في جواب القسم كاللام ، ولكن ليست كذلك ، واذا بطل ان تكون لام التوكيد ولام القسم بطل ان يجوز دخول اللام في خبرها (١) .

ويلاحظ مما اوردناه آنفا ان السيوطي قد بحث موضوع العلة بحثا مستفيضا ، وانه تناولا واسعا ، وقد اعتمد في ذلك على جملة مصادر أهمها كتاب الخصائص ولمع الادلة والاغراب في جدل الاعراب والبديع في النحو وتذكرة التاج ابن مكتوم . وبانتهاء موضوع العلة ينتهي مبحث القياس الذي هو أوسع مباحث كتاب الاقتراح .

---

(١) الاقتراح ص٦٠ ، وانظر لمع الادلة ١٢٧، والانصاف حـ١ ص١١٦ وما بعدها ، وشرح ابن عقيل حـ١ ص ٢١١

(٧)

الاستصحاب

الاستصحاب مصطلح فقهي استعمله الحنفية ، يريدون به : أن الأصل في الأشـــياء الاباحة ما لم يقم دليل على عدمها ، واستدلوا له بقوله تعالى : « هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا (١) » . واقد استعار النحاة هـــذا المصطلح وتداولوه في كتبهم النحوية ، وعدوه من الأدلة النحوية ، فقد نقل السيوطي في الاقتراح عن ابن الأنباري أنه قال : « ان أدلة النحو ثلاثة : نقل وقياس واستصحاب حال » . (٢) وقد عرفه بأنه : ابقاء اللفظ على ما يستحقه في الأصل عند عدم دليل النقل ، كاستصحاب حال الأصل في الأسماء وهـــو الاعراب حتى يوجد دليل البناء ، وحال الأصل في الأفعال وهو البناء حتى يوجد دليل الاعراب ، (٣) ونقل عن الانصاف أن البصريين أجمعوا على عدم تركيب (كم) واحتجوا بأن الأصل الافراد والتركيب فرع ، وقالوا : من تمسك بالأصل خرج عن عهدة المطالبة بالدليل

---

(١) سورة البقرة آية رقم ٢٩

(٢) الاقتراح ص٤ ، وانظر الاغراب في جدل الاعراب ص ٤٥

(٣) الاغراب في جدل الاعراب ص ٤٦

ومن عدل عن الأصل افتقر إلى اقامة دليل لعدوله عن الأصل (١)،
واستصحاب الحال - كما يقول السيوطي - من الأدلة المعتبرة، (٢)
وقد استدل به النحاة على مسائل كثيرة جدا لا تحصى ، كقولهم
الأصل في البناء السكون الا لموجب متحرك ، والأصل في الحروف
عدم الزيادة حتى يقوم دليل عليها من الاشتقاق ونحوه . (٣)

ونقل عن البصريين أنهم احتجوا لعدم جواز حذف حرف الجر بلا عوض بأن قالوا : « اجمعنا على أن الأصل في حروف الجر أن لا تعمل مع الحذف ، وانما تعمل معه في بعض المواضع اذا كان لها عوض ، ولم يوجد ، هنا ، فبقى فيما عداه على الأصل ، والتمسك بالأصل تمسك باستصحاب الحال ، وهو من الأدلة المعتبرة » . (٤)

وكما استدل البصريون باستصحاب الحال فقد استدل به الكوفيون أيضا ، فقد نقل السيوطي عن الأندلسي في شرح المفصل أنه قال : « استدل الكوفيون على أن الضمير في لولاك ، ونحوه مرفوع ، بأن قالوا : أجمعنا على أن الظاهر الذي قام هذا الضمير مقامه مرفوع ، فوجب أن يكون كذلك في هذا الضمير بالقياس عليه

---

(١) الاقتراح ص٧٢ وانظر الانصاف في مسائل الخلاف حـ١ص١٦٩ـ١٧٠

(٢) الاقتراح ص٧٢، وانظر الانصاف في مسائل الخلاف حـ١ ص١٧٠ ولمع الادلة ص١٤١

(٣) الاقتراح ص ٧٣

(٤) الاقتراح ص ٧٢

والاستصحاب » . (١)

واستصحاب الحال - كما يقول السيوطي - من أضعف الأدلة ، ولهذا لا يجوز التمسك به ما وجد هناك دليل يدعو للخروج عليه ، قال . « ألا ترى أنه لا يجوز التمسك به في اعراب الاسم مع وجود دليل البناء من شبه الحرف أو تضمين معناه ، وكذلك لا يجوز التمسك به في بناء الفعل مع وجود دليل الاعراب من مضارعته للاسم » . (٢)

والسيوطي لم يفصل القول كثيرا في هذا الدليل النحوي ، وجميع ما أورده فيه قد نقله من كتب ابن الأنباري ، لمع الأدلة ، والاغراب في جدل الاعراب ، والانصاف في مسائل الخلاف ، ونقل أيضاً من شرح المفصل لعلم الدين اللورقي الأندلسي ،

ولابد لي من أن أنبه في ختام كلامي على هذا المبحث الى مسألة هامة تتعلق بأسلوب السيوطي في النقل وهي انه كان في نقولاته كافة قد يتصرف بعض التصرف في النص الذي ينقله ، وخصوصا فيما إذا كان النص طويلا ، أما النصوص القصيرة فقد ينقلها نقلا حرفيا ، أقول هذا مع اعتقادي بعظيم امانته العلمية وحرصه الشديد على الايفاء بمعاني نقولاته تمام الايفاء دونما تصرف فيها بالزيادة أو النقص .

---

(١) الاقتراح ص ٧٣

(٢) الاقتراح ص ٧٣ وأنظر لمع الادلة ص ١٤٢

(٨)

القيمة العلمية لكتاب الاقتراح

لا أظن أن هناك كتابا موجزا في النحو بلغ من الافادة والنفع ما بلغه كتاب « الاقتراح » فهو على وجازته وصغر حجمه ضم خلاصة وافية لكل ما كتب في أصول النحو وجدله ، حيث استطاع السيوطي بعقليته الجماعة ومقدرته على الاستقصاء أن يجمع من بطون الكتب المختلفة كل ما له علاقة بعلم أصول النحو وجدله ويورد ذلك كله في كتابه هذا على شكل بحوث متسلسلة مترابطة ، يكون مجموعها أهم بحث تناول أصول النحو وأدلته العامة من سماع واجماع وقياس واستصحاب ، وقد خصص لكل دليل من هذه الأدلة مبحثا خاصاً أدرج ضمنه كل ما له علاقة بذلك الدليل ، فبحث السماع في الكتاب الأول ، وتطرق خلاله الى الشواهد النحوية ، وبين موقف النحاة من القراءات والحديث والاستشهاد بكلام العرب شعرهم ونثرهم ، ومن هم الذين يحتج بشعرهم ؟ ولماذا أعرض النحاة البصريون عن الاستشهاد بشعر بعض القبائل العربية ؟ ومن النحاة أجاز الاستشهاد بشعر المولودين ؟ ومن هو آخر الحجج وأول المولدين ؟

ولما تعرض للاجماع بين لنا معناه وأنواعه ومتى يكون حجة ودليلا ، وعندما بحث القياس تحدث لنا عن أركانه من أصل وفرع وحكم وعلة ، وعقد لكل ركن من هذه الاركان فصلا خاصا بها ، ولعل الفصل الذي تناول فيه موضوع العلة أهم هذه الفصول وأوسعها ، فقد بحث فيه أنواع العلة وأحكامها وموقف النحاة من العلل الأول والثواني وأورد حجة ابن جنى في نفيه للعلل الثواني . ولما تعرض لاستصحاب الحال بين لنا معناه وحكمه والمواضع التي استدل عليها النحاة به . وقد عبر عن ذلك كله بأوجز عبارة وأوفاها مدعما أقواله بالنصوص التي نقلها من أمهات الكتب التى عنت بأصول النحو ، مثل كتاب الأصول لابن السراج والخصائص لابن جنى ولمع الأدلة والاغراب في جدل الاعراب والانصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري ، عازيا كل نص الى مصدره الذي نقله عنه .

ولم يقتصر السيوطي في كتابه هذا على بحث المسائل الأصولية بل بحث أيضاً موضوعات كثيرة تتعلق بأوليات النحو والصرف ، والترجيح بين مذهب البصريين والكوفيين ، والترجيح بين لغة قريش وبقية لغات العرب ، وهذه الموضوعات التي اوردها في هذا الكتاب الموجز ، قلما يجدها الباحث مجموعة في مرجع واحد ، بل هي مشتتة في متفرقات الكتب ، فقام السيوطي فجمعها من تلك المراجع ورتبها احسن ترتيب ويسر للقارىء الاطلاع عليها .

ويعد كتاب « الاقتراح » خير مثال لتأثر الدراسات النحوية

بالعلوم الدينية وبخاصة اصول الفقه ، فقد صرح مؤلفه في مقدمته ان اصول النحو قد وضع على حد اصول الفقه ، وذلك لما بينهما من المناسبة ، إذ ان النحو معقول من منقول ، كما ان الفقه معقول من منقـــول ، فلا غرور ان وجدناه يورد في « الاقتراح » مصطلحات فقهية استعارها النحاة من كتب الفقه وتداولوها في كتبهم واجروها على مصطلح فنهم ، مثل الاجماع ، والقياس ، والعلة ، واستصحاب الحال ، والواجب والجائز وغير ذلك من المصطلحات التي دأب النحاة على استعمالها .

وقد لقي كتاب « الاقتراح » اهتماما كبيرا من قبـــل العلماء المتأخرين ، فقد اقبلوا عليه يتدارسونه ويشرحونه ، وذلك دليل على مدى اهميته ، فقد وضع عليه شرحان ، الأول وضعه العلامة محمد ابن علان الصديقي الشافعي المتوفى سنة ١٠٥٧ هـ (١) ، وسماه : « داعي الفلاح لمخبئات الاقتراح » ، وهو شرح ممزوج ، وتوجد منه عدة نسخ مخطوطة ، منها نسختان في دار الكتب المصـــرية برقم ٥٠٣ نحو تيمور ، وبرقم ٦٦٦ نحو تيمور ، ونسخة في مكتبة الأزهر برقم ٩٥ (٢)

واما الشرح الثاني فهو للعلامة محمد بن الطيب الفاسي المتوفى سنة ١١٧٠ هـ ، وهو احد شيوخ الزبيدى صاحب تاج العروس (٣)

---

(١) انظر ترجمة ابن علان في خلاصة الاثر جـ ٤ ص ١٨٤ ـ ١٨٩

(٢) فهرس مكتبة الازهر جـ ٤ ص ١٩٥

(٣) تاج العروس جـ ١ ص ٣

وسمى شرحه هذا بـ « فيض نشر الانشراح من روض طى الاقتراح »(١) وتوجد منه في دار الكتب المصرية ثلاث نسخ مخطوطة برقم ٢٢٤ نحو ، (٢) ورقم ١١٠٩ نحو ، وهي ناقصة كثيرا من آخرها ، والثالثة برقم ٤٤٦ نحو تيمور ، وهي احسن هذه النسخ وفي اولها فهارس مفيدة جدا .

وقد تنبه الباحثون المعاصرون الى أهمية كتاب « الاقتراح » فاعتمدوا عليه اعتمادا كبيرا عندما أرادوا التعرف على القضايا النحوية الأصولية المتعلقة بالاحتجاج والقياس ، ولنضرب لذلك هذا المثال ، وهو ان الاستاذ الفاضل سعيد الافغاني لما أراد أن يضع كتابا في أصول النحو نجده قد عول على كتاب الاقتراح ونقل منه نقلا مستفيضا ، حتى صرت أحسب أن كتاب « في أصول النحو » انما هو كتاب « الاقتراح » قام الاستاذ الفاضل سعيد الأفغاني بنشره في شكل جديد وتحت اسم جديد مع حرصه الشديد على الاشارة الى كل نص ينقله والى موضعه من الاقتراح .

ولابد لي في ختام كلامي على هذا الكتاب الفريد من أن استحث القائمين بالأمر على اعادة نشر هذا الكتاب نشرا محققا تحقيقا علميا يتيح الافادة منه على أحسن وجه ، ولعلنا في ذلك نرد للسيوطي بعض ماله علينا من فضل عميم متمثل بهذه المؤلفات النافعة التي اتحف بها المكتبة العربية ، رحمه الله ، وجزاه عنا وعن العربية والاسلام خير الجزاء .

---

(١) ايضاح المكنون حـ١ ص٢١٦ ، وانظر هدية العارفين حـ ٢ ص ٣٣١

(٢) فهرس دار الكتب المصرية حـ ٢ ص ١٤٨

الفصل الثاني

كتاب الاشباه والنظائر في النحو

١ — الاشباه والنظائر في الفقه وأصوله

٢ — كتاب الاشباه والنظائر في النحو

٣ — مصادر الكتاب

٤ — مواد الكتاب

٥ — القواعد والاصول العامة

٦ — الضوابط والاستثناءات والجمع والفرق

٧ — المناظرات والمجالس والفتاوى

٨ — القيمة العلمية لكتاب الاشباه والنظائر

(١)

كتب الاشباه والنظائر في الفقه وأصوله

ذكر السيوطي في مقدمة كتابه « الأشباه والنظائر في النحو » أنه وضع كتابه هذا ليسلك بالعربية مسلك متأخري أهل الفقه فيما وضعوه من كتب الأشباه والنظائر ، (١) وبناء على هذا يحسن بنا أن نتتبع ما كتبه الفقهاء في الاشباه والنظائر ، لنتعرف على مدى علاقتها بكتاب السيوطي في النحو ، ومدى افادته منها .

ويظهر - كما يقول السيوطي - (٢) أن أول من كتب في هذا النوع من الفنون الفقهية هو شيخ الاسلام عز الدين بن عبد السلام المتوفى سنة ٦٦٠ هـ ، (٣) وذلك في كتابيه « القواعد الكبرى » و « القواعد الصغرى » .

وكتاب « القواعد الكبرى » هو المتداول بين أيدي الناس وقد

---

(١) الاشباه والنظائر في النحو حـ ١ ص ٣

(٢) الاشباه والنظائر في النحو حـ ١ ص ٤

(٣) انظر ترجمة الشيخ عز الدين بن عبد السلام في حسن المحاضرة حـ ١ ص ٣١٤

سماه « قواعد الاحكام في مصالح الانام » ، وبناه على فصول قصيرة ، تكلم في كل فصل منها على قاعدة فقهية عامة ، أدرج تحتها جملة مسائل فرعية ، وأول قاعدة تطالعنا فيه هي « في بيان جلب مصالح الدارين ودرء مفاسدهما على الظنون » (١) وقد قال في شرحهما : ان « الاعتماد في جلب معظم مصالح الدارين ودرء مفاسدهما على ما يظهر في الظنون ، وللدارين مصالح إذا فاتت فسد أمرهما ، ومفاسد إذا تحققت هلك أهلهما ، وتحصيل معظم هذه المصالح بتعاطي أسبابها مظنون غير مقطوع به ، فان عمال الآخرة لا يقطعون بحسن الخاتمة وانما يعملون بناء على حسن الظنون ، وهم مع ذلك يخافون ألا يقبل منهم ما يعملون ، وقد جاء التنزيل بذلك في قوله: « والذين يؤتون ما أتوا وقلوبهم وجلة أنهم الى ربهم راجعون » (٢)، فكذلك أهل الدنيا انما يتصرفون بناء على حسن الظنون ، وانما اعتمد عليها لأن الغالب صدقها عند قيام أسبابها ، فان التجار يسافرون على ظن أنهم يستعملون بما به يرتفقون ، والأكارون يحرثون الأرض ويزرعون بناء على أنهم مستغلون ، والجمالون يتصدرون للكراء لعلهم يستأجرون ... والعلماء يشتغلون بالعلوم على ظن أنهم ينجحون ويتميزون ، وكذلك الناظرون في الادلة والمجتهدون في تعرف الاحكام يعتمدون في الاكثر على ظن أنهم يظفرون بما يطلبون ... ومعظم هذه الظنون صادق موافق غير مخالف ولا كاذب ،

(١) قواعد الاحكام في مصالح الانام جـ ١ ص٤
(٢) سورة « المؤمنون » آية رقم ٦٠

فلا يجوز تعطيل هذه المصالح الغالبة الوقوع خوفا من ندور وكذب الظنون ، ولا يفعل ذلك الا الجاهلون » (١) .

وعالج الشيخ عز الدين - رحمه الله - بقية قواعد كتابه بمثل هذا الاسلوب السهل القائم على ضرب الامثلة والشواهد ، وقد ابتغى فيه القول بأن الشريعة الاسلامية قائمة على قاعدتين اساسيتين هما : جلب المصالح ودرء المفاسد ، وأن بقية قواعد الشريعة الأخرى كلها تدور في نطاق هاتين القاعدتين الهامتين » (٢)

وأعتقد أن جميع كتب الفقه التي تناولت قواعده العامة ومسائل الاشباه والنظائر قد أفادت من كتاب العز بن عبد السلام لانه هو الذي فتح هذا الباب (٣) من التأليف أمام متأخري الفقهاء .

ويعتبر الامام صدر الدين بن الوكيل (٤) أول من استعمل عبارة الاشباه والنظائر في الفقه ، ووضع في ذلك كتابا ، ومات قبل تنقيحه ، فتولى ذلك بعده ابن أخيه (٥) زين الدين محمد بن عبدالله ابن عمر المتوفى سنة ٧٣٨ هـ .

---

(١) قواعد الاحكام في مصالح الانام ص٤

(٢) قواعد الاحكام في مصالح الانام ص ١٠-١١

(٣) الاشباه والنظائر في النحو ص٤ ، وانظر الاشباه والنظائر في الفروع والقواعد لابن السبكي ق ٣

(٤) صدر الدين بن الوكيل : هو محمد بن عمر بن مكى المتوفى سنة ٧١٦ هـ ، أنظر ترجمته في حسن المحاضرة جا ص٤١٩

(٥) حسن المحاضرة جا ص٤١٩-٤٢٠

وكتاب بن الوكيل عبارة عن قواعد فقهية عامة أدرج تحت كل منها جملة مسائل فرعية ، ولنأخذ على ذلك هذا المثال ، وهو قوله في أولى قواعده : « إذا دار فعل النبي صلى الله عليه وسلم بين أن يكون جبليا وبين ان يكون شرعيا فهل يحمل على الجبلي، لان الاصل عدم التشريع ، على التشريع لانه صلى الله عليه وسلم بعث لبيان الشرعيات ، فيه خلاف في صور منها : أنه دخل في بيته كذا ، وخرج كذا ، فهل كان ذلك لانه صادف طريقه ، أو لانه سنه . فيه وجهان ، الصحيح : أنه سنة » (١) .

وجاء بعد ابن الوكيل العلامة تاج الدين بن السبكى (٢) المتوفى سنة ٧٧١ هـ ، فوضع كتابا في هذا النوع من البحوث الفقهية ، سماه « الاشباه والنظائر في الفروع والقواعد » وقد قصد تاج الدين بكتابه هذا تحرير كتاب ابن الوكيل باشارة من والده العلامة تقي الدين السبكي ، كما صرح بذلك في خطبة كتابه (٣) .

وكتاب ابن السبكي يعتبر أجمع مؤلف وضع في هذا الفن (٤) وقد بدأه بمقدمة طويلة ذكر فيها أن بعض الفقهاء قال : ان مبنى الفقه على أربع قواعد هي : اليقين لا يزال بالشك ، والضرر يزال ،

---

(١) الاشباه والنظائر في الفقه لابن الوكيل ق ١

(١) انظر ترجمة ابن السبكى في حسن المحاضرة حـ١ ص٣٢٨

(٣) الاشباه والنظائر لابن السبكى ق ٣ وأنظر الاشباه والنظائر في النحو جـ١ ص٤

(٤) الاشباه والنظائر في النحو جـ ١ ص٤

والعادة محكمة ، والمشقة تجلب التيسير ، ثم نقل أن بعض من يدعى التحقيق زعم أن هناك قاعدة خامسة ، وهي : ان الامور بمقاصدها ، وأنه قال : بني الاسلام على خمس ، والفقه ايضا بني على خمس (١) .

وبعد أن أنهى خطبة الكتاب بدأ يتحدث عن صلب مواده ، وقد قسمه إلى قسمين ، جعل الأول لتخريج الفروع الفقهية على القواعد الأصولية ، وذلك بأن يذكر القاعدة ثم يشرحها ويبين ما يترتب عليها من فروع ، وقد بدأه بالقواعد الخمس التي أوردها في الخطبة ، ولنأخذ هذا المثال الذي أورده عند كلامه على القاعدة الثانية حيث قال : « الضرر يزال ، ومن ثم الرد بالعيب ، والحجر ، والشفعة ، والقصاص ، والحدود ، والكفارات ، ... ونصب الأئمة والقضاء ، وتاول المشركين والبغاة ، ويدخل فيها الضرر لا يزال بالضرر ... ومنها دفع أعظم الضررين باحتمال أدناهما ... ومنها متى أمكن الدفع بأسهل الوجوه لم يعدل الى أصعبها » (٢) .

أما القسم الثاني من كتاب ابن السبكي فقد جعله لتخريج الفروع الفقهية على القواعد النحوية ، وقد قال في أوله : « اعلم ان الاصوليين ذكروا حروفا تتداول بين الفقهاء ، وتمس حاجتهم الى معرفتها كالواو والفاء وفي ثم ، وزدنا عليهم في جمع الجوامع فذكرنا بعض الكلمات المفردة من الاسماء والظروف والحروف قدرا يكثر

---

(١) الأشباه والنظائر في الفروع والقواعد لابن السبكي ق ٣

(٢) الاشباه والنظائر في الفروع والقواعد لابن السبكي ق ١٠

تداوله في الفقهيات ، ونحن نأتي بنحو من ذلك هنا » (١)

والمسائل التي أوردها في هـــذا الباب كثيرة نختار منها هاتين المسألتين ، الأولى أوردها في باب (إذا) حيث قال : « اذا الشرطية لا تدل على التكرار خلافا لابن عصـــفور ، فاذا قال : اذا قمت فأنت طالق ، طلقت بالقيام الأول ، ثم لا تطلق بالثاني ، كما حكاه شيخنا (يعني أبا حيان) في باب الجوازم من الارتشـــاف ، وإذا قال : اذا طلقت امرأة فعبد من عبيدى حر ، فطلق أكثر من واحدة لم يعتق الا واحدا ، وتنحل اليمين » (٢) .

والمسألة الاخرى من باب النداء والترخيم حيث قال : « يجوز ترخيم المنادى ، أي حذف آخره تخفيفاً بشرط كونه غير مستغاث ولا مندوب ولا ذي اضافة ولا ذي اسناد ، ثم ان كان مختوما بتاء التأنيث جاز ترخيمه مطلقا والا فيشترط كونه علما زائدا على ثلاثة أحرف ، ولا يجوز ترخيم غير المنادي الا في الضرورة بشرط صلاحية الاسم للنداء ، فلا يجوز الترخيم في نحو : الغلام ... فمن ثم ينبغي اذا رخم طالقا ، ولم يناد ، بل قال : انت طال ، لم تطلق ، اذ لا ترخيم في غير النداء » (٣) .

ويأتي بعد ابن السبكى العلامة جمال الدين الاسنوي المتوفى سنة ٧٧٧ هـ ، (٤) فيضع كتابا في الاشباه والنظائر ، ولكنه مات قبل أن

(١) الاشباه والنظائر في الفروع والقواعد لابن السبكى ق ١٨١

(٢) الاشباه والنظائر في الفروع والقواعد لابن السبكى ق ١٨٣

(٣) الاشباه والنظائر في الفروع والقواعد لابن السبكى ق ٢٠٣

(٤) هو عبد الرحيم بن الحسن بن علي الاسنوى المتوفى سنة ٧٧٧ هـ ، وانظر ترجمته في حسن المحاضرة جـ ١ ص ٤٢٩

يتم تأليفه ، وقد تركه مسودة ، (١) وله كذلك كتابان آخران وضعهما في هذا الضرب من التأليف هما : « التمهيد » (٢) وهو في تخريج الفروع الفقهية على القواعد الاصولية ، وذلك بأن يذكر المسألة الاصولية ثم يتبعها بذكر جملة مما يتفرع عليها من الأحكام. والقواعد التي أوردها في هذا الكتاب كثيرة ، نختار منها هذه المسألة التي قال فيها : « قال الآمدى في الاحكام : يجوز عندنا دخول النيابة فيما كلف به من الافعال البدنيه خلافا للمعتزلة واستدلوا بأن الوجوب انما كان لقهر النفس وكسرها والنيابة تنافي ذلك ، وأجاب أصحابنا : بأن النيابة لا تأباه لما فيها من بذل المؤونة ، أو تحمل المنة ، ومن فروع المسألة ما استدل به الآمدى على جواز النيابة في حج الفرض عن الميت ... ، ومنها صب الماء على أعضاء المتطهر ... وصوم الولى عن الميت كما اختاره النووى وجماعة ، ومنها ركعتا الطواف يفعلهما الاجير عن الذي يحج عنه تبعا للطواف » (٣).

وأما كتاب الاسنوى الثاني فهو « الكوكب الدرى » في تخريج

---

(١) حسن المحاضرة ج١ ص٤٣٠ وانظر الاشباه والنظائر في النحو ج١ ص٤

(٢) حسن المحاضرة ج١ ص٤٣٠ ، وانظر الاشباه والنظائر في النحو ج١ ص٤

(٣) التمهيد ص ١٣

الفروع الفقهية على القواعد النحوية ، (١) وقد قال في مقـــدمته : « وبعد : فان علم الحلال والحرام الذي به صلاح الدنيا والاخرى ، وهو المسمى بعلم الفقه مستمد من علم أصـــول الفقه وعلم العربية ، فأما استمداده من علم الاصول فواضح ، وتسميته بأصول الفقه ناطقة بذلك ، وأما العربية فان ادلته من الكتاب والسنة عربية ، وحينئذ يتوقف فهـم تلك الادلة على فهمها والعـلم بمدلولها على علمها ... ثم بعد ذلك كله استخرت الله تعالى في تأليف كتابين ممتزجين من الفنين المذكورين ومن الفقه ما لم يتقدمنى اليهما أحد من أصحابنا ، أحدهما في كيفية تخريجه على المسائل النحوية ، فأذكر أولا المسألة الاصولية أو النحوية مهذبة منقحة ثم أتبعها بذكر جملة ممـا يتفرع عليها ... ثم انى بدأت بالنوع الاول من هذين النوعين ويسـر الله الفراغ منه على النحو المطلوب والوجه المحبوب مسمى بـ « التمهيد » ثم شرعت في الثاني مستعينا بالله تعالى ولقبته بـ « الكوكب الدرى » ، واعلم أنني اذا اطلقت شيئا من المسائل النحوية فهو من كتابي شيخنا أبي حيان اللذين لم يصنف في هـــذا العلم اجمع منهما ، وهما : الارتشاف ، وشرح التسهيل ، فان لم تكن المسـألة منهما صرحت بذلك » (٢) .

---

(١) الاشباه والنظائر في النحو جا صه ، وانظر فهرس دار الكتب المصرية جا ص٢٩٣ وفي دار الكتب المصرية منه نسخة مخطوطة برقم ٤٥٩ اصول فقه .

(٢) الكوكب الدرى ص٢ـ٥

وقد رتبه على اربعة ابواب الأول في الأسماء ، والثاني في الأفعال ، والثالث في الحروف ، والرابع في تراكيب متعلقة بأبواب متفرقة (١) .

وقد مزج الاسنوي في كتابه هذا فى النحو والفقه ، والمسائل التي أوردها فيه كثيرة متعلقة بغالب أبواب النحو ، نختار منها هاتين المسألتين ، الأولى من باب الضمائر حيث قال فيها : « الضمير اذا سبقه مضاف ومضاف اليه وأمكن عوده على كل منهما على انفراده، كقولك : مررت بغلام زيد الفاضل فأكرمته ، فانه يعود على المضاف دون المضاف إليه ، لأن المضاف هو المتحدث عنه . والمضاف اليه وقع ذكره بطريق التبع ، وهو تعريف المضاف إليه ، أو تخصيصه، كذا ذكره أبو حيان في تفسيره وكتبه النحوية ، وأبطل به استدلال ابن حزم ومن نحا نحوه كالماوردى في الحاوي على نجاسة الخنزير بقوله تعالى : « أو لحم خنزير فانه رجس » (٢) حيث زعموا أن الضمير في قوله تعالى : « فانه » يعود إلى الخنزير وعللوه بأنه أقرب مذكور. إذا علمت ذلك فمن فروع المسألة : اذا قال له علي ألف درهم ونصفه ، فالقياس يلزمه ألف وخمسمائة ، لا ألف ونصف درهم ، وهكذا القول في الوصايا والوكالات ... وغيرها » (٣) .

---

(١) الكوكب الدرى ص ٥
(٢) سورة الأنعام آية رقم (١٤٥)
(٣) الكوكب الدري ص ١٢ - ١٣

والمسألة الثانية من باب الاضافة ، قال فيها : « يجوز حذف ما أضيف اليه (كل) عند العلم به كقوله تعالى : » قل كل يعمل على شاكلته (١) وقوله « وكل أتوه داخرين » ، (٢) اذا علمت ذلك ، فمن فروع المسألة ما إذا أشـــار إلى عبيده ، وقال : كل أحرار ، او سـأله سـائل ها، فيهم حر أولا ؟ فاجابه بذلك ، فانهم يعتقون ، هذا هو القياس ، وقـــد علم من الآيتين المذكورتين أنه لا فرق بين أن يخبر عنه بالجمع أو المفرد » (٣) .

وتمثل كتب الاسنوي مدى التفاعل والتمازج بين الدراسـات النحوية والفقهية ، وكيف أن الدراسات الأصولية في الفقه قد أخذت تفيد من النحو ، وتبنى كثيرا من أحكامها الفرعية على أحـكامه ، وكأنها قد شرعت تسترد ما لها من فضل على الدراسات النحوية في أول نشوئها ، حيث نشأت مترسمة خطى الفقه وأصوله وســـائر الدراسات الدينية الأخرى .

ويأتي بعد الاسنوي الامام بدر الدين الزركشي المتوفى ســـنة ٧٩٤ هـ ، فيضع كتابه القيم « القواعد في الفروع » وهو عبارة عن مجموعة قواعد فقهية مرتبة على حروف المعجم ، وقد قدم له بمقدمة طويلة ، قال فيها : « ان الفقه أنواع ، أحداها معرفة أحكام الحوادث نصا واستنباطا ... وثانيهما : معرفة الجمع والفرق ... وثالثها : بناء

(١) سورة الاسراء آية رقم (٨٤)
(٢) سورة النمل آية رقم (٨٧)
(٣) الكوكب الدرى ص ٥٦

المسائل بعضها على بعض ، لاجتماعها في مأخذ واحد ، ... والرابع : المطارحات وهي مسائل عويصة يقصد بها تنقيح الأذهان ، والخامس : المغالطات ، والسادس : الممتحنات ، والسابع : الألغاز ، والثامن : الحيل ، والتاسع : معرفة الافراد ، وهو معرفة ما لكل من الاصحاب من الأوجه الغريبة .. والعاشر : معرفة الضوابط التي تجمع جموعا والقواعد التي ترد أكثرها أليها أصولا وفروعا ، وهذا أنفعها وأعمها وأكملها وأتمها ، وبه يرتقى الفقيه الى الاستعداد لمراتب الاجتهاد ، وهو أصول للفقه على الحقيقة » (١) .

وكتاب الزركشي هذا بمثابة معجم فقهي ، وذلك لأنه أورد فيه مجموعة كبيرة من المصطلحات الفقهية مرتبة على حروف المعجم ، ويورد ضمن شرح كل مصطلح من هذه المصطلحات قاعدة فقهية تتعلق به ، ثم يبني على هذه القاعدة جملة مسائل فرعية ، والمصطلحات التي أوردها الزركشي في كتابه هذا كثيرة ، نذكر منها هذه الأمثلة : الاباحة ، الابراء ، الاثبات ، البدعة ، البدل ، التابع ، التتابع ، الجائز ، الجعالة ، الحدود ، الحكم ، الخبر ، الخلاف ، الدور ، الدين ، الرفض ، الرشوة ، الزائل ، الزيادة ، السبب ، السفر ،

---

(١) قواعد الزركشي ق ـ ٣ ، وأنظر الاشباه والنظائر في النحو جـ١ ص٥ ـ ٦

السفيه ، السكوت ، الشبهة ، الشـــرط (١) ... وما الى ذلك من المصطلحات الفقهية الوارة في كتب الفقه والأصول .

وقد اعتمد الزركشي - على عادة الفقهاء - في شرحه هـــذه المصطلحات على الجمع بين معناها اللغوي والشرعي ، أو بعبارة أدق بين معناها اللغوي والاصطلاحي ، قال عند كلامه على البـــدعة : قال ابن درستويه هي في اللغة احداث سنة لم تكن ، وتـكون في الخير والشر ، ... ، فأما في الشرع فموضوعه للحـادث المذموم ، واذا أريد الممدوح قيدت ، ويكون ذلك مجازا شرعيا ، حقيقة لغوية ، وفي الحديث كل بدعة ضلالة ، قال الامام الشافعي رضي الله عنه : المحدثات ضربان ، أحدهما : ما أحدث مما يخالف كتابا أو سنة أو أثراً أو اجماعا ، فهذه البدعة الضلالة ، والثاني : ما أحدث من الخير لا خلاف فيه ، وقد قال عمر رضي الله عنه في قيام رمضان : نعمت البدعة هي ، يعني أنها محدثة لم تكن » (٢) .

والقواعد التي أوردها الزركشي في كتابه هـذا كثيرة ، نذكر منها هذه القاعدة ، وهي قوله : « الضـرورات تبيـح المحظورات » وقد عقب عليها بقوله : « ومن ثم أبيحت الميتة عند المخمصة ودفع

(١) أنظر قواعد الزركشي ق ٢ ، ق ٤ ، ق ٥ ، ق ٣٣ ، ق ٣٧ ، ق٣٨ ق٧٩ ، ق ٨٥ ، ق ١٠٣ ، ق ١٠٦ ، ق ١١٢ ، ق ١١٣ ، ق١١٧ ق ١١٩ ، ق ١٢٠ ، ق ١٢٤ ، ق ١٢٩ ، ق ١٣٠

(٢) قواعد الزركشي ق ٣٣

اللقمة بالخمر لمن غص ، ولم يجد غيرها ، وأبيحت كلمة الكفر للمكره » (١) .

ويعتبر سراج الدين بن الملقن المتوفى سنة ٨٠٤ هـ (٢) آخر من ألف في الأشباه والنظائر الفقهية قبل ظهور جلال الدين السيوطى ، وقد التقط كتابه هذا من كتاب تاج الدين بن السبكى (٣) ، وقد وصف السيوطي كتاب ابن الملقن بأنه فوق كتاب الاسنوي ودون ما سواه (٤) .

وأدلى صاحبنا السيوطي دلوه في هذا المضمار - على عادته فى المشاركة في كل فن - فصنف مؤلفا تناول فيه بعض أنواع الأشباه والنظائر، وسماه : (شوارد الفوائد في الضوابط والقواعد) ، (٥) ولما رأى أنه وقع موقعا حسنا لدي طلبة العلم ، سارع الى وضع كتاب آخر أكبر منه واشمل ، سماه : (الاشباه والنظائر فى قواعد وفروع فقه الشافعية) (٦) وبنى مباحثه على سبعة أقسام ، وسمى كل قسم منها كتابا ، وذكر في مقدمته : أن كل قسم من هذه الأقسام لو أفرد بالتصنيف لكان كتابا كاملا ، ومؤلفا حافلا ، وهذه الاقسام هي :

---

(١) قواعد الزركشي ق ١٥١

(٢) الأشباه والنظائر في النحو ص ٤

(٣) الاشباه والنظائر في النحو ص٥

(٤) الاشباه والنظائر في النحو ص ٥

(٥) الاشباه والنظائر في الفقه للسيوطي ص ٥

(٦) الاشباه والنظائر في النحو جـ١ ص٥

١ ـ الكتاب الأول : في شرح القواعد العامة التي ترجع اليها جميع مسائل الفقه .

٢ ـ الكتاب الثاني : في قواعد كلية يتخرج عليها ما لا ينحصر من الصور الجزئية .

٣ ـ الكتاب الثالث : في القواعد المختلف فيها

٤ ـ الكتاب الرابع : في أحكام يكثر دورها ويقبح بالفقيه جهلها كأحكام الناس والجاهل والمكره والنائم ... وما الى ذلك .

٥ ـ الكتاب الخامس : في نظائر الأبواب ، اي التي على باب واحد مرتبة على أبواب الفقه ، والمخاطب بهذا الباب والذي يليه المبتدئون .

٦ ـ الكتاب السادس : فيما افترقت فيه الأبواب المتشابهة

٧ ـ الكتاب السابع : في نظائر شتى (١) .

وقد اشاد السيوطي ـ رحمه الله ـ في مقدمة هذا الكتاب بفن الاشباه والنظائر ، فقال « اعلم ان فن الاشباه والنظائر فن عظيم ، به يطلع على حقائق الفقه ومداركه ومآخذه واسراره ويتمهر في فهمه واستحضاره ، ويقتدر على الالحاق والتخريج ومعرفة احكام المسائل التي ليست بمسطورة والحوادث التي لا تنقضي على مر الزمان ، ولهذا قال بعض اصحابنا : الفقه معرفة النظائر » (٢) .

---

(١) الاشباه والنظائر في الفقه للسيوطي ص٤ـ٥

(٢) الاشباه والنظائر في الفقه للسيوطي ص٦

(٢)

كتاب الاشباه والنظائر في النحو

يأتي كتاب « الأشباه والنظائر » في مقدمة الكتب التي عنت بأصول النحو وفروعه ، وهو ثمرة من ثمرات التفاعل الذي جرى بين العلوم الدينية والعلوم العربية ، وذلك أن السيوطي قد ابتغى في كتابه هذا أن يتناول مسائل النحو على غرار كتب الأشباه والنظائر الفقهية ، فهو يمثل مرحلة متأخرة من مراحل تأثر الدراسات النحوية بالفقه وأصوله من حيث التبويب والتقسيم والترتيب ، وقد عبر السيوطي نفسه عن ذلك خير تعبير حينما قال : « واعلم أن السبب الحامل لي على تأليف ذلك الكتاب ... أني قصدت أن أسلك بالعربية سبيل الفقه فيما صنفه المتأخرون فيه وألفوه من كتب الاشباه والنظائر » (١) .

وللسيوطي - كما مر بنا - كتاب في الاشباه والنظائر الفقهية الا أنه لما عزم على أن يضع كتابا في الاشباه والنظائر النحوية لم يضعه على نمط ذلك الكتاب ، وانما صنفه على مثال كتابين فقهيين

---

(١) الاشباه والنظائر في النحو جا ص٤

أخرين . فصدره يشبه قواعد الزركشي حيث أورد فيه قواعد عامة مرتبة على حروف المعجم ، وأما اقسامه الاخرى فهي على نمط كتاب الاشباه والنظائر للقاضي تاج الدين بن السبكي ، (١) وقد مر بنا الكلام على هذين الكتابين في المبحث السابق .

وكتاب « الاشباه والنظائر » يعد فنا نحويا مبتكرا ابتدعته عقلية السيوطي الجماعة ، واظنه لم يكن مغاليا حينما اطراه في مقدمته حيث قال : انه « كتاب طريف لم اسبق الى مثله ، وديوان منيف لم ينسج ناسج على شكله . ضمنته القواعد النحوية ذوات الاشباه والنظائر وخرجت عليها الفروع السائرة سير المثل السائر ، واودعته من الضوابط والاستثناءات جملا عديدة ، ونظمت في سلكه من النوادر الغريبة والالغاز كل فريدة » (٢) .

لقد افاد صاحبنا من ثقافته العامة فقدم للمكتبة العربية هذه التحفة اللطيفة والموسوعة الكبيرة الق استعار فنها التأليفي من كتب الفقه واصوله .

ويظهر انه اضطر الى تأليف هذا الكتاب مرتين ، اذ انه بعد ان جمع خطوطه العامة حجة عن القراء مدة تزيد على عشر سنوات بقصد تنقيحه واكمال ابوابه ، ولكنه اصيب بفقده ، فقام باعادة تأليفه مرة اخرى فيسر له الله ما اراد (٣) .

---

(١) الاشباه والنظائر في النحو جا ص٥

(٢) الاشباه والنظائر في النحو ج ١ ص ٣

(٣) الاشباه والنظائر في النحو ج ١ ص ٣

ويبدو — كما ذكر السيوطي - ان كتاب الاشباه والنظائر هو بقايا مسودة ضخمة جمعها بقصد وضع كتاب كبير في طبقات النحاة فقد حدثنا في مقدمة كتابه « بغية الوعاة » عن ذلك فذكر انه جرد همته في سنة ٨٦٨ هـ لوضع كتاب كبير في طبقات النحاة ، وبلغت مسودة هذا الكتاب سبعة مجلدات ، وقد اورد فيها من فوائد النحاة واخبارهم ومناظراتهم ما لم يجتمع في كتاب آخر (١) .

ولما حل مكة المكرمة سنة ٨٦٩ هـ عرض هذه المسودة على صاحبه العلامة نجم الدين بن فهد ، (٢) فنصحه ان يلخص منها طبقات النحاة في مجلد يحتوي على المهم من التراجم ، فأخذ بهذه النصيحة فجرد منها اللباب في مجلد سماه : « بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة » وترك بقية تلك المسودة على ، حالها مدة من الزمن ثم استعان بها بعد ذلك على تصنيف كتاب ضمنه تراجم رجال « مغنى اللبيب » لابن هشام ، سماه : « تحفة الاريب برجال مغنى اللبيب » واما ما بقى من تلك المسودة من الفوائد والفرائد والالغاز والمناظرات والمحاورات والفتاوى فقد افرد لها كتاب (الاشباه والنظائر في النحو) (٣) .

وقد طبع هذا الكتاب في الهند بمطبعة دائرة المعارف العثمانية

---

(١) بغية الوعاة جـ ١ ص ٣

(٢) نجم الدين بن فهد : هو عمر بن محمد بن ابي الخير بن فهد القرشي الهاشمي المكي المتوفى سنة ٨٨٥ هـ .

(٣) بغية الوعاة جـ١ ص ٦

بحيدر آباد الدكن مرتين ، الاولى سنة ١٣١٦ هـ ، والثانية سنة ١٣٥٩هـ والطبعتان متشابهتان الى حد كبير ، ولكن الثانية احسن من الاولى ، وفي كل منهما نواقص واخطاء كثيرة ، ومع ذلك فان قيام هذه المؤسسة الهندية الجليلة بنشر هذا السفر القيم يعتبر واحدا من اهم الاعمال التي ساهمت بها هذه المؤسسة ، من اجل احياء التراث العربي الاسلامي ونشره ، فجزاهم الله عنا وعن العربية والاسلام خير الجزاء .

واعتقد ان اعادة طبع هذا الكتاب طبعا محققا يعتبر من الزم الواجبات التي يجب ان تنهض بها جامعاتنا ومؤسساتنا العلمية الاخرى الحريصة على نشر التراث واحيائه ، ويا حبذا لو تقدم أحد الباحثين وسجل رسالة جامعية تتكفل تحقيقه ونشره ، علما بأن النسخ المخطوطة منه كثيرة ومتوفرة في سائر المكتبات ، اذكر منها هذه النسخ

— نسخة في دار الكتب المصرية مخطوطة بخط معتاد تمت كتابته يوم الخميس الثاني والعشرين من شهر شعبان سنة ١١٢٢ هـ ، محفوظة تحت رقم ٢٧ نحو .

— نسخة اخرى ايضا في دار الكتب المصرية بخط علي بن عبد القادر الشعراوي ، فرغ من كتابتها في الثالث والعشرين من شهر ربيع الاول سنة ٩٧٨ هـ ، محفوظة تحت رقم ١٤ م نحو .

— القسم الخامس من الاشباه والنظائر ، وهو المسمى (الطراز في الالغاز) كذلك في دار الكتب المصرية محفوظ تحت

رقم ١٤ ش نحو (١) .

- ثلاث نسخ في مكتبة الازهر ، الاولى في مجلد بقلم معتاد بخط علي بن علي بن رمضان العبادى الازهري كتبت سنة ٩٦٣ هـ محفوظة تحت رقم ٧٧٢ ، والثانية في آخرها نقص محفوظة تحت رقم ٨٠١ ، والثالثه في مجلد بقلم معتاد بخط ابي بكر الكردي كتبت سنة ١١٩٣ هـ ، محفوظة تحت رقم (٨٢٨) ٥٩٤٢ لغة (٢) .

- نسخ كثيرة في مكتبات تركيا ، نذكر منها هـذه النسخ ، نسخة في مكتبة اسعد افندي تحت رقم ٣٠٤٠ ، ونسخة في مكتبة عاشر افندي تحت رقم ١٠٢٧ ، وثلاث نسخ في مكتبة لاله لى برقم ٣١٥٥ ، ورقم ٣١٥٦ ، ورقم ٣١٥٧ (٣) .

---

(١) فهرس دار الكتب المصرية جـ ٢ ص٧٦

(٢) فهرس مكتبة الازهر جـ٤ ص ١٠٦ ١٠٧

(٣) انظر فهرس مكتبة اسعد افندي ص١٧٧ وفهرس مكتبة عاشر افندي ص ٦٥ ، ومكتبة لاله لى ص ٢٦٢ ، وبروكلمان الاصل جـ ٢ ص ١٥٦ .

(٣)

مصادر الكتاب

ان أهم ما امتاز به السيوطي هو كثرة التتبع والاطلاع فقد دأب منذ وقت مبكر من حياته العلمية على جمع المعلومات من بطون الكتب وتذاكر العلماء ، وتيسر له أن يطلع على كثير مما دون من التراث الثقافي على ممر العصور فتجمعت لديه نقول كثيرة استخرجها من الجم الغفير من المصنفات التي دفعته همته العالية ورغبته الجامحة في التتبع والاطلاع على مدارستها وادامة النظر فيها .

ولما كان التأليف من أهم ما شغل به نفسه وأنه كان يهدف دائما الى وضع المصنفات الحافلة الكبيرة من كل فن ، فقد أفاد من تلكم النقول التي تجمعت لديه أيما أفادة ، فاستعان بها على وضع كتبه الكثيرة ، والتي كان كتاب « الأشباه والنظائر » من أمثلها وأحسنها .

ولابد لنا من أن نشيد هنا بالأمانة العلمية التي كان يتمتع بها على الرغم من كل ما قاله عنه خصومه ، لقد حرص كل الحرص أن يعزو كل عبارة وردت في كتبه ، ومنها كتاب الأشباه والنظائر ـ الى قائلها حتى ولو كان النقل قد تم من خطوط العلماء في حواشي

الكتب والتعاليق ، أو من كتب ورسائل لمؤلفين مغمورين أو مجهولين، وكان باستطاعته أن ينسب ذلك لنفسه ، ولكن روحه العلمية التي جبل عليها تأبى عليه الا أن ينسب الفضل الى ذويه ، وكان ينكر على غيره من المصنفين عدم عزوهم ما ينقلونه من الاخرين ، وفي نفس الوقت كان يشيد بأمانة كل من التزم بالمنهج العلمي السليم ، فعزا ما ينقله في كتبه من نقول الى أصحابها ، ولننظر اليه كيف أشاد بأمانة الشيخ بهاء الدين بن النحاس (١) عندما شرح احدى قواعد الفن الأول من الأشباه والنظائر حيث قال : « الفروع هي المحتاجة الى العلامات ، والأصول لا تحتاج الى علامة » . قال الشيخ بهاء الدين بن النحاس في (التعليقة) وجدت ذلك بخط عالي بن عثمان بن جنى (٢) عن أبيه . قال : بدليل أنك تقول في المذكر : قائم ، واذا أردت التأنيث قلت : قائمة ، فجئت بالعلامة عند المؤنث ، ولم تأت للمذكر بعلامة وبعد أن نقل السيوطي بقية القاعدة عقب على ذلك بقوله : وانظر الى دين الشيخ بهاء الدين وأمانته ، كيف وجد فائدة بخط ولد ابن جنى نقلها عن أبيه ، ولم تسطر في كتاب فنقلها عنه ، ولم يستجز ذكرها من غير عزو اليه ، لا كالسارق الذي أغار على تصانيفي التي أقمت في تتبعها سنين ، وهي (كتاب المعجزات

---

(١) بهاء الدين بن النحاس : هو محمد بن ابراهيم بن أبي نصر بن النحاس الحلبي ، قال عنه السيوطي : شيخ الديار المصرية في علم اللسان ، مات سنة ٦٩٨ هـ : أنظر بغية الوعاة جـ ١ ص ١٤/١٣

(٢) انظر ترجمته في بغية الوعاة جـ ٢ ص ٢٤

الكبير) و (كتاب الخصائص الصغرى) وغير ذلك ، فسرقها وضمها وغيرها مما سرقه من كتب الخيضري والسخاوي في مجموع وادعاه لنفسه . ولم يعز الى كتبي وكتب الخيضري والسخاوي شيئا مما نقله منها ، وليس هذا من أداء الأمانة في العلم . (١)

وان كتاب الأشباه والنظائر لأكبر شاهد على أمانة هذا الرجل الفذ ، فالكتاب في جملته عبارة عن حشود ضخمة من النصوص عمد الى جمعها وترصيفها وتدبيجها ليصنع منها هذا السفر الجليل النافع ، وقد عني عناية ملحوظة في نسبة كل عبارة من عباراته ، وكل مسألة من مسائله الى المصدر الذي أخذها عنه ، والكتاب كله شاهد على ذلك ، خذ أي صفحة من صفحاته ، وامعن النظر فيها مليا ، يتضح لك صحة ما قلته .

وامتازت طريقته التي اتبعها في نقله نصوص الكتاب بميزة قلما توفرت في كتاب آخر من كتبه ، وتلكم الميزة هي أن غالب هذه النصوص المنقولة كانت نصوصا طويلة ، بل ربما نقل مسائل كاملة ووضعها في مكانها المناسب من الكتاب . وكان كثيرا ما ينهي النقل بالعبارة التقليدية التي ترددت في التآليف القديمة ، وهي لفظة (انتهى) ، (٢) وذلك حتى لايختلط المنقول بعضه ببعض ، وليميز كلامه من كلام غيره .

---

(١) الأشباه والنظائر في النحو جـ ١ ص ٢٦٤ ـ ٢٦٥

(٢) الأشباه والنظائر جـ ١ ص ١٢ ، ص ١٣ ، ص ١٩ ، ص ٢٥ ، ص ٢٥ ، ص ٤٣

ولما كان الكتاب - كما قلنا - مجموعة من النقول لذا كانت مصادره التي اعتمد في تصنيفه كثيرة شملت جل ما ألف في فن النحو وأصوله ، من مبتدأ نشأة هذا العلم الى زمان المصنف ، وقل أن يوجد كتاب مشهور أو خامل الا نقل عنه في كتابه هذا . ويدل ذلك على سعة اطلاعه ، حتى ليخيل لمن قرأ هذا المصنف واطلع على كتبه الأخرى انه لم يغادر كتابا ألف في النحو والعربية الا قد اطلع عليه وأفاد منه .

وبما أن مصادر الكتاب قد بلغت من الكثرة حدا كبيرا وان مجرد سردها يدعو الى اطالة البحث ، لذلك سأقتصر على ذكر اهم تلك المصادر ، وهي :

١- كتاب الأصول : لأبي بكر محمد بن السري السراج المتوفى سنة ٣١٦ هـ . (١)

٢- كتب أبي القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي المتوفى سنة ٣٣٩ هـ . فقد نقل السيوطي من كتبه كثيرا ، وكتبه التي نقل منها هي : الجمل . والايضاح في علل النحو ، والأمالي ، وغرائب مجالس النحويين ، واللامات ، ورسالة اسمها (الأذكار بالمسائل الفقهية) وقد ضمن الرسالة الأخيرة برمتها في الفن السابع من الكتاب . (٢)

---

(١) الأشباه والنظائر جـ ١ ص ١٣

(٢) انظر الأشباه والنظائر جـ ١ ص ٨٦ ، ص ٥٠ ، ص ٧ ، جـ ٣ ص ٢٨ ، جـ ٢ ص ٢٢٣ ، جـ ٤ ص ٢١٤

٣ـ كتب الفارسي : وهو أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي المتوفى سنة ٣٧٧ هـ ، وكتبه التي نقل منها السيوطي هي : الاغفال ، والتذكرة ، والبغداديات ، والعصريات . (١)

٤ـ كتب ابن جنى : وهو أبو الفتح عثمان بن جنى المتوفى سنة ٣٩٢هـ ، وكتبه التي نقل عنها السيوطي هي : الخصائص ، والتعاقب ، والخاطريات ، وسر صناعة الاعراب ، والدمشقيات ، والمحتسب في شواذ القراءات . (٢)

٥ـ المسائل والأجوبة : لأبي محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي المتوفى سنة ٥٢١ هـ . فقد أورد السيوطي في الفن السابع عدة مسائل من هذا الكتاب . (٣)

٦ـ كتب الزمخشري : وهو أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨ هـ ، وكتبه التي نقل منها في الأشباه والنظائر هي : المفصل في النحو ، والاحاجي النحوية ، والفائق في غريب الحديث ، والكشاف عن حقائق التنزيل . (٤)

٧ـ كتب السخاوي : وهو علم الدين أبو الحسن محمد بن عبد الصمد

---

(١) الأشباه والنظائر جـ ١ ص٣٦، ص ١٠ ، ص ٢٠٧ ، جـ ٢ ، ص ١٨٧

(٢) الأشباه والنظائر جـ ١ ص ٢٥ ، ص ١٢٣ ، ص ٤٨ ، ص ٢١٢ ، ص ١١

(٣) الأشباه والنظائر جـ ٣ ص ٧٣

(٤) الأشباه والنظائر جـ ١ ص ١٤٠ ، جـ ٢ ص ٢٦٣ ، جـ ١ ص ٣٨، جـ ١ ص ٩٧

السخاوي المتوفى سنة ٦٤٢ هـ ، نقل كثيرا من كتابه (المفضل في شرح المفصل) ، وللسخاوي شرح آخر على المفصل اسمه (سفر السعادة وسفير الافادة) (٢) وقد نقل عنه أيضا في الاشباه والنظائر ، وله كتب أخرى نقل منها السيوطي أيضا وهي : (تنوير الديابني) (٣) شرح فيه (أحاجي الزمخشري) قال عنه السيوطي في البغية : من أجل الكتب في موضوعه ، والتزم أن يعقب كل أحجيتين للزمخشري بلغزين من نظمه . (٤) وقد أورد الاصل والشرح في الفن الخامس من الاشباه والنظائر .

٨ـ شرح المفصل لابن يعيش : وهو موفق الدين أبو البقاء يعيش ابن علي بن يعيش المتوفى سنة ٦٤٣ هـ . (٥)

٩ـ الموصّل في شرح المفصل : لابي محمد القاسم بن أحمد بن الموفق الاندلسي المرسي ، وهو الشهير بالعلم اللورقي ، اعتمد السيوطي على كتابه هذا اعتمادا كبيرا ، وكان يسميه (شرح المفصل للاندلسي) . (٦)

---

(١) الأشباه والنظر جـ ١ ص ٤٦ ، جـ ٢ ص ٢٦٣

(٢) الأشباه والنظائر جـ ١ ص ٢٢٨

(٣) الأشباه والنظائر جـ ٢ ص ٢٦٣

(٤) بغية الوعاة جـ ٢ ص ١٩٢

(٥) الأشباه والنظائر جـ ١ ص ٢٨

(٦) الأشباه والنظائر جـ ١ ص ٢٩ ، وانظر ترجمة العلم اللورقي في بغية الوعاة جـ ٢ ص ٢٥٠

١٠ـ كتب ابن مالك : وهو جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجياني المتوفى سنة ٦٧٢ هـ ، وكتبه التي تردد النقل منها في الاشباه والنظائر هي : الخلاصة ، والتسهيل وشرحه ، والعمدة ، وشرحها ، والكافية وشرحها ، (١)

١١ـ المحصول في شرح الفصول : لأبي محمد جمال الدين الحسين ابن بدر الدين بن اياز المتوفى سنة ٦٨١ هـ ، اعتمد في الأشباه والنظائر كثيرا على كتابه هذا ، ونقل أيضا عن كتابه (الاسعاف في مسائل الخلاف) الذي استدرك فيه على ابن الأنباري ما فاته من مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين . (٢)

١٢ـ البسيط : لضياء الدين بن العلج ، وقد نقل السيوطي منه كثيرا ، ووصفه بأنه كتاب كبير نفيس في عدة مجلدات وقال عن صاحبه في البغية : أكثر أبو حيان وأتباعه من النقل عنه ، ولم أقف له على ترجمة . (٣)

١٣ـ كتب أبي حيان : وهو أثير الدين محمد بن يوسف الاندلسي المتوفى سنة ٧٤٥ هـ ، اعتمد في الاشباه والنظائر على كتبه (ارتشاف الضرب من كلام العرب) و (التذييل والتكميل في

(١) الأشباه والنظائر حـ ٢ ص ١٩٤ ، حـ ١ ص ٣٦ ، ص٧٤ ، ص٢٧٣

(٢) الاشباه والنظائر حـ ١ ص١٢ ، حـ ٢ ص ١٤٦ ، وانظر ترجمة ابن اياز في بغية الوعاة حـ ١ ص ٥٣٢

(٣) الاشباه والنظائر حـ ١ ص ١٤ ، وانظر حـ ٢ ص ١٦٦ ، وبغية الوعاة حـ ٢ ص ٣٧٠

شرح التسهيل) ، (نهاية الأعراب في علمي التصريف والأعراب) . (١)

١٤ـ كتب ابن هشام : وهو جمال الدين عبد الله بن يوسف بن هشام الانصاري المتوفى سنة ٧٦١ هـ ، وكتبه التي تردد النقل منها في الأشباه والنظائر هي : مغنى اللبيت ، وحواشي التسهيل ، وشرح شذور الذهب ، والتذكرة ، وهي في خمسة عشر مجلدا ، وموقظ الوسنان وموقد الأذهان ، وتعليقته على ألفية ابن مالك . (٢)

ونقل له مسائل نحوية كثيرة مثل : فوح الشذا في مسألة كذ ، ورسالة في قوله تعالى : «ان رحمة الله قريب من المؤمنين» ومسألة اعتراض الشرط على الشرط ومسألة في حقيقة الاستفهام والفرق بين أدواتة وغير ذلك من المسائل الكثيرة التي أوردها في الفن السابع . (٣)

---

(١) الاشباه والنظائر حـ ١ ص ٢٨٦ ، ص١٢٢ ، وحـ ٢ ص٤٧

(٢) الاشباه والنظائر حـ ١ ص ١٠٤ ، ص ٣٣ ، وحـ ٢ ص ٣ ، وحـ ١ ص ٢٠ ، وحـ ٢ ص ٢٦١ ، وحـ ٢ ص ٦٢

(٣) انظر الاشباه والنظائر حـ ٤ ص ١١١ ، وحـ ٣ ص ١١٠ ، حـ ٤ ص٣٢ ، حـ ٤ ص ٢

(٤)

مواد الكتاب

بنى السيوطي كتابه هذا على مقدمة وسبعة فنون ، وسنتناول كلا من ذلك بصورة وافيه .

١ ــ المقدمة :

تناول فيها امور شتى ، فقد سرد فيها فنون الكتاب وبين غرض كل فن منها بصورة موجزة ، ووقع في ترتيبها اختلاف بسيط ، حيث وقع فن المناظرات والمجالسات في المقدمة الفن السادس ، بينما هو في الكتاب الفن السابع ، وحصل العكس لفن الافراد والغرائب ، واظن ان ذلك خطأ من الناسخ ، فتابعه فيه الطابع .

وبين في هذه المقدمة الاسباب التي حملته على تأليفه كتاب « الاشباه والنظائر » وافصح لنا فيها عن مدى اعتنائه بالعربية ، وانه ما زال منذ زمن الطلب يعنى بكتبها ويسعى في تحصيل ما دثر منها ، سعيا حثيثا ، الى ان وقف منها على الجم الغفير ، واحاط بغالب الموجود منها مطالعة وتأملا ، وانه ألف فيها الكتب المطولة والمختصرة ، وعنى بأخبار أهلها وتراجمهم ، واحياء ما دثر من معالمهم وما تفرد به الواحد منهم من المذاهب والاقوال وما وقع لهم مع نظرائهم ، وفي مجالس خلفائهم وامرائهم من مناظرات ومحاورات ،

وبجالسات ومذاكرات ، ومدارســات ، وفتاوى ، ومراســلات ، ومطارحات ، وقواعد ، ومناظيم ، وضوابط وتقاسيم ، وفوائد وفرائد وغرائب وشوارد ، وذكر انه اجتمع عنده من ذلك شيء كثير ، قال عنه : « حتى اجتمع عندي من ذلك جمل ، ودونتها رزما ، لا أبالغ واقول وقر جمل » (١) .

وعرض في هذه المقدمة للكتب الفقهية التي صنفت في الاشباه والنظائر ، وقام بسردها ، مع ابداء رأيه في كل منها وختم المقدمة بالحديث عن أوليات النحو ، ونقل لنا روايتين في ذلك ، الاولى نقلها من أمالي الزجاجي ، والثانية نقلها من تاريخ (ابن عساكر) وتشير كلتا الروايتين الى ان اول من وضع النحو هو الامام علي (كرم الله وجهه) ، وان ابا الاسود الدؤلي هو الذي اخذ عنه ذلك (٢).

٢ — فنون الكتاب :

وهي سبعة فنون ، وقد افرد كل فن بتسمية وخطبة ، لان كلا منها يصلح ان يكون مؤلفا مستقلا ، وهذه الفنون هي :

(١) فن القواعد والاصول (٢) فن الضوابط والاستثناءات والتقاسيم (٣) فن بناء المسائل بعضها على بعض (٤) فن الجمع والفرق (٥) فن الالغاز والاحاجي (٦) فن الافراد والغرائب (٧) فن المناظرات والمجالسات والمذاكرات والمراجعات والمحاورات والفتاوي والواقعات

---

(١) الاشباه والنظائر في النحو حـ١ ص٢ـ٣

(٢) الاشباه والنظائر حـ١ ص ٧ـ٨

والمراسلات والمكاتبات (١) .

وسأتناول في هذا الموضع من البحث الفن الثالث والخامس والسادس ، أما بقية فنون الكتاب فسأفردها بمباحث خاصة ، وذلك لأهميتها .

أ - فن بناء المسائل بعضها على بعض :

وهو الفن الثالث من كتاب الاشباه والنظائر وسماه بـ « سلسلة الذهب في البناء من كلام العرب » (٢) ، قال :« وقد ألفت فيه قديما تأليفا لطيفا مسمى بـ « السلسلة » كما سمى الجويني (٣) تأليفه في الفقه بذلك ، وألف الزركشي كتابا في الأصول كذلك وسماه: (٤) (سلاسل الذهب) » (٥) .

ورتب السيوطى هذا الفن على أبواب النحو ، مثل باب الاعراب والبناء ، وباب المنصرف ، وباب العلم ، وباب الموصول ، وباب

---

(١) الاشباه والنظائر حـ١ ص٥-٦

(٢) الأشباه والنظائر حـ٢ ص١٤٧

(٣) الجويني : هو أبو محمد عبدالله بن يوسف الجويني المتوفى سنة٤٣٨هـ وقد أطلق حاجي خليفة على كتاب الجويني هذا اسم (سلسلة الواصل في فروع الشافعية) وهو في مجلد واحد ، انظر كشف الظنون م١ ص٩٦٦

(٤) أنظر كشف الظنون م٢ ص٩٩٥ ، وسماه حاجي خليفة (سلاسل الذهب) في الاصول

(٥) الاشبا والنظائر حـ١ ص٦

المبتدأ والخبر . وغير ذلك من الابواب النحوية المعروفة .

وأغلب مباحث هذا الفن تتعلق بالابواب التي وقع فيها خلاف بين النحاة ، وسلك في ذلك طريقة خاصة ، وهي ان يذكر المسألة الخلافية ثم يبين لنا ان الخلاف فيها انما هو مبني على خلاف آخر . وقع بين النحاة في مسائل اخرى ، أي ان مسائل الخلاف بعضها مبني على بعض ، ولذلك سماه : (فن بناء المسائل) ، وسماه أيضا (سلاسل الذهب) ، لان مسائله متسلسلة ، وبعضها مرتبط ببعض . فمثلا عندما بحث باب الاعراب والبناء تعرض للخلاف الواقع بين النحاة حول فعل الامر العاري من اللام وحرف المضارعة ، نحو : اضرب ، وذكر ان النحاة اختلفوا فيه على مذهبين ، أحدهما : أنه مبني ، وعليه البصريون ، والثاني : انه مجزوم بلام محذوفة وهو رأي الكوفيين ، قال السيوطي : « والخلاف في هذه المسألة مبني على الخلاف في ثلاث مسائل : الاولى : هل الاعراب أصل في الفعل كما هو أصل في الاسم أو لا ، فمذهب البصريين لا ، وان الاصل في الافعال البناء ، والمضارع انما أعرب لشبهه بالاسم ، وفعل الامر لم يشبه الاسم فلا يعرب ، ومذهب الكوفيين نعم ، فهو معرب على الاصل في الافعال ، الثانية : هل يجوز اضمار لام الجزم وابقاء عمله فمذهب البصريين لا ، وانه لا يجوز حذف شيء من الجوازم اصلا ، وابقاء عمله . ومذهب الكوفيين نعم .

الثالثة : قال ابو حيان جعل بعض اصحابنا هذا الخلاف في الامر مبنيا على مسألة اختلفوا فيها ، وهي هل الامر صيغة مستقلة بنفسها مرتجلة ليس أصلها المضارع ، أو هو صيغة مغيرة ، وأصلها

المضارع ؟ فمن قال أصلها المضارع اختلفوا أهي معربة أم مبنية ؟ ومن قال : انها صيغة مرتجلة ليست مقتطعة من المضارع فهي عندهم مبنية على الوقف ليس الا » (١) .

ويلاحظ في هذا الفن أن السيوطي قد دأب على نقل المسائل الخلافية دون ان يبدى فيها رأياً ، ولكنه قد ينقل رأي غيره من النحاة في تلكم المسائل الخلافية ، من ذلك ما نقله في باب النداء حيث قال : « اختلف في (اللهم) فمذهب البصريين أن الميم عوض من حرف النداء ، ومذهب الكوفيين أنها بقية من جملة محذوفة والاصل : يا الله آمنا بخير ، ويبنى على هذا الخلاف جواز ادخال (يا) على (اللهم) ، فعند البصريين لا يجوز ، لانه لا يجمع بين العوض والمعوض ، وعند الكوفيين يجوز ، لان الميم على رأيهم ليست عوضا من (يا) ، قال ابو حيان في الارتشاف : اللهم لا تباشره (يا) في مذهب البصريين ، زعموا ان (الميم) المشددة في آخره عوض من حرف النداء ، فلا يجتمعان ، وأجاز الكوفيون أن تباشره الياء ، وعندهم (الميم) المشددة بقية من جملة محذوفة قدروها آمنا بخير ، وهو قول سخيف ، لا يحسن أن يقوله من عنده علم » (٢) .

ويصلح هذا الفن ان يكون مرجعا من مراجع استقصاء المسائل الخلافية التي وقعت بين النحاة في مختلف أبواب النحو ، وأصوله

---

(١) الاشباه والنظائر حـ٢ ص١٤٧ ١٤٨ ، وانظر تفصيل المسألة في الانصاف في مسائل الخلاف حـ٢ ص٢٧٣ــ٢٨٦

(٢) الاشباه والنظائر حـ٢ ص١٦٢ وانظر الانصاف حـ١ ص١٩٠ــ١٩٣

وفروعه ، فقد نقل فيه مسائل خلافيه كثيرة ، جمعها من جميع المصادر التي عالجت هذا الفن من مباحث النحو ، ورتبها على الابواب ، وهذا مما يسهل الافادة منها .

ب) فن الالغاز الاحاجي والمطارحات والممتحنات :

قال السيوطي : « وجمعتها كلها في فن لانها متقاربة كما أشار الاسنوي في أول ألغازه » (١) .

وهذا الفن منثور غير مرتب ، جمع فيه المصنف الغازا متفرقة ، منثورة ومنظومة ، استخلصها من جميع كتب النحو ، ومما اطلع عليه من مجاميع النحاة ، مثل : ألغاز الحريري التي ذكرها في مقاماته : (٢) وملخص لأحاجي الزمخشري التي ذكرها في كتابه (الأحاجي) (٣) ، كما لخص كتاب (تنوير الدياجي في تفسير الأحاجي) (٤) وهو شرح لاحاجي الزمخشري ، صنفه علم الدين السخاوي ، واتبع ذلك بنقل أحاجي منظومة لعلم الدين السخاوي أيضا . (٥) وأورد فيه كذلك ألغازا كثيرة جرت فيها مراسلات بين العلماء منها لغز في (أمس) ، جرت فيه مكاتبة بين عز الدين بن البهاء الموصلي وصلاح الدين الصفدي ، جاء فيها : « ما اسم ثلاثي الحروف ،

---

(١) الاشباه والنظائر حـ١ ص٦

(٢) الاشباه والنظائر حـ٢ ص٢٦٢

(٣) الاشباه والنظائر حـ٢ ص ٢٦٣ـــ٢٧٢

(٤) الاشباه والنظائر حـ٢ ص٢٧٢

(٥) الاشباه والنظائر حـ٢ ص٢٧٢ـــ٢٨٥

وهو من بعض الظروف ، ماض ، ان تصحفه عـاد فعل أمر ، وان ضممت أوله صار مضارعا ، فأعجب لهذا الامر ان اردت تعريفه تنكر ، او تغيرت عليه العوامل فهو لا يتغير » (١) .

وضمن السيوطي هذا الفن الغازا منثورة من وضعه هو ، منها : « ما كلمة اذا كثر عرضها قل معناها ، واذا ذهب بعضها جـــل مغزاها ، وأي عامل يعمل فيه معموله ، ولا يقطع مأموله » (٢) .

وبعد ان انهى هذه الالغاز بدأ يشرحها ، فقال : « اردت بالاول اسم الجنس الجمعي ، اذا زيد عليه التاء نقص معناه ، صار واحدا كتمر وتمرة ، ونبق ونبقة ، وبالثاني ادوات الشـرط فانهـا تعمل في الافعال الجزم والافعال تعمل فيها النصب » (٣) .

ونقل في آخر هذا الفن كراسة فيها الغاز منظومة ومشروحـة ، ولم يتوصل الى معرفة قائلها ، قال — رحمه الله — : « ثـم رايت كراسة فيها الغاز منظومة ومشروحة ، ولم اعرف لمن هي ، وها هي ذه » (٤) ثم سرد هذه الكراسة .

وورد في دائرة المعارف الاسلامية ان هذه الرسالة لابن هشام ، (٥) وقد اعتمد الاستاذ صاحب جعفر هذه النسبة ، فسرد هـــذه

---

(١) الاشباه والنظائر حـ٢ ص٢٨٧

(٢) الاشباه والنظائر حـ٢ ص٢٩١

(٣) الاشباه والنظائر حـ٢ ص٢٩١

(٤) الاشباه والنظائر حـ٢ ص٢٩٧ ٢٩٨

(٥) دائرة المعارف الاسلامية حـ١ ص ٢٩٧ـ٢٩٨

الرسالة ضمن مؤلفات ابن هشام (١) لما تناولها في رسالته الجامعية (اوضح المسالك لابن هشام الانصاري ، تحليل ودراسة) ، والصحيح ان هذه الرسالة هي لابي سعيد فرج بن قاسم المعروف بابن لب النحوي الاندلسي ، فقد وردت منسوبة اليه في حواشي الخضري على ابن عقيل ، (٢) ويؤكد ذلك ان النسخة المخطوطة من الرسالة والمحفوظة في دار الكتب المصرية تحت رقم (٧ش) تحمل اسم هذا النحوي (٣) .

ولا بد لنا في ختام هذا الفن من ان نشير الى مسألة تعد من اهم سمات كتاب (الاشباه والنظائر) وهي اعتماد السيوطي في هذا المصنف على نقل العبارات الطويلة ، والموضوعات الكاملة ، فالالغاز والمطارحات التي اوردها في هذا الفن كلها منقولة من جميع المراجع النحوية ، وليس له فيه سوى قطعة صغيرة من الالغاز المنثورة ، اورد فيها سبعة عشر لغزا ، من وضعه ، (٤) ثم قام بشرحها شرحا موجزا .

وربما افرد بعض النساخ هذا الفن ، وجعله في رسالة مستقلة من ذلك نسخة في دار الكتب المصرية (٥) تحت رقم (٣١ ش) كتبت في مكة المكرمة تجاه بيت الله الحرام بعد صلاة العصر من

---

(١) اوضح المسالك لابن هشام تحليل ودراسة ص٣٢

(٢) حواشي الخضري على ابن عقيل حـ١ ص١٥٧

(٣) فهرس دار الكتب المصرية حـ٢ ص٧٩ ، وانظر ص١٣٧

(٤) الاشباه والنظائر في النحو حـ٢ ص٢٩١ - ٢٩٢

(٥) فهرس دار الكتب المصرية حـ٢ ص١٤٠

يوم الجمعة الثاني والعشرين من شهر رجب سنة ٩١٩ هـ .

٣) فن الافراد والغرائب :

وسماه : (كتاب التبر الذائب في الافراد والغرائب من الاشباه والنظائر) (١) وبناه على الابواب النحوية ، مثل : باب الكلمة والكلام ، وباب الاعراب ، وباب الاشارة ، وباب اداة التعريف ، وباب الابتداء ، وغير ذلك من الابواب النحوية المعلومة .

وذكر في هذا الفن مسائل غريبة وردت عن كثير من النحاة ، فيها آراء خارجة عن اجماع النحاة . ورتب تلك المسائل على الابواب النحوية ، فمثلا ذكر في باب الكلمة والكلام ان اجماع النحاة منعقد على ان اقسام الكلمة منحصرة في ثلاثة : الاسم والفعل والحرف : وقد خرج على هذا الاجماع احد النحاة ، وهو ابو جعفر بن صابر (٢) ، فأضاف قسما رابعا ، قال السيوطي : « قال الشيخ جمال الدين بن هشام في شرح اللمحة اجمعوا الا من لا يعتد بخلافه على انحصار اقسام الكلمة في ثلاثة : الاسم ، والفعل ، والحرف . وقال ابو حيان : زاد ابو جعفر بن صابر قسما رابعا

---

(١) الاشباه والنظائر في النحو جـ٢ ص٣١٦ ، وانظر جـ٣ ص٢

(٢) ابو جعفر بن صابر ، قال السيوطي هو : « احمد بن صابر ابو جعفر النحوي الذاهب الى ان للكلمة قسما رابعا وسماه الخالفة » ولم يذكر عنه شيئا ، لا عن وفاته ولا حياته . انظر البغية جـ١ ص٣١١

سماه : الخالفة ، وهو اسم الفعل » (١) .

وفي باب المفاعيل نقل عن ابن اياز ان ابا سعيد السيرافي اضاف الى المفاعيل الخمسة مفعولا سادسا سماه المفعول منه ، نظر له بقوله تعالى : (واختار موسى قومه سبعين رجلا) (٢) أي من قومه ، قال ابن اياز : « وهذا ضعيف جدا ، لانه يقتضي ان يسمى نحو قولك : (نظرت الى زيد) مفعولا اليه ، و (انصرفت عن خالد) مفعولا منه » (٣) .

ونقل عن أبي حيان مسألة غريبة نسبها للسهيلي (٤) تتعلق بالحرف (لا) الذي للنهي والدعاء ، فقد ذهب السهيلي الى ان (لا) هذه هي التى للنفي ، قال المصنف : « قال أبو حيان من غريب الخلاف فى (لا) التى للنهي والدعاء ما ذهب اليه أبو القاسم السهيلي من أنها التي للنفي ، قال : لأن الناهي بطلب نفي الفعل وتركه، كما يطلب الأمر وجوده ، وقد تدخل لا النافية بين الجار والمجرور ، نحو : جئت بلا زاد ، وبين الناصب والمنصوب نحو : أخشى أن لا تقوم فكذلك دخلت بين الجازم والمجزوم ، وهو لام الأمر ، لكنها أضمرت كراهة اجتماع لامين فى اللفظ ، كما قالوا : ظلت ، يريدون : ظللت ، فكان الاصل اذا نهيت (للاتذهب) كما تقول فى الامر :

---

(١) الاشباه والنظائر في النحو حـ٢ ص٧ ٨

(٢) سورة الأعراف آية رقم (١٥٥)

(٣) الأشباه والنظائر في النحو حـ٣ ص٧ـ٨

(٤) السهيلي : هو أبو القاسم عبد الرحمن بن عبدالله السهيلي الأندلسي المتوفى سنة ٥٨١ أنظر البغية حـ١ ص٨١

اتذهب ، فأضمرت اللام ، لما ذكر . قال أبو حيان : وهذا الذي قاله في غاية من الشذوذ ، لان فيه ادعاء اضمار لم يلفظ به قط ، ولأن فيه اضمار الجازم وهو لا يجوز الا في ضرورة ، ولا يصح تشبيهه بقولهم : جئت بلا زاد ، وأخشى ان لا تقوم ، فانه هنا لفظ بالعامل ، وفي ذلك لم يلفظ بالعامل يوما قط ، فلا يحفظ من لسانهم (للاتذهب) لا في نثر ، ولا فى نظم ، فهذه كلها دعاوى لا برهان عليها ، وايضا فقد سبق اجماع النحويين كوفيهم وبصريهم على أن (لا) تفيد معنى النهي عن الفعل ، وأن الجزم بها نفسها ، لا نعلم أحدا خالف فى ذلك قبل هذا الرجل ، وهذا الرجل كان شاذ المنازع في النحو ، وان كان غير مدفوع عن ذكاء وفطنة ومعرفة ، وانما سرى اليه ذلك من شيخه ابي الحسن بن الطراوة (١) فانه لم يأخذ علم النحو الا عنه ، وابن الطراوة كما علمه النحاة كثير الخلاف لما عليه النحويون ، وقد صنف كتبا في الرد على سيبويه وعلى الفارسي وعلى الزجاجي ، ورد عليه الناس ورموه عن قوس واحدة » (٢) .

والمسائل الغريبة التي أوردها المصنف في هذا الفن كثيرة وهي تدل على قوة استقصائه ومقدرته الفائقة على جمع النظائر من

---

(١) ابن الطراوة : وهو أبو الحسين سليمان بن محمد المالقي المشهور بابن الطراوة المتوفى سنة ٥٢٨ هـ ، أنظر البغية جـ١ ص٦٠٢

(٢) الاشباه والنظائر في النحو جـ٢ ص١١

مظانها المختلفة .

والغرائب التي ذكرها السيوطي في هذا الموضع من الكتاب لا تختص بطائفة معينة من النحاة ، بل تشمل عددا كبيرا من مشاهيرهم المشهود لهم بقوة الاستنباط ، وسعة الادراك وعظيم الاطلاع ، أمثال : الفراء ، والأخفش ، والمبرد ، وثعلب ، والزجاج ، وأبي البقاء العكبري ، والزمخشري ، والسيرافي ، وابن معط ، وابن مالك ، وغيرهم من النحاة .

ولولا مخافة الاطالة لنقلت لكل نحوي ممن ذكرتهم مسألة خلافية غريبة ، أوردها السيوطي في هذا الفن ، ولكن سأكتفي بما ذكره في باب العطف ، لأن فيه جملة مسائل غريبة منسوبة لعدد من النحاة ، قال المصنف : « قال ابن هشام : زعم ابن مالك أن (حتى) الابتدائية جارة ، وأن بعدها أن مضمرة ، ولا أعرف له في ذلك سلفا ، وفيه تكلف اضمار من غير ضرورة . ذهب صاحب الأزهرية (١) الى ان (بل) تكون حرف جر ، ووهمه أبو حيان وابن هشام وغيرهما ، فقد نقل ابن مالك وابن

---

(١) صاحب الأزهرية : هكذا وردت فى الأشباه والنظائر ، واعتقد هو تحريف من الناسخ تبعه فيه الطابع ، والصحيح (صاحب الأزهية) وهو : الشيخ أبو الحسن علي بن محمد الهروي انظر معجم الأدباء جـ١٤ ص٢٤٨ ، انظر البغية جـ٢ ص٢٠٥

عصفور اتفاق النحويين على خلافه . ذهب الخوارزمي (١) الى ان (بل) ليست من حروف العطف ، ولا سلف له في ذلك نقله الأندلسي فى شرح المفصل ، ونقلت عبارته فى حاشية المغنى ، قال ابن هشام : خرق ابن مالك فى بعض كتبه اجماع النحويين فزعم أن (أم المنقطعة) تعطف المفردات كبل » (٢) .

---

(١) الخوارزمي هو . ابو بكر محمد بن العباس الخوارزمي المتوفى سنة ٣٨٣هـ ، انظر البغية حـ١ ص١٢٥

(٢) الأشباه والنظائر حـ٣ ص٨٠

(٥)

القواعد والاصول العامة

خصص السيوطي الفن الاول من كتابه « الاشباه والنظائر » القواعد والاصول التي ترد اليها الجزئيات والفروع ، وسمى هذا الفن « المصاعد العلية في القواعد النحوية » (١) ، ورتبه على حروف المعجم ، وهو اهم فنون الكتاب . وقد قال متحدثا عنه اني « اعتنيت فيه بالاستقصاء والتتبع والتحقيق وأشبعت القول فيه، وأوردت في ضمن كل قاعدة ما لائمة العربية من مقال ، وتحرير، وتنكيت ، وتهذيب ، واعتراض ، وانتقاد ، وجواب ، وايراد . وطرزتها بما عدوه من المشكلات ، في اعراب الآيات القرآنية ، والاحاديث النبوية ، والابيات الشعرية ، وتراكيب العلماء في تصانيفهم المروية . وحشوتها بالفوائد ، ونظمت في سلكها فوائد القلائد » (٢) .

وقد استغرق هذا الفن الجزء الاول من الكتاب ، ولم يفرده بخطبه خلافا لبقية الفنون ، وذلك اكتفاء بخطبة الكتاب (٣) .

---

(١) الاشباه والنظائر جـ١ ص٨

(٢) الاشباه والنظائر جـ١ ص٥ – ٦

(٣) الاشباه والنظائر جـ١ ص٨

وهذا الفن عبارة عن قواعد وأصول نحوية عامة تعد المبادىء الأساسية لأصول النحو ، وقد بحث ضمن هذه القواعد الأصول موضوعات كثيرة ، مثل : « الاتباع والاتساع وإجراء الأصلي مجرى الزائد ، واجراء الزائد مجرى الأصلي ، والأصل مطابقة المعنى اللفظ والاضافة ترد الاشياء الى أصولها ، والأمثال لا تغير ، والتابع لا يتقدم على المتبوع ، والتثنية ترد الأشياء الى أصولها ، والتصغير يرد الأشياء الى أصولها ، وقاعدة المتضمن معنى شيء لا يلزم ان يجري مجراه في كل شيء ، وقاعدة العوض والمعوض منه لا يجتمعان والتغيير يأنس بالتغيير ، وتكثير الحروف يدل على تكثير المعنى ، والحمل على ما له نظير أولى من الحمل على ما ليس له نظير ، والحمل على الأكثر أولى من الحمل على الاقل ، والحمل على المعنى ، ورب شيء يصح تبعا ولا يصح استقلالا ، والفروع هي المحتاجة الى العلامات . والأصول لا تحتاج الى علامة وقد يزاد على الكلام التام فيعود ناقصا ، وكثرة الاستعمال اعتمدت فى كثير من ابواب العربيه ، وما حذف للتخفيف كان في حكم المنطوق به ، وورود الشيء مع نظيره وروده مع نقيضه ، ولا يقع التابع في موضوع لا يقع فيه المتبوع ، ويغتفر في الثواني مالا يغتفر في الأوائل . (٢) وغير ذلك من القواعد والأصول النحوية التي زخر بها هذا الفن .

---

(٢) انظر الأشباه والنظائر جا ص٨ ، ص١٣ ، ص٢٧ ، ص٦٣ ص٧١ ، ص٨٩ ، ص٩٣ ، ١٠١ ، ص١٠٥ ، ص١٢٥ ، ص١٣٦ ، ص١٤٤ ، ص١٧٩ ، ص١٨٦ ، ص٢٠٧ ، ص٢٦٤ ، ص١٩٣ ، ص٢٨٢ ، ص٢٠ ، ص٣٢٥ ، ص٣٢٦

ولما كان غرض السيوطي من كتابه هذا هو جمع الأشباه والنظائر النحوية ، لذا نجده في كثير من الاحيان يعمد الى ذكر جميع الفروع التي تندرج تحت القاعدة التي يروم بحثها ، جامعا تلك الفروع من مختلف المصادر ، عازيا كل ما ينقله الى المصدر الذي استقاه منه ، ولنأخذ على ذلك هذه الأمثلة الثلاثة :

١) اختصار المختصر لا يجوز :

قال السيوطي : « اختصار المختصر لا يجوز ، لأنه اجحاف به، ومن ثم لم يجز حذف الحرف قياسا ، قال ابن جني في المحتسب أخبرنا أبو علي قال : قال ابو بكر : حذف الحرف ليس بقياس ، لأن الحروف انما دخلت الكلام لضرب من الاختصار ، فلو ذهبت تحذفها لكنت مختصرا لها أيضا واختصار المختصر اجحاف به ، ومن ثم لم يجز حذف المصدر والحال اذا كان بدلا من اللفظ بفعلهما ، ولا الحال النائبة عن الخبر ، ... وقال ابن هشام في حواشي التسهيل : لا يجوز حذف جواب اما ، لان شرطها حذف ، فلو حذف الجواب أيضا ، لكان اجحافا بها » (١) .

٢) الفرع احط رتبة من الاصل :

قال السيوطي : « ومن ثم لم يجز اعمال اسم الفاعل عند

---

(١) الاشباه والنظائر حـ١ ص٣٢ ٣٤

البصريين من غير اعتماد ، قال في (البسيط) (١) لأنه فرع عن الفعل في العمل ، والقاعدة : حط الفروع عن رتب الأصول فاشتراط اعتماده على أحد الامور الستة ليقوى بذلك على العمل .

وقال ابن يعيش : قال الكسائي في قوله تعالى : (كتاب الله عليكم) (٢) انه نصب بعليكم على الاغراء ، كأنه قال : عليكم كتاب الله ، فقدم المنصوب ، قال ومثله قول الشاعر :

يا أيها المائح دلوى دونكما

أي دونك دلوى .

قال (أي ابن يعيش) وما قاله (أي الكسائي) ضعيف ،لان هذه الظروف ليست أفعالا ، وانما هي نائبة عن الافعال ، وفي معناها ، فهي فروع في العمل على الافعال ، والفروع أبدا منحطة عن درجات الاصول ، فأعمالها فيما تقدم عليها تسوية بين الاصل والفرع ، وذلك لا يجوز .

... وقال ابن يعيش : لا يجوز تقديم خبر إن وأخواتها ولا اسمها عليها ، ولا تقديم الخبر فيها على الاسم لكونها فروعا عن الافعال في العمل ، فانحطت عن درجة الافعال . وقال ابن فلاح(٣)

---

(١) كتاب كبير في النحو لضياء الدين بن العلج ، انظر البغية حـ٢ ص٣٧٠

(٢) سورة النساء آية رقم (٢٤)

(٣) ابن فلاح : هو منصور بن فلاح اليمني النحوي المتوفى سنة ٦٧٠ هـ ، انظر البغية حـ٢ ص٣٠٢

في (المغني) : انما حمل نصب جمع المؤنث السالم على جره ، مع امكان دخول النصب فيه لئلا يكون الفرع أوسع مجالا من الاصل مع ان الحكمة تقتضي انحطاط الفروع عن رتب الاصول ، ولانه يشارك المذكر في التصحيح ، فشاركه في الاعراب ، والمذكر معرب بحرفين ، فأعرب هذا بحركتين ، وخص بالحركة لانحطاطه عن رتبة الاصل » (١) .

٣) يغتفر في الثواني ما لا يغتفر في الاوائل :

قال : « ومثله قولهم : يحتمل في التابع ما لايحتمل في المتبوع ومن فروع ذلك ظهور ان مع المعطوف على منصوب حتى كقوله :

حتى يكون عزيزا في نفوسهم   أو أن يبين جميعا وهو مختار

وان كان لا يجوز ظهورها بعد حتى ، لان الثواني تحتمل ما لا تحتمل الاوائل .

وقال في البسيط : جواز الفراء اضافة اسم الفاعل المعرف بأل اذا كان للحال او الاستقبال نحو الضارب زيد الآن أو غدا ، واحتج بالقياس على قول الشاعر :

الواهب المائة الهجان وعبدها

والجواب انه يحتمل في التابع ما لا يحتمل في المتبوع بدليل : قولهم رب شاة وسخلتها ، ورب لا تدخل على معرفة .

... وقال البيضاوي في تفسيره قوله تعالى : (انك انت العليم

(١) الاشباه والنظائر جـ١ ص٢٦٠

الحكيم) (١) قبل أنت تأكيد للكاف ، كما في قولك : مررت بك أنت ، وان لم يجز مررت بأنت ، اذ التابع يسوغ فيه ما لا يسوغ في المتبوع ، ولذلك جاز : يا هذا الرجل ، وان لم يجز : يا الرجل .

وقال ابن الصائغ (٢) في (تذكرته) : أبو عمرو يختار النصب في الغلام من نحو يا زيد والغلام ، وان كان عطف النسق يقدر معه العامل وحرف النداء لا يباشر اللام ، لأنه يجوز في الثواني ما لا يجوز في الأوائل . (٣)

وسلك السيوطي في بقية القواعد والأصول نفس هذا المسلك ، فهو قد اعتمد فيها اعتمادا كليا على النقل والجمع ، مع الحرص الشديد على عزو نقولاته كافة الى مصادرها الأصليـــة ، وندر ان يطالعنا فيها برأى ، اذ ان عمله كان منحصرا بالجمع والتنسيق ، ومع ذلك فان عمله هذا يدل على براعته في استقصـاء المسائل وعظيم صبره على التطواف بين حشود الكتب والمراجع ، ليلتقط منها هذه الجزئيات الكثيرة ، ويضم كلا منها تحت قاعدته العامه ، ولهذا جاء كتابه حافلا بالقضايا النحوية الكثيرة التي قل نظيرها في غيره من الكتب النحوية .

---

(١) سورة البقرة آية رقم (٣٢) وأنظر تفسير البيضاوى جا ص٣٦ والبيان في اعراب القرآن جا ص٧٣

(٢) ابن الضائع : شمس الدين محمد بن عبد الرحمن شارح الألفية المتوفى سنة ٧٧٦ هـ انظر البغية جا ص١٥٥ ـ ١٥٦

(٣) الأشباه والنظائر جا ص٣٢٦ ـ ٣٢٩

ولم يقتصر السيوطي في هذا الفن على عرض القواعد والأصول فقط ، بل دأب في كثير من الاحيان على ايراد تنبيهات وفوائد الغرض منها توضيح بعض الفروع والجزئيات التي اوردها في القاعدة ولنأخذ على ذلك هذا المثال الذي اورده عقب شرحه قاعدة (الاتباع) حيث قال : « تنبيه : قال ابن جني في المحتسب في قراءة « الحمد لله » بالاتباع ، هذا اللفظ كثر في كلامهم وشاع استعماله ، وهم لما كثر في استعمالهم أشد تغييرا ، كما جاء عنهم كذلك : لم يك ، ولم أدر ، ولم أبل ، وأيش تقول ، وحايجي ، وسايسو ، بحذف همزتيهما فلما اطرد هذا ونحوه لكثرة استعماله ، اتبعوا أحد الصورتين الآخر وشبهوهما بالجزء الواحد فصارت « الحمد لله » (١) كعنق ، وطنب و « الحمد لله » (٢) كابل ، واطل ، الا انّ « الحمد لله » بضم الحرفين اسهل من « الحمد لله » بكسرهما من موضعين ، احدهما : أنه اذا كان اتباعا فأقيس الاتباع أن يكون الثاني تابعا للاول ، وذلك انه جار مجرى السبب والمسبب ، وينبغي ان يكون السبب أسبق رتبة من المسبب ، فتكون ضمة اللام تابعة الدال .... فتتبع الثاني الأول ، فهذا أقيس من اتباعك الأول للثاني ، في نحو :

---

(١) « الحمد لله » : قرأها زيد بن علي والحسن البصري بضم اللام من لفظ (لله) اتباعا لضمة الدال ، وانظر المحتسب جا ص٣٧ ، والبيان في اعراب غريب القرآن جا ص٣٤

(٢) « الحمد لله » : بكسر الدال اتباعا لكسرة اللام في (لله) ، قال ابن جني هى قراءة أهل البادية ، وانظر المحتسب جا ص٣٧ والبيان في اعراب غريب القرآن جا ص٣٤ ـ ٣٥

أقتل ، أخرج . والأخر : أن ضمة الدال في « الحمد لله » اعراب وكسرة اللام في لله بناء ، وحركة الاعراب أقوى من حركة البناء والاولى أن يغلب الأقوى على الاضعف لا عكسه ، ومثل هذا في اتباع الاعراب البناء قوله :

وقال اضرب الساقين امك هابل

كسر الميم لكسرة الهمزة . (١)

ولم يفت السيوطي في أثناء بحثه القواعد والأصول العامة ان يعرض للمسائل الخلافية التي وقعت بين النحاة ، وكان في عرضه هذه المسائل بجرد ناقل ، يعرض رأى كل فريق وأدلته - ان كانت له أدلة - دون ان يفاضل بين تلك الآراء ، والأمثلة على ذلك كثيرة نذكر منها هذا المثال الذي أورده ضمن قاعدة « اختصار المختصر لا يجوز » ، حيث قال : « قال الشيخ بهاء الدين بن النحاس في التعليقة أجمع النحاة على ان ما فيه تاء التأنيث يكون في الوصل (تاء) وفي الوقف (هاء) على اللغة الفصحى ، واختلفوا أيهما بدل من الأخرى ، فذهب البصريون الى ان (التاء) هي الأصل وان (الهاء) بدل عنها ، وذهب الكوفيون الى عكس ذلك .

واستدل البصريون بأن بعض العرب يقول (التاء) في الوصل والوقف كقوله :

الله نجاك بكفى مسلمت

---

(١) الأشباه والنظائر ج١ ص١١ - ١٢ ، وانظر المحتسب ج١ ص٣٧ - ٣٨

ولا كذلك (الهاء) فعلمنا أن (التاء) هي الاصل ، وأن (الهاء) بدل عنها ، وبان لنا موضعا قد ثبتت فيه (التاء) للتأنيث بالاجماع وهو الفعل ، نحو : قامت ، وقعدت ، وليس لنا موضع قد ثبتت (الهاء) فيه ، فالمصير الى أن (التاء) هي الاصل أولى لما يؤدي قولهم اليه من تكثير الاصول .

واستدلو ايضا بأن التاء اتت في الوصل الذي ليس بمحل التغيير ، و (الهاء) انما جاءت في الوقف الذي هو محل التغيير ، فالمصير الى ان ما جاء في محل التغيير هو البدل أولى من المصير الى ان البدل ما ليس في محل التغيير » (١) .

ومما تجدر الاشارة اليه أن قسما من القواعد والأصول التي أوردها السيوطي تصلح ان تكون رسائل نحوية مستقلة ، وذلك لأنه بحثها بشيء من التفصيل والاتساع ، وخير مثال على ذلك القاعدة التي بحث تحتها موضوع (الاعراب) ، فقد تناوله فيها من عدة جوانب ، وبناه على ستة مباحث ، هي :

الأولى : في حقيقة الاعراب . الثاني : في وجه نقله من اللغة الى اصطلاح النحويين . الثالث : في الاعراب والكلام أيهما أسبق؟ الرابع : في ان الاعراب لم دخل في الكلام ؟ الخامس : في ان الاعراب أحركة أم حرف ؟ . السادس : في الاعراب لم وقع في

---

(١) الاشباه والنظائر ح١ ص٤٧ــ٤٨

آخر الاسم دون أوله وأوسطه ؟ (١) .

وهناك قواعد أخرى بحثها كذلك بشيء من التفصيل هي : « اختصار المختصر لا يجوز » (٢) و « والتعويض » (٣) و « والحركه » (٤) و « العامل » (٥) و « مراجعة الاصول » (٦).

ونستطيع أن نقرر في ختام كلامنا على القواعد والاصول العامة ان السمة البارزة لمباحث هذا الفن هي اعتماد السيوطي على النقل والجمع ، وهي سمة غالبة على جميع مصنفاته ، الا أنه هنا يمتاز بنقل العبارات المطولة ، بل قد ينقل مسائل كامله عن مصادر معينة ، فمثلا نقل غالب مبحث (الاعراب) عن كتاب ايضاح العلل للزجاجي ، ونقل موضوع (اجراء اللازم مجرى غير اللازم ، واجراء غير اللازم مجرى اللازم) (٧) عن مصدرين ، الاول الخصائص لابن جني ، والثاني : تذكرة ابن هشام ،

---

(١) الاشباه والنظائر جا ص٧٢ـ٨٤

(٢) الاشباه والنظائر جا ص٣٢ـ٤٩

(٣) الاشباه والنظائر جا ص١٠٨ـ١٣٤

(٤) الاشباه والنظائر جا ص١٥٢ - ١٧٧

(٥) الاشباه والنظائر جا ص٢٤١ـ٢٦٠

(٦) الاشباه والنظائر جا ص٢٨٧ـ٢٩٥

(٧) الاشباه والنظائر جا ص٢٢ـ٢٥

وموضوع (الاسم أصل للفعل) (١) نقله كله عن الشلوبين ، وموضوع (تقوية الاضعف ، واضعاف الاقوى) (٢) نقله من كتاب الخاطريات لابن جني ، ومسألة (التقديم والتأخير) (٣) نقله من كتاب الاصول لابن السراج .

---

(١) الاشباه والنظائر حـ١ ص٥٣

(٢) الاشباه والنظائر حـ١ ص١٤٤

(٣) الاشباه والنظائر حـ١ ص١٤٣

(٦)

الضوابط والاستثناءات والتقسيمات والجمع والفرق

أ - الضوابط والاستثناءات والتقسيمات :

بحث السيوطي هـذا النوع من المسائل النحوية في الفن الثاني من كتابه الأشباه والنظائر ، وسماه : (التدريب) ، ورتبه على أبواب النحو ، لاختصاص كل ضابط ببابه ، وقد فرق بين الضابط والقاعدة بأن القاعدة تجمع فروعا من أبواب شتى ، والضابط يجمع فروع باب واحد ، وذكر أن بعض مسائل هذا الفن قد تدخل ضمن مسائل الفن الأول الخاص بالقواعد والأصول العامة ، فقال : « وقد تختص القاعـدة بالباب ، وذلك اذا كان الأمر كليا منطبقا على جزئياته ، وهو الذي يعبر عنه بقولهم : قاعدة الباب كذا ، وهذا أيضا يذكر في هذا الفن ، لا في الفن الأول . وقد يدخل في الفن الاول قليل من هذا الفن ، وكذا من الفنون بعده ، لاقتضاء الحال ذلك » (١) .

---

(١) الاشباه والنظائر حـ١ ص٦

ورتب هذا الفن على الابواب النحوية المعهودة مثل : باب الالفاظ ، وباب الكلمة ، وباب الاسم ، وباب الفعل ، وباب الحرف ، وباب الكلام ، وباب الجملة ، وباب المعرب والمبني ، وغير ذلك من الأبواب .

ولما كان السيوطى قد هدف في كتابه « الاشباه والنظائر » الى دراسة النحو في أسلوب يختلف عن الأسلوب الذي درج عليه النحاة في دراساتهم النحوية ، لذا نراه في هذا الفن قد تناول الأبواب النحوية بطريقة خاصة ، الغرض منها جمع « الاشباه والنظائر » النحوية فمثلا عندما بحث باب الاسم نظر اليه من جوانب متفرقة ، منها :

أ) تتبع علامات الاسم ، وذكر أنها أكثر من ثلاثين علامة (١) .

ب) بحث الاسم من حيث الاسناد ، وصنفه الى أربعة أقسام ، قسم يسند ويسند اليه ، وهو الغالب في الاسماء ، وقسم لا يسند ولا يسند اليه كالظروف والمصادر غير المتصرفة ، وقسم يسند ولا يسند اليه كأسماء الافعال ، وقسم يسند اليه ولا يسند كضمائر الرفع المتصلة (٢) .

ثم تطرق الى اختلاف العلماء في تعيين كل من المسند والمسند

---

(١) الاشباه والنظائر حـ٢ ص ٤
٢) الاشباه والنظائر حـ٢ ص٥

اليه فقال : « قال أبو حيان في شرح التسهيل في المسند والمسند اليه أقوال ، أحدها : المسند المحكوم به ، والمسند اليه المحكوم عليه وهو الأصح ، وثانيها : ان كلا منهما مسند ومسند اليه ، وثالثها : أن المسند هو الأول مبتدأ كان أو غيره ، والمسند اليه الثاني ، فقام من (قام زيد) وزيد من (زيد قائم) مسند والأخير مسند اليه.

رابعها : عكس هذا ، فزيد وقام في التركيبين مسند ، والاول من التركيبين مسند اليه ، ولهذه المسألة نظائر . » ومن نظائرها التي ذكرها السيوطي في هذا الباب (المضاف والمضاف اليه) و (البدل والمبدل منه) (١) .

ولما بحث باب الفعل تناوله من جوانب متفرقة منها :

١ ـ ذكر أن للفعل بضع عشرة علامة ، مثل : تاء الفاعل ، وياؤه ، وتاء التأنيث الساكنة ، وقد ، والنواصب والجوازم ، وأحرف المضارعة ، وتغيير صيغه لاختلاف الزمان (٢) .

٢ ـ تناول الفعل من حيث أقسامه ، ونقل عن شرح التسهيل لابي حيان أنه ينقسم انقسامات بحسب الزمان ، والتعدي واللزوم ، والتصرف والجمود ، والتمام والنقصان ، والخاص والمشترك ، والمفرد والمركب ، وفي علم التصريف الى صحيح ومهموز ، ومثال وأجوف ولفيف ومنقوص ومضاعف وغير ذلك » (٣).

---

١) الاشباه والنظائر في النحو حـ٢ ص٥

٢) الاشباه والنظائر في النحو حـ٢ ص٩

٣) الاشباه والنظائر في النحو حـ ٢ ص٩

وبقية مباحث الفن كلها مساقة على هذا النمط من البحث ، ويلاحظ أن المصنف قد أكثر في هذا الفن من ذكر المنظومات النحوية من ذلك ما نقله عن الشيخ بدر الدين بن أم قاسم نظمه للجمل التي لها محل من الاعراب والجمل التي لا محل لها من الاعراب (١) . ونقل في باب المنصرف وغير المنصرف عدة قطع منظومة ، منها قطعة للامام الشاطبي ، (٢) ونقل كذلك منظومة تتعلق بسؤال وجهه بعض الفضلاء الى الشيخ تاج الدين بن مكتوم يسأله فيه عن مواضع حذف العائد من جملة الصلة ، فأجابه الشيخ نظما ، ضمنه جميع المواضع التي يحذف فيها العائد من جملة الصلة (٣) .

وعني المصنف في هذا الفن كذلك بالتقسيمات النحوية ، وجمع من ذلك نوادر لطيفة ، فمثلا عندما بحث باب الحرف نقل عن شرح المفصل للاندلسي فقال : « اعلم أن للحروف انقسامات كثيرة ، فتنقسم الى ما يكون على حرف واحد ، والى ما يكون على اثنين اعدا ، الى خمسة ، نحو لكن ، والزائد على حرف اما أن يكون مفردا أو مركبا ، نحو من والى وأما ولولا ، وتنقسم الى عاملة وغير عاملة ، وتنقسم الى مختص بأحد القسمين أو غير مختص . وقد قيل ان الحرف أما أن يجيء لمعنى في الاسم خاصة ، نحو لام التعريف ،

---

(١) الاشباه والنظائر في النحو حـ٢ ص ١٦

(٢) الاشباه والنظائر في النحو حـ٢ ص ٢٩

(٣) الاشباه والنظائر في النحو حـ٢ ص ٤٢

وحرف الاضافة والنداء وغير ذلك ، أو في الفعل خاصة نحو قــد والسين وسوف والجوازم والنواصب ... ولها أقسام بالنسبة الى تغيير الاعراب ، قسم لا يغير الاعراب ولا المعنى نحو (ما) الزائدة في قوله تعالى (فبما رحمة من الله)(١) وقسم يغير الاعراب والمعنى نحو : ليت ولعل ، وقسم يغير الاعراب دون المعنى نحـو : ان ، وقسم يغير المعنى دون الاعراب نحو : هل » (٢) .

ونقل تقسيما آخر للحروف ، فقال : « قال أبو القاسم الزجاجي في كتاب (ايضاح علل النحو) الحروف ثلاثة أضرب : حروف المعجم التي هي أصل مدار الالسن عربيها وعجميها ، وحروف الاسماء والافعال والحروف ، التي هي أبعاضها ، نحو : العين من جعفر ، والضاد من ضرب ، وما أشبه ذلك ... وحروف المعاني التي تجيء مع الاسماء والافعال لمعان » (٣) .

وهذا الفن لا يختلف عن سائر فنون الكتاب في كونه عبارة عن مجموعة نقولات لمها المصنف من شتى المصادر النحوية ، وأوردها في هذا الفن مجموعة متناسقة مترابطة يكمل بعضها بعضــا ، وهي غزيرة فيما يتعلق بالتقسـيمات والنظائر النحوية قلمـا يظفر بها الانسان في مصنف آخر .

---

(١) سورة آل عمران آية رقم (١٥٩)

(٢) الاشباه والنظائر في النحو حـ٢ ص ١٢ــ١٣

(٣) الاشباه والنظائر في النحو حـ٢ ص ١٠

ويبرز لنا هذا الفن مدى سعة اطلاع السيوطي « وتتبعه وقدرته الفائقة على جمع المعلومات من شتى مظانها ، مع حرصه الشديد على غزو كل ما ينقله الى مصدره الذي استقاه منه ، فمثلا لما بحث علامات الاسماء أوصلها الى اثنتين وثلاثين علامة ، جمعها من مختلف المصادر النحوية فقال : « تتبعنا جميع ما ذكره الناس من علامات الاسم فوجدناها فوق ثلاثين علامة ، وهي : الجر ، وحروفه والتنوين ، والنداء ، وأل ، والاسناد اليه ، واضافته ، والاضافة اليه ، والاشارة الى مسماه ، وعود ضمير اليه ، وابدال اسم صريح منه ، والاخبار به مع مباشرة الفعل ، وموافقة ثابت الاسمية في لفظه ومعناه ، هذا ما في كتب ابن مالك ، ونعته وجمعه تصحيحا وتكسيرا ، وتصغيره ، ذكر هذه الاربعة ابن الحاجب في (وافيته) ، وتثنيته ، وتذكيره ، وتأنيثه ، ولحوق ياء النسبة له ، ذكر هذه الاربعة صاحبا (اللب) و (اللباب) وكونه فاعلا ، أو مفعولا . ذكرهما أبو البقاء العكبرى في (اللباب) ، وكونه عبارة عن شخص ، ودخول لام الابتداء وواو الحال ، ذكر هذه ابن فلاح في (مغنيه) ، وذكر ابن القواس في (شرح ألفية ابن معط) لحوق ألف الندبة ، وترخيمه ، وكونه مضمرا ، أو علما ، أو مفردا منكرا ، أو تمييزا ، أو منصوبا حالا » (١) .

وختم السيوطي « هذا الفن بسرد المسائل الخلافية التي وقعت بين البصريين والكوفيين ، نقلها من كتاب الانصاف في مسائل

---

(١) الاشباه والنظائر في النحو حـ٢ ص ٤

الخلاف لابن الأنباري ، وكتاب التبيين في مسـائل الخلاف بين البصريين والكوفيين لأبي البقاء العكبرى ، وقد سردها بجرد سرد دونما شـرح ولا تعليق ، وذلك بأن يذكر المسألة ، ومعها رأى البصريين أولا ثم رأى الكوفيين ، نحو قوله » .

١ ـ الاسم مشتق من السمو عند البصريين ، وقال الكوفيون من الوسم .

٢ ـ الأسماء الستة معربة من مكان واحد ، وقال الكوفيون : من مكانين .

٣ ـ الفعل مشتق من المصدر ، وقالوا : المصدر مشتق من الفعل » (١) .

وبلغت عدة المسائل التي نقلها عن هذين الكتابين مائة ومسألتين (٢) ، ثم ذكر أن ابن الأنباري ، قد فاتته مسائل خلافية ، استدركها عليه ابن اياز في مؤلف (٣) ، ولم ينقل لنا من هـذا المؤلف سوى مسألتين ، هما :

١ ـ الاعراب أصل في الاسماء ، فرع في الأفعال عند البصريين ، وقال الكوفيون أصل فيهما .

---

(١) الاشباه والنظائر في النحو حـ٢ ص١٤٠ــ١٤٦

(٢) الاشباه والنظائر في النحو حـ٢ ص ١٤٦

(٣) ابن اياز : هو الحسين بن بدر بن اياز ، وكتابه اسمه (الاسعاف في مسائل الخلاف) البغية حـ١ ص ٥٣٢

٢ ـ لا يجوز حذف نون التثنية لغير الاضافة ، عند البصريين ، وجوزه الكوفيون (١) .

ب ـ الجمع والفرق :

بحث السيوطي هذا النوع من المسائل النحوية في الفن الرابع من الاشباه والنظائر ، وسماه « اللامع في الجمع والفرق » .، وجعله على قسمين :

الاول : الابواب المتشابهة المتفرقة في كثير من الاحكام ، (٢) وبحث فيه موضوعات متفرقة ، منها : ذكر ما افترق الكلام والجملة ، والفرق بين تقدير الاعراب وتفسير المعنى ، والفرق بين الاعراب التقديرى والاعراب المحلي ، وذكر ما افترق فيه ضمير الشأن وسائر الضمائر ، وذكر ما افترقت فيه التوابع ، وغير ذلك من الموضوعات .

الثاني : الابواب المتشابهة المفترقة في الحكم والعلة ، (٣) وقد رتب هذا القسم على الابواب النحوية ، مثل : باب الاعراب والبناء ، وباب المنصرف وغيره ، وباب النكرة والمعرفة ، وباب الابتداء ، وغير ذلك من الابواب ، .

وتناول السيوطي في القسم الاول أبوابا نحوية متشابهة في كثير من الاحكام الا أنه بينها اختلافات كذلك في أحكام أخرى ، فمثلا

---

(١) الاشباه والنظائر حـ ٢ ص ١٤٦

(٢) الاشباه والنظائر حـ ٢ ص ١٦٦

(٣) الاشباه والنظائر حـ ٢ ص ١٦٦

التوابع بينها تشابه ولقاء ، وهي خاضعة لاحكام متشابهة ، ولو لم تكن كذلك لما جمعت في باب واحد ، ولكن مع هذا التشابه توجد بينها اختلافات في أحكام كثيرة ، وقد استقصى النحاة ما بينها من فروق ، فقام السيوطي فجمعها من شتى مظانها وذكرها تحت باب سماه : « ذكر ما افترقت فيه التوابع » (١) وبحث ضمنه الفرق بين الصفة والتوكيد ، والفرق بين الصفة وعطف البيان ، والفرق بين عطف البيان والبدل ، والفرق بين التوكيد والبيان ، والفرق بين البدل والصفة . وكما بين لنا ما بين مفردات التوابع من فروق ، أشار كذلك الى ما بينها من تشابه .

أما القسم الثاني : فقد بحث فيه مسائل متشابهة الا أنها مختلفة من حيث العلة والحكم ، فمثلا : بناء الاسم ومنعه من الصرف بينهما تشابه ، ففي كل منهما خروج بالاسم عن الاصل ، فبناؤه ومنعه من الصرف خروج بالاسم عن أصله ، اذ الاصل فيه الاعراب والصرف ، وقد صاحب هذا التشابه الموجود بينهما اختلاف في العلة والحكم ، فالاسم يكفي في بنائه شبهه بالحرف من وجه واحد ، بينما لا يكفي في منع صرفه مشابهته للفعل من وجه واحد بل لابد من مشابهته له من وجهين ، وعلل السيوطي ذلك بقوله : والفرق أن مشابهة الحرف تخرجه الى ما يقتضيه الحرف من البناء ، وعلة البناء قوية ، فلذلك جذبته العلة الواحدة ، واما مشابهة الفعل فانها لا تخرجه عن الاعراب وانما تحدث فيه ثقلا ، ولا يتحقق الثقل

---

(١) الاشباه والنظائر ج ٢ ص ٢٠٥

بالسبب الواحد ، لأن خفة الاسم تقاومه ، فلا يقدر على جذبها عن الاصالة الى الفرعية ، فلذلك احتيج الى سببين لتحقق النقل بتعاضدهما وغلبتهما بقوة ثقلهما خفة الاسم وجذبه الى شبه الفعل»(١)

ويدل هذا الفن دلالة قوية على مدى سعة اطلاع السيوطي وقدرته الفائقة على الجمع فقد طاف بين جميع المراجع النحوية حتى استطاع أن يحصى هذه الفروق الكثيرة ، بين مختلف الابواب النحوية ، وكان على عادته لا ينقل شيئا ، الاعزاه الى مرجعه الذي استقاه منه .

(١) الاشباه والنظائر في النحو حـ٢ ص ٢٣١

(٧)

المناظرات والمجالس والفتاوى

أفرد السيوطي الفن السابع في كتابه « الأشباه والنظائر » للمناظرات والمذاكرات والمجالس النحوية والمراجعات والمحاورات والفتاوى والواقعات والمكاتبات والمراسلات ، ولم يطلق عليه اسما معينا خلافا لما فعله في بقية فنون الكتاب .

ونقل في هذا الفن مناظرات كثيرة جرت بين النحاه في مختلف العصور ، وكانت المسألة (الزنبورية) أول مناظرة نقلها في هذا الفن ، وهي مسألة مشهورة جرت بين سيبويه والكسائي أيام هرون الرشيد على عهد البرامكة ، وقد حضر المناظرة يحيى البرمكي ونقل السيوطي هذه المناظرة من أمالى أبي القاسم الزجاجي ، وملخصها : أن الكسائي لما حضر المجلس أقبل على سيبويه فقال له : تسألني أو أسألك ؟ ، قال سيبويه : لا بل سلني أنت . فأقبل عليه الكسائي فقال : كيف تقول : كنت أظن ان العقرب اشد لسعا من الزنبور ، فاذا هو هي ، أو فاذا هو اياها ؟ فقال سيبويه : فاذا هو هي ، ولا يجوز النصب ، فقال له الكسائي لحنت ، ثم سأله مسائل في هذا النحو ، وخطأه فيها كلها ، فلما اختلفا ، قال يحيى بن

خالد البرمكي : قد اختلفتما وأنتما رئيسا بلديكما فمن ذا يحكم بينكما ؟ فطلب الكسائي : من يحيى أن يحضر بعض العرب الوافدين عليه ، الواقفين ببابه ، فوافق على ذلك يحيى ، واستدعى بعضهم ، فسئلوا عن المسائل التي جرت بين الكسائي وسيبويه ، فتابعوا الكسائي وقالو بقوله . فأقبل يحيى على سيبويه فقال : قد تسمع أيها الرجل ، فاستكان سيبويه ، فأقبل الكسائي على يحيى فقال : أصلح الله الوزير ، انه وفد اليك من بلده مؤملا ، فان رأيت ألا ترده خائبا ، فأمر له بعشرة آلاف درهم . (١)

والمناظرات التي نقلها السيوطي في هذا الفن كثيرة ، منها مناظرة وقعت بين الكسائي واليزيدي ، ومناظرة وقعت بين ابن الأعرابي والأصمعي ، ومناظرة وقعت بين أبي حاتم والتوزى . (٢)

وأورد ضمن هذا الفن مجالس نحوية كثيرة دارت فيها مختلف المسائل بين مختلف النحاه ، ومن أطرف هذه المجالس مجلس أبي عمرو بن العلاء مع عيسى بن عمر ، قال السيوطي : « قال الزجاجي في أماليه : أخبرنا أبو عبد الله اليزيدي يرفعه الى عمه أبي محمد اليزيدي واسمه يحيى بن المبارك ، قال : كنا في مجلس أبي عمرو ابن العلاء ، فجاءه عيسى بن عمر الثقفي فقال : يا أبا عمرو ما شيء بلغني عنك انك تجيزه ، قال : وما هو ؟ قال : بلغني انك تجيز (ليس الطيب الا المسك) بالرفع ، فقال له ابو عمرو : هيهات

---

(١) الأشباه والنظائر جـ ٣ ص ١٥ ، وأنظر أمالي الزجاجي ص ٢٤١

(٢) الأشباه والنظائر في النحو جـ ٣ ص ١٨ ، وأنظر ص ٢٢ ، ص ٢٣

نمت وأدلج الناس ، ثم قال الي أبو عمرو : تعال انت يحيى ، وقال لخلف الأحمر تعال أنت يا خلف ، امضيا الى أبي مهدية فلقناه الرفع فانه يأبى ، وامضيا الى المنتجع بن نبهان التميمي فلقناه النصب فانه يأبى ، قال أبو محمد : فمضينا الى أبي مهدية فوجدناه قائما يصلي ، فلما قضى صلاته أقبل علينا ، فقال : ما خطبكما ، فقلنا جئناك لنسألك عن شيء من كلام العرب ، قال : هاتياه ، فقلنا كيف تقول : ليس الطيب الا المسك ، فقال : أتأمراني بالكذب على كبر سني ... فقال له خلف الأحمر : ليس الشراب الا العسل ، قال: فما تصنع سودان هجر ، مالهم غير هذا التمر ، فلما رأيت ذلك قلت له : كيف تقول : ليس ملاك الأمر الا طاعة الله ، فقال : هذا كلام لا دخل فيه ، ليس ملاك الأمر الا طاعة الله والعمل بها ، فلقناه الرفع فأبى ، فكتبنا ما سمعناه منه .

ثم جئنا الى المنتجع ، فقلنا له : كيف تقول : ليس الطيب الا المسك ، ونصبنا ، فقال : ليس الطيب الا المسك ، ورفع ، وجهدنا به أن ينصب فلم ينصب . فرجعنا الى أبي عمرو وعنده عيسى بن عمر لم يبرح ، فأخبرناه بما سمعنا ، فأخرج عيسى خاتمه من يده فدفعه الى أبي عمرو ، وقال بهذا سدت الناس ، يا أبا عمرو . (١)

والمجالس النحوية التي نقلها المصنف في هذا الفن كثيرة ومتشعبة،

(١) الأشباه والنظائر في النحو حـ ٣ ص ٢٣ ـ ٢٤ ، وانظر امالي الزجاجي ص٢٤١ ، وهمع الهوامع حـ ١ ص١١٥

منها مجلس وقـــع للخليل بن احمد الفراهيدي مع تلميذه سيبويه دار فيه نقاش حول قوله تعالى (ثم لننزعن من كل شيعة ايهم أشد على الرحمن عتياً) ، (١) ومجلس وقع فيه نقاش بين المبرد وثعلب، ومجلس لأبي عمرو بن العلاء مع الأصمعي .

ونقل لنا مجالس وقعت بين الفقهاء والنحاة من ذلك المجلس الذي وقع بين أبي يوسف والكسائي ، قال السيوطي : « حدث أبو العباس أحمد بن يحيى (ثعلب) قال : حدثني سلمة عن الفراء ، قال : كتب الرشيد في ليلة من الليالي الى أبي يوسـف صاحب أبي حنيفة افتنا حاطك الله في هذه الأبيات :

فان ترفقي ياهند فالرفق أيمن
وان تخرقي ياهند فالخرق أشأم
فانت طـــلاق والطـــلاق عزيمة
ثلاثـاً ومن يخرق أعق وأظـلم

فقد أنشد البيت عزيمة ثلاث بالرفع وعزيمة ثلاثا بالنصب ، فكم تطلق بالرفع ؟ وكم تطلق بالنصب ؟ قال أبو يوسف : فقلت في نفسي هذه مسألة فقهية نحوية ، ان قلت فيها بظني لم آمن الخطأ ، وإن قلت لا أعلم قيل لي كيف تكـون قاضي القضاة ، وأنت لا تعرف مثل هذا ، ثم ذكرت أن ابا الحسن علي بن حمزة الكسائي ، معي في الشارع ، فقلت ليكن رسول أمير المؤمنين بحيث يكرم ،

---

(١) سورة مريم آية رقم (٦٩)

وقلت للجارية خذي الشمعة بين يدي ، فدخلت الى الكسائي ، وهو في فراشه ، فأقرأته الرقعة ، فقال لي : خذ الدواة ، واكتب : أما من أنشد البيت بالرفع ، فقال : عزيمة ثلاث ، فانما طلقها بواحدة وأنبأها أن الطلاق لا يكون الا بثلاثة ، ولا شيء عليه ، واما من انشد البيت بالنصب : عزيمة ثلاثا ، فقد طلقها ، وابانها لأنه قال : انت طالق ثلاثا . فأنفذت الجواب ، فحملت إليّ في آخر الليل بجوائز وصلات فوجهت بالجميع إلى الكسائي » . (١)

وأورد المصنف ضمن هذا الفن كثيرا من المراسلات التي دارت بين النحاة ، من ذلك المكاتبة التي دارت بين ابي بكر الشيباني وابي القاسم الزجاجي ، وضمت هذه المكاتبة احدى عشرة مسألة ، أنفذها الشيباني في كتاب من طبرية الى الزجاجي فى دمشق ، وقد أجابه عليها الزجاجي ، والمكاتبة تتعلق بمسائل نحوية مختلفة ، فنقتطف منها جواب الزجاجي على المسأله السادسة حيث قال : « قوله تعالى (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) (٢) ، اعلم أن هذه الآية تقرأ على وجهين (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) بتنوين عشر ورفع الأمثال صفة للعشر ، وجعلوا العشر حسنات ، فلذلك أنثوا ، لأن ذكر الحسنة قد جرى متصلا بالعشر ، فلا لبس فى ذلك ، وتقرأ : (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) بترك التنوين وخفض الامثال ، والمثل مذكر ، ولكنه أنث حملاً على المعنى ، لان الامثال

---

(١) الاشباه والنظائر فى النحو حـ ٣ ص ٤٢ ـ ٤٣

(٢) سورة الاعراف عمر رقم (١٦٠)

حسنات ، والاصل : فله عشر حسنات أمثالها ، ومثله ما أنث حملا على المعنى واللفظ مذكر قول ابن أبي ربيعة :

فكان مجنى دون من كنت أتقي

ثلاث شخوص كاعبان ومعصر (١)

فأنث والشخص مذكر لانه أراد نساء ، وفسر ذلك بقوله : كاعبان ومعصر . ومثله قول الاعور بن البراء الكلابى :

وان كلابا هذه عشر أبطن

وأنت برىء من قبائلها العشر

فأنث والبطن مذكر ، لا خلاف فيه ، لأنه جعل البطن قبيلة فحمله على المعنى ، وفسر ذلك بقوله : (وأنت برىء من قبائلها العشر) ومثل ذلك قوله : (وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطا أمما) فأنث والسبط مذكر لأنه أراد بالسبط الامة والجماعة ، وفسر ذلك بقوله أسباطا أمما ، وفسر الاسباط بالامم . (٢)

وتعدّ الفتاوى النحوية من الامور البارزة التي أوردها المصنف في هذا الفن ، فقد نقل لنا فتاوى كثيرة وقعت للنحاة وقد جرى في بعضها خلاف محتدم شارك فيه أكثر من نحوي ، من ذلك ما نقله عن ابن الشجرى حيث قال : « قال ابن الشجرى في (أماليه) فى

---

(١) شرح ديوان عمر بن أبى ربيعة ص ١٨٩

(٢) الاشباه والنظائر حـ ٣ ص٥١ ، وأنظر البيان فى غريب اعراب القرآن ص٣٧٦

المجلس الثامن والخمسين ، ذكر مسائل استفتي فيها بعدما استحق المكنى بابي نزار ، (١) فجاء بخلاف ما عليه أئمة النحويين أجمعين ، وكذلك خالف العرب قاطبة في كلمة أجمعوا عليها ، وأثبت خطه بما سنح له هذيانه ، وأثبت بعده خطه الشيخ موهوب بن أحمد المعروف بابن الجو اليقي » (٢)

وبعد ذلك أثبت ابن الشجرى نص الفتوى فقال : « نسخة الفتوى: ما تقول السادة النحويين احسن الله توفيقهم في قول العرب : يا ايها الرجل ، هل ضمة اللام فيه ضمة اعراب ؟ وهل الالف واللام فيه للتعريف ؟ وهل يأمل ومأمول وما ينصرف منهما جائز ؟ وهل يكون سوى بمعنى غير ؟ » . (٣)

وأعقب الفتوى بذكر جواب أبي نزار الذي خالف اجماع النحاة ، فذهب الى أن ضمة اللام في (الرجل) من قولنا (يا أيها الرجل) ضمة بناء لا اعراب . وأن الألف واللام فى (الرجل) ليست للتعريف ، وان أمل يأمل فهو مأمول غير واردة في العربية ، وأن سوى لا تأتي الا ظرف مكان وان استعمالها اسما منصرفا بوجوه الاعراب بمعنى (غير) لايجوز . (٤)

---

(١) ابو نزار : هو الحسن بن صافي الملقب بملك النحاة المتوفى سنة ٥٣٨ هـ

(٢) الأشباه والنظائر في النحو حـ٣ ص٦٤

(٣) الأشباه والنظائر فى النحو حـ٣ ص٦٤

(٤) الأشباه والنظائر في النحو حـ٣ ص٦٤ ـ ٦٥

وبعد أن أنهى جواب أبي نزار أعقبه بذكر جواب كل من الجواليقي وابن الشجرى ، وقد ردا عليه أبلغ ردّ ،وأورد عليه من الشواهد والدلائل ما يزيل أوهامه ويدفع خطله . (١)

وتدلنا هذه الفتاوى النحوية على مدى ما بلغه أثر الفقه في النحو، فكما للفقه فتاوى تكتب وتعرض على الفقهاء فيثبت فيهما كل منهم رأيه بخطه ، فكذلك صار للنحو فتاوى تكتب وتعرض على علمائه ليقولوا فيها كلمتهم . والفتاوى التي ذكرها السيوطي في هذا الفن كثيرة نذكر منها هذه الفتوى المتعلقة بمسألة نحوية وقع فيها خلاف بين الصلاح الصفدي والمولى شرف الدين حسين أدت بهما الى كتابة فتوى نحوية بعثا بها الى الشيخ كمال الدين بن الزملكاني يستفتيانه من تلك المسألة ، قال : « قال الصفدي اختلفت أنا والولي شرف الدين حسين بن ريان في قول أبي القاسم الحريري :

فلم يزل يبتزه دهره ما فيه من بطش وعود صليب

فذهب هو في اعراب قوله (مافيه) الى أنه في موضع نصب على أنه مفعول ثان ، وذهبت أنا الى انه بدل اشتمال من الهاء التي في قوله يبتزه ، فكتب شرف الدين فتيا من صفد ، وجهزها الى الشيخ كمال الدين بن الزملكاني ، وهي : ماتقول السادة علماء الدهر ، وفضلاء هذا العصر ، لا برحوا لطالب العلم الشريف قبلة ، وموطن السؤال ومحله ، في رجلين تجادلا في مسألة نحوية ، وهي في بيت من المقامات الحريرية وهو :

---

(١) أنظر الأشباه والنظائر حـ٣ ص٦٥ ـ ٧٠

ذهبا الى معنى (يبتزه) يسلبه ، وكل منهما وافق في هـــذا مذهب خصمه مذهبه ، وموطن سؤالهما الغريب قوله : ما فيه من بطش وعود صليب ، لم يختلفا في نصبه ، بل خلفهما فيما انتصب به ، فذهب أحدهما الى أنه بدل اشتمال من الهاء المنصوبة في (يبتزه) وله على ذلك استدلال ، وذهب الآخر الى أنه مفعول ثان ليبتزه ، وجعل المفعول الاول الهاء ، واختلفا في ذلك ، وقد سـألا الاجابة ، عن هذه المسألة ، فقد اضطرا في ذلك الى المسألة (١) .

فكتب الشيخ كمال الدين اليهما جوابا صحح فيه قوليهما ولكنه ذهب الى ترجيح كونه مفعـــولا على كونه بدلا ، واستدل لذلك باستدلالات اقنعت الطرفين ، حتى قال الصفدي ـ وهو صاحب الرأي المرجوح ـ « لا أعلم أحداً يأتي بهـذا الجواب غـيره لمعرفته بدقائق النحو وبغوامض علمي المعاني والبيان ودربته بصناعة الانشاء »(٢) .

ومما تجدر الاشارة اليه أن السيوطي في كل ما نقله من مجالس ومناظرات ومكاتبات وفتاوى كان مجرد ناقل ، فلم يطالعنا بأي رأي ولا تعليق ، ولم يرجح أي رأي على آخر فيما نقله من مسائل احتدم فيها الخلاف ، ووقعت بسببها الفتاوى والمكاتبات .

ولم يقتصر المصنف في هذا الفن على نقل المناظرات والمراسلات

---

(١) الاشباه والنظائر في النحو حـ٣ ص ١٨٥ـ١٨١

(٢) الاشباه والنظائر في النحو حـ٣ ص١٨٦

والمجالس والفتاوى بل ضمنه كذلك مجموعة كبيرة من المسائل النحوية التي عرض لها النحاة في مؤلفاتهم المختلفة ، فقد نقل مسائل نحوية كاملة التقطها من مختلف المصادر ، وبعض هذه المسائل من وضعه هو منها مسألة : (ضربي زيدا قائما) ، (١) كما نقل مسألة من وضع والده تتعلق باعراب كلمة وردت في عبـــارة وقعت في كتاب (المنهاج) (٢) ، وهي : « وما ضبب بذهب أو فضة ضبة كبيرة حرم » (٣) أجاب فيها عن وجه نصب قوله (ضـبة) . ونقـل في هذا الفن أيضا فوائد علمية نحوية من وضع شيخه محيي الدين الكافيجي ، تناول فيها عبارتين ، الأولى (كان زيد قائما) ، (٤) وبين ما فيها من آراء نحوية ومنطقية ، والعبارة الثانية قولهم : (زيد قائم) ، (٥) أورد فيها أبحاثا منطقية مســـتنبطة من هذه العبارة ، ولا علاقة لهذه المسألة بالنحو ، اذ لم يرد فيهـا أي كلام نحوي . وأورد في هذا الفن كذلك مسألة لشيخ الاسلام ابن تيمية تتعلق بالحرف لو ، الواقع في قول سيدنا عمر رضي الله عنه : « نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه » وقد حوت هذه المســـألة

---

(١) الاشباه والنظائر في النحو جـ ٤ ص٢٣٧ـــ٢٤١

(٢) المنهاج : هو منهاج الطالبين في مختصر المحرر في فرع الشافعية للنووي ، أنظر كشف الظنون م ٢ ص ١٨٧٣

(٣) الاشباه والنظائر جـ ٤ ص ٢٢٢ـ ٢٢٦

(٤) الاشباه والنظائر جـ ٤ ص ٢٢٦ـ ٢٣٠

(٥)الاشباه والنظائر جـ ص ٢٣١ـــ٢٢٧

بحوثا نحوية وفقهية وكلامية . (١)

وأورد ضمن هذا الفن رسائل نحوية كثيرة التقطها من مختلف المصادر ، وغالب هذه الرسائل لم تنشر الا في الأشـــباه والنظائر ، وسنعرض لذكر هذه الرسائل في المبحث القادم ان شاء الله .

---

(١) الاشباه والنظائر حـ ٢ ص ٢٨٨ــ٢٩٢

(٨)

القيمة العلمية لكتاب الاشباه والنظائر

حظى كتاب « الاشباه والنظائر » بشهرة فائقة في أوساط الباحثين منذ أن قام السيوطي بنشره ، ويدل هذا الاهتمام دلالة قوية على مدى ما يتمتع به هذا الكتاب من قيمة علمية جعلته في مصاف المصادر النحوية الهامة التي لا يستغنى عنها أي متتبع لمباحث هذا العلم الجليل ، واذا كانت قيمة الآثار العلمية ترتبط ارتباطا وثيقا بمدى الانتفاع بها ، فان كتابنا هذا له القدح المعلى في هذا المضمار ، اذ أن أثره في الدراسات النحوية لا يخفى على أقل الناس اعتناء بتلك الدراسات .

وشهرة « كتاب الاشباه والنظائر » جاءت من أمور كثيرة ، منها أنه امتاز بأنه حوى قواعد عامة تعد المبادىء الأساسية لأصول النحو ، فقد خصص السيوطي الجزء الاول من الكتاب لذكر القواعد العامة ، وهذه القواعد عبارة عن مسائل أصولية سرد ضمنها كل ما وقع له من المسائل الفرعية التي تتخرج على تلكم الأصول .

وسبق أن عرضت لقسم هام من هذه القواعد عند كلامي على

الفن الأول الخاص بالقواعد والاصول ، وأود هنا أن أشير الى قسم آخر ورد مبثوثا في سائر ابواب الكتاب ، من ذلك :

١ — التركيب كثيرا ما يزيل معنى المفردين ، ويحدث من مجموعها معنى لم يكن (١) .

٢ — ما لا يتعين تقديره لا سبيل الى اضماره (٢) .

٣ — ليس كل شيء يسمع من الشواذ والنوادر يجعل اصلا يقاس عليه (٣) .

٤ — لا يلزم في مشابهة الشيء للشيء أن يشابهه في جميع الوجوه (٤) .

٥ — الاصل في مباحث الألفاظ هو النقل لا العقل (٥) .

والمباحث الأصولية التي وردت في الكتاب كثيرة ، لان غالب فصوله ومباحثه مبني على الاصول ، وبناء على ذلك فان هذا الكتاب يعد من اهم المراجع التي يجدر بالباحثين في هذا العلم أن يولوها عنايتهم ، ويعولوا عليها في التعرف على مبادىء اصول النحو وقواعده العامة .

---

(١) الاشباه والنظائر حـ٤ ص٢١٣

(٢) الاشباه والنظائر في النحو حـ٤ ص٢٢٧

(٣) الاشباه والنظائر حـ٣ ص ٤٩

(٤) الاشباه والنظائر جـ٢ ص٢٣١ ، وانظر ص ١٨٠

(٥) الاشباه والنظائر جـ٤ ص٢٢٩

ولعل اهم ميزة امتاز بها هذا الكتاب القيم هى انه حوى مجموعة ضخمة من النصوص النحوية معزوه الى مصادرها التي نقلها منها ، وقد اكسبته هذه الميزة أهمية بالغة قلما توجد في غيره من الكتب وهي أنه اصبح مرجعا هاما من مراجع تحقيق النصوص ، لان السيوطي قد اعتمد فيه على نقل العبارات الطويلة نقلا مجردا عن التعليق ، مع عزوها الى مراجعها التي استقاها منها مما يسهل عمل المحقق ويساعده على اتمام عمله .

وهناك كتب معينة يعد كتاب (الاشباه والنظائر) مصدرا موثقا لتحقيق نصوصها ، وذلك لكثرة ما نقل منها السيوطي ، اذكر منها هذه الكتب كتاب (الاصول) لابن سراج المتوفى سنة ٣١٦هـ ، و (غرائب مجالس النحويين) للزجاجي المتوفى سنة ٣٣٩ هـ ، و (المسائل والاجوبة) لأبي محمد عبدالله بن السيد البطليوسي المتوفى سنة ٥٢١ هـ ، و (شرح المفصل) المسمى (المفضل في شرح المفصل) لعلم الدين السخاوي المتوفى سنة ٦٤٣ هـ ، و (شرح الفصول) المسمى بـ (المحصول في شرح الفصول) لابن اياز المتوفى سنة ٦٨١ هـ .

ويعد كتاب (الاشباه والنظائر) من المراجع النحوية الهامة التي يعول عليها الباحثون في التعرف على كثير من الآراء النحوية ، وبخاصة تلك الآراء التي باتت أصولها مفقودة ، فقد ضمت كثير من نقولات السيوطي في (الاشباه والنظائر) نصوصا أخذت من كتب نحوية تعد الآن مفقودة ، والكتب النحوية المفقودة التي نقل عنها السيوطي كثيرة ، وسأقتصر على ذكر أهمها ، وبخاصة الكتب التي

أكثر المصنف النقل عنها ، وهي : (كتاب التذكرة) لأبي علي الفارسي المتوفى سنة ٣٧٧ هـ ، وكتاب (التعاقيب) لابن جني المتوفى سنة ٣٩٢ هـ ، وشرح المفصل المسمى (الموصل) لأبي محمد القاسم ابن أحمد بن الموفق بن جعفر الاندلسي المشهور بالعلم اللورقي المتوفى سنة ٦٦١ هـ . و (تذكرة) ابن هشام المتوفى سنة ٧٦١ هـ ، وكتاب (البسيط) لضياء الدين بن العلج .

وامتاز كتاب (الاشباه والنظائر) بانه عني بذكر المسائل الخلافية التي وقعت بين الكوفيين والبصريين فقد قام بسرد المسائل الخلافية التي ذكرها كل من ابن الانباري في (الانصاف) وابي البقاء العكبري في (التبيين) واضاف اليها قسما مما استدركه عليهما ابن اياز (١) ، كما اورد في مختلف مباحث الكتاب مسائل خلافية كثيرة جمعها من مختلف المراجع التي اهتمت بذكر هذه المسائل .

وسبق ان ذكرت عند كلامي على الفن الثالث ان اغلب مباحثه تتعلق بما دار بين الكوفيين والبصريين وسائر النحويين من خلاف، واشرت هناك الى قسم من تلك المسائل ، وسأذكر هنا نبذة اخرى مما وقع من ذلك متفرقا في سائر فصول الكتاب . وهي :

١ اعراب اذا وقعت (اذا) بين مبتدأ وخبر ، نحو قلنا : (زيد اذا يكرمك) فالبصريون يحتمون الغاءها ، فيرتفع الفعل بعدها ، اما الكوفيون فقد اجازوا الالغاء والاعمال بقلة ، فيصح عندهم رفع الفعل كما يصح نصبه (٢)

---

(١) الاشباه والنظائر في النحو جـ٢ ص١٤٠—١٤٦

(٢) الاشباه والنظائر في النحو جـ ١ ص٨٩

٢ — ضمير الفصل : يعرب الكوفيون ضمير الفصل باعراب ما قبله ، لأنه توكيد له ، فرد عليهم البصريون ذلك ، لان المضمر لا يكون تأكيدا للمظهر من شيء من كلام العرب ، والمصير الى ما لا نظير له في كلامهم غير جائز (١) .

٣ — صياغة المضارع من الماضي المبدوء بالتاء : اذا صوغ من الفعل الماضي المبدوء بالتاء فعلا مضارعا مبدوء بالتاء ، اجتمعت فيه تاءان ، تاء المضارعة ، وتاء الفعل ، نحو : تتكلم ، وتتعلم ، ويجوز في مثل هذا الاقتصار على تاء واحدة ، وحذف الاخرى ، قال السيوطي : « فهل المحذوف الاولى او الثانية ؟ قولان : اصحهما الثانية وعليه البصريون لان الاولى دالة على معنى وهي المضارعة » (٢) .

٤ — فعل الامر : اختلف البصريون والكوفيون في فعل الامر ، هل هو صيغة مرتجلة ، او مقتطع من المضارع ؟ فقال البصريون انه مرتجل ، وقال الكوفيون : انه مقتطع من المضارع ، فصحح السيوطي راى البصريين فقال : « الامر : صيغة مرتجلة على الاصح لا مقتطع من المضارع » (٣) .

ولم يقتصر السيوطي على نقل المسائل الخلافية التي وقعت بين

---

(١) الاشباه والنظائر في النحو ج١ ص١٨١

(٢) الاشباه والنظائر في النحو ج١ ص ٣٥

(٣) الاشباه والنظائر في النحو ج٢ ص٢٥٥

الفريقين ، وانما نقل لنا كذلك طرفا من مصطلحاتهم المتباينة التي وردت في عبارات كل منهم ، من ذلك :

١ — نقل عن ابن يعيش في شرح المفصل ان الزيادة والالغاء من عبارات البصريين ، والحشو والصلة من عبارات الكوفيين(١)

٢ — ان ضمير الشأن عند البصريين يقابله ضمير المجهول عند الكوفيين (٢) .

٣ — اطلق البصريون على الظرف غير المستقر لغوا ، وسماه الكوفيون صفة ناقصة ، قال السيوطي نقلا عن شرح المفصل للأندلسي : « ويريدون بالمستقر ما كان خبرا محتاجا اليه... وباللغو ما كان فضلة ، وسمي لغوا ، لانه لو حذف لكان الكلام مستغنيا عنه لا حاجة اليه » (٣) .

٤ — نقل عن كتاب البسيط : ان المنصرف وغير المنصرف عند البصريين ، يقابله عند الكوفيين المجرى وغير المجرى(٤).

٥ — ذكر ان الاعلم في شرح الجمل : صرح بأن باب عطف البيان يترجم له البصريون ، ولا يترجم له الكوفيون(٥).

---

(١) الاشباه والنظائر في النحو جا ص٢٠٩

(٢) الاشباه والنظائر في النحو ج٤ ص٢٠٧

(٣) الاشباه والنظائر في النحو ح ١ ص٢٣٩

(٤) الاشباه والنظائر في النحو ج٢ ص٢٨

(٥) الأشباه والنظائر في النحو ج٢ ص٩٩

وهناك امر آخر امتاز به كتاب (الاشباه والنظائر) وهو انه يعد من المراجع الهامة التى يعتمد عليها في التعرف على آراء الكوفيين ، فهو بالاضافة الى احتوائه على كثير من المسائل الخلافيـــة التى جرت لهم مع البصريين ، فانه قد ضم كثيرا من آرائهم النحوية التي وردت مبثوثة في سـائر مباحث الـكتاب نذكر منها المسائل الاتية :

١ — النصب على الخلاف : نقل عن ابن يعيش انه قال : « ذهب الكوفيون الى ان المفعول معه منصوب على الخلاف وذلك انا اذا قلنا : استوى الماء والخشبة ، لا يحسن تكرير الفعل فيقال : اسـتوى المـاء واستوت الخشبة ، لان الخشبة لم تـكن معوجة فتسـتوى ، فلما خالفه في الفعل ، نصب على الخلاف (١) .

٢ — الجزم بالمجاورة : نقل عن ابي البقاء العكبري في التبين ان الكوفيين قد ذهبوا الى ان جواب الشرط جزم لمجاورته المجزوم (٢) .

٣ — جواز تقديم جواب الشرط : نقل عن الكوفيين انهم يجيزون ذلك في مثل قولنا : انت ظالم ان فعلت ذلك ، وقالوا : ان السابق على اداة الشرط هو الجواب

---

(١) الاشباه والنظائر حـ ١ ص ٢٤٤

(٢) الاشباه والنظائر حـ ١ ص١٥٢

لا دليل على الجواب (١) .

٤ ـ عدم جواز اعمال أمثلة المبالغة : نقل عن صاحب البسيط ضياء الدين بن العلج أن الكوفيين لا يعملون أمثلة المبالغة، لأن اسم الفاعل انما عمل لجريانه على الفعل في حركاته وسكناته ، وأمثلة المبالغة غير جارية على الفعل ، فوجب امتناع عملها ، والمنصوب بعدها محمول على فعل تفسيره أمثلة المبالغة (٢) .

ومما زاد في أهمية كتاب الاشباه والنظائر أن مؤلفه ـ رحمه الله ـ أورد فيه مجموعة كبيرة من الرسائل النحوية معزوة الى أصحابها ، وغالب هذه الرسالة لم ينشر في غير هذا الكتاب ، واليك أهمها :

١ ـ الافكار بالمسائل الفقهية : لأبي القاسم الزجاجي المتوفى سنة ٣٣٩ هـ وتدور مباحث هذه الرسالة حول تخريج بعض المسائل الفقهية على الأصول النحوية (٣) .

٢ ـ رسالة الملائكة : (٤) لأبي العلاء المعرى المتوفى سنة ٤٤٩هـ ، وهي من أمتع الرسائل التي وردت في الكتاب . وقد تضمنت الجواب على مسائل صرفيه ألقاها بعض الطلبة الى أبي العلاء ، فأجاب عليها بأسلوب علمي طريف . وذكر السيوطي أنه

---

(١) الأشباه والنظر جـ ٤ ص ٣٧

(٢) الأشباه والنظائر جـ ١ ص ٢٥٢

(٣) الأشباه والنظائر جـ ٤ ص ٢١٤ ـ ٢٢١

(٤) الأشباه والنظائر جـ ٤ ص ١٤٦ ـ ١٥٩

نقل هذه الرسائل من كتاب (الحكم البوالغ في شرح الكلم النوابغ) لأبى الفضل مؤيد ابن موفق الصاحبي (١) .

ويبدو أن السيوطي لم ينشر في الاشباه والنظائر رسالة الملائكة كلها ، وانما نشر مقدمتها فقط ، وقد نشرت هـذه الرسالة كاملة ضمن مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٩٤٤ ، بتحقيق الاستاذ محمد سليم الجندي ، وذلك بمناسبة مهرجان أبي العلاء المعري . وتقع هذه النسخة في (٣٣٠) صفحة ، وسبق للمحقق أن نشر في مجلة المجمع المجلد التاسع والعشرين معلومات مستفيضة عن هن الرسالة الطريفة (٢) .

٣ ـ سبع مسائل من كتاب المسائل والاجوبة : (٣) لأبي عبدالله محمد بن السيد البطليوسي المتوفى سنة ٥٢١ هـ .

وكتاب « المسائل والأجوبة » من الكتب النحوية النافعة التي لم تمتد اليها يد الناشر بعد ، وقد قام الدكتور ابراهيم السامرائي بتحقيق المسألة الخمسين من هذا الكتاب ونشرها في المجلد الثامن والثلاثين من مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٩٦٣ م ، وهذه

---

(١) أبو الفضل مؤيد بن موفق الصاحبي كان حيا سنة ٦٤٠هـ، وكتابه (الحكم البوالغ) هو شرح لكتاب (نوابغ الكلم) للزمخشري ، انظر كشف الظنون جـ ٢ ص ١٩٧٨ .

(٢) انظر مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق المجلد التاسع والعشرين ص ٤٨ـ٥٨ وص ١٢٢ـ١٣١ ، والمجلد الحادي والاربعين ص٤٢٢

(٣) الأشباه والنظائر حـ٣ ص ٧٣ ـ ٨٤ ، وص٢٣٢ ـ ٢٤٨

المسألة تتعلق بمعنى (ربّ) ، وهي غير موجودة في الاشباه والنظائر، واعتمد الدكتور ابراهيم السامرائي فيما نشره على مخطوطه عثر عليها ضمن مخطوطات السيد حسن حسني الصمادحي في تونس (١) .

٤ ـ المسائل العشر المتعبات الى الحشر : (٢) لأبي نزار النحوي الملقب بملك النحاة ، المتوفى سنة ٥٣٨ هـ ، نقلها السيوطي من كتاب (سفر السعادة) لعلم الدين السخاوي المتوفى سنة ٦٤٣ هـ .

٥ ـ السيف الصارم في قطع العضد الظالم : (٣) لابراهيم ولد فخر الدين الجاربردي ، (٤) رد فيها على العضد (٥) في خلافه مع والده في توجيه قوله تعالى : (فأتوا بسورة من مثله) (٦) .

٦ ـ الرفدة في معنى وحده : (٧) للعلامة تقي الدين

---

(١) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق المجلد الثامن والثلاثون الجزء الثاني ص ٣١٠ـ٣٢٥ والجزء الثالث ص ٤٩٧ـ٥٠٤

(٢) الاشباه والنظائر ج٣ ص١٥٨ـ١٨٣

(١) الاشباه والنظائر ج١ ص٢٥١ـ٢٦٣ ، وأنظر ص ٢٤٨ـ٢٥١

(٤) الجاربردي : هو فخر الدين أحمد بن الحسن المتوفى سنة ٧٤٦هـ، انظر ترجمته في البغية ج١ ص٣٠٣

(٥) العضد : هو عضد الدين عبد الرحمن بن احمد بن عبد الغفار الايجي المتوفى سنة ٧٥٦ هـ ، انظر البغية ج٢ ص٧٦

(٦) سورة البقرة آية رقم (٢٣)

(٧) الأشباه والنظائر ج٤ ص ٦٣ـ٧٨

السبكي(١)المتوفى سنة ٧٥٦ هـ ، وتتضمن هذه الرسالة تعاليق له على تفسير الزمخشري لقوله تعالى : (وعليها وعلى الفلك تحملون) (٢) .

٧ ـ الحلم والأناه في اعراب « غير ناظرين اناه » : للسبكي أيضا (٣) .

٨ ـ نيل العلا بالعطف بلا). ٤) له أيضا

٩ ـ فوح الشذا بمسألة كذا : (٥) للعلامة جمال الدين بن هشام المتوفى سنة ٧٦١ هـ ، وهي تعليق له على رسالة لأبي حيان اسمها : (كتاب الشذا في أحكام كذا) . وقد نشرت رسالة ابن هشام هذه في بغداد سنة ١٩٦٣ م .

١٠ ـ اعتراض الشرط على الشرط : لابن هشام أيضا ، وهي رسالة قصيرة تدور حول معنى (اعتراض الشرط على الشرط)

---

(١) تقي الدين السبكي : هو العلامة تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي السبكي ، انتهت اليه رئاسة العلم بالديار المصرية في زمانه ، مات سنة ٧٥٦ هـ ، انظر ترجمته في حسن المحاضرة جـ ١ ص ٣٢١

(٢) سورة (المؤمنون) الاية رقم (٢٢)

(٣) الاشباه والنظائر جـ ٤ ص٧٨ـ٨٨

(٤) الاشباه والنظائر جـ ٤ ص٦٩ـ٧٧

(٥) الاشباه والنظائر جـ ٤ ص١١٢ـ١٢٢

في اصطلاح النحاة ، وغالب مباحثها تتعلق بمسائل فقهية (١) .

١١ ـ رسالة في قوله تعالى : (ان رحمـة الله قريب من المحسنين) (٢) : له أيضا ، وهي تتعلق ببيان علة تذكير (قريب) في الأية المذكورة (٣) .

١٢ ـ الوضع الباهر في رفع أفعل الظاهر : (٤) للعلامة محمد ابن عبد الرحمن الشهير بابن السائغ الحنفي ، (٥) المتوفى سنة ٧٧٦ هـ ، وتدور مباحث هذه الرسالة حول الشروط التي اشترطها النحاة في عمل اسم التفضيل في الاسم الظاهر .

١٣ ـ الاستغناء بالفتح المبين في الاستثناء في « ولا أكبر الا في كتاب مبين » (٦) للشيخ سراج الدين البلقيني (٧) المتوفى سـنة ٨٠٥ .

١٤ ـ تحفة النجبا في قولهم : هذا برا أطيب منه رطبا ، للسيوطي نفسه (٨) .

---

(١) الاشباه والنظائر حـ٤ ص ٣٢ـ٤٠

(٢) سورة الاعراف آية رقم (٥٦)

(٣) الاشباه والنظائر حـ٣ ص١١٥ ١١٧

(٤) الاشباه والنظائر في النحو جـ٤ ص١٧١ـ١٨٥

(٥) انظر ترجمته في بغية الوعاة جـ١ ص١٥٥

(٦) الاشباه والنظائر في النحو حـ٤ ص١٩٠ـ١٩٩

(٧) انظر ترجمته في حسن المحاضرة جـ ١ ص٣٢٩

(٨) الاشباه والنظائر في النحو حـ٤ ص ٢٤١ـ٢٤٧

ونستخلص من جميع ما ذكرناه سابقا أن كتاب الاشباه والنظائر سفر جليل بذل فيه مصنفة جهدا فائقا ليخرجه لنا في صورته الموسوعية الجامعة ، وان اعتماده فيه على النقل اعتمادا كليا لا يقلل من أهميته لأن جمعه هذه المسائل المتفرقة المنثورة في بطون الكتب المختلفة انما ينم عن سعة اطلاعه وتفرغه للبحث والتتبع ، وقد جعله ذلك يمتاز بالقدرة الفائقة على جمع أشتات المسائل المتفرقة ورصد جزئياتها من شتى مظانها ، والأبواب التى بحثها في كتابه هذا خير دليل على ما نقول ، فلو أخذنا أي باب من الابواب التي تناولها فيه نجد انه قد استطاع أن يجمع كل ما له علاقة بالموضوع ، وان يدرسه من كل جوانبه ، وأن يحيط بأشتاته ، جامعا اياها من بطون أمهات الكتب مع القـــدرة الباهرة على جعلها متسلسلة غير متشـــابكة ولا مضطربة ، والامثلة على ذلك كثيرة ، لقد تتبع - مثلا - الفروق بين أنواع التوابع ، فأحصاها أجمل احصاء ، فذكر الفرق بين الصفة والتأكيد ثم تطرق للفرق بين الصفة وعطف البيـان ، ثم ذكر الفرق بين البدل وعطف البيان مع الاشارة الى اوجه تشابهها ، الى ان اتى على جميع التوابع ، (١) وهو في ذلك كله ينقل من هنا عبارة ومن هناك عبارة ، ويعزو كل ما ينقله الى اصحابه ، ويعمل بكل ما اوتي من براعة على ان يجعل من هذه الأشتات المتفرقة والنتف المتناثرة موضوعا متكاملا مترابطا . ولنأخذ على ذلك مثلا

(١) الاشباه والنظائر في النحو حـ٢ ص٢٠٥ــ٢١٣

آخر ، لقـد بحث موضوع الحركة (١) فتناولهـا من حيث حدوثها ، وذكر مذاهب النحاة في ذلك فقال : « اختلف الناس في الحركة ، هل تحدث بعد الحرف أو معه أو قبله ، قال ابن جنى والاول مذهب سيبويه ، قال الفارسي : وسبب هذا الخلاف لطف الامر وغموض الحال ، قال ويشهد للقول بأنها تحدث بعده وفساد القول بأنها قبله وجودنا اياها فاصلة بين المثلين مانعة من ادغام الاول في الاخر ، نحو : الملل والضعف والمشش ، كما تفصـــل الالف بعدها بينهما نحو الملال والضفاف والمشـاش ، فلو كانت الحركة في الرتبة قبـل الحرف لمـا حجزت عن الادغام » (٢) . ثم استمر في عرض الاراء التي تناولت الموضوع رادّا كل راي لصاحبه ، وبعـد ذلك بحث الحركة من جهة عددها ، ونقل عن صاحب البسيط ان جملة الحركات أربع عشرة حركة : ثلاث للاعراب ، وثلاث للبناء ، وثلاث متوسطة بين حركتين والعاشرة حركة اعراب تشبه حركة البناء ، والحادية عشر حركة بناء تشبه حركة الاعراب ، والثانية عشر حركة الاتباع ، والثالثة عشر حركة التقاء الساكنين والرابعة عشر حركة ما قبل ياء المتكلم . (٣) وبحث ضمن موضوع الحركة فوائد كثيرة اضافة لما ذكرناه آنفا ، منها : ثقل الحركات (٤) ، وهل حركات الاعراب

---

(١) الاشباه والنظائر في النحو حـ١ ص١٥٢ـــ١٧٨

(٢) الاشباه والنظائر في النحو حـ١ ص ١٥٢

(٣) الاشباه والنظائر في النحو حـ١ ص١٦٠ ١٦١

(٤) الاشباه والنظائر في النحو حـ١ ص١٦٣

أصل لحركات البناء او العكس ؟ (١) ومطل الحركات (٢) وانابة الحركة عن الحرف ، والحرف من الحركة ، (٣) وهجوم الحركات على الحركات ، (٤) وغير ذلك من المسائل المتعلقة بالحركة .

ولقد استطاع المصنف بما اوتي من سعة الاطلاع ان يجعل من كتابه هذا موسوعة نحوية ضمت الشيء الكثير مما كتب عن النحو وفلسفته وعلله واصوله ، وما جرى فيه من خلافات ومساجلات ومجالس ومناظرات واحاجي والغاز .

ومما تجدر الاشارة اليه ان المصنف لم يعرض في هذ الكتاب للنحو على الطريقة المعهودة ، ولم يبوب كتابه هذا على مثال كتب النحو المشهورة ، وانما عرض فيه لنكات وملاحظات نحوية تلتمس من الدراسة العميقة المبنية على الاستقصاء والاستقراء والقدرة القوية على الربط بين شتى الموضوعات .

ولابد لنا في ختام كلامنا على القيمة العلمية لهذا الكتاب من أن نشير الى حقيقة قد بدت لنا واضحة تمام الوضوح من خلال دراستنا له ، وهي أن هذا الكتاب على ضخامته وتشعب فصوله وتعدد مسائله كان مجرد نقولات جمعها المصنف من شتى المراجع النحوية ، وندر أن يطالعنا فيه برأي أو تعليق ، وليس له فيه أي رأي اختص به من دون سائر النحاة ، ومبعث ذلك هو ان السيوطي كان في

---

(١) الاشباه والنظائر في النحو ج١ ص١٦٢

(٢) الاشباه والنظائر في النحو ج١ ص١٦٥

(٣) الاشباه والنظائر في النحو ج١ ص١٧٠

(٤) الاشباه والنظائر في النحو ج١ ص١٧١

الاشباه والنظائر مصنفا وحافظا وناقلا للقضايا النحوية أكثر من كونه نحويا ، وهذا بلا شك لا يقلل من أهميته في الدراسات النحوية ، ولا يبخس من شأنه ، لأن الخدمة العلمية التي قدمها في وضعه هذا الكتاب هي أعظم وأنفع من عمل أي نحوي عاصره أو جاء بعده .

هذا هو كتاب الاشباه والنظائر ، لعلنا استطعنا فيما قلناه عنه أن نبين اهميته وقيمته العلمية ومدى ما قدمه فيه مصنفه من جهد مثمر جعله يحتل مكانا مرموقا بين المراجع النحوية ويتصدر قائمة الكتب التي يعتمد عليها في التعرف على شتى القضايا النحوية ، وهو في نفس الوقت يشكل حلقة من حلقات جهود السيوطي النافعة في الدراسات النحوية ، التي سنبقى مدينين له بسببها بالفضل والشكر والامتنان .

الباب الثالث

متون وشروح

الفصل الاول : المتون

الفصل الثاني : همع الهوامع شرح جمع الجوامع في علم العربية

الفصل الثالث : شروح مختلفة

الفصل الأول

المتون

١ عصر المتون

٢ - الفريدة (ألفيته في النحو والصرف والخط)

٣ - التحفة السنية بقواعد العربية

٤ - متون مختلفة

(١)

عصر المتون

اتجه كثير من النحاة في القرون الأخيرة الى وضع مختصرات نحوية تضم القواعد والمسائل الجوهرية ، دون ان يتسعوا فيها ، ليستطيع طلبة العلم الاستعانة بها على دراسة النحو وفهمه ، وقد توخي في هذه المختصرات ان تضم خلاصة مركزة لما فى كثير من المصادر النحوية الكبيرة ، مع الاشارة الى ما بين اصحاب تلك المصادر من خلافات فى الأصول والفروع والمصطلحات ، وكانوا يسمون هذه المختصرات متونا . (١)

ولقد اثارت هذه المتون حركة واسعة فى التأليف ، فكثيرا ماكان يعمد صاحب المتن الى شرحه وقد يشرحه احد تلامذته او خالفيهم . ولم يكن هذا الأمر مختصا بالنحو فحسب بل كان صفة بارزة فى هذا العصر شملت جميع الفنون من فقه وقراءات وحديث واصول الدين وعلم الكلام والفلسفة ، فقد مضى العلماء فى مصر

(١) انظر « عصر احياء التراث العربي وتجديده » بحث للدكتور شوقي ضيف منشور فى مجلة المجلة عدد ١٢٢ شباط ١٩٦٧ ص ٩ ـ ١٠

والشام وبلاد المغرب ، يخالطون اسلافهم ومـا صنفوه فى كل فرع من فروع العلم ، مخالطة نادرة ، اتاحت لهم ان يستخلصوا منها تلك المتون الكثيرة التي صنفوها ، ومن ثم يسرت لهم وضع الشروح الواسعة على تلك المتون بحيث تحولت تلك الشروح الى ما يشبه دوائر معارف تجمع كل الاراء السالفة فيه . (١)

ويعد ابن مالك الجياني المتوفى سنة ٦٧٢هـ اشهر من اهتم بوضع المتون النحوية فى العصر المملوكي ، فقد وضع أكـثر من متن منظوم ومنثور ، ولعل أرجوزته الطويلة المسمات (الكافية الشـافية) (٢) أولى تلك المتون تأليفاً ، وهي قصيدة تقع فيمـا يقرب من ثلاثة آلاف بيت ، ضمت النحو والصرف ، ثم شرحهـا وسمى هذا الشرح (الوافية فى شرح الكافية الشافية) ، (٣) وواضح من هذين الاسمين تأثر ابن مـالك بابن الحاجب فى تسمية المتن بالكـافية والشرح بالوافية ، (٤) وان كان صنيع ابن مالك فى المتن والشرح يغاير صنيع ابن الحاجب كل المغايرة حتى يمكن ان يقال ان ابن مالك لم يتأثر بغير التسمية ، فكافية ابن الحاجب موجز منثور مركز فى النحو

(١) نفس المصدر السابق .

(٢) كشف الظنون م٢ ص١٣٦٩ ، والكافية لازالت مخطوطة ، وتوجد منها نسخة فى دار الكتب المصرية برقم ٢٣٩ نحو .

(٣) كشف الظنون م٢ ص١٩٩٨ ، وانظر ص١٣٦٩ ، وتوجد من هذا الشرح نسختان فى المكتبة الظاهرية ـ على ما ذكر محقق كتاب التسهيل ـ وهما برقم ١٥٢ نحو وصرف ورقم ١٥٣

(٤) انظر تسهيل الفوائد وتكيل المقاصد ـ مقدمة المحقق ص٢٠

فقط ، بينما كافية ابن مالك نظم مطول في النحو والصرف ، ووافية ابن الحاجب نظم لكافيته ، ووافية ابن مالك شرح منثور لكافيته ، وقد خص ابن الحاجب الصرف بمصنف سماه (الشافية) موجز كالكافية ، في حين جمع ابن مالك النحو والصرف في منظومته (الكافية الشافية) .

ولما أحس ابن مالك أن كافيته مطولة عمد الى اختصارها في أرجوزته المشهورة بالألفية ، (١) وقد استطاع في ألفيته هذه أن يمر على جميع المؤلفات النحوية ، ويستخلص منها زبدتها ، ويصوغها بعبارة سهلة موجزة يحشوه بالأمثلة والتعاليل والخلافات ، وقد احتلت هذه الألفية مكانا سامقا في نفوس الخاصة والعامة ، حتى غدت هي وما وضع عليها من شروح مادة الدرس النحوي في حلقات العلم المبثوثة في أرجاء بلاد العرب والاسلام ، منذ أن قام ابن مالك بنشرها الى يومنا هذا .

ولم تكن (الكافية) و (الألفية) هما المتنين الوحيدين اللذين وضعهما ابن مالك ، فقد وضع متونا أخرى ، ويأتي كتابه « تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد » في مقدمتها ، وهو متن منثور وأهميته في الدراسات النحوية لا تقل عن أهمية (الألفية) و (الكافية) ، وقد عنى به النحاة ووضعوا له شروحا كثيرة . (٢) واهتمو به اهتماما

---

(١) كشف الظنون م١ ص١٥١ ـ ١٥٥
(٢) كشف الظنون م١ ص٤٠٥ ـ ٤٠٧

كبيرا . وأما متونه الأخرى فهي : « الموصل في نظم المفصل » (١) نظم فيه مفصل الزمخشري ، « وعمدة الحافظ وعدة اللافظ » (٢) وهو مختصر في النحو ، « المقدمة الأسدية » (٣) وهي رسالة صغيرة ، قيل انه صنفها لولده تقي الدين أسد .

ولم يكن ابن مالك وحده هو الذي اهتم بوضع المتون النحوية في هذا العصر ، فقد شاركه في ذلك نحاة كثيرون ، نذكر منهم أبا عبد الله محمد بن داود المعروف بابن أجروم ، (٤) المتوفى سنة ٧٢٣هـ ، فقد وضع مقدمته التي اشتهرت بين الناس بـ (الأجرومية) وهي مقدمة نافعة للمبتدئين ، تناول فيها المبادىء الاساسية للنحو ، بأسلوب مبسط ، وقد تناولها الناس بالدروس والشرح ، فقد شرحها كثيرون منهم العلامة خالد الازهري المتوفى سنة ٩٠٥هـ ، وأبو الحسن محمد بن علي المالكي الداودي المتوفى سنة ٩٣٠هـ وهو أحد تلامذة السيوطي. (٥)

وقد شارك أبو حيان النحوي في هذا النوع من التأليف فوضع عدة متون نحوية ، منها « اللمحة البدرية في علم العربية » وهو مختصر في النحو على سبعة أبواب ، وقد سماه الحاج خليفة في بعض

---

(١) بغية الوعاة حـ١ ص١٣٢

(٢) كشف الظنون م٢ ص١١٧٠

(٣) كشف الظنون م٢ ص١٧٩٨

(٤) أنظر ترجمته في بغية الوعاة حـ١ ص٢٣٨ ـ ٢٣٩

(٥) كشف الظنون م ٢ ص١٧٩٦

المواضع من كشف الظنون : (الملحة) ، (١) وهو مختصر جداً ، وقد وضعت عليه شروح كثيرة ، أهمها شرح ابن هشام المسمى : (الكواكب الدرية في شرح اللمحة البدرية) ، (٢) وله متن آخر اسمه : (غاية الاحسان في علم اللسان) ، (٣) وهو مقدمة لطيفة في علم النحو ، ضمنها أكثر أصول هذا العلم ، واحتذى فيها طريقة البصريين واتبع مذاهبهم التي يذهبون اليها في النحو . (٤)

ويعد العلامة جمال الدين بن هشام المتوفى سنة ٧٦١هـ من أكابر النحاة الذين اهتموا بوضع المتون النحوية ، فقد وضع أكثر من متن ، منها (الاعراب عن قواعد الاعراب) ، وقد وضع عليه جملة شروح ، حتى عد له حاجي خليفة أكثر من تسعة شروح ، واهم شروحه شرح العلامة الكافيجي المتوفى سنه ٨٧٩ هـ ، والعلامة خالد الازهري المتوفى سنة ٩٠٥ ، وسماه (موصل الطلاب الى قواعد الاعراب) . (٥)

ولابن هشام متون اخرى ، وهي : (الجامع الصغير) وهو

---

(١) كشف الظنون م٢ ص١٨١٨ ، وانظر ص١٥٦١ وانظر بغية الوعاة حـ١ ص٢٨٢

(٢) بغية الوعاة حـ١ ص٦٩

(٣) كشف الظنون م٢ ص١١٨٩ ، وقد وردت فيه باسم (غاية الاحسان) فقط .

(٤) أبو حيان النحوي ص١٤٠

(٥) كشف الظنون م١ ص١٢٤

مقدمة في النحو تعرض فيها بإيجاز شديـــد لجميـع أبواب النحو ، و (شذور الذهب) (١) وهو مقدمة في النحو فقط ، وليس فيه شيء من الصرف ، وقد شرحه المؤلف فيما بعد في كتابه المشهور (شرح شذور الذهب) وللسيوطي حاشية على هذا الشرح سماها (نثر الزهور على شرح الشذور) . (٢) ولابن هشـام متن آخر هو (قطر الندى وبل الصدى) وهو مقدمة في النحو تعرض فيها لأغلب أبوابه ، وقد قام المصنف بشرحه في كتابه (شرح قطر الندى) .

وتعدّ المقدمة الأزهرية التي وضعها العلامة خالد بن عبد الله الوقاد الأزهري المتوفى سنـــة ٩٠٥هـ ، من أشهر المتون النحوية التي وضعها النحاة المعاصرون للسيوطي ، وقد قـام مؤلفها بشرحها شرحـا مبسوطا .

ووضع صاحبنا السيوطي عدة متون نحوية منظومة ومنثورة ، مثل: (جمع الجوامع في علم العربية) وأرجوزته الألفية المشهورة بـ (الفريدة في النحو والصرف والخـط) ، و (التحفة السنية بقواعد العربية) و (الشمعة المضية في علم العربية) و (الموحشة في النحو) ، وغير ذلك من المتون النحوية ، التي وضعـت في هـذا العصر الزاخر بالتأليف والنشر .

---

(١) كشف الظنون م ٢ ص ١٠٢٩

(٢) بغية الوعاة حـ ٢ ص ٦٩ ، وأنظر حسن المحاضرة حـ ١ ص ٣٤٣ ، وكشف الظنون م ٢ ص ١٠٢٩

(٢)

الفريدة

هي أرجـــوزة في ألف بيت بحث فيها مسائل النحو والصرف والخط ، وقد قال في خطبتها :

اقول بعد حمد الله والسلام	على النبي أفضل الأنـــام
النحو خير ما به المرء عنى	اذ ليس علم عنه حقا يغتني
وهذه ألفيـــة فيـه حوت	أصوله ونفع طلاب نوت
فائقة ألفيـــة ابن مالك	لكونها واضحة المســالـــك
وجمعها من الأصول ما خلت	عنه وضبط مرسلات أهملت (١)

وقد رتبها على مقدمات وسبعة كتب ، وهو ترتيب في النحو مبتكر اتبعه في بعض مؤلفاته النحوية مثل : جمع الجوامع ، وشرحه همع الهوامع ، والاقتراح في علم أصول النحو ، وقد نص في خطبة هذه الألفية على أنه لم يسبق الى هذا الترتيب فقال :

ترتيبها لم يحو غيري صنعه	مقدمات ثم كتب سبعة(٢)

(١) الفريدة ص٢

(٢) الفريدة ص٢

وقال في شرحها : « هذا ترتيب بديع لم أسبق اليه ، حذوت فيه حذو كتب الاصول (يعني اصـــول الفقه) ، وفي جعله سبعة مناسبة لطيفة مأخوذة من حديث ابن حبان وغيره : انّ الله وتـر يحب الوترّ ، أما ترى السموات سبعة والايام سبعة والطواف سبعة ، ... الحديث » . (١)

وبحث في المقدمات تعريف الكلام والكلمة واقسامها والجملة والمعرب والمبني والمنصرف وغير المنصرف ، والنكرة والمعرفة . وجعل الكتاب الاول للعمد ، وهي المرفوعات ، وما شابهـها من منصوبات النواسخ ، وتناول في الكتاب الثاني الفضلات وهي المنصوبات وتكلم في الكتاب الثالث على المجرورات وما حمل عليها وهي المجزومات وبحث فيه ايضا أدوات الشرط غير الجازمه ، وختمه بالكلام على بقية حروف المعاني وجعل الكتاب الرابع للحديث عن العوامل وهي الافعال وما لحق بها في العمل ، وختمه بالكلام على الاشتغال والتنازع ، وافرد الكتـــاب الخامس للحديث عن التوابع ، وهذه الكتب الخمسة خاصة بالنحو ، وبحث في الكتاب السادس الابنية وتناول في السابع تغييرات الكلمة الافرادية كالزيادة والحذف والنقل والابدال والادغـــام ، وختم الكتاب بالكلام على الخط ، (٢) وقال في آخره :

. . . . وهذا تمام نظمي الفريدة

---

(١) المطالع السعيدة في شرح الفريدة ص١٥

(٢) انظر المطالع السعيدة في شرح الفريدة ص١٥ ـ ١٦

فريدة في كل عقد درة | في جبهة المختصرات غرة
كافية للطالبين وافية | بمقصد للمعضلات شافية
أتت من التسهيل بالخلاصة | فما لقارىء بها خصاصة
ليس بها حشو ولا تعقيد | ولا ضرورة ولا تصديد
تعجب كل كوكب وقاد | من فهمه تلقاه بالمرصاد
يصد عنها كل كز جاس | كأنه في الكبر كالخناس
نظمتها نظما بديع البهجه | سهلا ووافى الختم في ذى الحجة
من خمس وثمانين التي | بعد ثماني مائة للهجرة
فأحمد الله على اتمامها | شكرا لما يسر من نظامها
ثم على نبيه أصلي | والآل والأصحاب اهل الفضل (١)

ولعل اهم مصدر اعتمد عليه في نظمه الفريدة هو ألفية ابن مالك فقد قال في شرحها الموسوم بـ « المطالع السعيدة في شرح الفريدة » : « وهذه الألفية لخصت فيها ما في ألفية ابن مالك في ستمائة بيت وزدتها أربعمائة بيت » . (٢) ولم يكتف السيوطي في ألفيته على تلخيص ما في ألفية ابن مالك كما ذكر ، وانما تجاوز ذلك فنقل كثيراً من عباراتها وأوردها في ألفيته ، وذلك واضح تماما في جميع ابوابها ، فمثلا لما عرض لأنواع البناء قرر أن السكون هو الاصل في ذلك فقال :

---

(١) الفريدة ص٧٤

(٢) المطالع السعيدة في شرح الفريدة ص١٥

« والاصل في المبني تسكين كـكم » (١)

وقوله هذا يشبه الى حد كبير قول ابن مالك لما عرض للموضوع ذاته ، فقال :

« والاصل في المبني أن يسكنا » (٢)

ولما عرض لسبب بناء الاسم قال :

« والاسم فابنه لشبه الحرف » (٣)

وقوله هذا مقتطع من قول ابن مالك :

والاسم معـــرب ومبني لشبه مـن الحروف مدني (٤)

وعندما عدد أنواع الاعراب قال :

رفع ونصب لذي الاعراب حتم والاسم ينجر وفعل ينجزم
فارفع بضم وانصبن فتحا وجر كسرا وسكن جازما كلم يزر (٥)

وهذان البيتان مأخوذان من كلام ابن مالك في الالفية ، وهو :

والاسم قد خصص بالجر كما قد خصص الفعل بان ينجزما
فارفع بضم وانصبن فتحا وجر كسرا كذكر الله عبده يسر (٦)

---

(١) الفريدة ص٣
(٢) الخلاصة ص٢
(٣) الفريدةص٣
(٤) الخلاصة ص٢
(٥) الفريدة ص٤
(٦) الخلاصة ص٣

وقد عمد السيوطي في بعض الأحيان الى ايراد قول ابن مالك اما بنصه واما باجراء تعديل بسيط عليه ، من ذلك ما أورده في باب كاد وأخواتها حيث قال :

ككان كاد عسى لكن خبر ذين مضارع ووصل أن ندر (١)

وهو تقريبا نفس كلام ابن مالك في الموضوع ذاته حيث قال :

ككان كاد عسى لكن ندر غير مضارع لهذين خبر (٢)

ومثله ايضا ما اورده في باب المفعول فيه حيث قال :

الظروف وقت او مكان ضمنا في باطراد وانصبن الأزمنا (٣)

وهو تقريبا تكرار لقول ابن مالك :

الظرف وقت او مكان ضمنا في باطراد كهنا امكث أزمنا (٤)

وأما قوله في تعريف التمييز انه :

اسم بمعنى من مبين نكره ينصب تمييزا بما قد فسره (٥)

فهو نفس كلام ابن مالك تماما في الموضوع ذاته حيث قال :

اسم بمعنى من مبين نكره ينصب تمييزا بما قد فسره (٢)

---

(١) الفريدة ص١٨
(٢) الخلاصة ص١٢
(٣) الفريدة ص٢٨
(٤) الخلاصة ص٢٢
(٥) الفريدة ص٣٥
(٦) الخلاصة ص٢٦

واعتقد ان ما ذكرته من الامثلة يكفي للدلالة على مدى افادة السيوطي من الفية ابن مالك ، وكيف انه اخذ كثيرا من عباراتها وأوردها في الفيته ، وهو - كما قلنا - قد نبه على ذلك في شرحه الالفية ، وهذا مما يقوي صحة اعتقادنا في أمانته العلمية .

وبقدر ما بين الفية السيوطي والفية ابن مالك من تشابه في التعابير والابواب والاحكام فان هناك فروقا كثيرة ميزت كلا منهما عن الأخرى ، ولعل اهم ما ميزت به الفية ابن مالك هو ان ناظمها توخى فيها البساطة والسهولة ، ومن ابرز مظاهر ذلك هو ايراده فيها جملة كبيرة من الامثلة ، وكان كثيرا ما يستغنى بايراد المثال عن ذكر القواعد ، وهذا الامر ظاهر في جميع ابواب الالفية ، وقد جلب ذلك انتباه شراح الالفية ومنهم السيوطيّ ، حيث عدّ هذا الامر عادة من عادات ابن مالك فقال : « اذ من عادته اعطاء الحكم بالمثال » . (١)

ولما كان هدف ابن مالك من الفيته هو جمع المهمات النحوية ، صرح في خاتمتها حيث قال :

وما بجمعه عنيت قد كمل   نظما على جلّ المهمات اشتمل
أحصي من الكافية الخلاصه   كما اقتضى غنى بلا خصاصة (٢)

لذا فقد فاتته جزئيات كثيرة ، فحاول السيوطي ان يتتبع جملة هامة من تلك الجزئيات ويضمها الى الفيته ، وبذلك امتازت الفيته على صاحبتها بأنها كانت أجمع للمسائل النحوية .

---

(١) البهجة المرضية ص٤
(٢) شرح ابن عقيل على الالفية حـ٤ ص١٨٦

والمسائل التي اضافها السيوطي الى الفيته كثيرة ، قلما يخلو منها باب من ابوابها ، ولنأخذ على ذلك مثلا باب الكلام وما يتألف منه ، فاننا نجد ان ابن مالك اهمل فيه تعريف كل من الكلمة والاسم والفعل والحرف ، ولم يتكلم فيه عن انواع الجمل ، ولم يبين فيه معنى الكلم ، بينما نجد السيوطي قد عرض لذلك كله فقال :

كلامنا قول مفيد يقصد — وعندنا الكلمة قول مفرد
فان على معنى بها قد دلت — واقترنت بأحد الأزمنة
فعل ، والا فهي اسم ... — ....
فالاسم سم بالجر والاسناد — له وتعريف وان تنادي
والفعل ما ضارع بالسين ولم — وتاء أنثى سكنت ماض كعم
والأمر ما يفهم منه الطلب — مع قبول ياء من تخاطب
ومشبه الثلاث ما هذي حوى — كصه سما فعل وشتان ووا
وما حوى ثلاثة فهو الكلم — والجملة اثنين وقيد ما التزم
اسمية فعلية ظرفية — وذات وجهين لها مزيه
وما يكون خبرا فصغرى — أو جملة خبرها فكبرى (١)

ولما قرر ابن مالك أنّ علة بناء الاسم تنحصر في مشابهته للحرف ، تطرق عند ذلك الى بيان اوجه مشابهة الاسم للحرف ، فذكر انه يشابهه من اربعة اوجه ، وهي : الشبه الوضعي ، والشبه المعنوي ، وشبه الحرف في الافتقار اللازم ، وشبهه في النيابة عن الفعل ، وقد شاركه السيوطي في ذلك كله واضاف الى اوجه الشبه

---

(١) الفريدة ص٢ ـ ٣ وانظر الخلاصة ص١ ـ٢

التي ذكرها ابن مالك وجهين أخرين ، هما : الشبه اللفظي والشبه الاهمالى ، فقال :

والاسم فابنه لشبه الحرف وضع الاستعمال والمعنى تفى
وفي افتقار جملة ان اصلا ولفظه وكونه جا مهملا (١)

وهناك زيادة اخرى قد وردت في هذين البيتين وهي انه قيد الشبه الافتقارى بأن يكون الافتقار الى جملة لا الى مفرد ، بينما لم ينص ابن مالك على هذا القيد ، وقد عد السيوطي ذلك من زياداته في الالفية ، فقال في شرحها : ان الشبه الافتقاري هو ان « يفتقر الاسم الى جملة كالموصولات وحيث واذ واذا ، فان كلا مما ذكر لا يكون جزء كلام حتى تتصل به جملة تكشف عن حقيقة المعنى المراد به ، فأشبهت الحروف فانها لا تستعمل الا مع الجمل ، بخلاف جمهور الأسماء فانها تستعمل مع المفردات والجمل ، ولو كان الافتقار عارضا لم يقتض البناء اضعفه بالعروض ، وذلك كافتقار يوم الى الجملة التي اضيف اليها في نحو : « هذا يوم لا ينطقون » (٢) وكذا لو كان الافتقار الى مفرد كسبحان الله ، ووحدى ولبيك ، فانه لا يقضي البناء لان جميع الكلمات تفتقر الى انضمامها الى مفرد آخر : فليس هذا افتقاراً خاصا بالحرف . والتنبيه على هذا القيد من زياداتي . » (٣)

---

(١) الفريدة ص٣ ، وانظر المطالع السعيدة ص٢١ ـ ٢٣

(٢) سورة المرسلات آية ٣٥

(٣) المطالع السعيدة ص٢٣

ولم تقتصر زيادات السيوطي على المسائل التي أوردها خلال النظم بل زاد كذلك مسائل كاملة أهمل ابن مالك الكلام عليها ، او انه تكلم عليها في مواضع متفرقة ، فعمد السيوطي الى بحثها في موضع واحد . وخير مثال على ذلك باب المفعول به فان ابن مالك بحثه في مواضع متفرقة بينما عقد له السيوطي بابا خاصا به ، قال في أوله :

وما يقع عليه فعل فانتبه والناصب الفعل هو المفعول به (١)

والمسائل التي اهملها ابن مالك وبوّب لها السيوطي كثيرة نذكر منها على سبيل التمثيل « انواع التنوين » فقد بوّب له بعد بحثه نوني التوكيد فقال :

نون ترى لفظا فقط تنوين فمنه تنكير كذا تمكين
وعوض وذو تقابل ولا تعدّ ذا ترنم وما غلا (٢)

ومنها كذلك « الجر بالمجاورة » فقد بحثه بعد الاضافة فقال :

من أثبت الجر على المجاورة في النعت والتوكيد اقف ناصره
ومن يزد عطفا ، ومن ينف ومن خص بنكر او سماع قد وهن (٣)

ومنها ايضا « عمل الظرف والجار والمجرور » فقد بوّب له في كتاب العوامل فقال :

---

(١) الفريده ص٢٤
(٢) الفريدة ص٤٥
(٣) الفريدة ص٤٢

الظرف والمجرور ان يعتمدا　　كالوصف يرفع فاعلا تال بدا
حتما وقيل جاز فيه الابتدا　　كما هو الواجب ان ما اعتمدا (١)

ومنها ايضا موضوع « ضرائر الشعر » فقد بوب له في الكتاب الأخير فقال :

يجوز للشاعر ما يمتنع　　في الاختيار حيث لا متسع
وآخرون جوزوه مطلقا　　وقلب الاعراب على ما ينتقى (٢)

ويعد موضوع « الخط » من اهم المسائل التي اضافها السيوطي الى الفيته ، وقد قال فيه :

الخط رسم لفظة بأحرف　　هجائها ان تبتدي أو تقف (٣)

وباب « الخط » ليس من علم النحو ، وانما ذكره النحويون في كتبهم - كما يقول السيوطي - « لضرورة ما يحتاج اليه المبتدىء في لفظه وفي كتبه ، ولان كثيرا من الكتابة مبني على أصول نحوية ، ففي بيانها بيان لتلك الأصول ، ككتابة الهمزة على نحو ما يسهل به ، وهو باب من النحو كبير » . (٤)

وعلى الرغم من ان الفية السيوطي لا ترقى بأي حال من الأحوال الى مصاف الفية ابن مالك بله ان تفوقها كما زعم في خطبتها ، الا

---

(١) الفريده ص٤٩
(٢) الفريدة ص٧٢
(٣) الفريدة ص٧٢
(٤) همع الهوامع ج٢ ص٢٤٣

أنه يلاحظ ان عباراتها فى بعض الاحيان كانت ادق من عبارات الفية ابن مالك ، فمثلا لما عرض السيوطي في اول الفيته لتعريف الكلام قال :

* * *

كلامنا قول مفيد يقصد (١)

ويقابله في الفية ابن مالك :

كلامنا لفظ مفيد كاستقم (٢)

واعتقد ان التعبير بـ « القول » ادق من التعبير بـ « اللفظ » لأن « القول » لا يشمل الا المستعمل بينما « اللفظ » يشمل المستعمل نحو « زيد » ويشمل ايضا المهمل نحو : « ديز » مقلوب زيد ، (٣) وهناك فرق آخر في هذه العبارة وهو ان السيوطي قد اضاف الى حد الكلام قيدا فاشترط فيه ان يكون مقصودا ليخرج بهذا القيد كلام الساهي والنائم ، بينما لم ينص ابن مالك على ذلك في الفيته .

وهناك مثال آخر للفرق بين عبارة السيوطي وعبارة ابن مالك في ألفيتهما ، وذلك في تعدادهما لعلامات الاسم ، فقد قال السيوطي :

فالاسم سمّ بالجر والاسناد له وتعريف وأن تنادى (٤)

فقد وردت في قوله هذا عبارة « التعريف » التي يقابلها فى قول ابن مالك عبارة " أل " حيث قال :

---

(١) الفريدة ص٢

(٢) الخلاصة ص٢

(٣) المشكاة الفتحية على الشمعة المضية ص٦

(٤) الفريدة ص٢

بالجر والتنوين والندا وأل ومسند للاسم تمييز حصل (١)

واعتقد ان التعبير بـ « التعريف » ادق من التعبير بـ « أل » لأن الاول يشمل أمورا لا يشملها الثاني ، فهو يشمل التعريف واللام عند من قال : ان مجموعها هو أداة التعريف ، وهو قول الخليل ومن شايعه ، ويشمل التعريف باللام عند من قال انها وحدها علامة التعريف وان الهمزة أضيفت للتخلص من الابتداء بالساكن وهو رأى سيبويه وغالب النحاة ، ويشمل كذلك التعريف بـ « أم » عند طيىء ، ويشمل ايضا التعريف بالاضافة . (٢)

ولعلي استطعت ان اعطى صورة واضحة للجهد الذي بذله السيوطي في الفيته « الفريدة » ·ن خلال عقدي الصلة بين هذه الالفية والفية ابن مالك التي وضع السيوطي الفيته على غرارها .

وقد طبعت « الفريدة » في مصر سنة ١٣٣٢ ، مرتين احداهما بمطبعة الترقي والأخرى بالمطبعة الشرفية . (٣)

ووضع على هذه الالفية شرحان ، الأول وضعه السيوطي نفسه ، وسماه « المطالع السعيدة في شرح الفريدة » (٤)

والثاني وضعه الشيخ محمد عبد الرحمن الشهير بابن زكري من علماء القرن الثالث عشر الهجري وسماه « المهمات المفيدة في شرح الفريدة » . (٥)

---

(١) الخلاصة ص١

(٢) المطالع السعيدة ص١٩

(٣) معجم المطبوعات العربية م١ ص١٠٨٣

(٤) فهرس دار الكتب جـ٢ ص١٥٩ وكشف الظنون م١ ص١٢٥٩

(٥) فهرس دار الكتب المصرية جـ٢ ص١٦٧

(٣)

التحفه السنية بقواعد العربية

وضع السيوطي هذه الرسالة للمبتدئين في تعلم العربية ، وبناهـا على أبواب تشبه الى حد ما أبواب ألفية ابن مالك ، فبحث فيها : أقسام الكلام والاعراب والبناء ، والنكرة والمعرفة ، والمرفوعـات ، وهي : الفاعل ونائبه ، والمبتدأ والخبر ، واسم كان واخواتها ، ومـا الحق بها ، وخبر انّ واخواتها ، وما الحق بهـــا ، والفعل المضارع اذا تجرد عن ناصب او جازم ، والتابع لمرفوع . ثم تناول التوابع وهي : النعت ، والتوكيد ، وعطف النسق ، وعطف البيان ، والبدل وبحث بعد ذلك المنصوبات ، وهي : المفعول المطلق ، والمفعول به ، والمفعول له ، والمفعول فيه ، والمفعول معه ، والمستثنى ، والحـــال ، والتمييز ، واسم إنّ واخواتها ، وما الحق بها ، والفعل المضارع اذا دخل عليه ناصب ، والتابع لمنصـوب ، ثـم بحث المجزومــــات ، والمجرورات ، ثم المنادى ، والترخيم ، وانواع الفعل مـن حيث التعدي واللزوم ، وبحث عمل اسم الفاعل ، واسم المفعول، والمصدر واسم الفعل . ثم بحث التنازع ، والاغراء والتحذير ، ونعم وبئس والتعجب ، واسم التفضيل ، ثم بحث العدد ، والنسـب والتصغير ، وكم الخبرية والاستفهامية ، والمعاني التي جاءت لها (ما) ، ثـــم

بحث أدوات الاستفهام ، وبعض الحروف مثل : كلا ، ولو ، ولولا، ولوما ، ولما ، والسين ، وسوف ، وقد . ثم تناول همزة الوصل ، وختم الرسالة بالكلام على البسملة وبيان متعلق حرف الجر (الباء) فيها .

ولما كانت هذه الرسالة عبارة عن مقدمة نحوية الغرض منها تبسيط قواعد العربية ، وجدنا ان السيوطي قد مال فيها الى الايجاز مع البعد عن التعقيد ، ولم يعرض فيها لمسائل الخلاف ، ولا للتفصيلات التي اعتدنا ان نراها في سائر كتب النحو ، وهذه الصفة بارزة في جميع ابواب الرساله ، فمثلا لما عرض لأقسام الكلام تناول ذلك بصورة موجزة ومبسطة دونما تعمق ولا تفصيل ، فقال « الكلمات كلها على ثلاثة اقسام : اسم وفعل وحرف ، ولكل واحد منها علامة يعرف بها ، ومن علامات الاسم دخول الألف واللام في أوله ، ودخول التنوين في آخره ، وبالاضافة والتثنية ، والفعل ما صح دخول قد في اوله او ياء المخاطبة في آخره ، وهو على ثلاثة أقسام ماض ومضارع وأمر ، فالماضي هو الذي يدخل في آخره احدى التاءات الاربعة تاء المتكلم وتاء المخاطب وتاء المخاطبة وتاء التأنيث ، ومنه : ليس وعسى ونعم وبئس ، والمضارع هو الذي يتعاقب في اوله الزوائد الأربعة الهمزة والنون والياء والتاء ، ويجمعها قولك : أنيت . وفعل الامر هو الذي يفهم منه الامر ويقبل نوني التوكيد ، ومنه تعال وهات ، والحرف هو الذي لا يقبل شيئا من علامات الاسماء ، ولا من علامات الافعال ، ولا يفهم معناه الا اذا

ضم الى غيره » (١) .

لقد استطاع السيوطي في هذه الرسالة ان يتناول غالب ابواب النحو بطريقة موجزة واضحة تقرب مسائل هذا العلم الى الاذهان ، وعلى الرغم من توخيه الايجاز الا أنه استطاع ان يلم بالخطوط العامة لسائر أبواب النحو ، فمثلا لما تناول الاعراب بحث فيه انواع الاعراب وعلاماته الاصلية والفرعية ، وتكلم فيها على اعراب الاسماء الستة ، والمثنى ، وجمع المذكر السالم ، وجمع المؤنث السالم ، وما لا ينصرف ، والامثلة الخمسة ، والمضارع المعتل الآخر ، والمقصور ، والمضاف الى ياء المتكلم ، والمنقوص (٢) . ولما عرض لاداة التعريف (ال) ذكر حكمها وانواعها كافة ومثل لها بما يوضحها فقال : « تدخل « ال » على الاسم النكرة للعهد الذهني ، نحو : جاءالقاضي ودخلت السوق ، او للذكرى ، نحو : « فيها مصباح المصباح » (٣) و « ارسلنا الى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول » (٤) ، او للجنس ، نحو : « وخلق الانسان ضعيفا » والعلم خير من الجهل ، ويجب حذفها من المنادى ، الا الاسم الشريف ، نحو : يا الله ،ومن المضاف ، الا اذا كان صفة عملت في معرفة او مضاف الى معرف نحو الضارب الرجل ، والضارب غلام الرجل » (٥) .

---

(١) التحفة السنية ق ٢—٣

(٢) التحفة السنية ق ٦

(٣) سورة النور الآية رقم (٣٥)

(٤) سورة المزمل الآية رقم (١٥—١٦)

(٥) التحفة السنية ق ٥

ولما عرض للافعال الناقصة بين عملها في المبتدأ والخبر ، ثم عددها وقال : انها ثلاثة عشر فعلا ، وهي : كان ، وصار ، واصبح وأمسى ، وظل ، وبات ، وأضحى ، وليس وما زال ، وما برح وما فتىء ، وما أنفك ، وما دام ، (١) وقد تناول هذه الافعال بوساطة وايجاز فلم يفصل القول فيها ولم يشعبه ، وكان ذلك ديدنه في جميع أبواب الرسالة ، ولنأخذ على ذلك مثلا باب النعت ، حيث بحثه بايجاز يناسب غرض الرسالة فتكلم فيه على قواعده الاساسية وبين أنواعه وحكم كل نوع ، فقال : « النعت : تابع مشتق يدل على تخصيص متبوعه او توضيحه ، نحو : جاء زيد العالم ، ورأيت الرجل الفاضل ، فالعالم والفاضل صفتان لزيد والرجل ، وقد يكون لمجرد المدح أو الذم أو التأكيد ، نحو : اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ، و « الهكم اله واحد » . (٢) والضمير لا يوصف ولا يوصف به ، والموصوف اخص من الصفة أو مساو لها » (٣) ثم عرض للنعت الحقيقي والسببي وبين الاحكام التي يتبع فيها كل منهما متبوعه فقال : « الصفة اذا كانت حقيقية وهي الجارية على من هي له تتبع الموصوف في اربعة من عشر ، واحد من الرفع والنصب والجر ، وواحد من التعريف والتنكير . وواحد من التذكير والتأنيث . وواحد من الافراد والتثنية والجمع ، ولكن اذا نعت

---

(١) التحفة السنية ق ٧

(٢) سورة النحل آية رقم (٢٢)

(٣) التحفة السنية ق ٨

بالمصدر تعين فيه الافراد والتذكير مطلقا ، وان كانت جارية على غير من هي له تبعته في اثنين من خمسة ، واحد من الرفع والنصب والجر ، وواحد من التعريف والتنكير ، وأما الافراد والتثنية والجمع والتذكير والتأنيث ، فهي فيها كالفعل ، تقول : مررت برجلين قائم ابواهما ، كما تقول : قام أبواهما ، وتقول مررت برجال قائم آباؤهم ، كما تقول : قام آباؤهم ، وتقول : مررت برجل قائمة أمراته ، كما تقول : قامت أمرأته ، الا ان الصفة اذا وقعت رافعة لجمع جاز فيها الافراد وجمع التصحيح والتكسير وهو افصح ، تقول: مررت برجل قاعد غلمانه ، وقاعدين غلمانه ، وقعود غلمانه » (١) .

والسيوطي قد نص في خطبة هذه الرسالة على انه سوف لا يعرض فيها للمسائل الخلافية ولا للمشكلات الاعرابية فقال : « وبعد فهذه مقدمة في علم الاعراب ألفتها لمن له عناية بهذا الفن من أولي الألباب ، حررتها أعظم تحرير واتقان ، وأوضحتها احسن توضيح وتبيان ، واكثرت فيها الأمثلة وعريتها غالبا من الخلاف والمسائل المشكلة » (٢) لذلك قد خلت تقريبا من الخلافات النحوية ومن عرض الآرآء المتشعبة والأقوال الكثيرة ، لم يتعرض لذلك كله الا في مواضع معدودات ، لا تتجاوز الأربعة مواضع ، آحدها في باب الضمير حيث قال : « ضمير الفصل لا موقع له عند الخليل واتباعه خلافا لغيره » (٣) مشيرا الى الخلاف الواقع في هذه المسألة بين

---

(١) التحفة السنية ق ٨

(٢) التحفة السنية ق ٢

(٣) التحفة السنية ق ٨

البصريين والكوفيين ، حيث ذهب الأولون الى ان ضمير الفصل لا موضع له من الاعراب ، بينما ذهب الآخرون الى انه يعرب باعراب ما قبله توكيدا له ، (١) والموضع الثاني في باب التوكيد عندما قرر انه يختص بالمعارف فقال : « ويختص بالمعارف خلافا للكوفيين وابن مالك » (٢) والموضع الثالث في باب العطف عند كلامه على حرف العطف (اما) حيث قال : « وقد انكر الانباري وغيره جعل اما من حروف العطف ، ووافقهم ابن مالك » (٣) والموضع الآخر عند كلامه على البسملة وبيان متعلق حرف الجر فيها ، فذكر ان البصريين والكوفيين اختلفوا في متعلقة ، فقال البصريون : هو متعلق بمحذوف وجوبا ، وقال الكوفيون جوازا ، اي : ابتداء كتابي هذا بسم الله الرحمن الرحيم » .(٤)

ويلاحظ على السيوطي في هذه الرسالة انه اولى الحدود النحوية عناية كبيرة ، وندر ان يمر بحد دون ان يشرحه ، وكان كثير ما يقرن شرحه للحدود بذكر الأمثلة البسيطة التي تزيد تلك الحدود ايضاحا وتبيانا ، فمثلا لما بحث المفعول به عرض لحده فقال : « المفعول به : هو الاسم الذي يقع عليه فعل الفاعل ، نحو :

(١) انظر همع الهوامع حـ١ ص٦٨

(٢) التحفة السنية ق ٨

(٣) التحفة السنية ق٩ وانظر التسهيل ص ١٧٤

(٤) التحفة السنية ق ١٨

ضربت زيدا ، ركبت دابة » (١) ولما بحث التوكيد بدأه بذكر فقال « التوكيد : تابع يقرر أمر متبوعه في النسبة والشمول ، وفائدته التحقيق وازالة التجوز في الكلام » (٢) ولما تعرض للعطف حده بأنه : « تابع مقصود بالنسبة مع متبوعه ، يتوسط بينهما أحد الحروف العشرة الآتية ، نحو : قام زيد وعمرو » (٣) وعندما تكلم على المفعول معه حده بأنه : « الاسم المنصوب الواقع بعد واو بمعنى مع دالة على المصاحبة من غير تشريك في الحكم ، نحو : استوى الماء والخشبة » (٤) .

ولما كان هدف السيوطي من هذه الرسالة تقريب القواعد النحوية للمبتدئين ، نجد قد أهتم اهتماما كبيراً بالتمثيل ، وغالب امثلته مصنوعة ، وفيها شيء كثير من الشواهد القرآنية ، وربما استعان ببعض القراءات ، ولكن في مواضع قليلة ، لا تعدو ثلاثة مواضع ، الأولى في باب العطف ، حيث قال « لا يجوز العطف على ... الضمير المجرور الا باعادة الجار ... وقد يعطف بدونه ، وهو قليل ، ومنه قراءة من قرأ :«تساءلون به والارحام» بجر الارحام

---

(١) التحفة السنية ق ١٠

(٢) التحفة السنية ق ٨

(٣) التحفة السنية ق ٩

(٤) التحفة السنية ق ١٠

(١) والموضع الثاني في باب النداء حيث ذكر أنه يجوز ان يحذف المنادى واستدل لذلك بقراءة « ألا يا اسجدوا » (٢) والموضع الآخر في اعمال اسم الفاعل حيث قال : « ويجوز اضافته الى معموله تقول زيد ضارب عمر ، وضارب عمرو ، وقال تعالى : « هل هن كاشفات ضره » (٣) وقرىء « كاشفات ضره » .

ومما تجدر الاشارة اليه هو أن هذه الرسالة قد خلت تماما من الشواهد الشعرية ، فلم يرد فيها ولا شاهد شعري واحد ، على كثرة ما فيها من التمثيل والاستشهاد .

ولعل هذه الرسالة من رسائل السيوطي القليلة التي لم يرد فيها ذكر للمصادر التي عول عليها في تصنيفه اياها ، بل لم يرد فيها ذكر للنحاة الا في مواضع معدودات ، سبق ان ذكرناها عندما عرضنا لما نقله في الرسالة من المسائل الخلافية ، والنحاة الذين ذكرهم فيها هم : الخليل ، وابن الانباري ، وقد ورد ذكر كل منهما مرة واحدة فقط ، وابن مالك وقد ورد ذكره مرتين فقط (٤) وأما غيرهم من النحاة فليس لهم اي ذكر في الرسالة ، وسبب ذلك كله هو أن هذه الرسالة رسالة صغيرة الغرض منها تعليم المبتدئين ، وما فيها من

---

(١) سورة النساء رقم (١) ، وقراءة الجمهور بنصب الأرحام ، وقرأها حمزة بالجر . انظر البيان في غريب اعراب القران ص٢٤٠ـــ٢٤١ وأثر القراءات في الدرسنحات الاية ص١١٠ـــ١٢٠

(٢) سورة النمل آية رقم ٢٥ ، وانظر الكشاف جـ٢ ص١٢٥

(٣) سورة الزمر آية رقم ٣٨

معلومات في غاية البساطة ، لا يتطلب ذكرها الرجوع الى المصادر المختلفة ولا النقل الكثير .

واما النسخ المخطوطة لهذه الرسالة فلم اعثر منها الا على نسخة واحدة محفوظة بدار الكتب المصرية برقم ١٠٦٨ نحو ، وتقع هذه النسخة في (١٨) ورقه بحجم الكف ، وفي كل ورقة (١٧) سطرا ، مكتوبة بالمداد الاسود بخط عادي مقروء ، وذيلت هذه الرسالة بكتاب (الورقات) لامام الحرمين عبد الملك الجويني، نسخت بخط السيد محمد السيفي ، وقد كتب على الورقة الأولى من الرسالة : نظر فيها محمد بن احمد بن محمد الشافعي سنة ٩١٣ هـ .

وأهمية هذه الرسالة تتمثل في بساطتها وسهولتها وخلوها من التعقيد وأنها تصلح أن تكون مادة أساسية لتعليم المبتدئين في دراسة النحو .

(٤)

متون مختلفة

وضع السيوطي جملة متون نحوية سوى « الفريدة » و « التحفة السنية » ، ويعد كتابه « جمع الجوامع » من أهم تلك المتون واجمعها لمسائل النحو ، وقد شرحه في كتابه الشهير « همع الهوامع » الذي افردت له فصلا خاصا به لاهميته . وله متن آخر اسمه « الشمعة المضية في علم العربية » (١) وهو مختصر جدا يقع في حـوالي أربـع ورقات من القطع المتوسط في كل صفحة (١٣) سطرا ، وقـد وضعه للمبتدئين ، وهو أبسط بكثير من كتابه « التحفة السنية » وموضوعاته في غاية الوضوح والبساطة ، قال في أوله : « احمد الله وأصـلي على محمد ، هذه شمعة مضية في علم العربية ، أسأل الله ان ينفع بها ، انه مولى الامنية » (٢) . وبعد هذه الخطبة الموجزة أخذ يســـرد مادة الكتاب فبدأ بالكلام وما يتألف منه فقال : « الكلام قـول مفيد مقصود ، والكلمة قول مفرد ، وهي اسم وفعل وحرف معنى ، فسمة الاسم جر وتنوين وحرف تعريف ، واسناد اليه ، والفعل قد

---

(١) كشف الظنون م ٢ ص ١٠٦٥

(٢) الشمعة المضية ص ٢

والسين والتاء ، والحرف خلوه » (١) وبعد ذلك أخذ يتحدث عن الاعراب فقال : « الاعراب تغيير في الآخر لعامل ، ونوعه : رفع ونصب في اسم وفعل ، وجر في اسم ، وجزم في فعل والأصل : رفع بضم ، ونصب بفتح ، وجر بكسر ، وجزم بسكون ، وينوب عن الضمة واو في أب وأخ وحم وفي وهن وذي ، وفي جمع مذكر سالم ، وألف في المثنى ، ونون في الافعال الخمسة ، وعن الفتحة : ألف في أب واخوته ، وياء في المثنى والجمع وكسرة في مؤنث سالم ، وحذف نون في الأفعال الخمسة ، وعن الكسرة : ياء في أب وتاليه وجمع المذكر السالم وفي المثنى ، وفتحة فيما لا ينصرف ، وعن السكون : حذف في المعتل والأفعال الخمسة » (٢) .

أما بقية المسائل التي أوردها فيه فهي : المعرفة وأنواعها ، والمرفوعات ، وهي : الفاعل ونائبه ، والمبتدأ والخبر ، وكان وأخواتها وان وأخواتها ، والمنصوبات وهي : المفعول به ، والمصدر ، والظرف، والمفعول له ، والمفعول معه ، والحال ، والتمييز ، والمستثنى ، والمنادى ، واسم لا النافية للجنس ، ومفعولا ظن وأخواتها ، والمجرورات والتوابع .

ومتن « الشمعة المضية » خال تماما من الشواهد النحوية فليس فيه أي شاهد نحوي لا مسموع ولا مصنوع ، وقد ركز اهتمامه فيه على ايراد بعض القواعد النحوية المبسطة مع شرحه لقسم من الحدود التي اوردها في هذا المتن شرحا موجزاً يتناسب مع منهجه المبسط

---

(١) الشمعة المضية ص ٢

(٢) الشمعة المضية ص ٣

فيه ، من ذلك ما أورده في باب المنصوبات حيث قال : « المفعول به ما وقع عليه الفعل ... والمفعول له وهو مصدر معلل لفعل شاركه في الفاعل والزمان ، والمفعول معه وهو اسم تال واو مع بعد الفعل او ما فيه معناه » (١) .

وتوجد من هذا المتن عدة نسخ مخطوطة نذكر منها هذه النسخ: نسخة في الخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٢٧ نحو ، ونسخة في مكتبة الأزهر برقم ٧٧٦ ، (٢) ونسختان في برلين برقم ٦٧٦٩ ، (٣) ورقم ٦٧٧٠ .

وقد شرحها الشيخ محمد بن محمد بن احمد البديري الدمياطي المتوفى بدمياط سنه ١١٤٠ هـ ، وسمى الشرح : « المشكاة الفتحية على الشمعة المضية » (٤) وتوجد منه نسخة مخطوطة في دار الكتب المصرية برقم ٣١٦ نحو (٥) .

وللسيوطي متون أخرى منها متن صغير منظوم وضعه على شكل موشحة في أربع ورقات من القطع الصغير ، قال في أولها :

« الى اله الأنام من نحلا   أفضاله كل آمل أملا أرغب
ثم أصلي على الذي شرفا

---

(١) الشمعة المضية ص ٥-٦

(٢) فهرس مكتبة الأزهر حـ ٤ ص ٣٢٥

(٣) تاريخ الأدب العربي لبروكلمان الأصل حـ٢ ص١٥٥

(٤) كشف الظنون م٢ ص١٠٦٥

(٥) فهرس دار الكتب المصرية حـ٢ ص١٥٩

ذاتا ووصفا وعنصرا ووفا
وآله وصحبه الشرفا

والنحو للمرء خير ما حصلا ومن يحصله حاز تاج علا مذهب

فهاك نظمي له موشحة
أرجاؤها ابدعت مرشحه
للمبتدىء صفتها موضحه

يلفى بها ما يحصل الأملا لطالب النحو لا تصد ولا تحجب

والله ربي أرجوه ملتحدا
وعصمة مانعا لكل ردي
ومن هنا البدء في الذي قصدا

فحدنا للكلام قد نقلا قول مفيد للقصد قد شملا كاشرب

والقول ان مفردا أتى كلمه
لاسم وفعل والحرف منقسمه
فالجر والندا للاسم سمه

والتاء للفعل ثم حرفك لا يقبل شيئا كفي وهل والى ترغب

والفعل ضللابامتاء مثل دنا
والنون بالأمر كأقصدن غنى
مضارع تلولن كلن يهنا » (١)

واعتقد السيوطي قد ابتكر لونا جديداً من الكتابات النحوية

---

(١) الموشحة في النحو ص ٢ ٣

في وضعه هذه الموشحة على بساطة ما فيها من القواعد النحوية .

والغرض التعليمي واضح في هذه الموشحة ، وتوجد منها في دار الكتب المصرية نسختان مخطوطتان برقم ١٠٦٧ نحو ، ورقـم ٢٩٥ مجاميع (١) ، ونسخة في مكتبة بول برقم ٦٩٣ (٢) .

---

(١) فهرس دار الكتب المصرية حـ٢ ص ١٦٨

(٢) تاريخ الأدب العربي لبروكلمان الملحق حـ٢ ص١٩٤

الفصل الثاني

همع الهوامع شرح جمع الجوامع في علم العربية

١ — مواد الكتاب

٢ — مصادر الكتاب

٣ — منهج السيوطي في الهمع

٤ — مع النحاة

٥ — مع ابن مالك وأبي حيان

٦ — مع ابن هشام

٧ — آراؤه النحوية والصرفية

٨ القيمة العلمية للكتاب

(١)

مواد الكتاب

بنى السيوطي كتابه القيم « همع الهوامع » (١) على مقدمات وسبعة كتب ، وتناول في المقدمات ثلاثة موضوعات أساسية ، وهي :

(أولا) الكلمة : بحث ضمن هذا الموضوع مسائل كثيرة تتعلق بحد الكلمة وأقسامها ، وعلامات كل قسم منها ، والكلام ومم يتركب ، والكلم ، والجملة ، والقول .

(ثانيا) الاعراب والبناء : تكلم فيه على علامات الاعراب وأنواعه ، والبناء والمبنيات ، ومحل الحركة ، وأقسامها ، والاعراب الأصلي والفرعي ، وجمع المؤنث السالم ، والاسماء الستة ، والمثنى وما ألحق به ، وجمع المذكر السالم وما ألحق

(١) همع : همع الدمع ، والماء ، ونحوهما ، اي : سال . وسحاب همع : اي ماطر ، انظر مادة (همع) في الجمهرة لابن دريد م ٣ ص ١٤٣ ، ومعجم مقاييس اللغة ح ٦ ص ٦٧ ، والصحاح ج٣ ص١٣٠٨ ، ولسان العرب ج١٠ ص٢٥٥ ، وتاج العروس ج ٥ ص ٥٦١

به ، والأفعال الخمسة ، والفعل المضارع المعتل الاخر ، والممنوع من الصرف ، والاعراب المقدر .

(ثالثا) النكرة والمعرفة : تناول فيه أنواع المعارف تناولا مجملا ، فتكلم على الضمائر وأحكامها وأنواعها ، والعلم واقسامه ، واسم الاشارة واقسامه ، واداة التعريف ، والموصول واقسامه .

وهذه المقدمات تمثل رسالة الكتاب لأن المصنف عالج فيها موضوعات عامة ، ولا علاقة لها بأحوال اعراب اواخر الكلم ، وهي تشبه الى حد كبير المسائل التي تناولها ابن مالك في اول الالفية .

وبعد ان انهى الكلام في المقدمات شرع يتكلم على بقية فصول الكتاب ، وهي :

١ ـ الكتاب الأول : وقد خصه بالعمد ، وبحث فيه المرفوعات من الاسماء ، المبتدأ والخبر ، واحكام كل منهما ، وانواع الخبر ، والجملة وانواعها ، وحذف المبتدا والخبر ، ودخول النواسخ على المبتدا والخبر ، وانواع النواسخ ، والفاعل ، ونائبه .

٢ ـ الكتاب الثاني : وجعله للفضلات ، فتناول فيه المفعول به ، وما يتصل به من الموضوعات مثل التحذير ، والاغراء ، والاختصاص والمنادى وادواته ، والندبة ، والاستغاثة ، والترخيم ثم عرض للمفعول المطلق ، والمفعول له ، والمفعول فيه ، وتناول الظرف وجميع المباحث التي تتعلق به ، والمفعول

معه ، وبحث عرضا بعض مواضع العطف التي تتعلق بأحكام المفعول معه ، وعرض للاستثناء ، والحـال ، والتمييز ، ومنصوبات الأفعال ، ونواصب المضارع .

٣ ـ الكتاب الثالث : تناول فيه المجرورات وما حمل عليها وهي المجزومات ، فعرض فيه بصورة مفصلة لحروف الجر ومعانيها وحذف الجار ، والفصل بين الجار والمجرور ، والقسم ، والاضافة ، والفصل بين المتضايفين ، والجوازم ، وما يتعلق بها ، مثل ادوات الشرط ، واعرابها ، واعراب اسـماء الاستفهام ، وبحث عرضا حروف المعاني غير العاطفة ، نحو حروف الجواب ، والتنفيس ، ونوني التوكيد ، وانواع التنوين .

٤ ـ الكتاب الرابع : عالج فيه العوامل ، وهي : الفعـل ، والمصدر واسم الفاعل ، وامثلة المبالغة ، واسم المفعول ، والصفة المشبهة باسم الفاعل ، واسماء التفضيل ، واسماء الافعال ، واسماء الاصوات ، والظرف والمجرور ، وبحث كذلك التنازع والاشتغال .

٥ ـ الكتاب الخامس : وقد بحث فيه التوابع ، وعوارض التركيب ، فتناول انواع التوابع : النعت ، وعطف البيان ، والتوكيد ، والبدل ، وعطف النسق ، وما يتعلق بها من احكام ، ثم تكلم على عوارض التركيب ، فتحدث عن الاخبار بالذي وفروعه ، والعدد ، واسم الفاعل المشتق من العدد ، والتاريخ ، والحكاية ، والضرائر الشعرية .

٦ ـ الكتاب السادس : وجعله للابنية ، فبحث فيه ابنية الاسماء والافعال ، ومعاني الابنية الزائدة ، وانواع الفعل ، وصياغة المضارع والامر ، والبناء للمجهول ، وصيغتي التعجب ، وبناء المصدر واسم الفاعل والمفعول والصفة المشبهه وامثلة المبالغة وتناول فيه ايضا التأنيث ، والمقصــور والممدود ، وجمع التكسير ، والتصغير ، والنسب ، والتقاء الساكنين ، والامالة والوقف .

٧ ـ الكتاب السابع : وقد افرده للتصريف ، وبحث فيه الاشتقاق، والوزن ، وحروف الزيادة ، والحذف ، والابدال ، وتخفيف الهمزة ، والنقل ، والقلب والادغام .

وختم الكتاب الســابع بالكلام على الخط ، فتحدث عن بعض مبادئه العـامة ، وتطرق الى أحكام الهمزة ، والفصــل والوصل ، الزيادة ، والحذف ، والبدل ، ثم تحدث عن رسم المصحف ، ووضع النقط .

وقد أنهى مباحث الكتاب بعبارة أطرى فيها أصل هذا الشرح ، وبين طرفا من أسلوبه الذي نهجه في هذا التأليف ، فقال : « وقد تم جمع الجوامع نظمــا المودع من فنون العربية جما جما ، الكائن من بلاغة الايجاز وعذوبة الألفاظ بالمحل الأسمى ، الفائق على نظرائه ، ايجازا وجما ، المرفوع عن همم معاصريه قطعا ، المشــيد اركان مبانيه احكاما ووضعا ، فعليك بحفظ عبارته ، وتأمل فحواها ، واياك والمبادرة بانكارها لالفك سواها ، ودونك وابراز محاسنها التي لا تخفى الا على جامد البصيرة أعماها ، فربما خالف غيره في تعبير

أو تأخير وتقديم ، فظنه من لا فطنة له عدولا عن المنهج القويم ، وما درى أن ذلك لأمر مهم يستخرجه النظر السليم ، وربما أفصحت بذكر أرباب الأقوال ولو بالتعداد ، أما تقوية لمن نسب اليه الانفراد أو لتفرد ، وغير ذلك من الأمور التي تقصد لستفاد ، وربما نقلنا عن أحد خلاف ما نسبه اليه بعض المشاهير ، فحسبه غلطا من لا اطلاع له ، ولا تحقيق لديه ، وما شعر أن ذلك بعد التطلع والفحص الشديد عليه فدونك مختصرا انطوى على زبدة مائة مصنف واحتوى على ما به العيون تقر والأسماع تشنف وأتى من العجب العجاب بما لم يجمعه قبله مؤلف فحق أن يكون على كتب الأنام سريا وبأنواع المحامد والمحاسن حريا » (١) .

وقد وضع السيوطي كتابه هذا على مرحلتين ، وفي أسلوبين متباينين ، فقد كتب الجزء الثاني منه قبل الجزء الأول ، وجعل الشرح فيه ممزوجا ، وذلك بأن يقتطع جزء صغيرا من المتن ويضعه بين قوسين، ثم يتبعه بشرحه ممتزجا به ، ويعقب ذلك بقطعة أخرى من المتن ويتبعها بشرحها ، وهكذا دواليك الى أن تنتهي المسألة ، ثم يبـــدأ بشرح مسألة أخرى بنفس الطريقة . أما الجزء الاول فقد كتبه بعد أن أتم كتابه الجزء الثاني ، واتبع فيه اسلوبا آخر ، وهو أن يكتب جزء كبيرا من المتن ويرمز له بالحرف (ص) أي الأصل ، ويعقب ذلك بالشرح ، ويرمز له بالحرف (ش) أي الشرح ، وهذه الطريقة أدق من الاولى ، لان الشرح يكون فيها مترابطا ، ولذلك عزم على

---

(١) همع الهوامع جـ٢ ص ٢٤٤

أن يعيد شرح الجزء الثاني ليجعله على نمط الجزء الاول ، الا ان ضيق الوقت حال دون القيام به ، فقد حدثنا عن ذلك فقال : « واعلم أني لما شرعت في شرحه (أي جمع الجوامع) كنت بدأت أولا بشرح النصف الثاني فكتبت من أول الكتاب الثالث الى أثناء جمع التكسير على طريقة المزج ، ثم بدا لي أن أغير الاسلوب فشرحت من أوله على النمط المتقدم ، وكان نيتي الاستمرار على هذه الطريقة الى آخر الكتاب ، والغاء القطعة التي كتبتها ممزوجة ، ثم لما ضاق الزمان عن ذلك أبقيت كل قطعة على حكمها ، وضممت هذه القطعة الى تلك ، ووصلت بينهما ، ولا يضر كون الشرح على اسلوبين ، نصفه ، بلا مزج ، ونصفه ممزوج » (١) .

ويبدو أن السيوطي كان يرغب في ان يجعل هذا الشرح كتابا واسعا ومرجعا شاملا في النحو ، الا أنه عدل عن ذلك فجعله شرحا وسطا ، فقد قال مقدمته : « وبعد فان لنا تأليفا في العربية جمع ادناها وأقصاها ، وكتابا لم يغادر من مسائلها صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها ، ومجموعا تشهد لفضله أرباب الفضائل ، ومجموعا قصرت عنه جموع الاواخر والاوائل ، حصدت فيه ما يقر الاعين ، ويشنف المسامع ، واودعته مناهل كتب فاض عليها همع الهوامع ، وجمعته من نحو مائة مصنف ، فلا غرو أن لقبته « جمع الجوامع » ، وقد كنت اريد ان اضع عليه شرحا واسعا كثير النقول ، طويل الذيول ، جامعا للشواهد والتعاليل ، معتنيا بالانتقاد للادلة والاقاويل ، منبها

(١) همع الهوامع جـ ٢ ص ١٩

على الضوابط والقواعد ، والتقاسيم والمقاصد ، فرأيت الزمان اضيق من ذلك ، ورغبة أهله قليلة فيما هنا لك ، مع الحاح الطلاب على في شرح يرشدهم الى مقاصده ، ويطلعهم على غرائبه وشوارده ، فتخيرت لهم هذه العجالة الكافلة بحل مبانيه وتوضيح معـــانيه ، وتفكيك نظامه ، وتعليل احكامه ، مسماة « همع الهوامع في شـــرح جمع الجوامع » (١) .

(١) همع الهوامع جـ ١ ص ٢

(٢)

مصادر الكتاب

لا أظن أن هنـاك كتابـا في كتب المتقدمين أو المتأخرين اتسعت مصادرة وتعددب مراجعه مثلما وقع لكتاب « همع الهوامع » فان مصنفه جلال الدين السيوطي استوعب فيه آراء جل النحاة ، ان لم نقل كلهم ، وحشد فيه نقولا استقاها من جميع الكتب التي عنيت بالنحو وعالجت مباحثه ، وان الناظر فيه ولو نظرة بسيطة يلمح تلكم السمة بارزة في ثنايا سطور الكتاب وبين مسالكه .

وقد ذكر السيوطي نفسه أنه عول في كتابه « جمع الجوامع » ، على مائة مصنف ، (١) ولا شك أن هـذا العدد قد تضاعف حينما قـام بشرح هذا الكتاب في همع الهوامع ، ولعل السبب الأول الذي جعل مصادر الكتاب تكون عـلى تلك الوفرة هو اعتماد السيوطي اعتمادا كليا عـلى النقل ، وهي ظاهرة عامة في جميع مؤلفاته ، فقد كان ـ رحمه الله ـ ذا دراية واسعة بالآراء واختلافاتها ، فاذا ما عرض لمسألة ما فانه يورد الآراء التي قيلت فيهـا كافة ، والأمثلة على ذلك كثيرة ، نذكر منها هذه النماذج :

(١) همع الهوامع حـ ١ ص ٢ ، وانظر حـ ٢ ص ٢٤٤

١ـ قال عند كلامه على الاعراب ، « فيه مسألتان ، الأولى : الاعراب زائد على ماهية الكلمة ، كما جزم به أبو حيان ، وذكر ابن مالك أنه جزء منها وبعضها ، ووهاه أبو حيان . الثانية : ذكر الزجاجي في أسرار النحو : أن الكلام سابق الاعراب في المرتبة ، وهل تلفظت العرب به زمانا غير معرب ، ثم رأت اشتباه المعاني فأعربته ، أو نطقت به معربا في أول تبلبل ألسنتها به ؟ ولا يقدح ذلك في سبق رتبة الكلام ، كتقدم الجسم الأسود على السواد ، وان لم يزايله ... وفي اللباب لأبي البقاء : ان المحققين على الثاني لأن واضع اللغة حكيم يعلم أن الكلام عند التركيب لابد أن يعرض فيه لبس ، فحكمته تقتضي أن يضع الاعراب مقارنا للكلام . » (١)

٢ـ وقال في باب الخبر : منع الجمهور الاخبار بـ « وحده » لأنه اسم جرى مجرى المصدر ، فلا يخبر به ، وأجازه يونس وهشام ، فيقال : « زيد وحده » اجراء له مجرى (عنده) وتقديره زيد موضع التفرد ، وعلى هذا هل يجوز تقديمه ، فيقال : وحده زيد ، كما يقال : في داره زيد ، قال يونس وهشام : لا ، قال أبو حيان : وحجة يونس وهشام نص العرب على قولهم : « زيد وحده » . (٢)

٣ـ قال عند كلامه على (ألا) و (أما) : « ظاهر كلام ابن هشام

---

(١) همع الهوامع جـ ١ ص ١٥ ، وانظر الايضاح في علل النحو ص ٦٧ ـ ٦٨

(٢) همع الهوامع جـ ١ ص ١٠٠

في المغني أن الاستفتاح والتنبيه في (ألا) و (أما) متلازمان، حيث جعل التنبيه معناها والاستفتاح مكانها. وعبارته: ان (ألا) تكون للتنبيه فتدل على تحقيق ما بعدها، ويقول المعربون فيها: حرف استفتاح، فيبينون مكانها ويهملون معناها، وافادتها التحقيق من حيث تركبها من الهمزة ولا، وهمزة الاستفهام اذا دخلت على النفي أفادت التحقيق وظاهر كلام ابن مالك وأبي حيان أنهما معنيان مستقلان، وعبارة التسهيل: وقد يعزى التنبيه الى (ألا) (وأما)، وهما للاستفتاح مطلقا، قال أبو حيان في شرحه: في قوله « وقد يعزى » اشعار بالقلة، بمعنى أن الأكثر أن يكونا للاستفتاح مطلقا، سواء قصد مع ذلك تنبيه أم لم يقصد ». (١)

ولابد لنا - ونحن نتحدث عن مصادر همع الهوامع - من ان نشير الى حقيقة تبدو بارزة تمام البروز، وهي ان السيوطي قد اعتمد على كتابات ابن مالك وابي حيان اعتمادا مفرطا، وخصوصا كتاب « التسهيل » لابن مالك، و « ارتشاف الضرب » و « التذييل والتكميل في شرح التسهيل » لأبي حيان، بحيث لا تمضي صفحة من صفحات الكتاب الا وتجد اسم هذين النحويين الجليلين يتردد بين سطورها، والسيوطي نفسه قد نبه على ذلك، فصرح ان كتابه

---

(١) همع الهوامع حـ٢ ص ٧١، وانظر مغنى اللبيب حـ١ ص٧٥، ص٧١، والتسهيل ص٢٤٤

« محيط بخلاصة كتابي التسهيل والارتشاف » ، (١) وقال في البغية عند حديثه عن مصنفات ابي حيان : « وله من التصانيف ... التذييل والتكميل في شرح التسهيل مطول ، والارتشاف مختصره مجلدان ، ولم يؤلف في العربية أعظم من هذين الكتابين ، ولا أجمع، ولا أحصى للخلاف والأحوال ، وعليهما اعتمدت في كتابي (جمع الجوامع) نفع الله تعالى به » . (٢)

ولما كان السيوطي قد اعتمد على ما كتبه ابن مالك في (التسهيل) وما كتبه ابو حيان في (الارتشاف) أكثر مما اعتمد على غيرهما من التآليف النحوية ، لذلك سأخص هذين الكتابين بشيء من التفصيل :

١- التسهيل :

تبوأ كتاب (التسهيل) مكانا عليا في نفوس المهتمين بالدراسات النحوية في العصور المتأخرة ، حتى غدا عدة الباحثين وزاد الدارسين وعمدة العلماء والمتعلمين ، فهذا أبو حيان الذي اشتهر بتعقباته على المصنف ، يقول فيه : « لا يكون تحت السماء أنحى ممن عرف ما في تسهيله » وألزم نفسه ألا يقرىء الطلبة الا في كتاب سيبويه أو في التسهيل ، أو في مصنفاته ، وكان هذا دأبه حتى آخر

---

(١) همع الهوامع حـ١ ص٢ ، وانظر المدارس النحوية ص ٣٦٣

(٢) بغية الوعاة حـ١ ص٢٨٢ ، وانظر (أبو حيان النحوي) ص٥٨٢

أيامه . (١)

وكتاب (التسهيل) - كما يقول حاجي خليفة - « كتاب جامع لمسائل النحو بحيث لا يفوت ذكر مسألة من مسائل قواعده » (٢) لذلك اعتنى العلماء به فصنفوا عليه شروحا أنافت على الثلاثين شرحا ، فقد أحصى له حاجي خليفة في كشف الظنون ثلاثة وثلاثين شرحا ، وعد له الاستاذ محمد كامل بركات في رسالته الجامعية الموسومة بـ (ابن مالك في كتابه التسهيل) ستة وثلاثين شرحا كاملاً وغير كامل . (٣) وأهم هذه الشروح هي :

١- شرح ابن مالك نفسه ، وهو غير كامل وصل فيه الى باب مصادر الفعل الثلاثي ، ويقال انه أكمله ، فقد نقل السيوطي عن الصفدي أنه « كان كاملا عند شهاب الدين أبي بكر بن يعقوب الشافعي تلميذه ، فلما مات المصنف ظن أنهم يجلسونه مكانه ، فلما خرجت عنه الوظيفة تألم لذلك ، فأخذ الشرح معه وتوجه لليمن غضبا على أهل دمشق ، وبقي الشرح مخروماً بين أظهر الناس في هذه البلاد » . (٤) ، وعلى فرض صحة هذه الرواية فان هذه التكملة الآن غير موجودة ، وانما الموجود فقط القسم

(١) أبو حيان النحوي ص٣٢٧

(٢) كشف الظنون م١ ص٤٠٥

(٣) ابن مالك النحوي في كتابه التسهيل ص١٠٩ - ١١٦ ، وأنظر كشف الظنون م١ ص ٤٠٥ - ٤٠٧

(٤) بغية الوعاة حـ١ ص ١٣٤

الأول ، وقد تردد النقل في (همع الهوامع) من هذا الشرح كثيرا .

وقد قام ابن المصنف العلامة بدر الدين بتكملة شرح أبيه ، وهو غير كامل كذلك ـ هكذا ذكر السيوطي (١) ـ ويؤيد هذا أن النسخ المحفوظة في دار الكتب المصرية تحت رقم (١٠ ش) والتي تضم شرح المصنف وتكملة ولده عليه لم تستوف كتاب التسهيل كله ، بل انتهى فيه الى الكلام على كثرة مجيء (ألا) قبل النداء ، و (أما) قبل القسم .

٢ـ شروح أبي حيان : لأبي حيان على التسهيل أربعة مؤلفات ، أولها اسمه (التخييل الملخص من التسهيل) لخص فيه شرح المصنف وتكملة ولده ، وشرح مطول اسمه (التذييل والتكميل في شرح التسهيل) وهو كبير في أربعة مجلدات ، وقد اختصره في كتابه المشهور (ارتشاف الضرب من لسان العرب) ، وله أيضا (التكميل في شرح التسهيل) . (٢)

٣ـ تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد : لمحب الدين محمد بن يوسف الحلبي المعروف بناظر الجيش المتوفى سنة ٧٧٨هـ ، وهو غير كامل ، ورد فيه على اعتراضات ابي حيان على المصنف . (٣)

---

(١) بغية الوعاة حـ١ ص٢٢٥

(٢) كشف الظنون م١ ص٤٠٥ ، وانظر (أبو حيان النحوي) ص٣٢٧ ، وابن مالك النحوي في كتابه التسهيل ص١١١ ـ ١١٢

(٣) كشف الظنون م١ ص٤٠٧

٤- التحصيل والتفصيل لكتاب التذييل والتكميل : للعلامة جمال الدين عبد الله بن يوسف بن هشام النحوي المتوفى سنة (٧٦٢هـ)، وذكر حاجي خليفة أن لابن هشام غير هذا الشرح عدة حواش أخرى . (١)

٥- تعليق الفرائد على تسهيل الفوائد : للعلامة بدر الدين بن الدماميني المتوفى سنة ٨٣٧هـ ، وهو معروف بشرح الدماميني ، وقد رد على أبي حيان بعض منازعاته لابن مالك . (٢)

ولعل في هذه العناية الكبيرة التي حظي بها كتاب (التسهيل) من قبل المشتغلين بالدراسات النحوية أحسن دليل على مدى قيمته العلمية ، التي جاءت من عدة نواح أهمها « ترتيب ابن مالك للنحو هذا الترتيب الذى لانجده عند غيره ، وذكره للخلافات النحوية والآراء المختلفة الكثيرة ، وتفضيله بعضها على بعض ورفضه أو قبوله لها » (٣) اضافة الى كونه كتابا مختصرا واضح العبارة ليس فيه تعقيد ، شاملا لابواب النحو والصرف ، ولم يغل ابن مالك حينما قال فيه « هذا كتاب في النحو جعلته بعون الله مستوفياً لأصوله ، مستولياً على أبوابه وفصوله ، فسميته لذلك : (تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد) فهو جدير بأن يلبي دعوته الألباء ، ويجتنب منابذته النجباء ، ويعترف العارفون برشد المغرى بتحصيله ، وتأتلف قلوبهم على تقديمه

---

(١) كشف الظنون م١ ص٤٠٦

(٢) كشف الظنون م١ ص٤٠٦

(٣) أبو حيان النحوي ص١١٢

فليثق منأمله ببلوغ أمله وليتلق بالقبول ما يرد من قبله ... واذا كانت العلوم منحاً إلهية ومواهب اختصاصية ، فغير مستبعد ان يدخر لبعض المتأخريين ما عسر على كثير من المتقدمين . » (١)

وعلاقة السيوطي بكتاب (التسهيل) علاقة متينه ، فقد عول عليه . ونقل منه شيئاً كثيراً . بل ضمن خلاصته في كتاب (الهمع) وهناك تقارب كبير بين مباحث هذين الكتابين ، وان كانت طريقة التبويب تختلفه فيما بينهما ، فكتاب التسهيل مثلا مبني على ثمانين بابا ، وهذه الابواب مقسمة الى فصول بلغت عدتها مائتين وأحد عشر فصلا . بينما كتاب (الهوامع) مبني - كما اسلفنا - على مقدمات وسبعة كتب ، وليس فيه فصول ولا ابواب ، ويبدو لى ان تبويبه اكثر منطقية وادق ومباحثه اكثر ارتباطا مما عليه كتاب (التسهيل) ، فمثلا بحث ابن مالك موضوع الصرف ومنعه بعد بحثه نوني التوكيد للتشابه اللفظي بين نوني التوكيد ونون الصرف بينما بحث السيوطي هذا الموضوع في (الهمع) مع مبحث الاعراب وهو - على ما اعتقد ألصق به من نوني التوكيد . وبحث ابن مالك موضوع النداء بعد بحثه التوابع ، ولا علاقة منطقية بين الاثنين ،بينما بحثه السيوطي بعد المفعول به ، في الكتاب الثاني الذي خصصه للفضلات ، فقد بحث (المنادى) ضمن عدة موضوعات وثيقة العلاقة به ، وهي التحذير والاغراء والاختصاص ، وأدرجها كلها تحت موضوع عنون بـ (مسألة : يحذف عامله (أي عامل المفعول به قياسا لقرينة ويجب سماعا في مثل وشبهه) وقال فيها : « يجوز حذف ناصب

---

(١) التسهيل ص١ - ٢

المفعول به قياسا القرينة ، لفظية أو معنوية ، نحو : زيدا ، لمن قال من ضربت ؟ أى ضربت زيدا ... ومكة لمن تأهب للحج ، أى تريد أو اراد مكة ، ... ، ومعنى كونه قياسا لا يقتصر فيه على السماع ومنه في القرآن (ما أنزل ربكم قالوا خيرا) (١) أى انزل ... ويجب الحذف سماعا في الامثال التي جرت كذلك فلا تغير ، كقولهم : كل شيء ولا شتيمة حر ، اى ائت ولا ترتكب ... ومنها ذكر الدار فانه كثر عندهم فاستعملوه بحذف العامل ... ومنه ما نصب تحذيرا ... ومنه المنادى » . (٢)

ولو رجعنا الى باب (النداء) في التسهيل لرأينا ابن مالك قد بحث فيه موضوع (أسماء لازمت النداء) بعد بحثه الاستغاثة والندبة ، ومما لا شك فيه ان صنيع السيوطي كان ارتب من صنيع ابن مالك ، وبحث ابن مالك موضوع (تابع المنادى) ضمن مسائل (المنادى) بينما بحثه السيوطي بعد انتهاء مبحث (التوابع) تحت عنوان (خاتمة في توابع مخصوصة) وما صنعه السيوطي - فيما أحسب - أدق من حيث تنظيم الابواب وتسلسلها ، وذلك لان (تابع المنادى) أحكامه مرتبطة ببابي النداء والتوابع ، ولكنه الصق بأحكام التوابع ولذلك اطلق عليه (تابع المنادى) .

ومن الابواب التي ورد اختلاف في ترتيبها بين التسهيل و (الهمع) باب التوابع ، فقد جاء ترتيبها في (التسهيل) هكذا : توكيد ، نعت ، عطف بيان ، عطف نسق ، بدل ، بينما جاء ترتيبها في

---

(١) سورة النحل آية رقم (٣٠)

(٢) همع الهوامع جا ص١٦٨ - ١٧١

(الهمع) ترتيبا آخر ، وهو : النعت ، عطف البيان ، التوكيد والبدل ، عطف النسق . وعلل السيوطي ترتيبه للتوابع فقال : التوابع : نعت وعطف بيان وتوكيد ، وعطف نسق ... واذا اجتمعت رتبت كذلك بان يقدم النعت ، لأنه كجزء من متبوعه ، ثم البيان لانه جار مجراه ، ثم التأكيد لأنه شبيه بالبيان في جريانه مجرى النعت ، ثم البدل ، لأنه تابع كلا تابع ، لكونه مستقلا ثم النسق ، لأنه تابع بواسطة ، ولهذا ناسب الوضع على هذا الترتيب بخلاف ابتداء التسهيل بالتوكيد » . (١) وعندى ان السيوطي كان اكثر توفيقا وادق ترتيبا في ذلك من ابن مالك ، وذلك لان النعت هو المقدم على جميع التوابع ، فأحكام التابعية متوفرة فيه اكثر من توفرها في غيره ، فهو يتبع متبوعه تابعية مطلقة في الرفع والنصب الجر والجزم والافراد والتثنية والجمع والتذكير - والتأنيث والتنكير والتعريف ، بينما لا يتوفر هذا بصورة تامة لبقية التوابع ، ولذلك نجد ان سيبويه - رحمه الله - لما عقد باب التوابع بناها على النعت فقال : هذا باب مجرى النعت على المنعوت والشريك على الشريك والبدل على المبدل وما اشبه ذلك » .(٢) وابن مالك نفسه لما ادار ان يرتب التوابع من حيث مكانها في الجملة قدم النعت على غيره ، بل رتبها كترتيب السيوطي فقال : « ويبدأ عند اجتماع التوابع بالنعت ثم بعطف البيان ثم بالتوكيد ، ثم بالبدل ، ثم

---

(١) همع الهوامع ج٢ ص١٥

(٢) الكتاب ج١ ص٢٠٩

بالنسق » . (١) وفي الالفية كذلك قدما لنعت حيث قال :

يتبع في الاعراب الاسماء الأول نعت وتوكيد وعطف وبدل (٢)

والنحاة لم يتفقوا على ترتيب التوابع فشراح الالفية مثل ابن هشام والازهري والاشموني (٣) رتبوها كتركيب الالفية الذى مر بنا قريبا ، أما الزمخشري في المفصل فقد رتبها هكذا : تأكيد ، صفة وبدل . وعطف بيان ، وعطف بحرف . (٤) وعلل هذا الترتيب ابن يعيش في شرحه فقال : « وانما رتبنا هذا الترتيب فقدم التأكيد لان التأكيد هو الاول في معناه ، والنعت هو الاول على خلاف معناه ، لان النعت يتضمن حقيقة الاول وحالا من احواله ، والتأكيد يتضمن حقيقته لاغير ، فكان مخالفا له في الدلالة ، وقد يكون النعت بالجملة وليس كذلك التأكيد . وقدم النعت على عطف البيان لأن عطف البيان ضرب من النعت ، وقدم عطف البيان على البدل لان البدل قد يكون غير الاول ، وأخر العطف بالحروف لانه يتبع بواسطة وما قبله يتبع بلا واسطة » . (٥)

---

(١) التسهيل ص١٧٣

(٢) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك جـ٣ ص١٤١

(٣) أوضح المسالك ١٢٣ ـ ١٣٥ وانظر التصريح على التوضيح جـ٢ ص١٠٨

(٤) المفصل ص١١٠ ـ ١١١

(٥) شرح المفصل جـ٣ ص٣٩

ولما بحث ابن مالك المعارف رتبها هكذا : (المضمر ، العلم ، الموصول ، الاشارة ، المعرف بأل) (١) ، بينما رتبها السيوطي ترتيبا آخر وهو : (المضمر ، العلم ، اسم الاشـــارة ، أداة التعريف ، الموصول) وعلل ترتيبه هذا بقوله : « النكته التي لاجلها قدمت هذا الباب (أى باب التعريف بأل) على الموصول تأتي ختم المقدمات بالخاتمة المشتملة على معاني (من) و (ما) و (أىّ) الخـارجـة من الموصولية فان ذكرها عقب الموصول على سبيل التذييل مناسب ... وانضم الى ما صنعته هنا مناسبتان الاولى : ان هذا الباب مختصر وباب الموصول يستدعي احكاما طويلة ، ومن عادة المصنفين تقديم ما هو الاحضر وتأخير مـا يستدعي فروعـا واستطرادات ، والثانية : انه قد يقدم حكاية قول : ان تعريف الموصول بأل ونيتها ، (٢) فكانت الدلك كالاصل له ، فناسب تقديم ذكرها عليه . وقد قدم ابن مالك في التسهيل باب الموصول على باب الاشارة مع انه عنده مؤخر في الرتبـة ، وليس لما صنعه وجه من المناسبة . (٣) أما السيـــوطي فقد قدم اسم الاشـــارة على الاسم الموصـــول وما قاله صحيح ، فان اسم الاشارة مقـــدم على اسم الموصول في التعريف بل ان بعض النحاة قدمه على سائر المعارف ، ونسب ذلك لابن السراج . وابن مالك نفسه قدم اسم الاشارة في ترتيب المعارف على الاسم الموصـول ، قال في التسهيل : « فالمعـرفة : مضمر وعلم ومشار به ومنادى وموصول ومضاف وذو أداة ، واعرفها ضمير المتكلم

---

(٢) التسهيل ص٢٢ ـ ص٤٣

(٣) انظر همع الهوامع جـ١ ص٥٥

(٤) انظر همع الهوامع جـ١ ص٧٨

وقال في الالفية :

نكره قابل أل مؤثر أو واقع موقع ما قد ذكر
وغيره معرفة كهم وذى وهند وابنى والغلام والذى (٢)

وهناك فروق اخرى في ترتيب الكتابين ، منها : ان السيوطي بحث رفع الفعل عقب بحثه مرفوعات الاسماء ، وجعل للمرفوعات كتابا خاصا سماه (العمد) وبحث المنصوبات من الافعال بعد بحثه منصوبات الاسماء ضمن كتاب واحد ، هو الكتاب الثاني الخاص بالفضلات وبحث المجزومات من الافعال اثر بحثه المجرورات لأن الجزم في الافعال نظير الجر في الاسماء ، وجعل لها كتابا واحداً وهو كتاب (المجرورات وما حمل عليها وهي المجزومات) . اما ابن مالك فقد خصص لاعراب الفعل وعوامله بابا خاصا بحث فيه رفع المضارع ونصبه وجزمه ، وعندى ان ما صنعه ابن مالك أجدى وأوفى مما صنعه السيوطي ، لأنه جمع المسائل الخاصة باعراب الفعل فى مكان واحد لما بينهما من ترابط وتناسب .

وبحث السيوطي انواع الافعال من حيث التعدي واللزوم والتصرف والجمود ، وصيغ التعجب ، والمدح والذم تحت باب واحد وأفرد لها مع بقية العوامل اللفظية كتابا خاصا بها ، وهو الكتاب الرابع الخاص بالعوامل . بينما بحثها ابن مالك في اماكن متفرقة من كتابه .

---

(٢) شرح ابن عقيل على الالفية جـ١ ص٤٨

وجعل السيوطي للمفعول به كتابا خاصا به ، تناول فيه جميع المسائل المرتبطة به ، بينما لم يجعل له ابن مالك في (التسهيل) بابا خاصا به ، بل تناوله في مواضع متفرقة ، مثلما صنع في الالفية فقد بحثه مع الفاعل ، ونائبه ، وباب المتعدي واللزوم .

وهناك فرق آخر هو ان السيوطي جعل لكل كتاب من كتب (الهمع) السبع خاتمة . وختم الجميع بخاتمة أفردها للخط ، وحذا في ذلك حذو كتب الأصول (١) قال السيوطي : « وكونها مفردة بخاتمة انسب وفيه توفية بعادتي في هذا الكتاب ، وهو ختم كل كتاب من الكتب السبعة بخاتمة كما صنع ابن السبكي (٢) فى جمع الجوامع الأصلي ، الى ان ختمت الكتاب السابع بخاتمة في الخط كما ختم هو الكتاب السابع بخاتمة في التصوف » . (٣)

وقد ضم (الهمع) جميع مسائل (التسهيل) وزاد عليها مباحث اخرى هي (الخبر والانشاء ، وأسماء السور ، ومعرفة العجمة وانواع الجمل التي لها محل من الاعراب والتي لا محل لها من الاعراب ومبحث الضرائر الشعرية) .

ونستخلص مما مر ان السيوطي قد اعتمد طريقة في التبويب تختلف - الى حد ما - عن طريقة ابن مالك في التسهيل ، وأظنني لا اعدو الحقيقة اذا قلت ان ترتيب (الهمع) كان ادق من ترتيب

---

(١) همع الهوامع ج١ ص٣

(٢) ابن السبكى : هو تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي المتوفى سنة ٧٧١ هـ .

(٣) همع الهوامع ج١ ص٧٨

التسهيل ، واكثر منه ترابطا وأوفى بمباحث النحو ومسائله .

النقل عن التسهيل :

لما كان السيوطي قد جعل كتاب (التسهيل) مصدرا أساسيا من مصادر (الهمع) فلا غرو ان وجدنا النقل عنه يتردد في سائر ابواب (الهمع) ، وان اسم (ابن مالك) يأتي في مقدمة الأسماء التي كثر ذكرها فيه ، ولا اريد هنا ان ابرهن على صحة هذة المسألة لأن ابسط قارىء يستطيع ان يستخلص هذه الحقيقة من أولى نظراته في (الهمع) ، ولكن الذي اريد ان اشير اليه في هذا الموضع ، هو ان السيوطي قد عقد كثيرا من ابوابه كتابه « جمع الجوامع » الذى هو أصل « الهمع » بألفاظ كتاب « التسهيل » ، وان جاءت في احيان كثيرة موزعة على عدة مسائل أو مقطعة أو محشوة ببعض الشروح والتعليقات والنقول والخلافات بحيث يصعب تمييزها الا بعد المقارنة الدقيقة ، ولولا الخوف من اطالة البحث اكثر مما طال لأوردت جملة مسائل من « جمع الجوامع » وقابلتها بنصوص المسائل التي تماثلها في كتاب « التسهيل » ليستبان مدى التطابق بين نصوص الكتابين ، لذلك سأكتفي بسرد بعض تلك المسائل ، وهي : علامات الاسم ، (١) وعلامات الفعل ، (٢) والدلالة الزمنية للفعل المضارع والماضي ، (٣) وحكم النقص في الأسماء الستة ، (٤) والاعراب

---

(١) همع الهوامع ج١ ص٤ وانظر التسهيل ص٣

(٢) همع الهوامع ج١ ص٦ وانظر التسهيل ص٤

(٣) همع الهوامع ج١ ص٧ ـ ٩ وانظر التسهيل ص٤ ـ ٥

(٤) همع الهوامع ج١ ص٣٨ ـ ٤٠ وانظر التسهيل ص٨ ـ ٩

بالحروف ، (١) وحكم نون الوقاية ، (٢) واتصال الضمير المتحرك المتصل بالفعل ، (٣) وتعريف المبتدأ وتنكير الخبر ، (٤) وحذف المبتدأ ، (٥) والاخبار بالزمان عن اسم عين ، (٦) وموضوعات اخرى كثيرة مبثوثة في ابواب الكتاب كافة .

(٢) الأرتشاف :

تناول ابو حيان كتاب (التسهيل) لابن مالك ، فشرحه شرحا مبسوطا سماه (التذييل والتكميل في شرح التسهيل) ، ثم عمد الى هذا الشرح المطول فاختصره ، وجرد منه الاحكام ، (٧) في كتاب لا يقل عنه شأنا وان قل عنه حجما ، وسماه : (ارتشاف الضرب من لسان العرب) ، وقد قال في مقدمته : « أما بعد فان علم النحو صعب المرام ، مستعص على الافهام ، لا ينفذ في معرفته الا الذهن السليم ، والفكر المرتاض المستقيم ، وكان من تقدمنا قد انتزع من الكتاب تآليف قليلة الاحكام عادمة الاتقان والاحكام ، يحلها النقد وينحل منها العقد ، وربما أهملوا كثيرا من الابواب ، واغفلوا ما

---

(١) همع الهوامع ج١ ص٢١ وانظر التسهيل ص١٠ ـ ١٥

(٢) همع الهوامع ج١ ص٦٤ وانظر التسهيل ص٢٥

(٣) همع الهوامع ج١ ص٥٧ وانظر التسهيل ص٢٣

(٤) همع الهوامع ج١ ص١٠٠ وانظر التسهيل ص٤٦

(٥) همع الهوامع ج١ ص١٠٢ وانظر التسهيل ص٤٥

(٦) همع الهوامع ج١ ص٩٩ وانظر التسهيل ص٤٩

(٧) كشف الظنون م١ ص٥٠٤

فيه الصواب ، فتآليفهم تحتاج الى تثقيف ، ، وتصانيفهم مضطرة الى تصنيف ، ولما كان كتابي المسمى بـ (التذييل والتكميل في شرح التسهيل) قد جمع من هذا العلم ما لا يوجد في كتاب ، وفرع بما حازه تأليف الاصحاب ، رأيت ان اجرد الاحكام عـــارية ـ الا في النادر ـ من الاستدلال والتحليل ، حاوية لسلامة اللفظ ، وبيان التمثيل ، اذ كان الحكم اذا برز في صورة المثال ، أغنى الناظر عن الطلب والتسآل ، ونفضت عليه باقي كتبي ، لاستدرك ما أغفلته من فوائد ، وليكون هذا المجرد مختصا عن ذلك (يعني عن التذييل والتكميل) بزوائده ، وقربت ما كان منه قاصيا ، وذللت ما كان عاصيا ، حتى صارت معانيه تدرك بلمح البصر ، لا تحتاج الى اعمال فكر ، ولا إكداد نظر » . (١)

ولما كان كتاب (التذييل) شرحا لكتاب (التسهيل) لذلك جاءت ابوابه كأبوابه ، تمشيا على عادة شراح المتون فى التقيد بأبواب المتن الذي يباشرون شرحه ، وأما (الارتشاف) فقد بوبه تبويبا آخر ، وسلك فيه منهجا يختلف عن منهجه فى (التذييل) لأنه لم يكن فيه شارحا كما كان فى الكتاب الاول ، وانما كان مؤلفـــا له منهجه وطريقته فى العرض والتأليف . (٢)

وأسلوب أبي حيان في تبويب (الارتشاف) يختلف تماما عما اعتدنا أن نطالعه في كتب النحاة المتأخرين ، فقد قسم كتابه جملتين ،

---

(١) الارتشاف ص١ ـ ٢ ، وانظر ابو حيان النحوى ص١٣٤

(٢) أبو حيان النحوى ص١٣٥

بحث في الأولى أحكام الكلم قبل التركيب ، فتناول فيها التصريف ، فبحث حروف الهجاء ، وصفاتها ، والقول في أحكام الكلم من تجريد وزيادة ، وأبنية الأسماء والأفعال ، ومعانى هذه الأبنية ، والحذف وحروف الزيادة والابدال والقلب والنقل والادغام ، والتصغير ، والتكسير ، والمصدر واسمي الزمان والمكان ، واسم المفعول ، والمقصور والممدود ، والامالة ، وهمزة الوصل ، وعلامة التثنية والجمع على حده ، وياء النسب ، ونوني التوكيد ، والتنوين .

وأما الجملة الثانية ، فقد بحث فيها أحكام الكلم عند التركيب ، وقسمه الى اعرابية وغير اعرابية ، فغير الاعرابية : البناء ، والادغام ، والتقاء الساكنين ، والتقاء الهمزتين ، ولحاق علامة التأنيث للفعل لأجل مرفوعه ، والعدد ، والكناية عن العدد ، والوقف ، والنداء ، والحكاية ، والعلم ، والمعارف غير العلم ، والاستفهام ، والهمزة في آخر الكلمة ، واسم الفاعل المشتق من العدد ، والتأريخ ، وأما الاعرابية : فقد بدأها بالكلام على اللغة ، فبحث الاعراب ، والنكرة والمعرفة ، والمبتدأ والخبر ، وما يدخل عليهما من أدوات وأفعال ، والفاعل ، والمفعول الذي لم يسم فاعله ، والمنصوبات ، وهي : المفعول المطلق ، والمفعول له ، والمفعول به ، والمفعول فيه ، والمفعول معه ، والمستثنى ، والحال ، والتمييز ، ونواصب الافعال ، والجوازم ، والمجرورات ، وقد تكلم فيه على القسم ، وأحرف الجواب ، وباب الاضافة . ثم تكلم على التوابع : النعت ، وعطف البيان ، والبدل ، وعطف النسق ، ثم عقد بابا للأفعال وأقسامها ، فبحث : حبذا ، وصيغ التعجب ، والمتعدي واللازم ، ثم تكلم بعد ذلك على الأفعال الداخلة على

المبتدأ والخبر ، والاشتغال ، والنداء ، والاستغاثة ، والترخيم ، والاختصاص ، والتحذير والاغراء ، ثم تحدث عما يعمل عمل الفعل كالمصدر ، واسم الفاعل ، واسم المفعول ، وافعل التفضيل ، والصفة المشبهة ، وختم الكتاب بباب عن الضرائر التي تجوز للشعراء . (١)

هذه هي الأبواب التي بحثها أبو حيان في « الارتشاف » وواضح من سردها أنها تختلف تماما عما اعتدنا أن نراه في الكتب النحوية الأخرى ، ولعل أهم فرق بينه وبينها هو أن أبا حيان قد قدم فيه الأبواب الصرفية على الأبواب النحوية ، خلافا لما اعتدنا أن نراه في كتب النحاة الاخرين .

ومما لا شك فيه أن أبا حيان قد تبوأ بكتبه المختلفة مكانة سامقة في الدراسات النحوية ، واكسبته أهمية خاصة يجدر الباحثين المعاصرين أن يقفوا أمامها وقفات طويلة .

وتأتي أهمية هذا الرجل الفذ من أمرين ، أحدهما : ما امتاز به من فكر ثاقب كان نتاج امتزاج الثقافتين الاندلسية والمشرقية ، والثاني : انه كان شديد العناية بتتبع آراء المتقدمين عليه والمعاصرين له والموازنة بينها ونقدها ، فجاءت كتبه ، وبخاصة « التذييل » و « الارتشاف » ، كتبا واسعة حافلة بالاراء شاملة للخلاف مستوعبة لكثير من النظرات النحوية السديدة ، وقد تنبه السيوطي الى اهمية هذين الكتابين ، فأطراهما ايما إطراء ، عندما ترجم لأبي حيان ،

(١) ابو حيان النحوي ص١٣٥ ـ ١٣٧

فقال : « لم يؤلف في العربية اعظم من هذين الكتابين ، ولا أجمع ، ولا أحصى للخلاف والأحوال ، وعليهما اعتمدت في كتابي جمع الجوامع » . (١)

وصرح في مقدمة (الهمع) انه ضمن كتابه هذا خلاصة لكتاب (الارتشاف) ، (٢) فلا غرو أن يتردد النقل فيه عن كتابي (أبي حيان) الآنفين ترددا كثيرا ، وذلك دليل على احاطة (السيوطي) بهذين الكتابين احاطة شاملة أهلته لان يفيد منهما افادة جمة ، وربما كان أكثر المتأخرين أخذا عنهما وعناية بهما .

والسيوطي حينما اعتمد على ما كتبه ابو حيان ذلك الاعتماد الكبير ، لم يكن بجرد ناقل لا شخصية له ، يجري وراء النصوص ليأخذها فيضعها في مكانها المناسب لها في كتابه (الهمع) ، بل كان ناقلا ناقدا ، يسلم له برايه تارة ويخالفه تارة اخرى ، ويسدد قوله مرة وينقضة اخرى ، انسجاما مع ما توفر لديه من دليل ، وصح عنده من سند ، ولما كنا عرضنا لما اختلف (الهمع) فيه عن التسهيل ، وان (التذييل) هو شرح للتسهيل ، لذا سنكتفى هنا بعرض الفرق بين (الهمع) و (الارتشاف) ، وخاصة ان السيوطى قد عول عليه اكثر من تعويله على كتاب التذييل .

ولعل أبرز ناحية اختلف فيها كتاب (الهمع) عن كتاب (الارتشاف) هي طريقة التبويب ، فأبو حيان بدأ كتابه ـ كما

---

(١) بغية الوعاة ح١ ص٢٨٢

(٢) همع الهوامع ح١ ص٢

أوضحنا ـ بأبواب الصرف ، ثم جعل القسم الأخير للنحو ، وجاءت كثير من المباحث الصرفية والنحوية مختلطة بعضها ببعض ، نأخذ على ذلك مثلا هذه الأبواب مرتبة بحسب تسلسلها في (الارتشاف) : « البناء ، والادغام من كلمتين ، والتقاء الساكنين من كلمتين ، والتقاء الهمزتين من كلمتين، ولحاق علامة التأنيث للفعل من اجل مرفوعه ، والعدد ، والكناية عن العدد ، والوقف » .

بينما رتب السيوطي كتابه ترتيبا آخر ، فقد بدأ الكتاب ـ كما أوضحنا آنفا ـ بمقدمات عامة بحث فيها موضوعات تعد حقا مقدمات لدراسة النحو ، مثل الكلمة والكلام ، وعلامات الاسم والفعل والحرف ، والاعراب والبناء ، ثم أعقبها بأبواب النحو ، بدأها بالعمد، فالفضلات ، فالمجرورات والمجزومات ، فالعوامل ، فالتوابع والعوارض، وبعد أن أتم أبواب النحو بدأ ببحث الأبواب الصرفية ، وهو في تقديمه مسائل النحو على مباحث الصرف قد سار على النهج الذي سلكه النحاة كافة المتقدمون والمتأخرون من مزج في دراساته المباحث النحوية والصرفية ، وعلى رأسهم سيبويه وابن مالك ، بينما انفرد ابو حيان دون سائر النحاة بتقديم المسائل الصرفية على المباحث النحوية .

وترتيب مفردات أبواب (الارتشاف) لا يخلو من الاضطراب ، اذا ما قورن بترتيب (الهمع) فمثلا بحث أبو حيان موضوع احرف الجواب في باب المجرورات بين القسم وباب الاضافة ، وجعل باب المفعول المطلق هو المتصدر لأبواب المفعولات ثم اعقبه بباب المفعول

له ، ثم المفعول به . وقد يكون موفقا - الى حد ما - في تقديمه المفعول المطلق باعتباره هو المفعول الحقيقي للفعل ، ولكن ما نحذره في تقديمه المفعول له على المفعول به ، الذي هو عند جميع النحاة المفعول المتقدم ، وعليه تعقد ابواب المفعولات الأخرى ، لأن احكامه أوسع من احكام غيره ، واكثر دورانا في الكلام . وبحث الأفعال النواسخ ضمن انواع الأفعال بينما كان الاولى ان يبحثها بعد المبتدأ والخبر - كما صنع السيوطي - لأن أحكامها مرتبطه بأحكامه .

وهناك فرق آخر بين الكتابين ، وهو أن ابا حيان الزم نفسه الا يعرض للاستدلال والتعليل الا قليلا ، بينما حشد السيوطي كتابه باستدلالات النحويين وتعاليلهم ، وربما اعقب ذلك بنقل عبارة عن ابي حيان تفيد الا جدوى من هذه التعاليل ، من ذلك ما ذكره عند كلامه على تعليل رفع العمد ونصب الفضلات ، حيث قال : « انواع الاعراب اربعة الرفع وهو اعراب العمد ، والنصب وهو اعراب الفضلات ، قيل ووجه التخصيص ان الرفع ثقيل خص به العمد لانها اقل ، اذ هي راجعة الى الفاعل والمبتدا والخبر ، والفضلات كثيرة ، اذ هي المفاعيل الخمسة والمستثنى والحال والتمييز ، وقد يتعدد المفعول به الى اثنين وثلاثة ، وكذلك المستثنى والحال الى ما لا نهاية له ، وما كثر تداوله فالاخف اولى به ، والجر وهو لما بين العمدة والفضلة ، لأنه اخف من الرفع واثقل من النصب ، والجزم خلافا للمازني في قوله انه ليس باعراب انما هو عدم الاعراب ، وهو مذهب الكوفيين . ثم الرفع والنصب يكونان اعرابا للاسم والفعل لقوة عواملها باستقلالها بالعمل وعدم تعلقها بعامل آخر ...

واما الجر فعامله غير مستقل لافتقاره الى ما يتعلق به ، ولذلك اذا حذف الجار نصب معموله . واذا عطف على المجرور جاز نصب المعطوف . فضعف عن تفريع غيره عليه ، فانفرد به الاسم ، وخص الجزم بالفعل ليكون فيه كالعوض عما فاته من المشاركة في الجر ليكون لكل واحد من صنفي المعرب ثلاثة اوجه من الاعراب . قال ابو حيان : الصواب ما حرره بعض اصحابنا ان التعرض لامتناع الجر من الفعل والجزم من الاسم ولحوق التاء الساكنة للماضي دون اخويه ، وأشباه ذلك من تعليل الوضعيات والسؤال عن مبادىء اللغات وذلك ممنوع لأنه يؤدي الى تسلسل السؤال ، اذ ما من شيء الا ويقال فيه لم كان كذلك ؟ » . (١)

وفرق آخر هو ان كتاب (الهمع) كان في احيان كثيرة اوسع الماما بالمسائل النحوية من كتاب (الارتشاف) ، وذلك لأن السيوطي ضمن كتابه الهمع خلاصة لكتاب (الارتشاف) ، واضاف اليها مسائل اخرى كثيرة جمعها من مختلف المصادر التي عول عليها في وضعه كتابه هذا ، والامثلة على ذلك كثيرة ، نختار منها باب الفاعل والمسائل التي اوردها كل منهما فيه ، واليك تفصيل ذلك :

بدأ ابو حيان بحد الفاعل ، ثم اشار الى ان الكوفيين والبصريين مجمعون على ان العامل فيه هو ما اسند اليه ، وذكر (٢) ان قوما

(١) همع الهوامع حـ١ ص٢١

(٢) الارتشاف حـ١ ق ١٨٩

من النحاة خرجوا على هذا الاجماع ، فذهب بعضهم الى انه ارتفع بكونه فاعلا في المعنى ونسب ذلك الى خلف ، (١) وذهب بعض آخر الى انه ارتفع بالاسناد ، ونقل عن ابن مالك (٢) انه نسب ايضا الى خلف .

أما السيوطي فقد ذكر ذلك كله ، واضاف اليه ان هشاماً (٣) الكوفي قال : رافعه الاسناد ، اي النسبة ، فيكون العامل معنويا ، قال السيوطى : « وردّ بأنه لا يعدل الى جعل العامل معنويا الا عند تعذر اللفظى الصالح ، وهو هنا موجود » يعني المسند من فعل وشبهه ونقل أن بعضهم قال : انه ارتفع لشبهه بالمبتدأ . من حيث انه يخبر عنه بفعله كما يخبر عن المبتدأ بالخبر . ورد بأن الشبه معنوي . والمعاني لم يستقر لها عمل في الاسماء ، ونقل عن ابن عمرون أن قوما من الكوفية ذهبوا الى ان الفاعل ارتفع باحداثه الفعل . (٤)

ولما تناول أبو حيان مسألة تقديم الفعل على الفاعل ، وما دار فيها من خلاف بين البصريين والكوفيين اكتفى بايراد الخلاف ولم

---

(١) هو خلف الأحمر البصري المتوفى في حدود ١٨٠ ، انظر البغية حـ١ ص٥٥٤

(٢) التسهيل ص٧٥

(٣) هو هشام بن معاوية الضرير الكوفي صاحب الكسائى المتوفى سنة ٢٠٩

(٤) همع الهوامع حـ١ ص ١٥٩

يرجح أياً من القولين ، ولم يذكر حجة أي منهم فيما ذهب اليه (١) ، أما السيوطي فقد تناول المسألة بشيء من التفصيل واليك قوله : « الصحيح وعليه البصريون أنه يجب تأخير الفاعل من عامله ، وجوز الكوفية تقديمه نحو : زيد قام ، مستدلين بنحو قوله :

ما للجمال مشيها وئيدا (٢)

أي وئيد مشيها ، وتأوله البصريون على الابتداء واضمار الخبر الناصب وئيدا ، أي ظهر أو ثبت . وثمرة الخلاف تظهر في نحو : الزيدان أو الزيدون قام » (٣) .

ولما تطرق أبو حيان الى رأي الكسائي في جواز حذف الفاعل (٤) لم يذكر لنا من وافق الكسائي في ذلك من النحاة ولاموقف البصريين من المسألة ، ولا حجتهم في منع ذلك ، ولم يفصح لنا تماما عن رأيه فيه . أما السيوطي فقد بين لنا ذلك وأوضح وجهة نظره حيث قال : « الصحيح وعليه البصريون أنه يجب ذكر الفاعل ولا يجوز حذفه ، وفرقوا بينه وبين خبر المبتدأ بأنه كالصلة في عدم تأثره بعامل متلوه ، وكالمضاف اليه فانه معتمد

---

(١) الارتشاف حـ١ ق ١٨٨

(٢) صدر بيت وعجزه : (أجندلا يحملن أم حديدا) ، وهو للزباء ، انظر الدرر اللوامع حـ١ ص١٤١ ، وأوضح المسالك ص٥٥

(٣) همع الهوامع حـ١ ص١٥٩

(٤) الارتشاف ق ١٨٩

البيان ، وكعجز المركب في الامتزاج بمتلوه ولزوم تأخره ، والخبر مباين للثلاثة ، وهو معتمد الفائدة ، لا معتمد البيان ، وبأن من الفاعل ما يستتر فلو حذف لا لتبس الحذف بالاستتار بخلاف الخبر ، وذهب الكسائي الى جواز حذف الفاعل لدليل كالمبتدأ والخبر ، ورجحه السهيلي وابن مضاء » (١) .

وهناك مسائل أخرى كثيرة أوردها السيوطي في باب الفاعل ، وليس لها اي أثر في (الارتشاف) منها جواز جر الفاعل بحرف جر زائد نحو قوله تعالى (ما يأتيهم من ذكر) (٢) والمحل رفع ويجوز الاتباع بالرفع والجر ، مراعاة للمحل واللفظ (٣) ومنها منازعة أبي العباس بن الحاج (٤) للنحاة في تجويزه تقدم المفعول على الفاعل وان عدم أمن اللبس ، واحتج بأن « سيبويه لم يذكر في كتابه شيئا من هذه الأغراض الواهية ، وبأن في العربية احكاما كثيرة اذا حدثت ظهر منها لبس ثم لا يقال بامتناعة كتصغير عمر وعمرو ، فان اللفظ بهما واحد ولم يمنع ذلك تصغيرهما أو تصغير احدهما ، مع أن

---

(١) همع الهوامع حـ١ ص١٥٩ ١٦٠

(٢) سورة الشعراء آية رقم (٥)

(٣) همع الهوامع حـ١ ص١٦٠

(٤) ابن الحاج : هو ابو العباس احمد بن محمد بن الحاج الاشبيلي الازدي من نحاة الاندلسي المعدودين ومن معاصري ابن عصفور ، مات سنة ٦٤٧هـ ، وقيل سنة ٦٥١هـ ، انظر البغية حـ١ ص٣٥٩ - ٣٦٠

من المقاصد المعروفة بين العقلاء اجمال ما يتخاطبون به لما لهم في ذلك من غرض ، فلا يبعد لذلك جواز ضرب موسى عيسى ، لافادة ضرب احدهما الآخر من غير تعيينه » (١) .

ومنها كذلك تجويز الكسائي تقديم المحصور بالا خلافا للمحصور بانما وذلك لأمن اللبس (٢) في الأول وعدم أمنه في الثاني ، نحو:

فما زاد الاضعف ما بي كلامها (٣)

ونقل عن الفراء وابن الانباري جواز تأخير الفاعل ان حصر المفعول ، كما في البيت السابق ، ومنع تقديم الفاعل ان حصر هو ، نحو قولهم : ما اكرم زيدا الا عمرو ، لان الفاعل اذا تأخر كان في نية التقديم وليس المفعول كذلك (٤) .

ولم أجد أي أثر لهذه الموضوعات في كتاب « الارتشاف » لا في باب الفعل ، ولا في باب المفعول .

---

(١) همع الهوامع حـ١ ص١٦١

(٢) همع الهوامع حـ١ ص١٦١

(٣) عجز بيت لمجنون ليلى ، وصدره :

تزودت من ليلى بتكليم ساعة

انظر الدرر اللوامع حـ١ ص١٤٣

(٣)

منهج السيوطي في الهمع

ان ابرز ما امتاز به السيوطي هو النقل ، فقد اشتهر من بين النحاة المتأخرين بأنه قضى عمره في جمع المعلومات وتصنيفها وتحريرها ، حتى قيل عنه انه مجرد (حاطب ليل) ، (١) لا يعنى بشيء قدر عنايته بالجمع ، ومما يقوى هذا ويعضده ان مؤلفاته قد امتلأت بالآراء المتشعبة والنقولات المختلفة ، لا في النحو فقط ، بل في سائر الفنون التي مارس فيها الكتابة .

ولكن صاحبنا لم يكن وحده هو الذي اعتمد على النقل فقد كان ذلك ديدن جميع النحاة المتأخرين حيث دأبوا على الأخذ من كتب سابقيهم ، فعجت مؤلفاتهم بعبارات المتقدمين من أمثال الخليل وسيبويه والأخفش والكسائي والفراء والمبرد وثعلب وابن السراج وأبي علي الفارسي وابن جني والسيرافي ، وغيرهم .

ولعل أهم سبب جعل المتأخرين يعتمدون على النقل هو ان المتقدمين استوفوا — الى حد كبير — استقراء العربية ، وتتبع أحكامها ، وتدوين قواعدها ، سواء أكان ذلك عن طريق مشافهة

---

(١) النور السافر ص١٢٤ وانظر المجددون في الاسلام ص٢٣٥

أهل اللغة ، أم عن طريق استقراء دواوين الشعر وكتب النوادر واللغة فلم يبقوا لمن جاء بعدهم شيئاً ذا بال ، لذلك كان انصراف المتأخرين الى النقل من كتب الذين سبقوهم أمرا منطقيا بحكم تأخرهم .

وربما كان السيوطي أكثر المتأخرين افادة من كتب سابقيه، فقد انكب عليها ينقل منها النصوص الوافرة ، التي اتخذها مادة كتبه ، حتى صار النقل سمة لازمة له ، مقترنة به . فمتى ذكر اسم السيوطي تبادر الى الذهن مدى فعاليته ونشاطه الجم في هذا الضرب من الأعمال الكتابيه ، وهذا أمر لا مرية فيه ، وسبق لي ان أكدت على هذه الحقيقة في الفصول السابقة ، ولكن هذا لا يعني مطلقا أنه كان مجرد ناقل ، لا شغل له الا جمع الآراء من هنا وهناك ، وتصنيفها وتبويبها ونشرها مرة اخرى تحت اسم مؤلف جديد ، يضاف الى قائمة التصانيف العربية .

لقد تبين لي نتيجة البحث والاستقراء أن له آراء خاصة به كان يلقيها اثناء كتاباته ونقولاته ، وان له منهجا معينا رسمه لنفسه ، وهذا النهج لا يختلف في شيء كثير عن مسلك النحاة المتأخرين ، القائم على الاختيار والانتخاب ، مع الميل الظاهر للبصريين في الاصول العامة ، فقد وقف من السماع والقياس والاحتجاج مثل موقفهم ، ورجح مذهبهم على مذهب الكوفيين في ذلك ، ولكنه في المسائل الفرعية كان يختار وينتخب الرأي الذي صح عنده دليله ، فقد يوافق البصريين في مسألة ما ويخالفهم في أخرى ، ويأخذ برأي

الكوفيين أو البغداديين في موضع ، ثم يخالفهم في موضع آخر ، ووقف الموقف نفسه من جميع النحاة المتقدمين والمتأخرين فكان يمايز بين آرائهم المختلفة فيختار منها ما يرجحه ويقتنع به .

وسنعرض فيما يأتي من الكلام أمثلة تطبيقية لمواقفه من جميع القضايا النحوية ، مما وقفنا عليه في كتابه (همع الهوامع) :

السماع والقياس

يشترط السيوطي في المسموع شروطا تشبه الى حد كبير شروط البصريين ، فهو لا يعتد بالقليل ، ولا النادر ، ولا الشاذ ، ولا يأخذ الا بكلام العرب العرباء ، وهي قبائل عربية معينة ، التزم البصريون بالأخذ عن لغاتها ، وبناء قواعد العربية على كلامها .

وان الباحث ليلمح مدى اعتداد السيوطي بالسماع والتقيد به ، وعدم الخروج على المألوف والشائع والكثير من كلام العرب ، وذلك واضح في احتجاجه ، أو في رفضه لكثير من آراء سابقيه ، لأنها مخالفة للمسموع الكثير ، او لأنها لا سند لها في المحفوظ من كلام العرب .

وأما موقفه من القياس فيشبه أيضا موقف البصريين ، فهو لا يقيس على القليل ولا النادر ولا الشاذ ، وانما يقيس على الكثير الشائع من كلام العرب الموثوق بعربيتهم ، لذلك نجده يرفض كثيرا من قياسات النحاة لأنها جاءت قياسا على القليل ، أو النادر ، أو الشاذ .

وكتاب (الهمع) زاخر بالأمثلة التي توضح موقفه من السماع والقياس من الناحية التطبيقية ، واليك جملة من هذه الأمثلة :

١ - أي الموصولة :

أنكر ثعلب (١) مجيء (أي) موصولة ، وقال : لا تكون الا استفهاما أو جزاء ، فرد السيوطي عليه زعمه هذا ، فقال : « وهو محجوج بثبوت ذلك في لسان العرب ، بنقل الثقات » (٢) .

ومما مثل به على مجيء (أي) موصولة قوله تعالى : « ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا » ، (٣) وقول الشاعر :

اذا ما لقيت بني مالك فسلم على أيهم أفضل (٤)

٢ - دخول (الفاء) الرابطة في خبر الاسم الموصول المتضمن معنى الشرط :

أجاز الجمهور دخول (الفاء) الرابطة في خبر الاسم الموصول

---

(١) ثعلب : هو ابو العباس احمد بن يحيى، امام الكوفيين في النحو مات سنة ٢٩١ هـ .

(٢) همع الهوامع حـ١ ص٨٤ ، وانظر التسهيل ص٨٥ ، وشرح الألفية لابن عقيل حـ١ ص٩٥ والمقتضب حـ١ ص١٩، وحـ٣ ص٢٩٠ ، ٢٩١

(٣) سورة مريم آية رقم (٦٩)

(٤) نسبه الشنقيطي لغسان بن وعلة ، انظر الدرر اللوامع حـ١ ص٦٠

اذا كانت جملة الصلة فعلية تصلح للشرطية ، ولكن ابن عصفور (١) حكى جواز ذلك حتى مع الجملة الفعلية التي لا يجوز ان تكون شرطا مثل الجملة المنفية بـ (ما) ، ومثل له بقولهم : (الذي ما يأتيني فله درهم) .

فرد السيوطي ذلك لانه : « غير محفوظ من كلام العرب ، واذا لم يسمع من كلامها أمكن ان تكون امتنعت من اجازة ذلك ، لما ذكر من ان الصلة اذ ذاك لا تشبه فعل الشرط » (٢) .

٣ – دخول النواسخ على الاسم الموصول المتضمن معنى الشرط :

اجاز الجمهور – عدا الأخفش – دخول النواسخ على الاسم الموصول المتضمن معنى الشرط ، على ان يمنع دخول (الفاء) الرابطة في الخبر ، الا اذا كان الناسخ (ان أو أن ، أو لكن) فيجوز ابقاء (الفاء) (٣) .

وخالف بعض النحاة الجمهور فمنعوا بقاء (الفاء) حتى مع (ان ، وان ، ولكن) ، فرد عليهم السيوطي ذلك ، واحتج بأن

---

(١) ابن عصفور : هو ابو الحسن علي بن مؤمن . التوفى سنة ٦٦٣هـ ، وقيل ٦٦٩ هـ

(٢) همع الهوامع حـ١ ص١٠٩

(٣) همع الهوامع حـ١ ص١١٠

السماع ورد (١) ببقاء (الفاء) ، منه قوله تعالى : (ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم) (٢) ، وقوله تعالى : (واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه) ،(٣) وقول الشاعر :

فوالله ما فارقتكم قاليا لكم ولكن ما يقضي فسوف يكون (٤)

٤ – جواز الاخبار بجملتي القسم والطلب :

منع ثعلب الاخبار بجملة القسم ، فرد عليه السيوطي ذلك ، واحتج بأن السماع ورد به ، (٥) ومنه قوله تعالى : « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا » (٦) ، وقوله : « والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين » (٧) .

ومنع ابن الانباري الاخبار بجملة الطلب لأنها لا تحتمل الصدق والكذب ، والخبر حقه ذلك ، قال السيوطي : « ورد بأن المفرد

---

(١) همع الهوامع حـ١ ص١١٠ ، وانظر التسهيل ص٥١

(٢) سورة البروج آية رقم (١٠)

(٣) سورة الانفال آية رقم (٤١)

(٤) نسبه الشنقيطي للأفواه الأودي ، انظر الدرر اللوامع حـ١ص٨٠

(٥) همع الهوامع حـ١ ص٩٦ ، وانظر التسهيل ص٤٨

(٦) سورة العنكبوت آية رقم (٦٩)

(٧) سورة العنكبوت آية رقم (٩)

يقع خبرا اجماعا ، ولا يحتمل ذلك ، وبالمساع ، قال :

قلب من عيل صبره كيف يسلو   صاليا نار لوعة وغرام » (١)

٥ ـ دلالة كان الناقصة على الحدث :

منع المبرد وابن السراج والفارسي وابن جني والشلوبين وغيرهم دلالة (كان) على الحدث (٢) .

وذهب ابن خروف وابن عصفور الى أنها مشتقة من أحداث لم ينطق بها .

فرد السيوطي عليهم جميعا بأن السماع قد ورد بدلالتها على الحدث ، (٣) ومنه قول الشاعر :

ببذل وحلم ساد في قومه الفتى   وكونك اياه عليك يسير (٤)

قال السيوطي « وحكى أبو زيد مصدر فتىء ، وحكى غيره (ظللت أفعل كذا ظلولا ، وبت افعل كذا بيتوتة) ، ومن كلام العرب : (كونك مطيعا مع الفقر خير من كونك عاصياً مع

---

(١) همع الهوامع حـ١ ص ٩٦ ، والبيت نسبه الشنقيطي لرجل من طيء ، وانظر الدرر اللوامع حـ١ ص٧٣

(٢) همع الهوامع حـ١ ص١١٣/١١٤ ، وانظر المقتضب حـ٣ ص٣٣ ، والموجز لابن السراج ص٣٠

(٣) همع الهوامع حـ١ ص١١٤ ، وانظر التسهيل ص٥٢/٥٣

(٤) قال الشنقيطي : « لم اعثر على قائله » انظر الدرر اللوامع حـ١ ص٨٤

الغنى) (٣) .

وللنحاة في (كان) مذهبان ، مذهب يقول : انها لا تدل على الحدث ولذلك سميت ناقصة ، وهو رأي المبرد ، ومن وافقه ممن ذكرناهم ، فقد قال في المقتضب : « وكما أن (كان) في وزن الفعل وتصرفه ليست فعلا على الحقيقة ، تقول : ضرب زيد عمرا فتخبر بأن فعلا وصل من زيد الى عمر ، فاذا قلت : كان زيدا أخاك ، لم تخبر أن زيدا أوصل الى الأخ شيئا ، ولكن زعمت : ان زيدا أخوه فيما خلا من الدهر » (٤) .

والمذهب الثاني وعليه الجمهور واختاره السيوطي ، وهو أنها تدل على الحدث ، وسميت ناقصة لعدم اكتفائها بالمرفوع ، قال ابن مالك في التسهيل : « وتسمى نواقص لعدم اكتفائها بالمرفوع ، لا لأنها تدل على زمن دون حدث ، فالأصح دلالتها عليهما الا ليس » (٥) .

والراجح دلالتها على الحدث لما ذكره السيوطي من شواهد ، ولأن النحاة اتفقوا على فعليتها : قال ابن عقيل في شرح الألفية : « وكلها أفعال اتفاقا ، الا (ليس) ، فذهب الجمهور الى انها فعل، وذهب الفارسي – في أحد قوليه ... الى أنها حرف » (١) فلو لم تكن دالة على الحدث كدلالتها على الزمان لما اطلقوا عليها أفعالاً ،

---

(١) همع الهوامع حـ١ ص١١٤

(٢) المقتضب حـ٣ ص٣٣ ، وانظر ص٩٧

(٣) التسهيل ص٥٢/٥٣

(٤) شرح ابن عقيل على الألفية حـ١ ص١٥٦

والفعل في عرف الجميع لا ينفك من الدلالة على الحدث . وإلا لما جاز تسميتها افعالاً .

٦ ـ دخول (الا) على خبر (ما زال) واخواتها :

منع السيوطي دخول (الا) على خبر (ما زال) وأخواتها ، لأن نفي هذه الافعال إيجاب ، فقولك (ما زال زيد عالما) فيه اثبات العلم لزيد ، كقولك (كان زيد عالما) ، وهذا لا يدخل عليه (الا) ، فكذلك (ما زال) واخواتها ، قال السيوطي : « وأما قول ذي الرمة : (٢)

حراجيج لا تنفك الا مناخة على الخسف أو ترمى بها بلدا قفرا

فقيل خطأ منه ، ولهذا لم يحتج الاصمعي (٣) بشعره ، لكثرة ملازمته الحاضرة ، ففسد كلامه ، وقيل مؤول على زيادة (الا) أو تمام ينفك ، ومناخة حال » (٤) .

والصحيح ان (الا) لا تأتي قبل خبر أفعال الاستمرار (ما

---

(١) ذو الرمة : هو الشاعر المشهور ، واسمه غيلان بن عقبة العدوي المتوفى سنة ١١٧هـ .

(٢) الأصمعي : هو عبد الملك بن قريب ، احد ائمة اللغة والغريب والنوادر ، مات سنة ٢١٦ وقيل ٢١٥هـ ، انظر بغية الوعاة حـ٢ ص١١٢/٣ ١

(٣) همع الهوامع حـ١ ص١٢٠

زال) وأخواتها ، كما ذهب اليه السيوطي ، قال ابن مالك في التسهيل : « يقترن بـ (الا) الخبر المنفى ان قصد إيجابه ، وكان قابلا ، ولا يفعل ذلك بخبر (برح) واخواتها ، لأن نفيها ايجاب ، وما ورد منه بـ (الا) مؤول » (١) .

ولكن ذا الرمة لم يخطأ ، وما حكاه الاصمعي عنه ووافقه فيه السيوطي غير صحيح ، فذو الرمة شاعر فصيح ، وعربي قح ، أجمع الجمهور على الاحتجاج بشعره ، وقد استشهد سيبويه (٢) به كثيرا ، واما بيته السابق ، فهو مؤول على زيادة (الا) أو على أن (لا تنفك) تامة بمعنى (ما تنفصل عن التعب) أو (ما تخلص منه) ، فنفيها نفي حقيقي و (مناخة) حال (٣) .

٧ - مجيء كان زائدة :

سمع زيادة (كان بلفظ الماضي بين شيئين متلازمين ، وقاس النحاة زيادتها بين (ما) و (فعل التعجب) ، قال ابن مالك في الألفية :

قد تزداد كان في حشو كما   كان أصح علم من تقدما (٤)

---

(١) التسهيل ص٥٤

(٢) الكتاب حـ١ ص٢١٢/٢٥٠/٢٧٦/٣٠٨/٣٧٠

(٣) الدرر اللوامع حـ١ ص٨٨

(٤) شرح ابن عقيل على الألفية حـ١ ص١٦٨ ، وانظر المقتضب حـ٤ ص١١٦/١١٧ ، والتسهيل ص٥٥

ولكن الفراء أجاز زيادتها بلفظ المضارع ، كقوله :

أنت تكون ماجد نبيل   اذ تهب شمأل بليل (١)

وجوز الفراء ايضا زيادتها في آخر الكلام ، نحو : (زيد قائم كان) قياسا على الغاء (ظن) في آخر الكلام .

فعارضه السيوطى فقال : « ورد بعدم سماعه ، والزيادة خلاف الأصل ، فلا تستباح في غير مواضعها المعتادة » (٢) .

واجاز الفراء كذلك زيادة سائر الافعال الناقصة ، وكل فعل لازم اذا لم ينقص المعنى ، واستدل على ذلك بأن العرب قد زادت الأفعال في نحو قوله :

فاليوم قد بت تهجونا وتشتمنا   واذهب فما بك والأيام من عجب (٣)

فحمل (فاذهب) على الزيادة ، لأنه « لم يرد ان يأمره بالذهاب » قال السيوطي : « والصحيح أن ذلك كله لا يجوز لاحتمال التأويل وما لا يحتمله من ذلك من القلة بحيث لا يقاس عليه » (٤) .

---

(١) البيت لفاطمة بنت أسد ترقص ابنها (عقيل بن أبي طالب) انظر الدرر اللوامع حـ١ ص٨٩

(٢) همع الهوامع حـ١ ص ١٢

(٣) البيت من شواهد الكتاب التي لم يعرف قائلها،انظر الكتاب حـ١ ص٢٦٢ ، ونشأة النحو ص٧٥ ، والانصاف حـ٢ ص٢٤٧ ، والدرر واللوامع حـ١ ص٩٠

(٤) همع الهوامع حـ١ ص١٢٠

٨ – اعمال (ليتما) و (لعلما) :

ذهب الفراء الى وجوب اعمال (ليت) و (لعل) اذا اتصلت بهما (ما) الكافة ، ولم يجوز الالغاء فيهما ، قال السيوطى : « وعندي جواز الوجهين في (ليت) و (إن) قصرا على السماع، وتعيين الالغاء في البواقي لعدم سماع الاعمال فيها » (١) .

وما ذهب اليه الفراء في عدم جواز الغاء (ليتما) مخالف لما عليه الجمهور ، حيث اجازوا الوجهين ، (٢) واستشهدوا لذلك بقول النابغة :

قالت الا ليتما هذا الحمام لنا الى حمامتنا ونصفه فقد (٣)

فقد روى برفع ونصب (الحمام) .

وأما (انما) فالجمهور على الغائها ، ولكن الكسائي والأخفش حكيا الاعمال في نحو (انما زيد قائم) (٤) ، وبناء على هذه الحكاية أجاز السيوطي اعمالها .

واعتقد أن السيوطي كان مصيبا فيما ذهب اليه من جواز

---

(١) همع الهوامع حـ١ ص١٤٤

(٢) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك حـ١ ص٢١٦

(٣) همع الهوامع حـ١ ص١٤٣ ، وانظر مغنى اللبيب حـ١ ص٣١٦ ، والدرر اللوامع حـ١ ص١٢١

(٤) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك حـ١ ص٢١٦ ، وانظر همع الهوامع حـ١ ص١٤٤

الاعمال والالغاء في (ليتما) و (انما) لأن السماع قد ورد بذلك ، خلافا لبقية حروف الباب حيث لم يرد في اعمالها سماع ، قال ابن مالك في التسهيل : « وتلي (ما) ليت فتعمل وتهمل ، وقل الاعمال في (انما) ، وعدم سماعه في (كأنما) و (لعلما) و (لكنما) » (٥) .

٩ — مجيء الحال جامدة لدلالتها على المفاعلة :

الأصل في الحال ان تكون مشتقة ، ولكن ورد مجيئها جامدة في أحوال منها أن تكون دالة على (المفاعلة) مثل (كلمته فاه الى في) أي مشافهة ، و (بعته يداً بيد) أي مناجزه ، (ورأساً برأس) أي مماثلة (١) .

وقد منع السيوطي القياس في هذا الباب ، فقال : « ولا يقاس على هذا التركيب ، بل يقتصر فيه على ما ورد في السماع،فلا يقال : كلمته وجهه الى وجهي ، ولا عينه الى عيني » (٢) .

ولكن هشاماً الكوفي (٣) صحح القياس في هذا الباب ، فأجاز

---

(١) التسهيل ص٦٥

(٢) همع الهوامع حـ١ ص٢٣٧ ، وانظر الكتاب حـ١ ص١٩٥/١٩٦ ، والمقتضب حـ٣ ص٢٣٦

(٣) همع الهوامع حـ١ ص٢٣٧ ، وانظر التسهيل ص١٠٨

(٤) هو هشام بن معاوية الضرير الكوفي من اصحاب الكسائي توفى سنة ٢٠٩هـ ، البغية حـ٢ ص٣٢٨

(ماشيته قدمه الى قدمي ، وكافحته وجهه الى وجهي وصارعته جبهته على جبهتي وجاورته بيته الى بيتي وناضلته قوسه عن قوسي) ، فمنع ذلك السيوطي ، وقال : « ورد بأن فيه ايقاع جامد موقع مشتق ومعرفة موقع نكرة ومركب موضع مفرد ، وبأقل من هذا الشذوذ يمتنع القياس » (١) .

وما ذهب اليه السيوطي هو مذهب الجمهور ، وهو الصحيح ، لأن جواز مثل (كلمته فاه الى في) في باب الحال لا يخلو من مخالفة قياس بابه ، لذلك لا يسوغ القياس عليه ، بل يلتزم فيه على ما سمع فقط (٢) .

١٠ – حذف الجار وبقاء عمله :

قال السيوطي : « لا يحذف الجار ويبقى عمله اختيارا ، وان وقع فضرورة ، كقوله :

اذا قيل أي الناس شر قبيلة ... أشارت كليب بالأكف الأصابع (٣)

وقوله :

وكريمة من آل قيس ألفته ... حتى تبذخ فارتقى الأعلام (٤)

---

(١) همع الهوامع حـ١ ص٢٣٧

(٢) التسهيل ص١٠٨

(٣) البيت من قصيدة للفرزدق يهجو بها جريراً وقومه ، انظر الدرر اللوامع حـ١ ص٣٧ ، مغني اللبيب حـ١ ص٣

(٤) البيت لا يعرف قائله ، انظر الدرر اللوامع حـ٢ ص٣٨

أي الى كليب ، وفي الأعلام . أو نادر لا يقاس عليه ، كحديث البخاري : (صلاة الرجل في جماعة مضعف على صلاته في بيته وسوقه خمسة وعشرين ضعفا) ، أي بخمسة » (١) .

واعتقد أن في هذه المسائل العشر التي ذكرناها آنفا ما يكفي للدلالة على وجهة نظر السيوطي في السماع والقياس ، وأنه كان — كما قلنا — لا يعتد بالقليل والنادر والشاذ ، وانما يحتكم الى الكثير والشائع من كلام العرب .

العلل :

عنى السيوطي بالعلة النحوية ، عناية فائقة ، فبحثها بحثا مفصلا في كتابه (الاقتراح) ، (٢) وقد بينا ذلك تبيانا وافيا عند دراستنا لذلك الكتاب القيم ، ونريد هنا ان نتتبع تعليلاته للأحكام النحوية الفرعية في كتابه (همع الهوامع) ، مؤكدين على مدى اهتمامه بالتعليل ، ولا نبالغ اذا قلنا : انه كان يحاول دائما أن يجد لكل حكم نحوي علة . وتبدا هذه التعاليل ببداية مباحث الكتاب ، فقد علل اختصاص النداء بالاسماء فقال : « وانما اختص به لأن

---

(١) همع الهوامع جـ٢ ص٣٦ ، وانظر شرح المفصل جـ٨ ص٥٢/٥٣ ، وشرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك جـ٣ ص٢٨/٢٩ ، والانصاف جـ١ ص٢١٦/٢٢٠ ، وسر صناعة الاعراب ص١٤٩

(٢) انظر الاقتراح ص٤٦

المنادى مفعول به في المعنى أو في اللفـظ ، (١) ... . والمفعولية لا تليق بغير الاسم . فأن اورد على ذلك نحو قوله تعالى : (يـا ليت قومي يعلمون) ، (٢) ، (يا ليتنا نرد) (٣) ، (ألا يـــا اسجدوا) (٤) ، وحديث البخاري : (يـا رب كاسية في الدنيا عارية يوم القيامة) ، حيث دخل فيه (يا) على (ليت) و (رب) وهما حرفان . وعلى (اسجدوا) وهو فعل ، فالجواب : ان (يـا) في ذلك ونحوه للتنبيه لا للنداء ، وحرف التنبيه يدخل على غـير الاسم ، وقيل للنداء والمنادى محذوف ، أي : يا قوم » (٥) .

وقال في تعليل اختصاص الاسم بالجر : « وانما اختص به لأنه

---

(١) قال سيبويه في ناصب المنادى « ومما ينتصب في غير الأمر والنهي على الفعل المتروك اظهاره قولك : يا عبدالله ، والنداء كله ... حذفوا الفعل لكثرة استعمالهم هذا في الكلام وصار يا بدلا من اللفظ بالفعل كأنه قال : يا اريد عبدالله ، انظر الكتاب حـ١ ص١٤٧ ، وقال المبرد : « اعلم انك اذا دعوت مضافا نصبته على الفعل المتروك اظهاره وذلك قولك : يا عبدالله ، لان (يا) بدل من قولك ادعو عبدالله ، واريد ، انظـر المقتضب حـ١ ص٢٠٢ ، والهمع حـ١ ص١٧١

(٢) سورة يس آية رقم (٢٦)

(٣) سورة الانعام آية رقم (٢٧)

(٤) سورة النحل آية رقم (٣٥)

(٥) همع الهوامع حـ١ ص٥

انما دخل الكلام ليعدى الى الاسماء معنى الأفعال التي لا تتعدى بنفسها اليها لأقتضائها معنى ذلك الحرف، فامتنع دخولها الا على اسم بعد فعل لفظاً او تقديراً واذا امتنع دخول عامل الجر على كلمة امتنع الجر الذي هو أثره ، فان أورد على هذا نحو قول الشاعر :

والله ما ليلى بنام صاحبه ولا مخالط الليان جانبه (٢)

حيث أدخل الباء على (نام) وهو فعل باتفاق ، فالجواب انه على حذف الموصوف ، أي : بليل نام صاحبه » (٣) .

وعلل اعراب الاسماء فقال : « مذهب البصريين ان الاعراب أصل في الاسماء فرع في الأفعال ، لأن الاسم يقبل بصيغة واحدة معاني مختلفة وهي الفاعلية والمفعولية والاضافة ، فلولا الاعراب ما علمت هذه المعاني من الصيغة ، وذلك نحو : ما احسن زيدا ، بالنصب في التعجب ، وبالرفع في النفي ، وبالجر في الاستفهام ، فلولا الاعراب لوقع اللبس ، بخلاف الفعل فان الالباس فيه لا يعرض لاختلاف صيغه باختلاف المعاني » (٤) .

ولما عرض لبناء الفعل عند اسناده لضمائر الرفع المتحركة قال :
« اذا اسند الفعل الى (التاء) و (النون) و (نا) سكن آخره كضربت ، وضربن ، ويضربن ، واضربن ، وعلة الاسكان عند الاكثر

---

(١) البيت لا يعلم قائله ، انظر الدرر اللوامع حـ١ ص٤/٣

(٢) همع الهوامع حـ١ ص٦ ، وانظر سر صناعة الاعراب لابن جني ص١٣٩ـــ١٤٦

(٣) همع الهوامع حـ١ ص١٥

كراهة توالى اربع حركات فيما هو كالكلمة الواحدة ، لان الفاعل كجزء من فعله ، (١) ثم حمل المضارع على الماضي ، واما الامر فيسكن استصحابا ، وضعف ابن مالك هذه العلة بأنها قاصرة ، اذ لا يوجد التوالي الا في الثلاثى الصحيح وبعض الخماسي نحو انطلق ... وانما سببه تمييز الفاعل من المفعول في نحو : (أكرمنا ، واكرمنا) ، ثم حملت (التاء) و (النون) على (نا) للمساواة، في الرفع والاتصال وعدم الاعتلال » (٢) .

ولما عرض لعلة بناء العلم الذي على وزن (فعال) عند الحجازيين (٣) قال : « اما الحجازيون فان باب حذام عندهم مبني على الكسر اجراء له مجرى (فعال) الواقع موقع الامر كنزال ، لشبهه به في الوزن والعدل والتعريف ، وقيل لتضمنه معنى الحرف ، وهو علامة التأنيث في المعدول عنه » ، (٤) ونقل لنا عن المبرد تعليلا آخر لبناء (حذام) وبابه ، فقد فسره المبرد بأنه « لتوالى علل منع الصرف عليه » ، (٥) وقول المبرد هذا مردود ، فقد نقل السيوطي عن ابن جني فى الخصائص أنه قال : « ذهب بعضهم

---

(١) الكتاب حـ١ ص٣٩٠

(٢) همع الهوامع حـ١ ص٥٧

(٣) اما بنو تميم فيعربونه اعراب الممنوع من الصرف ، انظر همع الهوامع حـ١ ص٥٧ ، والكتاب حـ٢ ص٤٠

(٤) همع الهوامع حـ٢ ص٥٧

(٥) همع الهوامع حـ١ ص٥٧ ، جـ٢ ص٣٧٤

(يعني المبرد) الى أنه اذا انضم الى سببين من أسباب منع الصرف ثالث امتنع الاسم من الاعراب أصلا ، لأنه ليس بعد منع الصرف الا ترك الاعراب ، ومثل لذلك بحذام وقطام وبابه ، فان ثم العلمية والتأنيث والعدل عن حازمة وقاطمة ، قال (اي ابن جني) ، وما ذكره فاسد لان سبب البناء في الاسم ليس طريقه طريق حديث الصرف وتركه ، انما سببه مشابهة الاسم للحرف لا غير ، وقوله : ليس بعد منع الصرف الا ترك الاعراب ممنوع ، وتمثيله بباب حذام مردود ، فان سبب البناء فيه شبه بدراك ونزال ، وقد وجدنا ما اجتمع فيه خمسة اسباب من موانع الصرف ولم يبن ، وذلك اذربيجان فان فيه العلمية والتأنيث والعجمة والتركيب والألف والنون » (١) .

وعلل سبب تسمية النون اللاحقة للفعل عند اتصاله بـ (يـا) المتكلم بـ (نون الوقاية) فقال : « وسميت نون الوقاية لأنها تقي الفعل من الكسر المشبه للجر ، وكذا لم تلحق الوصف نحو : الضاربي ، وأصل اتصالها بالفعل وانما اتصلت بغيره للشبه به ».(٢) ونقل لنا عن ابن مالك تعليلا آخر ، ربما كان اليق من التعليل

(١) همع الهوامع جـ١ ص١٦ وانظر الخصائص جـ١ ص١٧٩/١٨٠ ، وشرح الكافية جـ٢ ص١١٥ وأمالي ابن الشجري جـ٢ ص١١٥ ، والاغراب في جدل الاعراب ص٦٠

(٢) همع الهوامع جـ١ ص٦٤ ، وانظر الكتاب جـ١ ص٣٨٦ ،والمقتضب جـ١ ص٢٤٨ ، وص٢٦٣

السابق ، فقال : « وقال ابن مالك : بل لانها تقى من التباس أمر المذكر بأمر المؤنث ، لو قيل : اكرمني ، ومن التباس ياء المتكلم بياء المخاطب فيه ، ومن التباس الفعل بالاسم في نحو : ضربي ، اذ الضرب اسم للفعل ، وقد لحق الكسر الفعل في نحو : اكرمى ، ولم يبال به » (١) .

ولما تعرض لاعمال (ما) عمل ليس عند الحجازيين ، واهمالها عند بني تميم قال : « أصل العمل للأفعال بدليل ان كل فعل لا بد له من فاعل الا ما استعمل زائدا نحو : (كان) أو في معنى الحرف نحو : (قلما) او تركب مع غيره نحو : (حبذا) ، (٢) وما عمل من الأسماء فلشبهه بالفعل ، وأما الحرف فتقدم انه ان اختص بما دخل عليه ولم ينزل منزلة الجزء منه عمل فيه (٣) فان لم يختص او اختص ولكن تنزل منزل الجزء منه لم يعمل فيه لأن جزء الشيء لا يعمل في الشيء ، (وما) من قبيل غير المختص ، ولها شبهان احدهما هذا وهو عام فيما لا يعمل من الحروف وراعاه بنو تميم ، فلم يعملوها ، والثاني خاص وهو شبهها بليس في كونها للنفي ، وداخلة على المبتدأ والخبر ، وتخلص المحتمل للحال ، كما ان (ليس) كذلك ، وراعى هذا الشبه اهل الحجاز فاعملوها عملها

---

(١) همع الهوامع جـ١ ص٦٤ ، وانظر حاشية الشيخ ياسين العليمي على التصريح جـ١ ص١١٠

(٢) انظر المقتضب جـ٢ ص١٤٥ ، والتسهيل ص١٢٩

(٣) انظر شرح ابن عقيل على الألفية جـ١ ص١٩ ، ص١٧٥

فرفعوا بها المبتدأ اسماً لها ونصبوا الخبر خبراً لها ، قال تعالى (مـا هذا بشراً) . (١) و (٢) ما هن امهاتهم) » (٣) .

وعلل كسر حرف الجر (اللام) و (الباء) في لغة العرب الشهيرة (٤) فقال : « وانما كسرت هي (يعني الـلام) والباء وان كان الأصل في الحرف الواحد بناؤه على الفتح تخفيفا لموافقة معمولها ... ولئلا تلتبس بلام الابتداء ونحوهـا ، وبقيت (يعني لام الجر) في المضمر على الاصل لانه يتميز ضمير الجر مـن غيره ، ولم يعول في الظاهر على الفرق بالاعراب لعدم اطراده ، اذ قـد يكون مبنيا او موقوفا عليه » (٥) .

---

(١) سورة يوسف آية رقم (٣١)

(٢) سورة المجادلة آية رقم (٢)

(٣) همع الهوامع جا ص١٢٣ ، وانظر الكتاب جا ص٢٨ والمقتضب ج٤ ص١٨٨ ، والخصائص جا ص١٢٥ ، وأمـالي الشجري حـ٢ ص٢٣٨/٢٣٩ ، واسرار العربية ص١٤٣/١٤٥

(٤) قال السيوطي : « مقابل الأشهر ان بعض العرب يفتحها مع الظاهر مطلقا فتقول : المال لزيد » . الهمع ج٢ ص٣٣ وقال ابن مالك في التسهيل : « وفتح اللام مع المضمر لغة غـير خزاعة ، ومع الفعل لغة عكل وبلعنبر » انظر التسهيل ص١٤٥

(٥) همع الهوامع حـ٢ ص٢٣ ، وانظر سر صناعة الاعراب ص١٦٠ وشرح المفصل حـ٨ ص٢٦

ولما بحث العدد تطرق الى علة اثبات التاء فيه مع المعدود المذكر وحذفها مع المؤنث ، فقال : « والنكتة في اثبات التاء في المذكر ان العدد كله مؤنث واصل المؤنث ان يكون بعلامة التأنيث وتركت من المؤنث لقصد الفرق ، ولم يعكس لان المذكر اصل وأسبق فكان بالعلامة احق ، ولانه اخف وابعد عن اجتماع علامتي التأنيث » (٦) .

هذه نبذة يسيرة من التعليلات التي اوردها السيوطي في كتابه (همع الهوامع) ولعل فيها الدلالة الكافية على مدى عنايته بالعلة وحرصه الشديد على تعليل الاحكام النحوية ، وهو في ذلك لا يختلف عن سائر النحاة ، وقد اعتمد في تعليلاته هذه كتب النحاة المتقدمين كما هو واضح من هوامش صفحات البحث .

الشواهد :

لما كان الغرض من الدراسات النحوية التعرف على طريقة العرب في كلامهم وترسم خطاهم في ذلك ، صار لزاما على النحاة ان يهرعوا الى استقراء اللغة العربية استقراء تاما شاملا ، من اجل ان تكون نتائجهم صحيحة ودقيقة . ولقد بذلوا في سبيل ذلك جهودا مضنية ، كانت ثمارها تلك الثروة الضخمة من الشواهد النحوية التي اعتمد عليها الباحثون النحويون واللغويون في وضعهم قواعد العربيــة .

---

(١) همع الهوامع جـ٢ ص١٤٩ ، وانظر شرح المفصل حـ٦ ١٨/١٩

ومما لا مراء فيه أن النحاة الاوائل قد اسهموا في جمع اضخم مجموعة من الشواهد النحوية ، لان عملهم اصلا كان مكرسا لتسقط تلك الشواهد ، سواء أكان ذلك بمشافهة اهلها بالمخالطة او بالرحلة ام بتأمل ما دون من كلامهم في القرآن الكريم ، والسنة النبوية ودواوين شعرهم ونثرهم .

وكلما تقدم الزمن صار مجال التنقيب عن الشاهد النحوي ضيقا لان مصادره غدت محدودة ، حيث بطل الاحتجاج بكلام العرب لفساد سليقتهم ، ولما كان النحاة المتقدمون — والحق يقال — قد استقرؤوا العربية استقراء يوشك ان يكون تاما كان لزاما على متأخري النحاة ان يتلمسوا شواهدهم من كتب المتقدمين اكثر من تلمسهم اياها في مصادرها الاصلية من قرآن وحديث وكلام العرب.

وكان السيوطي — رحمه الله — من اوسع المتأخرين افادة من الكتب النحوية المتقدمة ، لذلك جاء كتابه (همع الهوامع) زاخرا بالشواهد النحوية .

ولعل ابرز سمة في شواهد (الهمع) هي تلك الوفرة ، وذلك الاتساع فما من ضرب من ضروب الشواهد النحوية الا تلفيه متوفرا في هذا الكتاب بكثرة فائقة ، ان دلت على شيء فانما تدل على مدى احاطة السيوطي بكتب النحو واللغة ، تلك الاحاطة التي اهلته ان يحشد في كتابه تلكم المجموعة الضخمة من الشواهد القرآنية والحديثية والشعرية والنثرية .

وربما كان لحافظه السيوطي القوية وسعة اطلاعه على كتب المتقدمين والمتأخرين واشتغالة بالحديث وعلوم القرآن اكبر الاثر في

اتساع شواهد كتابه وتنوعها .

ويتضح لي من خلال دراستي لشواهد (الهمع) ان السيوطي كان كثير الاستدلال بالقراءات القرآنية المختلفة سبعية كانت ام غير سبعية ، وندر ان تخلو مسألة من مسائل كتابه من شاهد قرآني ، وكان كثيرا ما يذكر اسم القارىء الذي يحتج بقراءته ان كانت قراءة لقارىء خاص ، وربما ارسل القراء ارسالا دون ان يفصح لنا عن قارئها ، من ذلك ما اورده عند كلامه على حركة (الشين) في (عشرة و عشر) ، حيث قال : « وشين عشرة في التركيب ساكنه في لغة الحجاز ، قال تعالى : (اثنتا عشرة عينا) (١) وقد تكسر في لغة تميم ، وقرىء به في الآية ، او تفتح رجوعا الى الاصل فيها ، وقرأ به الاعمش ، (٢) اما (عشر) في التركيب فمفتوح الشين والعين ، او تسكن (شين) عشر لتوالي الحركات في كلمة ، وقرىء به في (احد عشر كوكبا) (٣) و (اثنا عشر شهرا) »(٤)

واستشهد على جواز تسكين (هاء) (هـو) و (هي) بعد (الواو) و (الفاء) و (ثم) و (الـلام) بالقراءة السبعية

---

(١) سورة البقرة آية رقم ٦٠ ، وسورة الاعراف آية رقم ١٦٠

(٢) الاعمش : هو سليمان بن مهران الاعمش المتوفى سنة ١٤٨هـ ، انظر طبقات القراء جـ١ ص٣١٥

(٣) سورة يوسف آية رقم (٤)

(٤) سورة التوبة آية رقم (٣٦) ، وانظر همع الهوامع جـ٢ ص١٥٠

(وهو معكم) (١) (فهو وليهم) (٢) (ثم هو يوم القيامة)(٣) (لهى الحيوان) (٤) .

والقراء الذين استشهد بقراءاتهم كثيرون ، فقد استشهد بقراءة نافع (٥) على مجيء (حتى) ابتدائية قبل الجملة الفعلية في قوله تعالى (وزلزلوا حتى يقول الرسول) (٦) برفع (يقول) .

واستشهد على (ضم) (هاء) الضمير الغائب عند الحجازيين مطلقا بقراءة حفص (وما انسانيه) (٧) و (بما عاهد عليه الله) (٨) وبقراءة حمزة (٩) (لاهله امكثوا) (١٠) . واستدل على

---

(١) سورة الحديد آية رقم (٤)

(٢) سورة النحل آية رقم (٦٣)

(٣) سورة القصص آية رقم (٦١)

(٤) سورة العنكبوت آية رقم (٦٤) ، وانظر همع الهوامع جا ص٦١

(٥) نافع هو بن نعيم أحد القراء السبعة ، توفى سنة ١٦٩ هـ

(٦) سورة البقرة آية رقم (٢١٤)، وانظر همع الهوامع ج٢ص ٢٤

(٧) حفص : هو حفص بن سليمان الاسدى الكوفي من كبار القراء مات سنة ١٨٠ هـ انظر طبقات القراء جا ص٢٥٤

(٨) سورة الكهف آية رقم (٦٣)

(٩) سورة الفتح آية رقم (١٠)

(١٠) حمزة : هو حمزة بن حبيب الزيات العجلي قاريء الكوفة واحد القراء السبعة توفى سنة ١٥٦ هـ

أن هذيلا تبدل (حاء) حق (عينا) بقراءة ابن مسعود (١) (ليسجننه عق حين) (٢) فكتب اليه عمر رضي الله عنه : ان الله أنزل القرآن عربيا ، وانزله بلغة قريش ، فلا تقرئهم بلغة هذيل (٣)

واحتج على جواز الفصل بين المضاف والمضاف اليه بقراءة ابن عامر (٤) ، فقال : « لا يفصل بين المتضايفين أى المضاف والمضاف اليه اختيارا ، لأنه من تمامه ومنزل منه منزلة التنوين ، الا بمفعوله وظرفه على الصحيح كقراءة ابن عامر (٥) (قتل اولادهم شركائهم) (٦) وقريء (مخلف وعده رسله) (٧) وحديث البخاري (هل أنتم تاركو لي صاحبي) ... وقيل لا يجوز بهما ، (٨) وعلى المفعول أكثر النحويين ، ورد في الظرفية بأنه يتوسع فيه ، وفي المفعول بثبوته في السبع المتواترة ، وحسنه كون الفاصل فضله ، فانه

---

(١) سورة طه آية رقم (١٠) وانظر همع الهوامع جا ص٥٨ - ٥٩

(٢) ابن مسعود : هو عبدالله بن مسعود ، الصحابي المشهور

(٣) سورة يوسف آية رقم (٣٥) وانظر همع الهوامع ج٢ ص٢٣

(٤) همع الهوامع ج٢ ص٥٢

(٥) ابن عامر ، هو عبدالله بن عامر اليحصبي احد القراء السبعة توفى سنة ١١٨ هـ .

(٦) سورة الأنعام آية رقم ١٣٧

(٧) سورة ابراهيم آية رقم ٤٧

(٨) انظر أوضح المسالك ص١٠٦

يصح بذلك لعدم الاعتداد ، وكونه غير أجنبي من المضاف ، ومقدر التأخير » (٣) .

واما الحديث النبوي فقد أكثر السيوطي من الاستشهاد به كثرة ملحوظة ، واستعان به في الاحتجاج لتصحيح كثير من الآراء النحوية التي عرض لها في كتابه (الهمع) .

ويطالعنا هذا النمط من الشواهد منذ بدء الصفحات الأولى للكتاب ، قال السيوطي في أول مبحث من مباحث (الهمع) : « الكلمة لغة تطلق على الجمل المفيدة ، قال تعالى : (وكلمة الله هي العليا) (٤) ... وما في حديث الصحيحين : (الكلمة الطيبة صدقة) و (افضل كلمة قالها شاعر كلمة لبيد : الا كل شيء ماخلا الله باطل » . (٥) واستشهد في باب علامات الاسم بحديث البخاري (يا رب كاسية في الدنيا عارية يوم القيامة) استشهد به على دخول (يا) على (رب) وهي حرف ، وحديث الصحيحين (لا حول

---

(١) همع الهوامع ج٢ ص٥٢ ، وانظر معاني القرآن ج١ ص٣٥٧ــ٣٥٨

(٢) سورة التوبة آية رقم (٤٠)

(٣) همع الهوامع ج١ ص٣ ، وكلمة لبيد هي صدر بيت له ، وهو بتمامه :

الاكل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل

انظر قصة البيت في الدرر اللوامع ج١ ص٢

ولا قوة الا بالله كنز من كنوز الجنة) استشهد به على الاسناد للجملة اذا قصد لفظها (١) .

وربما استشهد بقول أحد الصحابة من ذلك احتجاجه لمجيء (وا) للنداء قليلا بقول عمر رضي الله عنه ، حيث قال : «والثامن (أي من حروف النداء) (وا) ذكرها ابن عصفور نحو :

وافقعسا وأين مني فقعس (٢)

والجمهور أنها مختصة بالندبة ، لا تستعمل في غيرها ، (٣) وحكى بعضهم أنها تستعمل في غير الندبة قليلا كقول عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) لعمرو بن العاص : واعجبا لك يا ابن العاص » (٤) .

ويلاحظ ان السيوطي في احيان كثيرة ينص على المصدر الذي أخذ عنه الحديث المستشهد به ، فينسبه مثلا الى احد الكتب الصحاح أو الى أي كتاب آخر من كتب الحديث المعتبرة ، والأمثلة كثيرة ، منها استشهاده لبدل (البداء) بحديث الامام احمد ابن حنبل : (ان الرجل ليصلي الصلاة وما كتب له نصفها ثلثها) قال السيوطي

---

(١) همع الهوامع جا ص٥

(٢) هذا صدر بيت قيل لرجل من بني أسد ، وعجزه هو : أإبلي يأخذها كروس ، انظر الدرر اللوامع حا ص١٤٨

(٣) همع الهوامع جا ص١٧٢

(٤) همع الهوامع جا ص١٧٢

« أخبر أنه قد يصليها وما كتب له نصفها ، ثم أضرب عنه وأخبر أنه قد يصليها وما كتب له ثلثها ، وهكذا » (١) .

وربما استشهد بالموضع الواحد بأكثر من حديث واحد ، من ذلك قوله : « وقد تأتي النون (يعني نون النسوة) موضع الواو للمشاكلة كحديث (اللهم رب السموات وما أظللن ورب الأرضين وما اقللن ورب الشياطين وما اضللن) والاصل أضلوا ، وانما عدل عنه لمشاكلة أظللن وأقللن ، كما في (لا دريت ولا تليت) و (مأزورات غير مأجورات) » (٢) .

والسيوطي — على الرغم من اكثاره من الاستشهاد بالحديث — كان متحفظا أشد التحفظ من الاسترسال بالاستشهاد بالحديث ، فقد أعلن في (الهمع) في أكثر من موضع ان الحديث لم يثبت كونه بلفظ الرسول ، وان الرواة قد غيروا فيه ، من ذلك قوله عند كلامه على حرف الجواب (بلى) : « أما وقوعها (أي بلى) بعد الاستفهام المثبت في حديث (أترضون ان تكونوا ربع اهل الجنة ؟ قالوا بلى) فهو إما قليل او من تعبير الرواة كما تقرر في غير ما موضع » (٣) ولما استدل ابن مالك على جواز حذف حرف النداء مع اسم الجنس بحديث (ثوبي حجر) رد عليه السيوطي استدلاله بهذا الحديث فقال : « وأما الحديث فلم يثبت كونه بلفظ الرسول

---

(١) همع الهوامع ج٢ ص١٢٦
(٢) همع الهوامع ج١ ص٥٩
(٣) همع الهوامع ج٢ ص٧٢

صلى الله عليه وسلم ، كما تقرر غير مرة ويؤيده وروده في بعض الطرق بلفظ : يا حجر » (١) .

واما شواهد (الهمع) الشعرية فهي كثيرة ، وقد قمت باحصائها فبلغت (١٨١١) شاهدا ، وهو عدد ضخم ، ولكن كثيرا من هذه الشواهد وردت في شكل شطور ، أو جزء من شطر ، وذلك اعتمادا من المصنف على حفظ اهل زمانه ، وقد تناول العلامة احمد بن الأمين الشنقيطي هذه الشواهد فشرحها شرحا لطيفا ، ونسب ما فات السيوطي نسبته ، واكمل ما ورد منها ناقصا ، وذلك في كتابه الموسوم بـ (الدرر اللوامع على همع الهوامع) .

ومن الامور الهامة التي يجب الوقوف عندها في شواهد (الهمع) هو ان السيوطي أورد ضمنها جملة كبيرة من لغات العرب المختلفة، الشهيرة وغير الشهيرة ، فقد ترددت فيه الاشارة الى لغات الحجازيين والتميميين (٢) وقريش (٣) وقيس (٤) ، وعليا وقيس ، (٥)

---

(١) همع الهوامع جـ١ ص١٧٤ ، وانظر جـ١ ص١٠٥ ، وص٣٠٨

(٢) همع الهوامع جـ١ ص٢٣٩

(٣) همع الهوامع جـ٢ ص٢٣

(٤) همع الهوامع جـ٢ ص٢٠٠

(٥) همع الهوامع جـ١ ص٤٧

وربيعة (١) وكنانة (٢) ، وهذيل ، (٣) وأسد (٤) ، وعقيل ، (٥) واهل اليمن (٦) ، وطيء ، (٧) وأزد شنوءة ، (٨) وخثعم (٩) ، وبني عامر (١٠) ولغات اخرى كثيرة لم ينسبها لقبيلة ما من قبائل العرب من ذلك قوله في باب الممنوع من الصرف : « وزعم قوم ان صرف ما لا ينصرف مطلقا أي في الاختيار لغة لبعض العرب ، حكاها الأخفش ، قال : وكأن هذه لغة الشعراء ، لانهم قد اضطروا اليه في الشعر فجرت ألسنتهم على ذلك في الكلام »(١١) .

واما استشهاد السيوطي بالمنثور من كلام العرب فقد جاء في (الهمع) شيء كثير منه ، ولكنه اذا ما قيس بالأنماط الأخرى من الشواهد فهو قليل ، وربما كان السبب في ذلك ، ان الكتب

---

(١) همع الهوامع ج١ ص٢١٧

(٢) همع الهوامع ج١ ص٢١

(٣) همع الهوامع ج٢ ص٢٣

(٤) همع الهوامع ج١ ص٢٩

(٥) همع الهوامع ج٢ ص٣٣

(٦) همع الهوامع ج١ ٧٩

(٧) همع الهوامع ج١ ١٦٠

(٨) همع الهوامع ج١ ص١٦٠

(٩) همع الهوامع ج١ ص١٩٧

(١٠) همع الهوامع ج١ ص٤٧

(١١) همع الهوامع ج١ ص٣٧ وانظر التسهيل ص٢٢٤

النحوية المتقدمة لم تول المنثور من كلام العرب في مخاطباتهم وامثالهم تلك العناية التي اولتها بقية الأنواع الاخرى من الشواهد ، لذلك جاء هذا النمط من الشواهد في جميع كتب النحو المتأخرة أقل بكثير من الشواهد القرآنية والحديثية والشعرية .

والشواهد النثرية التي أوردها السيوطي في (الهمع) – كما قلنا — كثيرة ، نذكر منها هذه الأمثال التي اوردها في باب التثنية للاحتجاج على جواز تثنية المشترك والمجاز ، وهي قول العرب «القلم أحد اللسانين ، وخفة الظهر احد اليسارين ، والغربة احد السبأين، واللبن احد اللحمين ، والحمية احد الموتين » (١) واحتج على حذف عامل المفعول به سماعا بجملة امثلة فقال : « ويجب الحذف سماعا في الأمثال التي جرت كذلك فلا تغير كقولهم : كل شيء ولا شتيمة حر ، أي أئت ولا ترتكب ، وهذا ولا زعاماتك ، أي هذا هو الحق ولا اتوهم زعماتك ، ... وقولهم : الكلاب على البقر ، باضمار ارسل ، ومعناه خل بين الناس جميعا خيرهم وشرهم واغتنم أنت طريق السلامة فاسلكها ، وقولهم : أحشفا وسوء كيلة ، مثل لمن يظلم الناس من وجهين ، ومعناه : اتعطيني حشفا وتسيء الكيل »(٢).

وقد يورد المثل عن العرب ثم يجري تحقيقا في مدى صحة وروده عنهم ، من ذلك انه اورد قول العرب (زعموا مطية

---

(١) همع الهوامع جا ص٤٣

(٢) همع الهوامع جا ص١٦٨

الكذب) شاهدا على جواز الاسناد الى الجملة الفعلية اذا قصد لفظها وبعد ان اوردة واستدل به عقب عليه بقوله : « (فائدة) قولهم : زعموا مطية الكذب ، لم أقف عليه في شيء من كتب الأمثال ، وذكر بعضهم انه روى : مظنة الكذب ، بالظاء المعجمة والنون ، وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن صفوان بن عمرو الكلاعي قال بئس مطية المسلم زعموا ، انما زعموا مطية الشيطان ، وأخرج ابن سعد في الطبقات من طريق الأعمش عن شريح القاضي قال : زعموا كنية الكذب » (١) .

ويرينا هذا المثال البسيط مدى دقة السيوطي في تحري الحقيقة، وانه لم يكن مجرد ناقل ، وانما كان يعمد في احيان كثيرة الى التحقق من صحة ما ينقله .

هذه هي شواهد السيوطي في (الهمع) ، ولعلنا استطعنا في هذه الالمامة الموجزة ان نبرز قيمتها ، ولا بد لنا من ان ننوه بفضل المصنف لما بذله من جهد مضنٍ حتى استطاع ان يجمع هذا العدد الوافر من الشواهد النحوية المتنوعة .

الحدود النحوية :

اهتم السيوطي — كعادة النحاة ، بايراد الحدود النحوية في كتابه (الهمع) ، وكان في اكثر الأحيان يعمد الى شرح هذه الحدود

---

(١) همع الهوامع ج١ ص٦

شرحا موجزاً ، وقد يورد في الشرح عبارات منطقية اعتدنا ان نرى امثالها مبثوثة في كتب النحو ، مثل الماهية ، والحقيقة ، والمقتضى ، والجنس ، والوحدة ، والاستغراق . (١) وربما تطرق اثناء شرحه الحد الى الموازنة بين حده هو وحد غيره له ، والأمثلة على ذلك كثيرة ، ولنأخذ — مثلا — حد الكلمة ، وهو أول حد يطالعنا في الكتاب ، فقد قال فيه « وقد اختلفت عباراتهم في حد الكلمة اصطلاحا ، واحسن حدودها : قول مفرد مستقل او منوى معه »(٢) وبعد ان اتم هذا الحد اخذ يشرحه ويبين معنى القيود التي أوردها فيه ، فقال : « فخرج بتصدير الحد بالقول غيره من الدوال كالخط والاشارة ، وبالمفرد وهو ما لا يدل جزءه على جزء معناه المركب ، وبالمستقل ابعاض الكلمات الدالة على معنى كحروف المضارعة وياء النسب وتاء التأنيث وألف ضارب فليست بكلمات لعدم استقلالها » . (٣) ثم عرض للموازنة بين حده للكلمة وحد غيره لها ، من ذلك قوله : « ولم أحتج الى ما زاده في التسهيل من قوله : دال بالوضع مخرجا المهمل لتعبيره باللفظ الشامل لذلك وذكري القول الذي يخرجه ، لما سيأتي من أنه الموضوع لمعنى

---

(١) همع الهوامع جا ص٣

(٢) همع الهوامع جا ص٣

(٣) همع الهوامع جا ٣

ولذلك عدلت اليه » (١) .

والحدود النحوية التي اوردها السيوطي في كتابه كثيرة ، فقد حد القول ، والاسم ، والفعل ، والحرف ، والنداء ، والخبر والانشاء والاعراب ، والمعرب ، والبناء ، والصرف ، والتنوين ، والعلم ، والمبتدأ ، والفاعل ، والمفعول به ، وغير ذلك من الحدود النحوية الكثيرة المبثوثة في جميع ابواب الكتاب .

والسيوطي يعتقد أنه ليس بمستطاع حد كل مصطلح نحوي ورد التعبير به في الكتب النحوية ، لأن هناك تعابير يعسر حدها ، من ذلك قوله في حد النكرة والمعرفة : « لما كان كثير من الاحكام الآتية تبنى على التعريف والتنكير وكانا كثيري الدور في ابواب العربية صدر النحاة كتب النحو بذكرهما بعد الاعراب والبناء ، وقد أكثر الناس في حدودهما وليس منها حد سالم ، قال ابن مالك من تعرض لحدهما عجز عن الوصول اليه دون استدراك عليه » (٢) .

وربما استعاض السيوطي في عدة مواضع من حد المصطلح النحوي بحصر الأنواع الواقعة تحته ، قال في باب المضمر : « هذا مبحث المضمر والتعبير به وبالضمير للبصريين ، والكوفيون يقولون الكناية والمكنى ، ولكونه الفاظاً محصورة بالعد استغنينا عن حده كما

---

(١) همع الهوامع حـ١ ص ، وانظر التسهيل ص٣ ، قال ابن مالك في حد الكلمة : « الكلمة لفظ مستقل دال بالوضع تحقيقا أو تقديرا ، أو منوى معه كذلك » .

(٢) همع الهوامع حـ١ ص٥٤ ، وانظر التسهيل ص٢١

هو اللائق بكل معدود » (١) .

وقد يورد أحد الحدود النحوية ويبين أنه غير مرضي عنده ، من ذلك ما ذكره عند حده للمبتدأ حيث قال : « حد النحاة المبتدأ بأنه الاسم المجرد من عامل لفظى غير المزيد ونحوه ، مخبرا عنه ، أو وصفا سابقا رافعا لمنفصل كاف ... وهذا الحد غير مرضي عندي لأمرين ، احدهما ، ان عامل المبتدأ عندي الخبر كما سيأتي اختياري له ، وهو لفظي ، والآخر : انه شامل للفعل المضارع المجرد من ناصب وجازم » (٢) .

وقد يذكر للحد تعبيرين كلاً منهما يصدق عليه لأنه يتناوله من جانب معين ، من ذلك حده للبناء حيث قال : « البناء ضد الاعراب ، فعلى القول بأنه لفظي يحد كما أفصح به في التسهيل بأنه لزوم آخر الكلمة ضربا واحدا لا لشيء احدث ذلك من العوامل ، ولذلك سمي بناء للزومه طريقة واحدة كلزوم البناء موضعه » (٣) .

وعرض عند كلامه عن الحدود لما جرى بين النحاة من خلاف في تعبيراتهم عنها ، من ذلك ما ذكره عند حده (ما لا ينصرف) حيث قال : « واختلف في حده على الاختلاف في تعريف الصرف ، فقيل هو المسلوب منه التنوين ، بناء على ان الصرف ما في الاسم

---

(١) همع الهوامع جـ١ ص٥٦ ، وانظر ما قاله عن اسم الاشارة جـ١ ص٧٦ ، والتوابع جـ١ ص١١٥ والاسم الموصول جـ١ ص٨٢

(٢) همع الهوامع جـ١ ص٩٣

(٣) همع الهوامع جـ١ ص١٥ ، وانظر التسهيل ص١٠

من الصوت أخذا من الصرف وهو الصوت الضعيف ، وقيل هو المسلوب منه التنوين والجر معا ، بناء على ان الصرف هو التصرف في جميع المجاري » . (٢) وقال عند كلامه على العطف بالحروف : « قال أبو حيان : ولكونه بأدوات محصورة لا يحتاج الى حده ، ومن حده كابن مالك بكونه تابعا بأحد حروف العطف لم يصب ، مع ما فيه من الدور ، لتوقف معرفة المعطوف على حرفه ، ومعرفة الحرف على العطف » (٣) .

وقد يمهد السيوطي في (الهمع) لبعض حدوده بأن يورد المعنى اللغوي لما يريد حده ، ثم يعقب ذلك بذكر التعبير الاصطلاحي الخاص بعلم النحو ، قال عند كلامه على الاضافة : « هي في اللغة الامالة ومنه ضافت الشمس للغروب : مالت ، او ضفت ظهري الى الحائط : املت اليه ، وضاف السهم عن الهدف : عدل ، وأضفته الى فلان : ألجأته ، والمضاف في الحرب : المحاط به ، والمضاف : الملزق بالقوم ، وضافه الهم : نزل به ، وتضاف الوادي : تضايق كأنه مال احد جانبيه الى الآخر ، وأضفت من الأمر : أشفقت ، وفي الاصطلاح : نسبة تقييدية بين اسمين توجب لثانيهما الجر »(١) .

---

(١) همع الهوامع جـ١ ص٢٤

(٢) همع الهوامع جـ٣ ص١٢٨ ، وانظر التسهيل ص١٧٤

(٣) همع الهوامع جـ٢ ص٤٥ ، وانظر ما قاله في باب الاعراب جـ١ ص١٣

مسائل الخلاف :

عنى السيوطي عناية فائقة بمسائل الخلاف ، وندر أن يعرض لمسألة من مسائل الكتاب ما لم يورد ما كان للنحاة فيها من خلافات مع ذكر أدلة كل فريق منهم ، والموازنة بينها في أكثر الأحيان ، والأمثلة على ذلك كثيرة ، فقد عج بها الكتاب حتى صارت سمة من أهم سماته ، ولنأخذ على ذلك هذا المثال الذي أورده في باب المبتدأ حيث قال : « اختلف في المرفوعات (أي في أصلها) فقيل المبتدأ والفاعل فرع منه ، وعزي الى سيبويه ، ووجهه أنه مبدوء به في الكلام ، وانه لا يزول عن كونه مبتدأ وان تأخر والفاعل تزول فاعليته اذا تقدم . وأنه عامل معمول والفاعل معمول لا غير ، وقيل الفاعل أصل والمبتدأ فرع عنه ، وعزي للخليل ، ووجهه أن عامله لفظي ، وهو أقوى من عامل المبتدأ المعنوي ، فانه انما رفع للفرق بينه وبين المفعول وليس المبتدأ كذلك ، والأصل في الاعراب ان يكون للفرق بين المعاني ، وقيل كلاهما أصلان ، وليس احدهما محمولا على الآخر ولا فرعا عنه ، واختاره الرضى (١) ، ونقله عن الأخفش وابن السراج ، قال وكذلك التمييز والحال والمستثنى أصول في النصب كالمفعول وليست بمحمولة عليه كما هو

---

(١) شرح الكافية جـ١ ص٧٤

مذهب النحاة ... قال ابو حيان : وهذا الخلاف لا يجدي فائدة»(١) وقد وافق السيوطي الرضي فنص في أول المسألة على أن « المختار وفاقا للرضي كل أصل » (٢) .

ومثال آخر قال في باب (ان) النافية العاملة عمل ليس : « ان النافية أيضا من الحروف التي لا تختص فكان القياس ان لا تعمل ، فلذلك منع اعمالها الفراء وأكثر البصرية والمغاربة وعزي الى سيبويه ، (٣) وأجاز اعمالها الكسائي وأكثر الكوفيين وابن السراج والفارسي وابن جني وابن مالك وصححه أبو حيان لمشاركتها لما في النفي وكونها لنفي الحال وللسماع ، وحكى عن اهل العالية : ان ذلك نافعك ولا ضارك ، وان احد خيرا من احد الا بالعافية ، وسمع الكسائي أعرابيا يقول : انا قائما ، فأنكرها عليه ، وظن انها انّ المشددة وقعت على قائم ، قال: فاستثبته ، فاذا هو يريد : ان أنا قائما ، فترك الهمزة وأدغم على حد (لكنا هو الله ربي) (٤) ، وقرأ سعيد بن جبير : (ان الذين تدعون من دون الله عباداً

---

(١) همع الهوامع جا ص٩٣

(٢) همع الهوامع جا ص٩٣

(٣) انظر شرح المفصل ج٨ ص١١٣ ، وشرح ابن عقيل على الألفية فقد نقل عن ابن مالك انه زعم ان سيبويه يعملها جا ص١٨٢ ، والمغنى جا ص٤٧٥ ، والمقتضب ج٢ ص٣٦٢

(٤) سورة الكهف آية رقم (٣٧)

أمثالكم) ، (١) وقال الشاعر :

ان هو مستوليا على أحد (٢)

وقال :

ان المرء ميتا بانقضاء حياته ولكن بأن يبغى عليه فيخذلا (٣)

وذهب بعضهم الى أنها اذا دخلت على الاسم فلا بد ان يكون بعدها الا نحو : (ان الكافرون الا في غرور) ويرده ما تقدم »(٤)

ولما كان الخلاف الذي جرى بين البصريين والكوفيين يمثل جانبا هاما من جوانب الدراسات النحوية لذلك سأعرض لبعض تلك المسائل التي اوردها السيوطي في (الهمع) مما وقع له فيها رأى أو تعليق ، ولا يفوتني أن اشير هنا الى ما قلته سابقا ان السيوطي في الأصول النحوية العامة كان يرجح مذهب البصريين ، ولكنه في المسائل الفرعية كان يختار الرأي الذي يترجح عنده دليله ، واليك هذه المسائل أمثلة لذلك :

---

(١) سعيد بن جبير : من كبار التابعين قتله الحجاج سنة ٩٥هـ

(٢) سورة الاعراف آية رقم (١٩٤) ، وانظر المحتسب لابن جني جـ١ ص٢٧٠ ، والبيان في اعراب غريب القرآن جـ١ ص٣٨١ ، وشرح ابن عقيل على الألفية جـ١ ص١٨٥

(٣) صدر بيت لا يعلم قائله ، وعجزه : الا على أضعف المجانين ، انظر الدرر اللوامع جـ١ ص٩٦

(٤) لم يعلم قائله ، انظر الدرر اللوامع جـ١ ص٩٧

١ – منع صرف المنصرف للضرورة :

لم يجز البصريون منع الاسم المنصرف من الصرف للضرورة قالوا : لأنه خروج عن الأصل بخلاف صرف الممنوع في الشعر لأنه رجوع الى الاصل في الاسماء ، وأولوا ما ظاهره بخلاف ذلك مثل .

وممن ولـدوا عامـر ذو الطول وذو العرض(١)

فقد حملوا (عامر) على انه اسم القبيلة فمنع من الصرف لاجتماع علتين التأنيث والعلمية ، فليس منعه اذن للضرورة .

وأما الكوفيون فقد أجازوا ذلك ، وقد صحح السيوطي رأيهم قياسا على عكسه ، أي على صرف الممنوع من الصرف ولورود السماع بذلك ، ومنه قول الشاعر :

فما كان حصن ولا حابس يفوقان مرداس في مجمع (٢)

وما ذهب اليه الكوفيون وصححه المصنف أوفق مما ذهب اليه البصريون لأن السماع قد ورد به ، والضرورة من العلل النحوية المعتبرة ولأن عدم التأويل أولى وأسلم من التأويل ، وخصوصا ان كثيراً مما ورد به السماع منسوب لشعراء معلومين ، وقد أجاز ذلك كثير من النحاة المتأخرين ، منهم ابن مالك حيث قال في الالفية : –

---

(١) شرح الالفية لابن الناظم ص٢٦٠

(٢) همع الهوامع جـ١ ص٣٧ ، والبيت لعباس بن مرداس الصحابي انظر الدرر اللوامع جـ١ ص١١

ولاضطرار أو تناسب صرف ذو المنع والمصروف قد لا ينصرف(١)

وأجازه كذلك ابو حيان وابن هشام (٢) وحمله الأخير على تشبيه الاصول بالفروع .

٢- جمع الصفة التي لاتقبل التاء :

أجاز الكوفيون جمع الصفة التي لا تقبل التاء الفارقة بين وصف المذكر ووصف المؤنث ، واحتجوا لذلك ببعض ما ورد من الشعر منه قوله :

منا الذي هو ما إن طر شاربه
والعانسون ومنا المرد والشيب (٣)

فقد جمع (عانس) وهو وصف للمؤنث وليس فيه (تاء) تأنيث ، بل ولا يقبلها لانه من الاوصاف الخاصة بالمؤنث ، واحتجوا كذلك بقول الشاعر :

فما وجدت نساء بني نزار حلائل أسودين وأحمرينا (٤)

---

(١) الفية ابن مالك ص١٤٣

(٢) همع الهوامع جـ١ ص٣٧ ، وانظر اوضح المسالك ص١٥٨ ، والتصريح على التوضيح جـ٢ ص٢٢٨

(٣) نسب البيت لابي قيس بن رفاعة ، وقيل قيس بدون كنية ، وقيل لابي قيس بن الأسلت ، انظر اللوامع جـ١ ص١٩

(٤) البيت من قصيدة لحكيم الأعور بن عياش الكلبي ، انظر الدرر اللوامع جـ١ ص١٩

وأما البصريون فقد منعوا مثل هذا ، قال السيوطي : « وذلك عند البصريين من النادر الذي لا يقاس عليه ، قال صاحب الافصاح(١) : عادة الكوفيين اذا سمعوا لفظا في شعر او نادر كلام جعلوه بابا او فصلا ، وليس بالجيد ، قال الاصحاب : انما افترقت الصفتان لان القابلة للتاء شبيهة بالفعل فانه يقبل التاء عند قصد التأنيث نحو قامت ، وتعرى عند التذكير نحو قام، وانما يجمع هذا الجمع بما اشبه الفعل الحاقا به في انه اذا وصف به المذكر العاقل لحقه بعد سلامته لفظة (الواو) كقاموا ويقومون ولذا لم يجمع الاسم الجامد » (٢) .

ويلاحظ هنا ان السيوطي عبر عن البصريين بقوله (الاصحاب) وهي عبارة اكثر المتأخرون من ترددها او ترداد ما يماثلها تعبيرا منهم عن ميلهم للبصريين ، وان كانوا في حقيقة « منهجهم العام » غير متقيدين بمذهب معين .

٣ ـ وضع المفرد المثنى والجمع كل منهما موضع الآخر :

الاصل في كلام العرب دلالة كل لفظ على ما وضع له فيدل

---

(١) صاحب الافصاح : هو محمد بن يحيى بن هشام الخضراوي المتوفى سنة ٦٤٦هـ ، انظر البغية جا ص٢٦٧

(٢) همع الهوامع جا ص٤٥ـ٤٦

المفرد على واحد والمثنى على اثنين والجمع على جمع ، وقد يخرج عن هذا الاصل ، وذلك قسمان مسموع ومقيس ، فالاول ما ليس جزء مما اضيف اليه ، سمع (ضع رحالهما) يريد (رحيلهما) و (دينار كم مختلفة) اي دنانيركم ، و (عيناه حسنة) اي حسنتان ، وقال امرىء القيس :

بها العينان تنهل (٣)

وقال الآخر :

أذا ذكرت عيني الزمان الذي مضى بصحراء فلج ظلتا تكفان(١)

اي : عيناي ، قال السيوطي : « فكل هذا مسموع لا يقاس عليه وقاسه الكوفيون وابن مالك اذا امن اللبس ، وهو ماش على قاعدة الكوفيين في القياس على الشاذ والنادر » (٢) .

واذا ما ضممنا هذه المسألة الى التي قبلها اتضح لنا موقف السيوطي من الاصول العامة للكوفيين ، حيث يؤكد دائما على انهم لا يلتزمون بالقواعد السديدة لقوانين القياس المبنية على الكثرة والشيوع ، وانما يقيسون على الشاذ والقليل كما يقيسون على الشائع الكثير ، وفي هذا ما فيه من اضطراب التعقيد وعدم سلامة النتائج .

---

(١) هذا الشطر ينسب لامريء القيس . انظر الدرر اللوامع جـ١ ص٢٤ ــ ٢٥

(٢) انظر الدور اللوامع جـ١ ص٣٦ــ٣٧

(٣) همع الهوامع جـ١ ص٥٠

٤ – ضمير الغائب

اختلف البصريون والكوفيون في الاصل في ضمائر الغائب ، فقال البصريون : إنّ (هو) و (هي) اصلان ، وزيدت الميم والالف والنون في المثنى والجمع . وذهب الكوفيون الى ان الضمير من (هو) و (هي) الهاء فقط ، والواو والياء زائدتان كالبواقي لحذفهما في المثنى والجمع ، ومن المفرد في لغة ، قال الشاعر :

هل تعرف الدار على تبراكا   دار لسعدى اذه من هواكا (٣)

والبصريون حملوا حذف (ياء) الضمير (هي) في البيت في قوله (اذه) على الضرورة والتخفيف ، وقد اختار السيوطي مذهب الكوفيين ، (١) فحكم بأن الاصل في ضمير الغائب والغائبة هو (الهاء) فقط .

ومذهب البصريين هو الراجح عندي ، خلافا للسيوطي ، وما استدل به الكوفيون في البيت وامثاله انما جاء على التخفيف لان العرب قد تحذف الاصول في اختيار الكلام لغرض التخفيف .

٥ – عمل ما الحجازية :

ذهب البصريون الى ان (ما) الحجازية تعمل عمل (ليس) في المبتدأ والخبر ، واحتجوا بما ورد به السماع ، قال تعالى (ماهن

---

(١) انظر الدرر اللوامع جا ص٣٦ــ٣٧

(٢) همع الهوامع جا ص٦٠ــ٦١

امهاتهن) (١) و (ما هذا بشراً) (٢) .

ولكن الكوفيين زعموا انها لا تعمل شيئا في لغة الحجازيين، وان المرفوع بعدها باق على ما كان قبل دخولها والمنصوب على اسقاط حرف الجر (الباء) لأن العرب لا تكاد تنطق بها الا بالباء ، فاذا حذفوها عوضوا عنها النصب كما هو المعهود عند حذف حرف الجر ، وليفرقوا بين الخبر المقدر فيه الباء وغيره (٣) .

واختار السيوطي رأي البصريين ، ورد على الكوفيين مذهبهم في هذه المسألة فقال : « ورد بكثير من الحروف الجارة حذفت ولم ينصب بعدها » (٤) .

واعتقد ان الصحيح هو ما ذهب اليه السيوطي في موافقته للبصريين ، لأن السماع ورد بذلك ، وان عدم التأويل اسلم من التأويل ، والأصل في خبر (ما) ألا يأتي متصلا بالباء . وهذه المسألة توضح لنا ان الكوفيين كانوا في بعض الاحيان يبعدون في التأويل ، وان التعويل على التأويل ليس هو شأن البصريين وحدهم .

---

(١) سورة المجادلة اية رقم (٢)

(٢) سورة يوسف أية رقم (٣١)

(٣) همع الهوامع حـ١ ص١٢٣ ، وانظر التصريح على التوضيح جـ١ ص١٩٦

(٤) همع الهوامع جـ١ ص ١٢٣

٦ – توسيط خبر الافعال الناقصة :

أجاز البصريون توسيط خبر باب (كان) الناقصة بين الفعل والاسم ، حيث لا مانع من تقديم الخبر على الاسم ، واحتجوا لذلك بجملة شواهد منها قوله تعالى : (وكان حقا علينا نصر المؤمنين)(٢) وقال (ليس البر ان تولوا وجوهكم) (٣) ، وقال الشاعر :

لا طيب للعيش ما دامت منغصة   لذاته بأدكار الموت والهرم (٤)

وقال :

سلي – ان جهلت – الناس عنا وعنهم

فليس سواء عالم وجهول (٥)

وقد اجاز ذلك ابن مالك في ألفيته فقال :

وفي جميعها توسط الخبر   أجز وكل سبقه دام حظر (١)

ولكن الكوفيين منعوا ذلك في الجميع ، لأن الخبر فيه ضمير الاسم

---

(١) سورة الروم آية رقم (٤٧)

(٢) سورة البقرة آية (١٧٧) ، وانظر البيان في غريب اعراب القرآن جا ص١٣٨

(٣) قال الشنقيطي : لم أقف على قائله ، أنظر الدرر اللوامع جا ص٨٧

(٤) البيت للسموأل بن عادياء ، انظر شرح شواهد ابن عقيل على الألفية ص٤٢

(٥) ألفية ابن مالك ص ٢٨ ، وانظر منهج المسالك جا ص٣٤٧ – ٣٥١ ، والتصريح على التوضيح جا ص١٨٧

فلا يتقدم على ما يعود عليه ، ومنعه ابن معط في دام فقط .

واختار السيوطي مذهب البصريين في هذه المسألة واحتج له بما ورد فيه المسموع (١) ،

ويلاحظ هنا امرين الأول : موافقة السيوطي للبصريين لأن السماع والقياس يعضد رأيهم وهو الصحيح ، والامر الثاني : مدى بعد الكوفيين عن أبسط قواعد السماع والقياس على الرغم مما يبالغ فيه بعض المعاصرين فيصفهم بأنهم « اقرب الى الحق والواقع مع انهم بالغوا في التساهل حين اجازوا القياس على المثال الواحد المسموع » ويقول في البصريين « أما البصريون ومن تابعهم فكانوا في تشددهم بعيدين عن الجادة حين ارتضوا الكثرة واعتصموا بها من غير تبيان لحدودها ومداها وشهروا سيفا مصلتا قضوا به ظلما على كثير من الألفاظ والاستعمالات الصحيحة ، وارهقوا الناس من أمرهم عسرا » (٢) .

٧ — الغاء (اذن) مع اجتماع شروط اعمالها :

قال السيوطي : « والغاء إذن مع اجتماع الشروط لغة لبعض العرب حكاها عيسى بن عمر ، وتلقاها البصريون بالقبول ووافقهم ثعلب ، وخالف سائر الكوفيين ، فلم يجز أحد منهم الرفع بعدها . قال ابو حيان : ورواية الثقة مقبولة ، ومن حفظ حجة على من لم

---

(١) همع الهوامع جـ ١ ص١١٧

(٢) انظر اللغة والنحو ص٨٧ ، وص٨٨

يحفظ ، الا انها لغة نادرة ، لذلك أنكرهـا الكسائي والفرا عـلى اتساع حفظهما وأخذهما بالشاذ والقليل » (٣) .

ويكمل لنا هذا النص رأي السيوطي في قواعد الكوفيين العامة ، وأنكاره عليهم عدم أخذهم بنقل عيسى بن عمر ، وهو ثقة عند الجميع ، وقد تتلمذ عليه رؤســاء البلدين مثل الخليل البصري والكسائي الكوفي .

٨ ـ عمل حروف الجر :

مذهب البصريين ان أحرف الجر لا ينوب بعضها عن بعض بقياس ، كما ان أحرف الجزم كذلك ، وما أوهـم ذلـك أولوه تأويلا يقبله اللفظ ، او حملوه على تضمين الفعل معنى فعـل يتعدى بذلك الحرف أو على النيابة شذوذا .

واما الكوفيون فقد حملوا الباب على ان حروف الجر تتعاور فيما بينها ، وان بعضها ينوب عن بعض بدون شذوذ ، وهذا الرأي كما يقول السيوطي ـ اقل تعسفا من رأي البصريين ، وهو المختار (٢) لأنه ماش على القاعدة التي تفيد ان عدم التأويل اولى من التأويـل علما بأن تأويلات البصريين في هذه المسألة فيها كثير من البعد والتعسف .

---

(١) همع الهوامع جـ٢ ص٧ ، وانظر التصريح على التوضيح جـ١ ص٢٣٦

(٢) همع الهوامع جـ٢ ص٣٥ ، وانظـر مغنى اللبيب جـ١ ص١١٨ ، والتصريح على التوضيح جـ٢ ص٤ـ٧

٩ — العطف بـ (ليس) :

أثبت الكوفيون العطف بـ (ليس) مثل العطف بـ (لا) واحتجوا له بقول الشاعر :

اين المفر والاله الطالب والأشرم المغلوب ليس الغالب (١)

والبصريون منعوا ذلك ، وحملوا المرفوع بعد (ليس) على انه اسمها والخبر ضمير متصل محذوف تخفيفا كأن الشاعر قال (ليسه) قال السيوطي : « وفي ذلك نظر ، على أن حذف خبر باب كان ضرورة ، وبه (اي بالعطف بليس) نطق الشافعي ، فانه قال في الأم في اثناء مسألة : لأن الطهارة على الظاهر ليس في الاجواف ، اي لا ولا يصح ان يكون اسمها (اي اسم ليس) ضميرا مستترا لوجوب تأنيث الفعل حينئذ ، وقول الشافعي حجة في اللغة » (٢) .

وهذه المسألة اضافة الى ما فيها من تأييد وجهة نظر الكوفيين فيها مسألة اخرى ، وهي توسع السيوطي في مدار افق السماع والاحتجاج فاجاز الاستدلال بكلام الامام الشافعي وعده حجة في اللغة وفاقاً لما ذهب اليه قسم من النحاة (٣) .

---

(١) البيت لنفيل بن حبيب ، انظر الدرر اللوامع جـ٢ ص١٩٠

(٢) همع الهوامع حـ٢ ص١٣٨ ، وانظر مغني اللبيب جـ١ ص٣٢٧ ، وشرح ابن الناظم ص٢٠٤ ، التصريح على التوضيح جـ٢ ص١٣٥

(٣) انظر أصول النحو ص٦٥ ، وانظر التطور النحوي لبراجستراس ص١٣٨

١٠ — مد المقصور للضرورة :

اتفق نحاة البلدين على جواز قصر الممدود للضرورة ، ولكنهم اختلفوا فى جواز مدّ المقصور في ضرورة الشعر ، فمنعه جمهور البصريين ، واجازه جمهور الكوفيين (١) استنادا لما ورد منه في كلام العرب ، نحو :

يا لك من تمر وشيشاء ينشب في المسعل واللهاء (٢)

واللهاء مقصور في الأصل ومدّ للضرورة ، وقد اختار السيوطي مذهب الكوفيين هذا ، فأجاز مدّ المقصور في الضرورة خلافاً لمذهب البصريين فيه (٣) .

ولعل ما ذكرته من مسائل كاف للدلالة على ان السيوطي مع ترجيحه لمذهب البصريين في الاصول النحوية العامة كان يقف من المسائل الخلافية ألتي وقعت بينهم وبين الكوفيين موقف الاختيار والانتخاب ، فهو يأخذ بالراي الذي صح دليله وقويت حجته سواء اكان ذلك الراي بصرياً ام كوفياً .

---

(١) همع الهوامع جـ٢ ص١٥٧ ، وانظر الانصاف في مسائل الخلاف جـ٢ ص٤٠١—٤٠٦

(٢) لم ينسب ابن الانباري البيت لاحد، وقطع في ان قائله مجهول ، ونسبه العيني - نقلا عن الفراء — لأعرابي من أهل البادية ولم يسمه ، ونسبه أبو عبدالله البكرى في اللآلىء لابي المقدام الراجز ، انظر الانصاف جـ١ ص٤٠٣ ، والدرر اللوامع جـ٢ ص٢١٢

(٣) همع الهوامع جـ٢ ص١٥٧

(٤)

مع النحاة

امتاز السيوطي بالتتبع والجمع والاستقصاء ويعد كتابه «الهمع» خير ما يمثل جهوده في هذا المضمار، فقد استطاع فيه أن يمر على آراء النحاة في مختلف العصور والاقاليم ليلتقط منها الشيء الكثير ويضمه الى كتابه القيم هذا . ويغلب على ظني واعتقادي انه ما من نحوي الا نجد له رأيا أو مجموعة من الآراء مبثوثة في هذا الكتاب ، وذلك لأن مصنفه قد ألزم نفسه أن يتتبع آراء النحاة ، ويسرد خلافاتهم وتعاليلهم وتقاسيمهم . لذا نجده قد يورد في المسألة جملة أقوال ، وينقل فيها عن عدد كبير من النحاة ، ولنأخذ على ذلك هذا المثال الذي أورده في باب رفع المضارع ، حيث قال (١) : « وفي عامل الرفع فيه أقوال ، أحدها : نفس التجرد والتعرى من الناصب والجازم ، فهو معنوي ، وهو رأي الفراء ، واختاره ابن مالك ، وقال : انه سالم من النقض ، ونسبه لحذاق

(١) همع الهوامع جا ص ٢٦٤

الكوفيين ، واختاره ايضا ابن الخباز (١) ، والثاني : وقوعه موقع الاسم ، فهو معنوي أيضا ، وهذا مذهب سيبويه وجمهور البصريين ، وقال ابن مالك : انه منتقض بنحو هلا تفعل ، وجعلت أفعل ، وما لك لا تفعل ، ورأيت الذي يفعل ، فان الفعل في هذه المواضع مرفوع مع أن الاسم لا يقع فيها . والثالث : وعليه الكسائي أنه ارتفع بحروف المضارعة ، فيكون عامله لفظيا ، والرابع : انه ارتفع بنفس المضارعة ، وعليه ثعلب » .

فهو في هذا النص قد نقل عن الفراء وابن مالك وابن الخباز وسيبويه وجمهور البصريين والكسائي وثعلب : وهذا هو ديدنه في أبواب الكتاب كافة ، فما من مسألة من مسائله الاجهد أن يحشد فيها مختلف أقوال النحاة ، عازيا كل قول الى صاحبه .

ولما كان النحاة الذين عرض لهم السيوطي في كتابه هذا كثيرين، وان استقصاءهم كلهم يستدعى بحثا مستقلا سأقتصر على ذكر جملة من آراء النحاة التي أوردها السيوطي في (الهمع) وبخاصة تلك الآراء التي ناقشها ، فاختار منها ما صح عنده دليله وقويت حجته ولعلي في عملي هذا اكشف عن جزء مهم من الجانب النحوي لشخصية السيوطي . واليك تفصيل ذلك مرتبا على شكل مسائل نحوية مختارة من مختلف أبواب الكتاب :

---

(١) ابن الخباز : هو احمد بن الحسين بن احمد بن الخباز الاربلي الموصلي شارح الفية ابن معط . مات سنة ٦٣٧ هـ . انظر بغية الوعاة حـ ١ ص ٣٠٤

١ - زمان الفعل المضارع :

ذكر السيوطي أن في زمان المضارع خمسة اقوال ، احدها : انه يكون للحال ، وعليه ابن الطراوة ، قال : لأن المستقبل غير محقق الوجود ، الثاني : انه لا يكون الا للمستقبل وعليه الزجاج ، وانكر ان يكون للحال صيغة لقصره ، فلا يسع العبارة ، لأنك بقدر ما تنطق بحرف من حروف الفعل صار ماضياً ، والثالث : هو رأي الجمهور وسيبويه انه صالح لهما حقيقة ، الرابع : انه حقيقة في الحال مجاز في الاستقبال وعليه الفارسي وابن ابي ركب (١) ، قال السيوطي : وهو المختار عندي ، بدليل حمله على الحال عند التجريد من القرائن ، وهذا شأن الحقيقة ، ودخول السين عليه لافادة الاستقبال ، ولا تدخل العلامه الا على الفروع ، كعلامات التثنية والجمع والتأنيث والنسب (٢) » .

واما الخامس : فهو انه حقيقة في الاستقبال ومجاز في الحال ، وعليه ابن طاهر ، (٣) لأن اصل احوال الفعل ان يكون منتظرا ثم حالا ثم ماضيا ، فالمستقبل اسبق فهو احق بالمثال ، قال السيوطي:

---

(١) ابن ابي ركب : هو ابو الطاهر اسماعيل بن مسعود الخشني الجياني ، ولم يحدد السيوطي في البغية تاريخ وفاته ، انظر البغية جـ٢ ص٤٥٦ـ٤٥٧

(٢) همع الهوامع جـ١ ص٧

(٣) ابن طاهر : ابو بكر محمد بن احمد بن طاهر الاشبيلي المتوفى سنه ٥٧٠ ، انظر البغية جـ١ ص٢٨

« ورد بأنه لا يلزم من سبق المعنى سبق المثال » (١) .

٢ ـ الكلام :

ذهب ابن طلحة (٢) الى ان الكلمة الواحدة قد تكون كلاما أذا قامت مقام الكلام ، كنعم ولا في الجواب ، فرد عليه السيوطي ذلك ، واحتج بأن الكلام هو الجملة المقدرة بعد احرف الجواب ، وزعم الفارسي ان الاسم مع الحرف يكون كلاما ، ومثل له بقولنا : (يا زيد) ، وقد رد السيوطي عليه ذلك ، واحتج بان (يا) سدت مسد الفعل ، وهو ادعو او انادي (٣) .

٣ ـ الخبر والانشاء :

اختلف النحاة في اقسام الكلام ، فالحذاق منهم ذهبوا الى انحصاره في الخبر والانشاء ، وقال كثيرون ـ ومنهم ابن هشام ـ (٤) أقسامه ثلاثه : خبر وطلب وانشاء . وقال قطرب : اقسام الكلام اربعة : خبر واستخبار ـ وهو الاستفهام ـ وطلب ونداء . وقال الأخفش : ستة : خبر واستخبار ونهي وامر ونداء وتمن . قال السيوطي : « والتحقيق انحصاره في القسمين الأولين (اي في

---

(١) همع الهوامع جا ص٧

(٢) ابن طلحة : هو محمد بن طلحة بن محمد الأشبيلي ، مات بأشبيليه سنة ٦١٨ هـ ، انظر بغية الوعاة جـ ١ ص١٢١ــ١٢٢

(٣) همع الهوامع جا ص١١ــ١٢

(٤) شرح شذور الذهب جا ص١٢

الخبر والانشاء) ورجوع بقية المذكورات اليهما » (١) .

٤ ـ انواع الاعراب :

ذهب المازني الى ان انواع الاعراب ثلاثة ، رفع ، ونصب ، وجر ، وقال : ان الجزم ليس باعراب ، وانما هو عدم الاعراب ، وقد خالفه السيوطي في ذلك فذهب الى ان الجزم احد انواع الاعراب، فقال : « انواع الاعراب رفع للعمد ، ونصب للفضلات وجر لما بينهما ، وكذا جزم . خلافا للمازني » (٢) .

٥ ـ الممنوع من الصرف المجرور بالكسرة :

اختلف النحاة في الممنوع من الصرف اذا جر بالكسرة عند الاضافة او لحقوق الألف واللام به ، فذهب بعض النحاة الى انه باق على منعه من الصرف ، وذهب آخرون الى انه صار منصرفا ، لأنه دخلته خاصة من خواصّ الاسم ، وهي الكسرة فضعف فيه شبه الفعل، قال السيوطي : « والثاني هو المختار ، وعليه السيرافي والزجاج والزجاجي » (٣) .

٦ ـ فتحة الماضي المتصل بألف الاثنين :

ذهب الفراء الى ان فتحة آخر الفعل الماضي المسند الى الف الاثنين هي ليست فتحة الفعل الأصلية التي كانت على آخره قبل

---

(١) همع الهوامع ج ١ ص١٢

(٢) همع الهوامع ج ١ ص ٢١

(٣) همع الهوامع ج ١ ص٢٤

اتصاله بألف الاثنين ، وانما هي فتحة اخرى اجتلبت لمجانسة الالف ، وان الفتحة الأصلية قد حذفت . وقد خالفه السيوطي في ذلك وذهب الى ان هذه الفتحة هي فتحة الماضي الأصلية » (١) .

٧ ـ اداة التعريف (ال) :

اختلف النحاة في أداة التعريف على مذهبين ، الاول انها (أل) بجملتها ، وعليه الخليل وابن كيسان (٢) ، وصححه ابن مالك . قال ابن جني : وكان الخليل يسميها (أل) ، ولم يكن يسميها الالف واللام ، كما لا يقال في (قد) القاف والدال ، والمذهب الثاني : انها اللام فقط ، وان الهمزة همزة وصل أجتلبت للابتداء بالساكن، وعليه سيبويه ، وعزاه ضياء الدين بن العلج في البسيط الى المحققين من النحاة . قال السيوطي : « ورجح مذهب الخليل بسلامته من وجوه كثيرة ، مخالفة الأصل ، وموجبة لعدم النظير . منها وضع كلمة مستحقة للتصدير على حرف واحد ساكن ، وافتتاح حرف بهمزة وصل ، ولا نظير لهما » (٣) .

٨ ـ تعدد الخبر :

أجاز الجمهور تعدد الخبر لمبتدأ واحد ، سواء اقترن بعاطف أم لا ،

---

(١) همع الهوامع جا ص٥٨

(٢) ابن كيسان : هو محمد بن أحمد بن ابراهيم بن كيسان النحوي المتوفى سنة ٣٢٠ هـ ، انظر البغية جا ص١٨ــ١٩

(٣) همع الهوامع ج ١ ص٧٨ــ٩٧

وقد منع ابن عصفور وكثير من المغاربة ذلك . واختار السيوطي مذهب الجمهور ، (١) واحتج له بما ورد من فصيح المسموع ، مثل قوله تعالى : « وهو الغفور الودود ذو العرش المجيد فعال لما يريد » (٢) وقول الشاعر :

من يك ذابت فهذا بتي مقيظ مصيف مشتي (٣)

٩ ـ اعراب (أن) الواقعة بعد لو :

اذا وقعت (أن) بعد لو فمذهب سيبويه وأكثر البصريين أنها وما بعدها في محل رفع على الابتداء والخبر محذوف لا يجوز اظهاره كحذفه بعد لولا ، وذهب بعضهم الى انه مرفوع بالابتداء ولا خبر له لطوله وجريان المسند والمسند اليه في الذكر ، وذهب الكوفيون والمبرد والزجاج والزمخشري وابن الحاجب الى أنه فاعل بفعل تقديره : ثبت ، وقد مال السيوطي الى هذا الرأي فقال : « وهذا المختار لاغنائه عن تقدير الخبر ، وابقاء لو على حالها من الاختصاص بالفعل » (٤) .

١٠ ـ دخول لام التوكيد على معمول الخبر :

اختلف النحاة في جواز دخول لام التوكيد على معمول الخبر

---

(١) همع الهوامع حـ١ ص١٠٨
(٢) سورة البروج آية رقم ١٤ـ١٥
(٣) البيت لرؤية بن العجاج ، انظر الدرر اللوامع حـ١ ص٧٨
(٤) همع الهوامع حـ١ ص١٣٨

الى ثلاثة أقوال ، الأول الجواز مطلقا وعليه المبرد وصححه ابن مالك وأبو حيان ، حكى : ان زيدا لبك واثق ، واني لبحمد الله لصالح ، والثاني المنع ، والثالث الجواز ان لم تدخل على الخبر ، والمنع ان دخلت عليه ، وهو مذهب السيرافي وابن عصفور ، وقد اختاره السيوطي فقال : « وهو الاصح عندي » (١) .

١١ ـ اعراب جمع المؤنث السالم المسبوق بـ (لا) النافية :

اذا سبق جمع المؤنث السالم بـ (لا) النافية للجنس فللنحاة فيه ثلاثة أقوال ، الأول : أنه مبني على الكسر لأن الكسرة علامة نصبه ، والثاني وجوب بنائه على الفتح وعليه المازني والفارسي والثالث جواز الأمرين ، قال السيوطي : « وهو الصحيح للسماع ، فقد روى بالوجهين قوله :

ولا لذات للشيب (٢)

وقوله :

لا سابغات ولا جاؤا بآسلة » (٣)

---

(١) همع الهوامع حـ١ ص١٣٩

(٢) هو من قول سلامه بن جندل التميمي :

أودى الشباب الذي مجد عواقبه   فيه نلذ ولا لذات للشيب

انظر الدرر اللوامع حـ١ ص١٢٦

(٣) وهو صدر بيت ، قال الشنقيطى لم اعثر على قائله ، واما عجزه فهو : تقى المنون لدى استيفا آجال

انظر الدرر اللوامع جـ١ ص ١٢٧ ، وهمع الهوامع جـ١ ص١٤٦

١٢ ـ جواز تقديم المفعول له :

ذهب ثعلب وطائفة من النحاة الى منع تقـدم المفعول له على عامله ، وقد أجاز السيوطي ذلك واحتج له بما ورد من السماع(١) ، مثل قول الشاعر :

فما جزعا ورب الناس أبكي

وقول الكميت :

طربت وما شوقا الى البيض أطرب

١٣ ـ اشتراط المصدرية في المفعول له :

أجمع النحاة على اشتراط المصدرية في المفعول له ، وقـد خرج على هذا الاجماع يونس فأجازه في غير المصدر ، ونقل أن قوماً من العرب يقولون : أما العبيد فذو عبيد ، بنصب (العبيد) ، وحمل هذا النصب على المفعول له ، وان كان (ألعبيد) غير مصدر . وقد خالفه السيوطي في ذلك ، وذهب مذهب الجمهور ، فقال : « المفعول له شرطه أن يكون مصدرا خلافا ليونس » (٢) .

١٤ ـ الفرق بين لدى وعند :

ذهب الحريري وأبو هلال العسكري وابن الشجري الى أنه يجوز

---

(١) همع الهوامع جا ص١٩٥

(٢) همع الهوامع جا ص١٩٤

لك أن تقول : عندي مال ، وان كان غائباً ، ولا يجوز أن تقول : لدي مال ، الا اذا كان المـــال حاضرا ، وقد خالفهم في ذلك أبو العلاء المعري فأجاز أن تقول لدي مال ، وان كان غائبا . وقد وهى السيوطي رأي المعري هذا ، وذهب مذهب الأولين ، فلم يجوز أن أن تقول : لدي مال ، الا اذا كان حاضرا (١)

١٥ ـ بناء (اذ) عند حذف المضاف اليه :

الأصل في (اذ) أنها تكون ملازمة للاضافة الى الجمل ، ويجوز أن تحذف الجملة المضافة اليها ، للعلم بها ، ويعوض عنها التنوين ، وتكسر النون حينئذ لالتقاء الساكنين ، نحو قوله تعالى : « وانتم حينئذ تنظرون » (٢) ، وقد ذهب الأخفش الى أنها تكون عند ذاك معربة ، والكسر جر اعراب بالاضافة ، لابناء ، وحمله على ذلك انه جعل بناءها ناشئا عن اضافتها الى الجملة ، فلما زالت جملة المضاف اليه من اللفظ ، صارت معربة ، قال السيوطي : « وهو مردود بأنه قد سبق لاذ حكم البناء ، والأصل استصحابه حتى يقوم دليل على اعرابه ، وبأن العرب قد بنت الظرف المضاف لاذ ، ولا علة لبنائه الا كونه مضافا ، فلو كانت الـكسرة اعرابا لم يجز بناء الظرف » (٣) .

---

(١) همع الهوامع جـ١ ص٢٠٣ـ٢٠٤ ، وانظر ص٢٠٠ـ٢٠١

(٢) سورة الواقعة آية رقم ٨٤

(٣) همع الهوامع جـ١ ص٢٠٥

١٦ - اعراب (غير) الواقعة بعد ليس :

اذا وقعت (غير) بعد ليس مقطوعة عن الاضافة جاز فيها الضم والفتح ، وهي حينئذ عند الجمهور مبنية ، الا أن الأخفش ذهب الى انها معربة في الضم والفتح معاً ، وأن حذف التنوين لانتظار المضاف اليه ، وتعرب عند الفتح خبر ليس والاسم محذوف أي ليس المقبوض غير ذلك ، وعند الضم اسم ليس والخبر محذوف، أي ليس غير ذلك مقبوضا . قال السيوطي : « ورأيه هو المختار عندي » (١) .

١٧ - (منذ) أصل (مذ) :

ذهب ابن ملكون (٢) الى أن كلا من (مذ) و (منذ) اصلان، وليس احدهما فرعا للآخـــر ، واحتج بأن الحذف والتصرف لا يكونان في الحروف ولا في الاســـماء غير المتمكنة ، ورده الشلوبين (٣) بأنه قد جاء الحذف في الحروف ، الا ترى تخفيفهم (إنّ) و (أنّ) و (كأن) ، وقالوا في (لعل) (عل) . وقد ذهب السيوطي مذهب الشلوبين فجزم بأن (منذ) هى الاصل ، وان (مذ)

---

(١) همع الهوامع حـ١ ص٢١٠

(٢) ابن ملكون : هو ابراهيم بن محمـــد الحضرمي الأشبيلى المتوفى سنة ٥٨٤ ، انظر البغية جـ١ ص٤٣١

(٣) الشلوبين : هو أبو علي عمر بن محمد الأشبيلي المتوفى سنة٦٤٥هـ، البغية حـ٢ ص٢٢٤

فرع لها (١) .

١٨ ـ الفصل بين الصفة والموصوف بـ (الا) :

ذهب الزمخشري الى انه يجوز الفصل بـ (الا) بين الموصوف والصفة المفردة نحو : مررت برجل الا صالح ، والجملة نحو : ما مررت بأحد الا زيد خير منه ، وعلى ذلك فسر قوله تعالى : «وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم» (٢) وقد رد عليه ضياء الدين بن العلج في البسيط ، وقال : ان مذهب الزمخشري هذا لا يعرف لبصري او كوفي ، وقال : الصواب ان الجملة في الآية والمثال حال . وقد اختار السيوطي مذهب صاحب البسيط فقال في المتن : «ولا يليها نعت ما قبلها خلافاً للزمخشري» (٣) .

١٩ ـ حكم حاشا الواقعة قبل حرف الجر اللام :

تقع حاشا قبل لام الجر نحو (حاشى لله) ، وهي عند المبرد وابن جني والكوفيين فعل ، قالوا : لتصرفهم فيها بالحذف ، قالوا : حاش ، وحشا ، ولادخالهم اياها على الحرف ، قبل لام الجر ، قال السيوطي : «والصحيح أنها اسم مصدر مرادف

---

(١) همع الهوامع جـ١ ص٢١٦

(٢) سورة الحجر آية رقم (٤)

(٣) همع الهوامع جـ١ ص٢٣٠

للتنزيه ، بدليل قراءة بعضهم : « حاشا لله » بالتنوين . كما يقال : تنزيها لله . وبراءة . وقراءة ابن مسعود : « حاشا الله »(١) بالاضافة . كمعاذ الله . وانما ترك التنوين في قراءة الجمهور لأنها لشبهها بحاشا الحرفية لفظا »(٢) ،

٢٠ ـ (لن) تفيد تأكيد النفي لا تأبيده :

ذهب سيبويه والجمهور الى ان (لن) تفيد نفي المضارع من غير ان يكون النفي بها آكد من النفي بـ (لا) . وذهب الزمخشري في المفصل الى انها تفيد تأكيد نفي المستقبل . وذهب في الانموذج ـ(٣) كما نقل السيوطي ـ الى انها تفيد تأبيد النفي. قال : فقولك : لن افعله . كقولك : لا افعله ابدا . وقد وافقه في ذلك ابن عطية .(٤) فقال : ان لن تفيد تأبيد النفي .

---

(١) المحتسب جـ١ ص ٣٤١ ، وانظر سورة يوسف قوله تعالى (حاش لله ما هذا بشرا) آية رقم ٣١

(٢) همع الهوامع جـ١ ص٢٣٣ وانظر المحتسب جـ١ ص٣٤١

(٣) الانموذج : هو مختصر للمفصل ، وضعه الزمخشري نفسه ، انظر كشف الظنون م١ ص١٧٧٤

(٤) ابن عطية : هو المفسر الشهير عبد الحق بن غالب بن عبد الرحيم ابن عطيه الغرناطي المتوفى سنة ٥٤٢ وقيل ٥٤٦ ، انظر البغية جـ٢ ص٧٣ - ٧٤

ونقل السيوطي عن عبد الواحد الزملكاني (١) في التبيان في المعاني والبيان أنه ذهب مذهباً غريباً ، فقال : ان (لن) تفيد نفي ما قرب ، ولا يمتد معنى النفي فيها ، قال وسر ذلك أن الألفاظ مشاكلة للمعاني ، و (لا) آخرها ألف ، والألف يكون معها امتداد الصوت بها ، بخلاف النون .

واختار السيوطي : أنها تفيد التأكيد دون التأبيد (٢) .

٢١ - (حتى) لا تجر الا الظاهر :

أجاز المبرد والكوفيون في (حتى) أن تجر الضمير ، واستدلوا لذلك بقول الشاعر :

فلا والله لا يلفي أناس فتى حتاك يا ابن ابي زياد(٣)

والجمهور حملوا البيت على الضرورة ، ولم يجوزوا في (حتى) أن تجر المضمر ، وقد وافقهم السيوطي في ذلك فقال : « انها لا تجر الا ظاهراً خلافا للمبرد والكوفية » (٤) .

---

(١) عبد الواحد الزملكانى الشهير بخطيب زملكا المتوفى سنة ٦٥١هـ انظر البغية جـ٢ ص١١٩

(٢) همع الهوامع جـ٢ ص٤

(٣) قال الشنقيطي لم أعثر له على قائل ، الدرر اللوامع جـ٢ ص١٦

(٤) همع الهوامع جـ٢ ص٢٣

٢٢ ـ مجيء (لولا) متصلة بالضمير :

ذهب المبرد الى أن (لولا) لا تأتي متصلة بالضمير ، وما جاء منه على ذلك فهو لحن ، وقد رد السيوطي زعم المبرد هـذا ، وذكر أن أئمة البصريين والكوفيين اتفقوا على صحة اتصال لولا بالضمير وبما ورد على ذلك قول الشاعر :

وكم موطن لولاي طحت كما هوى ... بأجرامه من قنة النيق منهوِ(١)

وقول الآخر :

لولاك في ذا العـام لم أحجج (٢) .

٢٢ ـ (امـا) العاطفة مركبة :

ذهب سيبويه الى ان (امـا) العاطفة مركبة من (ان) و (ما) الزائدة ، واستدل لذلك بورود (إن) دون (ما) في كلام العرب ، نحو قول الشاعر :

وقد كذبتك نفسك فاكذبنها ... فان جزعاً وان اجمال صبر (٣)

وقد وافقه السيوطي في ذلك ، فقال : « هي مركبة من (ان)

---

(١) انظر الدرر اللوامع جـ٢ ص٣٣

(٢) همع الهوامع جـ٢ ص٣٣ ـ ٣٤ ، قال الشنقيطي : والأشبه ان يكون البيت من جيمية العرجي ، انظر الدرر اللوامع جـ٢ ص٣٣

(٣) البيت لدريد بن الصمة ، انظر الدرر اللوامع جـ٢ ص ١٨٥

و (ما) الزائدة على الأصح » (١) .

٢٣ ـ بناء صيغة المبنى للمفعول من الأفعال الناقصة :

جوز سيبويه والسيرافي والكوفيون بناء صيغة المبني للمفعول من الأفعال الناقصة ، أي من كان وكاد وأخواتهما ، وقد منع ذلك الفارسي ، فاختار السيوطي مذهبه وصححه ، فقال : « ولا يبنى هذا البناء فعل جامد ، وكذا ناقص من كان وكاد واخواتها على الصحيح وفاقاً للفارسي » (٢) .

٢٤ ـ جواز التعجب من صفات الله :

ذهب بعض النحاة ومنهم أبو حيان الى منع التعجب من صفات الله لعدم قبولها الكثرة ، وحملوا ما جاء من ذلك على الشذوذ ، نحو قول الشاعر :

ما أقدر الله أن يدني على شحط (٣)

وأجاز ذلك السيوطي ولم يحمله على الشذوذ ، وقد تبع في ذلك

---

(١) همع الهوامع جـ٢ ص١٣٥ ، وانظر الكتاب جـ١ ص ١٣٤ ، والمقتضب جـ٣ ص٣٨

(٢) همع الهوامع جـ٢ ص١٦٥

(٣) صدر بيت من قصيدة لحندج بن حندج المرى وتمامه (من داره الحزن ممن داره صول) انظر الدرر اللوامع جـ٢ ص ٢٢٤

السبكي وجماعة منهم ابن السراج وابن الأنباري والصيمري ، (١) حيث أجازوا التعجب من صفات الله ، قال السيوطي : والمعنى في ما أعظم الله انه في غاية العظمة ، ومعنى التعجب فيه أنه لا ينكر لانه مما تحار فيه العقول ، واعظامه تعالى وتعظيمه الثناء عليه بالعظمة واعتقادها ، وكلاهما حاصل ، والموجب لهما أمر عظيم والدليل على جواز اطلاق صيغة التعجب والتفضيل في صفاته تعالى قوله : « أبصر به واسمع » (٢) اي : ما اسمعه وما ابصره ، وقول ابي بكر رضي الله عنه : اي رب ما احلمك ، اى رب ما احلمك ، اي رب ما احلمك ، وقوله صلى الله عليه وسلم : لله ارحم بالمؤمن من هذه بولدها » (٣) .

واعتقد ان ما ذكرته من مسائل يكفى للدلالة على مدى عناية السيوطي بتتبع آراء النحاة ، وأنه لم يكن في ذلك مجرد ناقل لاهم له الا الجمع والنقل ، بل كانت له شخصيته البارزة ، ومسلكه الاختياري الواضح ، فقد كان يمايز بين الآراء التي ينقلها ويحاججها ويختار منها الرأي الذي ترجحت عنده صحته وقوى دليله ، وسنجده يسلك نفس هذا المسلك في جميع القضايا والمسائل النحوية التي عرض لها في كتابه القيم هذا .

---

(١) الصيمرى : هو عبدالله بن علي بن اسحاق الصيمرى النحوى ، لم يؤرخ السيوطي في البغية لوفاته وقال عنه : « اكثر أبو حيان من النقل عنه ، وله ذكر في جمع الجوامع » ، البغية جـ٢ ص٤٩

(٢) سورة الكهف آية ٢٦

(٣) همع الهوامع جـ٢ ص١٦٧

(٥)

مع ابن مالك وأبي حيان

أ ـ مع ابن مالك :

لقد أفاد السيوطي ـ كما أوضحنا ـ من كتاب التسهيل افادة كبرى ، ولم يبال في أن ينقل كثيرا من نصوصه ويضمنها في كتابه ، وربما أغفل نسبة قسم من تلك النصوص اعتمادا على انه نص في مقدمة الكتاب أنه ضمنه خلاصة كتاب (التسهيل) ، ولكن ذلك لم يمنعه من ان يقف من آراء ابن مالك موقف الناقل المتخير المميز، حيث دأب ان يعلن موافقته له في كثير من آرائه التي رجح عنده صوابها ، كما دأب ان يرد عليه في مواضع اخرى كثيرة فيما اذا رأى ان دليله غير مقنع او ان استنتاجاته خارجة عن قوانين السماع والقياس .

والمسائل التي اعلن السيوطي موافقته فيها لابن مالك او مخالفته له كثيرة ، نختار منها هذه الامثلة ، وهي :

١ ـ علة بناء الاسم :

ذهب ابن مالك الى ان علة بناء الاسم منحصرة في مشابهته

للحرف ، ما لم يعارض هذه المشابهة معارض فقد قال في التسهيل : « ويمنع اعراب الاسم مشابهته للحرف بلا معارض » (١) وقال في الالفية :

والاسم منه معرب ومبني   لشبه من الحروف مدني (٢)

فوافقه السيوطي في ذلك فقال : « والذي جزم به ابن مالك في كتبه انه لا سبب للبناء سوى شبه الحرف فقط ، وهذا هو المختار ، ونقله جماعة من المتأخرين عن ظاهر كلام سيبويه ، وصرح به ابن جنى في الخصائص ... ثم ان شبه الحرف انما يؤثر حيث لم يعارضه معارض فان عارضه ما يقتضى الاعراب فلا اثر له ، وذلك كأي شرطا واستفهاما وموصولة ، فانها معربة مع مشابهتها للحرف في الاحوال الثلاثة ، لكن عارض هذا الشبه لزومها للاضافة » (٣) .

٢ ـ مراتب اسم الاشارة :

ذهب ابن مالك الى ان للاشارة مرتبتين ، فالمجرد من الكاف واللام للقريب ، وما اتصلت به الكاف او اللام والكاف فهو للبعيد وانكر ان يكون للاشارة مرتبة اخرى متوسطة بين المرتبتين ، واحتج

(١) التسهيل ص ٧

(٢) شرح ابن عقيل على الالفية حـ١ ص ٢٠ ، وانظر أوضح المسالك ص ٦ .

(٣) همع الهوامع حـ ١ ص ١٦ ، وانظر البهجة المرضية ص ٦ ، والاشباه والنظائر حـ٢ ص ٢٥

لذلك « بأن المشار يشبه المنادي ، والنحويون مجمعون على ان المنادى ليس له إلا مرتبتان ، فلحق بنظيره ، وبأن الفراء نقل ان بني تميم ليس من لغتهم استعمال اللام مع الكاف ، والحجازيين ليس من لغتهم استعمال الكاف بلا لام ، فلزم من هذا أن اسم الاشارة على اللغتين ليس له إلا مرتبتان ، وبأن القرآن لم يرد فيه المجرد من اللام دون الكاف ، فلو كان له مرتبة أخرى لكان القرآن غير جامع لوجوه الاشارة » (١) وقد وافقه السيوطي في ذلك فقال : « والمختار وفاقا لابن مالك أن غير المجرد للبعيد » (٢) .

٣ ـ لغة يتعاقبون فيكم ملائكة :

اذا أسند الفعل الى ظاهر فعامة العرب لا يلحقون بالفعل ضمائر تدل على الفاعل ، ولكن بعض العرب أجازوا الحاقه الضمائر على أنها حروف دالة على عدد الفاعل كدلالة تاء التأنيث اللاحقة للفعل عند اسناده للفاعل المؤنث ، وقد اطلق النحاة على هذه اللغة : (لغة أكلوني البراغيث) . (٣) واستشهدوا لها بجملة شواهد منها قوله :

ولكن ديافي أبوه وأمه   بحوران يعصرن السليط أقاربه (٤)

---

(١) همع الهوامع جـ١ ص ٧٥ ، وانظر التسهيل ص ٣٩

(٢) همع الهوامع جـ ١ ص ٧٥

(٣) الكتاب جـ١ ص ٢٣٧ ، وانظر الدرر اللوامع جـ١ ص ١٤٢

(٤) البيت من شواهد سيبويه ، وهو للفرزدق . انظر الكتاب جـ١ ص ٢٣٦

ومنـــه :

يلومونني في اشتراء النخـ ـيل أهلي فـكلهم ألوم (١)

ولكن ابن مالك أطلق على هذه اللغة اسماً آخر خالف به جمهور النحاة ، فسماها لغة (يتعاقبون فيكم ملائـكة) (٢) ونظر لهـا بحديث ورد في الصحيحين ، فأنكر عليه السيوطي ذلك ، ورد عليه هذه التسمية ، فقال في الهمع : « والصحيح ... انها لغة وعزيت لطيىء وازد شنوءة ، وكان ابن مالك يسميها لغة يتعاقبون فيكم ملائكة، وهو مردود » (٣) .

٤ ـ اضافة اسم التفضيل الى النكرة :

اذا أضيف اسم التفضيل الى نكرة وجب لزومه للافراد والتذكير سواء اكان تابعـاً لمذكر أم مؤنث ، لمفرد أم مثنى ام جمع ، نحـو : (زيد افضل رجل والزيدان افضل رجلين ، وهم افضل الرجال) ، ولزم في المضاف اليه في هذه الحالة ان يطابق الاسم المفضـــل في الافراد والتثنية والجمع ، كما هو واضح في الامثلة ، ولكن ابن

(١) نسبه الأزهري في التصريح لأمية ، قال الشنقيطي « ولعله ابن أبي الصلت » أنظر التصريح على التوضيح جـ١ ص ٢٧٥ والدرر اللوامع جـ١ ص١٤٢

(٢) التسهيل ص٢٢٦ ، وانظر همع الهوامع جـ١ ص١٦٠ ، وشرح ابن عقيل على الألفية جـ٢ ص ٤٧

(٣) همع الهوامع جـ١ ص ١٦٠ ، وانظر أوضح المسالك ص٥٧

مالك اجاز في المضاف اليه اذا كان نكرة مشتقة ان يلزم الأفراد والتذكير على كل حال ، واستدل له بقوله تعالى : (ولا تكونوا أول كافر به) ، (١) فخالفه السيوطي ، وأوجب مطابقة المضاف اليه لما قبل المضاف دائما ، وحمل الآية على حذف موصوف (٢) هو جمع في المعنى ، أي (اول فريق كافر) ، وعلى هذا التأويل فسر ابن الأنباري هذه الآية في كتابه (البيان في غريب اعراب القرآن) : حيث قال : « قوله تعالى : (أول كافر به) ... (كافر) ... وصف لموصوف محذوف ، وتقديره (اول فريق كافر) ولهذا جاء بلفظ الواحد والخطاب لجماعة » (٣) .

٥ ـــ دخول أم المنقطعة على المفرد :

اجاز ابن مالك دخول (ام المنقطعة) (٤) على المفرد ، واستدل له بقولهم : (انها لأبل ام شاء) ، فرد عليه السيوطي بأن (ام المنقطعة) لا تدخل على المفرد ، وان النحاة اتفقوا على تقدير مبتدأ محذوف ، اي (بل اهي شاء) (٥) .

---

(١) سورة البقرة آية رقم ٤١

(٢) همع الهوامع جـ٢ ص ١٠٣

(٣) البيان في غريب القرآن ص٧٨

(٤) ام المنقطعة : وهي التي يكون الكلام الذي بعدها منقطعا عما قبلها .

(٥) همع الهوامع جـ٢ ص١٣٣

والمثال الذي استدل به ابن مالك هو من شواهد الكتاب ، (١) اورده سيبويه للدلالة على مجيء (ام المنقطعة) بعد الخبر ، وما بعد (ام) عنده جملة ، لان الكلام بعدها منقطع عما قبلها . والنحاة كلهم - سوى ابن مالك - مجمعون على ذلك ، قال ابن عقيل في شرح الألفية : « اذا لم يتقدم على (ام) همزة التسوية ولا همزة مغنية عن (اي) ، فهي منقطعة وتفيد الاضراب كبل ، كقوله تعالى: (لا ريب فيه من رب العالمين ، ام يقولون افتراه) اي بل يقولون افتراه ، ومثله (انها لابل ام شاء) اي بل هي شاء » (٢) .

واعتقد ان في هذه الامثلة التي ذكرناها ما يكفي للدلالة على ان السيوطي لم يكن مجرد ناقل - كما هو مشهور - بل كان يعمد في احيان كثيرة الى ابداء رايه في المسائل النحوية التي ينقلها ، فيصح رأيا ، ويخطيء آخر بحسب ما توفر لديه من دليل وما اتضحت عنده من حجة .

ب — مع ابي حيان :

لقد مر بنا عند كلامنا على مصادر (الهمع) ان السيوطي أفاد من كتب ابي حيان ايما افادة ، وانه ضمن كتابه خلاصة وافية لأهم آرائه النحوية .

---

(١) الكتاب جا ص٤٨٤

(٢) شرح ابن عقيل على الألفية جـ ٣ ص ١٧٢ ، وانظر اوضح المسالك ص ١٣٢ ، ومغني اللبيب جا ص٤٤ ، وشرح المفصل جـ ٨ ص ٩٨

وقد تنبه الباحثون المعاصرون الى هذه الحقيقة فاعتمدوا على كتاب (الهمع) اعتمادا كبيرا فيما كتبوه عن منهج ابي حيان النحوي (١)

ويعد موقف ابي حيان من تعاليل النحاة للظواهر اللغوية والتمارين النحوية من اهم الامور التي اكد عليها السيوطي فيما نقله عنه ،(٢) فقد أورد له عبارات كثيرة دعا فيها مرارا وتكرارا الى الغاء هذه التعاليل التي وصفها انها لا تجدي اي فائدة ، ومثل ذلك ما قاله معقباً على خلاف البصريين والكوفيين في الاعراب هل هو اصل في الاسماء فرع في الافعال ، اولا ؟ حيث قال : « وهذا من الخلاف الذي ليس فيه كبير منفعة » (٣) ، ونقل عنه انه علق على تعليل النحاة لامتناع الجر من الفعل والجزم من الاسم ولحوق تاء التأنيث الساكنة للماضي دون اخويه ، فقال : « الصواب في ذلك ما حرره بعض اصحابنا ان التعرض لامتناع الجر من الفعل والجزم من الاسم ولحوق التاء الساكنة للماضي دون اخويه ، واشباه ذلك من تعليل الوضعيات والسؤال عن مبادىء اللغات ، وذلك ممنوع لأنه يؤدي الى تسلسل السؤال اذا ما من شيء الا ويقال فيه لم كان كذلك ، وانما يسأل عما كان يجب قياسا فامتنع ، والذي كان يجب قياسا هنا خفض المضارع اذا اضيف اليه اسماء الزمان نحو هذا يوم ينفع ، وجزم الاسماء

---

(١) انظر المدارس النحوية ص ٣٢١ ، وابو حيان النحوي ص ٥٨٣
(٢) المدارس النحوية ٣٢١
(٣) همع الهوامع جا ص٢١

التي لا تتصرف لشبهها بالفعل » (١) .

والمسائل التى نقلها السيوطي عن ابي حيان كثيرة ، وكان كثير الموافقة له ، فقد وافقه في : ان الاعراب زائد على ماهية الكلمة،(٢) ووافقه في ان (شطر) بمعنى (نحو) ظرف غير متصرف ، ونقل عنه انه قال : « ومما اهمل النحويون ذكره من الظروف التي لا تتصرف (شطر) بمعنى نحو ، قال تعالى : شـــطر المسجد الحرام » ، (٣) ووافقه في وجوب نصب المعطوف على (غدوة) المنصوبة بعـــد (لدن) في مثل قولهم : (لدن غدوة وعشية) ، ومنع جرها (٤) ووافقه في ان (مع) عند الافراد لا تساوي معنى جميعا ، ونقل عنه ان ثعلباً قال : « اذا قلت جاءا جميعاً ، احتمل ان فعلهما في وقت أو وقتين ، واذا قلت : جاءا معاً ، فالوقت واحد »(٥) ووافقه في ان الاسم الواقع بعد (كذا) لا يجوز رفعه ، خلافا . لمذهب الكوفيين . واحتج ابو حيـــان لذلك بانه لم يسمع . (٦) ووافقه في أن (إن) الزائدة لا تفيد غير التوكيد . خلافا للزمخشري والشلوبين في قولهما انها تفيد مع التوكـيد معاني اخرى (٧) .

---

(١) همع الهوامع جـ١ ص٢١

(٢) همع الهوامع جـ١ ص١٥

(٣) همع الهوامع جـ١ ص٢٠١

(٤) همع الهوامع جـ١ ص٢١٥

(٥) همع الهوامع جـ١ ص ٢١٨

(٦) همع الهوامع جـ١ ص٢٥٦

(٧) همع الهوامع جـ٢ ص ١٨

ووافقه في زعمه أن النعت مصطلح كوفي ، وربما قاله البصريون وأن الأكثر عندهم الوصف والصفة ، (١) وهو خطأ وقع فيه أبو حيان وجاراه فيه السيوطي ، والصحيح أن النعت والصفة كليهما مصطلحان بصريان ، وقد استعملهما سيبويه في كتابه ، بل صدر باب التوابع بقوله : (هذا باب مجري النعت على المنعوت) (٢) ووافقه في مسائل أخرى كثيرة سنعرض لبعضها في المبحث القادم ، ولكن هذا كله لم يمنع السيوطي من أن يقف من أبي حيان في احيان كثيرة موقف الراد والناقض ، فقد خالفه في مسائل فرعية كثيرة مبثوثة في جميع أبواب الكتاب ، أذكر منها هذه المسائل الثلاث :

١ — العدل في لفظ التوكيد (أجمع) :

اختار ابو حيان في (اجمع) انها معدولة عن الألف واللام ، لأن مذكرها جمع بالواو والنون فقالوا : اجمعون ، كما قالوا : الآخرون فقياسه انه اذا جمع كان معرفا بالألف واللام ، فعدلوا به عما كان يستحقه من تعريفه بالألف واللام ،

فاستنكر ذلك السيوطي ، فقال : « قلت وهذا يقتضى ان يكون جمع المذكر فيه أيضا ممنوع الصرف ، لوجود العدل المذكور فيه ، وتكون الياء فيه علامة الجر على انها نائبة عن الفتحة ، وهو

(١) همع الهوامع جـ٢ ص١١٦ . وانظر مدرسة الكوفة ص٣١٤
(٢) الكتاب جـ١ ص ٢٠٩ وانظر ص٢١٥ و ص٢١٦

غريب » (١) .

٢ — الحصر بـ (أنما) :

ألحق الزمخشري بـ (انما) المكسورة (انما) المفتوحة ، وقال : انها تفيد الحصر ، لأنها فرعها ، وما ثبت للأصل ثبت للفرع ، وقد أجتمعا في قوله تعالى : (قل انما يوحى الىّ أنمـــا الهكم اله واحد) (٢) ، فالأولى لقصر الصفة على الموصوف ، والثانية بالعكس .

فرد عليه ذلك أبو حيان ، وقال : هذا شيء انفرد به ، ودعوى الحصر في الآية باطلة ، لاقتضائها أنه لم يوح اليـه غير التوحيد ، فعارض السيوطي قول أبي حيان ورد عليه ، فقال : « وأجيب بأنه : حصر مقيد ، اذ الخطاب مع المشركين ، أي : ما يوحى الىّ في شأن الربوبية الا التوحيد ، لا الاشراك ، فهو قصر قلب ، على حد (وما محمد الا رسول) (٣) ، اذ ليست صفاته صلى الله عليه وسلم منحصرة في الرسالة ، وان كان قصر افراد ، وقد وافق الزمخشري على ذلك البيضاوي ، (٤) وسـبقه التنوخي (٥) في الاقصى القريب ، ولم

---

(١) همع الهوامع ج١ ص٢٨

(٢) سورة الانبياء آية رقم (١٠٨)

(٣) سورة آل عمران آية ١٤٤

(٤) البيضاوي : هو العلامة ناصر الدين عبدالله بن عمر صاحب التفسير المشهور مات سنة ٦٨٥ هـ

(٥) التنوخي : هو القاضي ابو علي بن ابي القاسم التنوخي المتوفى سنة ٣٢٩ هـ انظر معجم الادباء ج٦ ص٢٥١

يتعرض له سواهم فيما عملت » (١) .

٣ ــ التناسب في النثر :

منع أبو حيان في النثر ما جاز في الشعر من ضرورة ، وقد خالفه السيوطي فأجاز ذلك وفاقا للاخفش لغرض التناسب والسجع، واستشهد له بجملة أحاديث منها : (اللهم رب السموات السبع وما أظللن ، ورب الأرضين السبع وما أقللن ، ورب الشياطين وما أظللن) وكان القياس ان يقال : اضلوا ، فأتي بضمير المؤنث لمناسبة اظللن واقللن ، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : (انفق بلالا ولا تخش من ذي العرش اقلالا) نون المنادي (بلالا) المعرفة ونصبه لمناسبة (اقلالا) قال السيوطي : « ونظائر ذلك في الحديث والكلام الفصيح كثير ، لا يمكن استيعابه ، ومما استدل به لذلك قوله تعالى : (وتظنون بالله الظنونا ... فأضلونا السبيلا) (٢) بزيادة الألف لتوافق الفواصل » (٣) .

ج ـ السيوطي بين ابن مالك وابي حيان :

سجل السيوطي في كتابه (همع الهوامع) تعقبات ابي حيان على ابن مالك ومخالفاته له ، وذلك بحكم اعتماده على كتبهما ونقله

---

(١) همع الهوامع جا ص١٤٤ . وانظر ابو حيان النحوي ص٤٥٤، ٥٥٥

(٢) سورة الاحزاب آية رقم (١٠) وآية رقم (٦٧)

(٣) هع الهوامع ج٢ ص١٥٨

منهما . والخلاف بين هذين النحويين مشهور ، (١) ولا اريد ان اعرض له الا بقدر ارتباطه بموضوع بحثي الذي يدور حول السيوطي ونشاطه النحوي .

والسيوطي معجب بابن مالك وابي حيان على السواء ، فقد ترجم لهما في كتابه (البغية) ترجمة مطولة ، مفعمة بالمدح والاطراء ، فقال في ابن مالك : « وكان اماماً في القراءات وعللها ، واما اللغة فكان اليه المنتهى في الاكثار من نقل غريبها ، والاطلاع على وحشيها واما النحو والتصريف فكان فيهما بحرا لا يجارى وحبرا لا يبارى ، واما اشعار العرب التي يستشهد بها على اللغة والنحو فكانت الائمة الاعلام يتحيرون منه ، ويعجبون من اين يأتي بها ، وكان نظم الشعر سهلا عليه ، رجزه وطويله وبسيطه وغير ذلك » (٢) .

وامتدح منهجه في النحو فقال : « لابن مالك في النحو طريقة سلكها بين طريقي البصريين والكوفيين ، فان مذهب الكوفيين والقياس على الشاذ ، ومذهب البصريين اتباع التأويلات البعيدة التي خالفها الظاهر . وابن مالك يحكم بوقوع ذلك من غير حكم عليه بقياس ولا تأويل بل يقول : انه شاذ او ضرورة كقوله في التمييز :

والفعل ذو التصريف نزرا سبقا (٣)

---

(١) بغية الوعاة جـ١ ص٢٨٢ . وانظر (ابو حيان النحوي) ص٥٨٢
(٢) بغية الوعاة جـ١ ص١٣٠
(٣) شرح ابن عقيل جـ٢ ص١٥٨

وقوله في مد المقصور :

والعكس في شعر يقع (١)

قال ابن هشام : وهذه الطريقة طريقة المحققين . وهي احسن الطريقين » (٢) .

وأما أبو حيان فقد قال السيوطي فيه : « وتقدم في النحو ، وأقرأ في حياة شيوخه بالمغرب . . وأكب على طلب الحديث وأتقنه ، وبرع فيه وفي التفسير والعربية والقراءات والأدب والتاريخ ، واشتهر اسمه وطار صيته ، وأخذ عنه أكابر عصره ، وتقدموا في حياته ، كالشيخ تقي الدين السبكي . . قال الصفدي : وأما النحو والتصريف فهو الامام المطلق فيهما ، خدم هذا الفن أكثر عمره ، حتى صار لا يدركه أحد في أقطار الارض فيهما غيره ، وله اليد الطولي في التفسير ، والحديث ، وتراجم الناس ، ومعرفة طبقاتهم » (٣) .

وأبو حيان لم يلتق بابن مالك ، ولكنه مع ذلك كان لا يخلو من التحامل (٤) عليه ، فقد ذكر السيوطي في (البغية) أن أبا حيان قال فيه : بحثت عن شيوخه فلم أجد له شيخا مشهورا يعتمد عليه ، ويرجع في حل المشكلات اليه ، الا أن بعض تلامذته ذكر انه

(١) شرح ابن عقيل جـ٢ ص١١٦

(٢) الاقتراح ص ٨٦

(٣) بغية الوعاة جـ ١ ص ٢٨٠/٢٨١

(٤) نفح الطيب جـ٢ ص٢٧

قال : قرأت على ثابت بن حيان (١) بجيان ، وجلست في حلقة أبي علي الشلوبين نحو من ثلاثة عشر يوماً ، ولم يكن ثابت بن جيان من الأئمة النحويين ، وانما كان من أئمة المقرئين ... وكان ابن مالك لا يحتمل المباحثة ، ولا يثبت للمناقشة ، لانه انما اخذ هذا العلم بالنظر فيه بخاصة نفسه ، هـــذا مع كثرة ما اجتناه من ثمرة غرسه » (٢) .

وكأن السيوطي لم يرض بكلام أبي حيان هذا فعقب عليه بقوله : « قلت ، وله شيخ جليل ، وهو ابن يعيش الحلبي ، (٣) ذكر ابن اياز فى (٤) أوائل شرح التصريف أنه اخذ منه » (٥) .

ومما لا شك فيه ان شيوخ ابن مالك لا يقاربون في العدة والمنزلة شيوخ أبي حيـــان ، وانه لم يجلس في حلقات الدرس مثلما جلس ابو حيان ، ولكن هذا لا يعني انه كان كما وصفه خصمه ومنافسه ،

---

(١) هو ابو الحسين ثابت بن محمد بن يوسف بن حيـــان الكلاعي الغرناطي المتوفى سنة ٦٢٨ هـ ، كما في البغية جا ص ٤٨٢

(٢) بغية الوعاة جا ص١٣٠/١٣١ ، وانظر التذييل والتكميل جـ ٥ ص ١٦٩ ، والبحر المحيط جـ٤ ص٣٧٢ ـ

(٣) ابن يعيش ، هو صاحب شرح المفصل المشهور انظر ترجمته في بغية الوعاة جـ٢ ص٣٥١/٣٥٢

(ابن اياز : هو الحسين بن بدر بن اياز ، شرح فصول ابن معط ، مات سنة ٦٨١ هـ ، انظر بغية الوعاة جا ص٥٣٢

(٥) بغية الوعاة جا ص١٣١

فقد ذكر السيوطي (١) انه اخذ بدمشق عن الحسن بن الصباح المتوفى سنة ٦٣٢ هـ ، واخذ بحلب عن ابن يعيش المتوفى سنة ٦٤٣هـ، وجالس بن عمرون (٢) المتوفى سنة ٦٤٩ هـ ، وله شيوخ آخرون ذكرهم غير السيوطي (٣) منهم أبو الفضل نجم الدين مكرم بن محمد بن حمزة الدمشقي المعروف بابن ابي الصقر المتوفى سنة ٦٣٥ هـ .

ويستدل بما نقله السيوطي عن ابن مالك وابي حيان ان الخلاف بينهما قائم على الاختلاف في المنهج الذي نهجه كل منهما ، فابن مالك يعتد بالحديث على انه دليل من ادلة الصناعة النحوية ، فيحتج به على تقعيد القواعد النحوية العامة ، بينما ابو حيان يرفض ذلك رفضا قاطعا ، فيبعد الحديث عن دائرة الاحتجاج ، وقد مال السيوطي الى راي ابي حيان ميلا ظاهرا ، (٤) كما فصلنا ذلك عند دراستنا كتاب (الاقتراح) .

وابن مالك يجز الاستشهاد ببعض اللهجات العربية التي رفض البصريون الاحتجاج بشعرها ، مثل لغة لخم وخزاعة وقضاعة وغيرهم، بينما ابو حيان اقتفى اثر البصريين - وهو الصحيح - فلم يجز

---

(١) بغية الوعاة ج١ ص ١٣٠

(٢) ابن عمرون : ، هو ابو عبدالله جمال الدين محمد بن ابي محمد ابن ابي علي الحلبي النحوي المتوفى سنة ٦٤٩ هـ ، البغية ج١ ص٢٣١

(٣) نفح الطيب ج٢ ص٤٢١ ، وغاية النهاية في طبقات القراء ج٢ ص ١٨٠/١٨١

(٤) انظر همع الهوامع ج١ ص١٠٥ ، وص١٧٤، ص٢٠٨، وص١٦٠

الاستدلال بشعر هذه القبائل ، لانها كانت بعيدة عن البيئة العربية المتبدية ، ففسدت سليقتها ، لاختلاطها بالاعاجم من الأمم ، وقد شايع السيوطي ابا حيان في رأيه هذا ونقله عنه في الاقتراح والمزهر (١) .

وابو حيان لا يثبت الحكم بمحتمل تجوز فيه وجوه مختلفة ، واشتق لذلك قاعدة أصولية ، وهي : اذا دخل الدليل الاحتمال سقط به الاستدلال ، وردّ بهذه القاعدة على ابن مالك كثيرا في مسائل استدل عليها - كما يقول السيوطي - « بادلة بعيدة التأويل ، منها استدلاله على قصر الأخ بقوله :

أخاك الذي ان تدعه لملمة يجبك بما تبغي ويكفيك من يبغي

فانه يحتمل ان يكون منصوبا باضمار فعل اى الزم ، واذا دخله الاحتمال سقط به الاستدلال » (٢) .

ولم يقف الاختلاف بين ابن مالك وابي حيان على هذه المسائل العامة بل تعداه الى المسائل الفرعية ، وربما كان خلافهما في الفرعيات مبنياً على خلافهم في تلك المسائل الأصولية الثلاث التي اشرنا اليها . ولما كان غرضنا منحصراً في بيان موقف السيوطي من هذا الخلاف،

---

(١) الاقتراح ص ٢٠ ، والمزهر جا ص٢١١

(٢) الاقتراح ص٢٩ ، وانظر التذليل والتكميل القسم المطبوع جـ١ ص ٨٢ وابو حيان النحوي ص ٢٤١ وشرح الالفية جـ٢ ص ٢٧ والتسهيل ص٩

لذلك سنعرض طرفا من هذا الخلاف ، مع التأكيد على موقف السيوطي منه ، واليك تفصيل ذلك :

١ ــ بناء الاسم :

جعل ابن مالك من اسباب بناء الاسم شبهه الوضعي بالحرف (١) ويرى ابو حيان ان ابن مالك انفرد بالقول بمراعاة هذا الشبه الوضعي ، قال السيوطي في (الهمع) : « قال ابو حيان لم اقف على مراعاة الشبه الوضعي إلا لابن مالك » (٢) .

وقد وافق السيوطي ابن مالك في اعتبار الشبه الوضعي ، فقال : « الوجوه المعتبرة في شبه الحرف ستة ، أحدها الوضعي ، بأن يكون الاسم موضوعا على حرف أو حرفين ، فان ذلك هو الأصل في وضع الحرف ، إذ الأصل في وضع الاسم والفعل أن يكونا على ثلاثة : حرف يبتدأ به ، وحرف يوقف عليه ، وحرف فاصل بينهما ، والحروف انما جيء بها لأنه اختصر بها الأفعال ، إذ معنى ما قام زيد ، نفيت القيام عن زيد ، فلابد أن تكون أخصر من الأفعال ، والا لم يكن للعدول عنها اليها فائدة » (٣) .

٢ ــ اعراب صيغ العقود :

الجمهور يعرب صيغ العقود اعراب جمع المذكر السالم ، بالواو

---

(١) شرح الالفية جا ص٢٠

(٢) همع الهوامع جا ص١٧ وأنظر أبو حيان النحوي ص٣٤٧ـ٣٤٨

(٣) همع الهوامع جا ص١٦ وانظر منهج السالك ص٦ ، وابو حيان النحوي ص٣٤٧ـ٣٤٨

رفعاً ، وبالياء نصبا وجرا ، (١) ولكن ابن مالك أجاز اعرابها بالحركات قياسا على اعراب (سـنين) بالحركات عند بعض قبائل العرب ، قال السيوطي : « اعراب هذا النوع (أي سنين وما جرى بجراها) اعراب الجمع لغة الحجاز وعليا قيس ، وأما بعض بني تميم وبني عامر ، فيجعل الاعراب في النون ، ويلزم الياء ، قال :

أرى مر السنين أخذن مني (٢)

ثم الأولون يتركونه بلا تنوين ، والآخرون ينونونه ، فيقولون في النكر : أقمت عنده سنينا ، قال :

متى تنج حبوا من سنين ملحة (٣)

وقال :

ألم نسق الحجيج سلي معدا سنيناً ما تعد لنا حسابا (٤)

---

(١) همع الهوامع جا ص٤٧

(٢) قال الشنقيطي : « والبيت لجرير » ، والذي في ديوانه :

رأت مر السنين أخذن مني كما أخذ السرار من الهلال

وهو الصحيح لأنه في قصة امرأة عنفته على التصابي ، وهو من قصيدة يهجو بها الفرزدق ، انظر الدرر اللوامع جا ص ٢٠

(٣) وتمام البيت : متى تنج حبوا من سنين ملحة

تشم لأخرى تنزل الأعصم الفردا

قال الشنقيطي : « لم اعثر على قائله » انظر الدرر اللوامع جا ص ٢٠

(٤) قال الشنقيطي : « لم اعثر على قائله » انظر الدرر اللوامع ج ١ ص ٢٠

قال ابن مالك : ولو عومل بهذه المعاملة عشرون واخواته لـكان حسنا ، لأنها ليست جموعاً ، فكان لها حق في الاعراب بالحركات كسنين « قال السيوطي » : واباه أبو حيان ، لان اعرابها اعراب الجمع على جهة الشذوذ ، فلا نضم اليه شذوذا آخر (١) .

والصحيح ما ذهب اليه ابو حيان ، ووافقه فيه السـيوطي ، لأن الأصل في العربية السماع ، فان لم يرد السماع ، فيعول على القياس ، وشرط القياس أن يقاس على الكثير الشائع المطرد ، واعراب(سنين) بالحركات غير شائع ، ولا مطرد ، بـــل حكم السيوطي في البهجة المرضية بشذوذه ، (٢) وقرر ابن عقيـــل في شرح الألفية انه غير مطرد ، قال : « وأشار (يعني ابن مالك) بقوله » : ومثل حين يرد ذا الباب « الى أن سنين ونحوه قد تلزمه الياء ، ويجعل الاعراب على النون ... واختلف في اطراد هـذا ، والصحيح انه لا يطرد ، وانه مقصور على السماع » (٣) .

٣ ـــ الضمير في (اياك) وأخواتها :

ذهب ابن مالك ـ وفاقاً للخليل والمـازني ـ الى ان كلا من (ايـا) وما ألحق بها ضمير ، وانهما متضـــايفان ، واحتجوا له بظهور المضاف اليه الظاهر في قول بعض العرب : (اذا بلغ الرجل

---

(١) همع الهوامع جـ١ ص٤٧

(٢) البهجة المرضية ص١٠

(٣) شرح الالفية لابن عقيل جـ١ ص٣٥

الستين فاياه وايـا الشواب) (١) .

ورد ابو حيـان ذلك فقال : « لو كانت « ايـا » مضـافة لزم اعرابها لأنها ملازمة لمـا ادعوا اضافتها اليه ، والمبني اذا لزم الاضافة أعرب ، كأي ، بل أولى لأن « ايا » لا ينفك ، و « أى » قد تنفك عن الاضافة » .

وقد ذهب السـيوطي الى ما ذهب اليه أبو حيـان ، وعـد المثـال شاذا ، لأنه « لم تعهد اضافة الضمائر » (٢) .

وما ذهب اليه ابو حيـان والسيوطي هو مذهب سيبويه وابي علي الفـارسي ، وعندهما ان (ايـا) هي الضمير ، وما ألحق بها حروف تدل عـلى ما يراد من متكلم او مخاطب او غائب ، افرادا او تثنية او جمعاً ، تذكيرا او تأنيثاً » (٣) .

وللفراء رأي ثالث في هذه المسألة ، وهو اصح الآراء عندي ، فقد نقل السيوطي عنه أنه ذهب الى ان اللواحق هي الضـمائر ، و (أيـا) واخواتها حروف ، زيدت دعامة تعتمد عليها هذه

---

(١) همع الهوامع جا ص٦١ ، وانظر التسهيل ص ٢٦ والكتاب جا ص١٤١ ، وشرح الالفية لابن عقيـل جـ٤ ص٤٢ والبهجة المرضية ص١٥ و ص١٠٧ ، وسر صناعة الاعراب ص٣١١

(٢) همع الهوامع جا ص٦١

(٣) همع الهوامع جا ص٦١ ، وانظر سر صناعة الاعراب ص٣١٦

اللواحق ، لتنفصل عن المتصل (١) .

٤ - فعل الرجاء (حرى) :

زاد ابن مالك في افعال الرجاء (حرى) ، (٢) واستشهد لذلك بقول الشاعر :

ان تقل هن من بنى عبد شمس فحرى أن يكون ذلك وكانا (٣)

فأنكر عليه ذلك أبو حيان ، فقال : « والمحفوظ أن حرى الاسم منون . لا يثنى ولا يجمع ، قال ثعلب : انت حرى من ذلك ، اي حقيق وخليق » (٤) .

فرد السيوطي على ابي حيان بأن ابن مالك لم ينفرد فيما (٥) قال ، فقد سبقه اليه ابن طريف (٦) والسرقسطي (٧) .

والصحيح هو ما ذهب اليه ابن مالك ووافقه فيه السيوطي ، لأن من حفظ حجة على من لم يحفظ ، وابن مالك ثقة في ما نقل ،

---

(١) همع الهوامع ج١ ص١٢٨ ، وانظر التسهيل ص ٥٩

(٢) نسبه الشنقيطي الى الأعشى ، انظر الدرر اللوامع ج١ ص١٠٣

(٣) همع الهوامع ج١ ص ١٢٨/١٢٩

(٤) همع الهوامع ج١ ص١٢٩

(٥) هو عبدا الملك بن طريف الاندلسي . له كتاب الافعال ، مات في حدود ٤٠٠ هـ ، ج٢ ص١١١

(٦) السرقسطي : قال السيوطي في باب الكنى والالقاب في البغية هم : « خلق كثيرون » ولم يعين احدا منهم ، البغية ج٢ ص ٣٧٧

ووافقه في هذا النقل غيره من النحاة ، بل أن ابا حيان نفسه قد نص عليها في لمحته ، على ما ذكر الأزهري في تصريحه ، حيث قال : « حرى : بفتح الحاء والراء المهملتين ، نص عليها ابن طريف في كتاب الافعال ، وانكرها ابو حيان مع انه نص عليها في لمحته » (١) .

٥ — اعراب (حتى) قبل الفعل الماضي :

يرى ابن مالك ان (حتى) حرف جر قبل الفعل الماضي ، ويقدر (ان) مضمرة بعد (حتى) ليصح تأويل الفعل بمصدر (٢)

ورد ابو حيان ذلك ، وقال : « وقد وهم في ذلك » ووافق السيوطي ابا حيان ، وهو الصحيح ، لان في قول ابن مالك تكلف اضمار من غير ضرورة ، (٣) واعرب النحاة ـ ومنهم السيوطي ـ (حتى) في مثل هذا الموضع حرف ابتداء ، وعليه حملوا (حتى) (٤) في قوله تعالى : (ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء) (٥)

---

(١) التصريح على التوضيح جـ١ ص ٢٠٣ ، وانظر الدرر اللوامع جـ١ ص ١٠٣

(٢) همع الهوامع جـ٢ صظ٢ ، وانظر التسهيل ص٢٣٤

(٣) همع الهوامع جـ٢ ص٢٤ ، وانظر مغنى اللبيب جـ١ ص١٣٨

(٤) همع الهوامع جـ٢ ص٢٤

(٥) الاعراف ، آية رقم (٩٥)

٩ ـ الاضافة تأتي بمعنى في :

يرى ابن مالك ان الاضافة قد تأتي بمعنى (في) ، اذا كان المضاف اليه ظرفا للمضاف ، ومثل له بقوله تعالى : (ألد الخصام)(١)، و (بل مكر الليل والنهار) (٢) ، و (تربص اربعة اشهر) ، (٣) و (يا صاحبي السجن) (٤) ، قال السيوطي : « فمعنى (في) في هذه الامثلة ظاهر ، ولا يصح تقدير غيره الا بتكلف » (٥) . وقد انكر ابو حيان على ابن مالك ذلك ، وزعم تفـــرده به ، فقال : ولا اعلم احدا ذهب الى هذه الاضافة غيره » (٦) .

ورد « السيوطي » على ابى حيان زعمه هذا ، وذكر ان ابن مالك لم ينفرد بهذا القول ، فقد سبقه اليه الجرجاني ، وابن الحاجب في كافيته (٧) .

واعتقد ان السيوطي كان مصيبا في موافقته لابن مالك ، وجل النحاة المتأخرين يرون رايهما ، فقد ذكر ابن عقيل في شرح

---

(١) سورة البقرة آية رقم (٢٠٤)

(٢) سورة سبأ آية رقم (٣٣)

(٣) سورة البقرة آيه رقم (٢٢٦)

(٤) يوسف آية رقم (٣٩)

(٥) همع الهوامع جـ٢ ص٤٦ ، وانظر التسهيل ص ، ١٥٥ والبهجة المرضية ص ٧٣

(٦) همع الهوامع جـ٢ ص ٤٦ ، وانظر في النحو العربي ص ١٨٣

(٧) همع الهوامع جـ٢ ص٤٦

الالفية انه يتعين تقدير (في) ان كان المضاف اليه ظرفا واقعا فيه المضاف (١) .

هذه جوانب من تعقبات ابي حيـان لابن مالك ، بما عرض له السيوطي في كتابه (الهمع) ، ونستدل من الامثلة التى ذكرناها ، ان السيوطي كانت له شخصيته المتميزة ، التي تعـول على الدليـل ، وتتبع الراي الذي تعتقد صوابه ، فقد راينـــاه يوازن بين الآراء المتضاربة ، فيدعم احدها وينقض الآخر ، فينتصر لابي حيان ويعضد رايه تارة ، ثم يميل عنه تارة اخرى فيأخذ بقول ابن مالك ، ويصحح مذهبه .

ولعل موقف السيوطي من هذين العالمين يشكل حلقة من حلقات منهجه النحوي القائم على الاختيار والانتخاب ، وهو المسلك الذي ترسمه متأخرو النحاة ، وبخاصة نحاة الشام ومصـــر والمغرب والاندلس .

---

(١) شرح ابن عقيل جـ ٣ ص ٣١

(٦)

مع ابن هشام

عني السيوطي « بكتب ابن هشام عناية فائقة ، وله عليها اكثر من حاشية وشرح ، مثل : (فتح القريب على مغني اللبيب) ، و (تحفة الاريب برجال مغني اللبيب) و (شرح شواهد المغنى) ، و (التوشيح على التوضيح) ، فلا غرو ان رايناه يكثر النقل عنه في كتابه (الهمع) ، فقد تردد فيه اسمه كثيرا ، وفي غالب ابواب الكتاب ، وان كان اعتماده عليه أقل بكثير من على ابن مالك وابي حيان .

ويطالعنا النقل عن ابن هشام في (الهمع) ابتداء من صفحاته الاولى ، فقد نقل عنه تعليقا له على الخلاف الواقع بين النحاة في فعلية (عسى وليس وكان) حيث ذهب ابن السراج الى حرفية (عسى وليس) ووافقه في الاولى ثعلب وفي الثانية الفارسي وابن شقير ، وذهب الزجاجي الى ان (كان) واخواتها حروف ، فعلق ابن هشام على هذا الخلاف فقال في حواشي التسهيل - فيما نقله عنه السيوطي : « الخلاف في عسى وليس شهير ، وفي كان غريب » (١)

---

(١) همع الهوامع ج١ ص١٠

ونقل عنه أنه : ذهب الى ان (عشر) في قولنا (اثنى عشر) قد حلت محل النون التي في (اثنين) ، وانها لا محل لها من الاعراب ، وان (اثني) ليست مضافة اليها (١) .

ولما كان الذي يهمنا من آراء ابن هشام التي وردت في (الهمع) تلك الاراء التي ناقشها السيوطي ، فوافقه في قسم منها وخالفه في قسم آخر ، سأكتفي بعرض طائفة من هـذه الاراء مؤكدا على موقف السيوطي منها . واليك تفصيل ذلك :

١ ـ الجملة والكلام :

ذهب ابن هشام في المغني الى ان الجملة أعم من الكلام ، فقال : « ولهذا تسمعهم ، يقولون جملة الشرط ، جملة الجواب ، جملة الصلة ، وكل ذلك ليس مفيدا ، فليس كلاما » .

وقد وافقه السيوطي في ذلك واحتج بقوله هذا فيما رد فيه على الزمخشري في زعمه ان الجملة والكلام مترادفان (٢) .

٢ ـ اعراب (من) في الحكاية :

ذهب الجوهري (٣) صاحب الصحاح في كتاب له في النحو الى

---

(١) همع الهوامع جـ١ ص١٤ وانظر المدارس النحوية ص٣٤٥

(٢) همع الهوامع حـ١ ص١٢ـ١٣ وانظر المغني جـ٢ ص٤١٩

(٣) الجوهري : هو ابو نصر اسماعيل بن حماد الجوهري صاحب الصحاح ، المتوفى سنة ٣٩٣ هـ وقيل في حدود الاربعمائة انظر بغية الوعاة حـ١ ص٤٤٦ ـ ٤٤٧

أن (من) في حكاية النكرة في الوقف معربة بالحروف كالاسماء الستة ، فانك تقول لمن قال : جاءني رجل ، منو ، ولمن قال : رأيت رجلا ، منا ، ولمن قال : مررت برجل ، مني ، وقد رد السيوطي قول الجوهري هذا ، واحتج له بما نقله عن ابن هشام حيث قال : « قال ابن هشام : وليس بشيء لان هذا ليس باعراب بدليل انه لا يثبت في الوصل ، ولان وضعها وضع الحرف فلا تستحق اعرابا ، ولان الاعراب انما يكون بعامل يدخل على الكلمة في الكلام الذي هي فيه » (١) .

٣ ـ حرف النداء الهمزة :

ذهب ابن هشام في شرح التسهيل الى ان النداء بالهمزة في كلام العرب قليل ، وتبعه في ذلك ابن الخباز في حواشي المغني ، فرد السيوطي عليهما ذلك فقال : « وما قالاه مردود فقد وقفت لذلك على اكثر من ثلاثمائة شاهد ، وافردتها بالتأليف » (٢) .

٤ ـ حرف النداء (يا) :

ذهب ابن هشام الى ان (يا) حرف لنداء البعيد حقيقة او

---

(١) همع الهوامع جـ ١ ص٣٩

(٢) همع الهوامع جـ١ ص ١٧٢ وانظر المدارس النحوية ص ٣٦٤ ، والفتح القريب على مغنى اللبيب ق ١٩٣ واسم مؤلف السيوطي الذي الفه في ورود الهمزة للنداء هو (قطر الندا في ورود الهمزة للنداء) وهو من كتبه المفقودة على ما يترجح عندي ، انظر انظر حسن المحاضرة جـ١ ص٣٤٣

حكما ، وقد ينادى بها القريب ، وقد وافقه السيوطي في ذلك (١) .

٥ ـ وقوع غير بعد لا :

نقل السيوطي عن ابن هشام انه اشترط في غير المقطوعة عن الاضافة ان تقع بعد ليس ، وقد لحن الفقهاء في قولهم : لا غير وقد رد عليه السيوطي ذلك فقال « وليس كما قال ، فقد صرح السيرافي وابن السراج وابو حيان بأن (لا) كليس في ذلك ، وانشد ابن مالك :

« فعن عمل اسلفت لا غير تسأل » (٢)

٦ ـ تعلق خلا وعدا وحاشا :

نقل عن ابن هشام انه اختار في خلا وعدا وحاشا في حالة كونها حروف جر انها لا تتعلق بشيء . وحكمها عنده حكم الحروف الزائدة ، وقد خالفه السيوطي في ذلك فذهب الى انها متعلقة بما قبلها من فعل وشبهه ، وحكمها في ذلك حكم بقية حروف الجر(٣).

٧ ـ (ما) التي قبل عدا وخلا لا تأتي زائدة :

نقل السيوطي ان الجرمي (٤) والربعي (٥) والكسائي والفارسي

---

(١) همع الهوامع جا ص١٧١ ـ ١٧٢ وانظر المغني جا ص٤١٣

(٢) همع الهوامع جا ص٢١٠

(٣) همع الهوامع جا ص٢٣٢ ، وانظر المغني جا ص١٤٢

(٤) الجرمى : ابو عمر صالح بن اسحاق الجرمى البصري مات سنة ٢٢٥ هـ البغية جـ٢ ص٨ ـ ٩

(٥) الربعى : هو ابو الحسن على بن عيسى ، اخذ عن ابى علي الفارسى ، انظر البغية جـ ٢ ص١٨١

وابن جني ذهبوا الى جواز جر الاسم الذي بعد (ماعدا) و (ماخلا) على تقدير أن (ما) زائدة ، وقد رد عليهم ذلك ابن هشام فقال : « فان قالوه بالقياس ففاسد ، لأن (ما) لا تزاد قبل حروف الجر ، بل بعدها ، أو بالسماع فشاذ ، بحيث لا يقاس عليه ، » وقد وافقه السيوطي في ذلك فقرر أن (ما) اذا دخلت على (خلا) و (عدا) تعين النصب بعدهما ، لأنها مصدرية (١) .

٨ ـ سهو ابن هشام فيما نقله عن ابن الصائغ والحضرمي :

نقل السيوطي أن (لو) قد تأتي للتمني ، كقولك : لو تأتيني فتحدثني ، وأن لا جواب لها في هذه الحال ، ونقل عن أبي حيان : أن أبا الحسن بن الصائغ وابن هشام الحضرمي (٢) قد قررا ذلك ، وبعد أن نقل السيوطي هذا قال : « ونقل الشيخ جمال الدين ابن هشام في المغني عن ابن الصائغ وابن هشام انهما قالا يحتاج الى جواب كجواب الشرط ، وهو سهو » (٣) .

٩ ـ العامل في معمول الظرف والجار والمجرور :

اذا اعتمد (الجار والمجرور) أو (الظرف) على نفي أو

---

(١) همع الهوامع جـ١ ص٢٣٣ ، وانظر المغني جـ١ ص١٤٢

(٢) ابن هشام الحضرمي : هو ابو مروان عبيد الله بن عمر بن هشام الحضرمي شارح قصيدة ابن دريد من نحاة الاندلس مات سنة ٥٥٠ هـ ، انظر البغية جـ٢ ص١٢٧

(٣) همع الهوامع جـ٢ ص٦٦ ، وانظر المغني جـ١ ص٢٩٥

استفهام أو موصول أو موصوف أو صاحب خبر أو حال رفعا ما بعدهما فاعلا ، واختلف في العامل فيه ، فذهب ابن مالك الى ان العامل فيه هو فعل محذوف تقديره استقر ، وذهب ابن هشام في المغني الى ان العامل فيه الظرف أو الجار والمجرور نيابة عن فعل الاستقرار ، ولم يرجح السيوطي أيا من المذهبين ، وقال : « ولتعادل المرجحين (يعني ابن مالك وابن هشام) في الامامة ارسلت الخلاف من غير تصحيح » (١) .

١٠ - مجيء (او) بعد سواء :

نقل السيوطي عن ابن هشام انه لحن الفقهاء في قولهم : سواء كان كذا أو كذا ، فقال : « وقد أولع بها الفقهاء وهو لحن ، والصواب الاتيان بأم ، وفي الصحاح : تقول سواء علي أقمت أو قعدت ، وهو سهو ، وفي الكامل : أن ابن محيصن قرأ : أو تنذرهم ، وهو من الشذوذ ، قال : أما همزة الاستفهام فيعطف بعدها بأو ، نحو : أزيد عندك أو عمرو » . وبعد أن نقل هذا السيوطي قال : وفي البديع : قال سيبويه اذا كان بعد سواء همزة الاستفهام فلابد من أم اسمين كانا أو فعلين ، تقول : سواء علي أزيد في الدار أم عمرو ، وسواء علي أقمت أم قعدت ، واذا كان بعدها فعلان بغير ألف الاستفهام عطف الثاني بأو ، تقول : سواء علي قمت أو قعدت ، وان كانا اسمين بلا ألف عطف الثاني بالواو ، تقول : سواء علي زيد وعمرو ، وان كان بعدها مصدران كان الثاني بالواو حملا عليها ، قال السيرافي : فاذا قلت سواء علي

---

(١) همع الهوامع جـ٢ ص ١٠٧

قمت أو قعدت ، فتقديره ان قمت أو قعدت فهما عليّ سواء ، فعلى هذا سواء خبر مبتدأ محذوف والجملة دالة على جواب الشرط المقدر ، قال ابن الدماميني : وبذلك يتبين صحة قول الفقهاء ، وكأن ابن هشام توهم أن الهمزة لازمة بعد كلمة سواء في اول جملتيها ، وليس كذلك » (١) .

هذه هي اهم آراء ابن هشام التي عرض لها السيوطي في (الهمع) ، وقد كان موقفه منها يشابه موقفه من آراء ابن مالك وابي حيان وسائر النحاة الذين عرض لهم في كتابه ، فهو تارة يوافقه ويأخذ برايه وتارة اخرى يخالفه وينقض قوله ، وهو في ذلك منسجم تمام الانسجام مع منهجه القائم على الانتخاب والاختيار .

(١) همع الهوامع جـ٢ ص١٣٤ ـ ١٣٥ وانظر المغني جـ١ ص٤٢

(٧)

آراء السيوطي النحوية والصرفية

قررت فيما مضى من هذا الفصل أن السيوطي - اضافة الى ممارسته النقل الذى هو عمله الرئيسي - كان يطالعنا بين الفينة والفينة ببعض الآراء النحوية ، وهذه الآراء في مجموعها اختيارات وترجيحات وتصحيحات كان يبديها أثناء عرضه لآراء غيره ، وقد مرّ بنا خلال هذا الفصل شيء كثير من تلك الآراء ، وأود هنا أن أعرض لأهم ما بقي من آرائه التي أبداها في جميع الابواب النحوية لتنضم الى سابقاتها فتكون لنا صورة واضحة لمنهج السيوطي في النحو القائم على الاختيار والانتخاب ، وهي :

أ - الاعراب والبناء :

١ - الأسماء قبل التركيب :

للنحاة في الاسماء قبل التركيب ثلاثة اقوال ، أحدها وعليه ابن الحاجب انها مبنية ، لجعله عدم التركيب من اسباب البناء ، (١) وعلل ذلك غيره بأنها تشبه الحروف المهملة في كونها لا عاملة ولا

---

(١) شرح الكافية جـ١ ص١٩

معمولة ، الثاني أنها معربة بناء على أن عدم التركيب ليس سببا للبناء ، والثالث انها واسطة ، لا مبنية ولا معربة ، واختار السيوطي الرأى الأخير تبعا لأبي حيان ، وذلك لعدم الموجب لكل منهما . (٢)

٢ ـ بناء الفعل المضارع المسند لنون الأناث :

ادعى ابن مالك في شرح التسهيل انه لا خلاف في بناء الفعل المضارع المسند الى نون الاناث ، فرد عليه السيوطي ، وذكر انه قال باعرابه جماعة منهم ابن درستويه ، والسهيلي ، وابن طلحة . (١)

٣ ـ بناء الفعل المضارع المتصل بنون التوكيد :

ذهب السيوطي الى أن الفعل المضارع اذا اتصل بنون التوكيد بني ان باشرته النون واعرب ان فصلت عنه بألف الاثنين أو واو الجماعة او ياء المخاطبة لفظاً ، أو تقديراً لعدم التركيب مع الحاجز اذ لا تركب ثلاثة اشياء فتجعل شيئـــا واحدا ، ويدل على اعرابه حينئذ رجوع علامة الرفع عند الوقف على المؤكد بالخفيفة نحـــو : هل تفعلن ، فانه عند الوقف تحذف وترد الواو والنون ، فيقال : هل تفعلون ، ولو كان مبينا لم يختلف حال وصله ووقفه . (٢)

٤ ـ اعراب الأسماء الستة :

ذهب في اعراب الاسماء الستة مذهب سيبويه والفارسي وجمهور البصريين ، وقال : « انها معربة بحركات مقدرة في الحروف وانها

---

(٢) همع الهوامع جا ص١٩

(١) همع الهوامع جا ص١٩

(٢) همع الهوامع جا ص١٨ ـ ١٩

أتبع فيها ما قبل الآخر للآخر ، فاذا قلت قام ابوك فأصله : أبوك فاتبعت حركة الباء لحركة الواو ، فقيل : أبوك ، ثم استثقلت الضمة على الواو فحذفت ، واذا قلت : رأيت أباك ، فأصله أبوك ، تحركت الواو وانفتح ما قبلها فقلبت ألفا ، واذا قلت : مـــررت بأبيك ، فأصله بأبوك ، ثم اتبعت حركة الباء لحركة الواو فصار بأبوك فاستثقلت الكسرة على الواو ، فحذفت ، فسكنت ، وقبلها كسرة فانقلبت ياء ، واستدل لهذا القول بأن أصل الاعراب ان يكون بحركات ظاهرة او مقـــدرة فاذا امكن التقدير مع وجود نظير لم يعدل عنه » . (١)

وما ذهب اليه السيوطي - على ما اعتقد - فيه شيء من التعسف في التقدير والاصح في هذا الباب هو ان الواو والالف والياء هـي الاعراب ، وانها نابت عن الحركات ، وهو مذهب قطرب ، وجماعة من البصريين وهشام من الكوفيين ، كما نص عليه السيوطي . (٢)

٥ - اعراب المثنى وجمع المذكر السالم :

واختار في اعراب المثنى وجمع المذكر السالم انه اعرب بالحروف وفاقا لما ذهب اليه قطرب والزجاج والزجاجي ، وخلافا لمـا ذهب اليه الخليل وسيبويه بأنها اعربت بحركات مقدرة على الالف والواو

---

(١) همع الهوامع جا ص٣٨

(٢) همع الهوامع جا ص٣٨ ، وانظر منهج السالك الى الفية ابن مالك جا ص٤٢

والياء . (١) وما رآه السيوطي في هذه المسألة هو الصحيح لأنه ابسط من غيره وسالم من التقدير .

ب ـ النكرة والمعرفه :

١ ـ تعريف المنادى :

اختار ان النكرة المقصودة معرفة بالقصد وفاقا لابن مالك ، وخلافا لأبي حيان الذى ذهب الى أن تعريفه بأل محذوفة ، ونابت حرف النداء منابها ، (٢)

وذهب الى ان العلم المنادى باق على تعريف العلمية ، وانما ازداد بالنداء وضوحا ، خلافا لمن ذهب الى تعرفه بالنداء بعد ازالة تعريف العلمية ، (٣)

٢ ـ تعريف الاسم الموصول :

اختار السيوطي مذهب الفارسي الذى ينص على ان الموصول تعرف بالعهد الذي في صلته ، خلافا للاخفش الذى ذهب الى ان ما فيه (أل) من الموصولات تعرف بها ، وما ليس فيه (أل) نحو (من) و (ما) فتعرف لأنه في معنى ما هي فيه ، الا (أيّا) فانها تعرفت بالاضافة . (٤)

---

(١) همع الهوامع جا ص٤٧ ـ ٤٨ ، وانظر منهج السالك الى الفية ابن مالك جا ص٥٩

(٢) همع الهوامع جا ص٥٥

(٣) همع الهوامع جا ص٥٥ ، وانظر ص٥٤

(٤) همع الهوامع جا ص٥٥

٣ ـ تفاوت مراتب التعريف :

ذهب الى ان المعارف متفاوتة في التعريف ، وفاقا للجمهور ، وان ترتيبها في الاعرفية كما يلي : المضمر ، والعلم ، والاشارة ، والموصول ، والمعرف بأل ، والمضاف الى واحد منها ، والمنادى .

وقد خالف ابن حزم الجمهور فذهب الى ان المعارف كلها متساوية ، لان المعرفة لا تتفاضل ، اذ لا يصح ان يقال عرفت هذا اكثر من هذا . فرد عليه السيوطي : بأن مرادهم بأن هذا أعرف من هذا ان تطرق الاحتمال اليه اقل من تطرقه الى الآخر » . (١)

٤ ـ حذف نون الوقاية المتصلة بنون الاناث :

اذا اتصلت نون الوقاية بياء المتكلم المتصل بالفعل الماضي المسند الى نون الاناث جاز حذف احدى النونين ، فتقول في (وجدنني) وجدني ، قال الشاعر :

تراه كالثغام يعلّ مسكا يسوء الفاليات اذا فلينى (٢)

واختلف النحاة أى النونين حذفت ، نون الوقاية أم نون الاناث فذهب سيبويه ووافقه ابن مالك الى ان المحذوف نون الاناث ، وذهب المبرد الى ان المحذوف نون الوقاية ، ورجحه ابن جني والخضراوي وابو حيان ، فاختار السيوطي رأيهم ، واحتج له بأن

(١) همع الهوامع ج١ ص٥٥

(٢) البيت لعمرو بن معدى كرب ، وانظر الدرر اللوامع ج١ ص٤٤

الأولى ضمير فاصل فلا تحذف . (١)

٥ ـ تقديم معمول الصلة اذا كان ظرفا أو جاراً ومجروراً :

منع البصريون تقديم الظرف والجار والمجرور المتعلق بالصلة على الموصول ، واجاز ذلك الكوفيون ، فوافقهم في هذا السيوطي واحتج له بأن الجار والمجـــرور والظرف يتوسع فيهما ما لا يتوسع في غيرهما . (٢)

جـ ـ المبتدأ والخبر :

١ ـ اعراب (بحسبك درهم) :

النحـــاة يعربون مثل (بحسبك درهم) ان (درهم) خـبر و (حسبك) مبتدأ ، والباء زائدة ، ولكن الكافيجي شيخ السيوطي ذهب الى ان المبتدأ (درهم) و (بحسبك) هو الخبر ، وقد صوب السيوطي رأى شيخه ، وذلك « نظرا للمعنى ، لأنه محط الفائدة ، اذ القصد الاخبار عن درهم بأنه كافيه » . (٣)

٢ ـ العامل في المبتدأ والخبر :

اختلف النحـــاة في عامل المبتدأ والخبر ، فقال البصريون ان رافع المبتدأ عامل معنوي وهو الابتداء لأنه بني عليه ، ورافع الخبر هو المبتدأ لأنه مبني عليه فارتفع به كما ارتفع المبتدأ بالابتداء ،

---

(١) همع الهوامع جا ص٦٥ ، وانظر المدارس النحوية ص٣٦٤ ، والتسهيل ص٢٥

(٢) همع الهوامع جا ص٨٨ ، وانظر المدارس النحوية ص٣٦٤

(٣) همع الهوامع جا ص٩٣ ـ ٩٤ ، وانظر المدارس النحوية ص٣٦٤

وأما الكوفيون فقد قالوا : انهما ترافعا ، فالمبتدأ رفع الخبر ، والخبر رفع المبتدأ ، لأن كلا منهما طالب الأخر ومحتاج اله وبه صار عمدة ، واختار السيوطي هذا المذهب .(٢)

٣ ـ الخبر بعد لولا :

منع الجمهور ظهور الخبر بعد (لولا) ، وعلى هذا لحنوا المعري في قوله:

يذيب الرعب منه كل عضب فلولا الغمد يمسكه لسالا (٣)

ولكن الرماني وابن الشجري والشلوبين وتبعهم ابن مالك قيدوا المنع بما اذا كان الخبر الكون المطلق ، اما اذا كان كونا مقيدا ولا دليل عليه لم يجز الحذف فضلا عن ان يجب مثل : (لولا زيد سالمنا ما سلم) ، فان كان عليه دليل جاز الاثبات والحذف ، نحو (لولا انصار زيد حموه لم ينج) ، ومنه بيت المعري السابق ، وقد اختار السيوطي هذا الرأي . (١)

٤ ـ رفضه لما اصطنعه النحاة من امثلة :

اذا تعددت مبتدآت متوالية فلك في الاخبار عنها طريقان احدهما

---

(٢) همع الهوامع جا ص٩٤ ـ ٩٥ ، وانظر التسهيل ص٤٤ ، شرح ابن عقيل على الالفية جا ص١١٩ ـ ١٢٠ ، والمدارس النحوية ص٣٦٤

(٣) العضب : السيف القاطع .

(١) همع الهوامع جا ص١٠٤ ، وانظر شرح ابن عقيل على الالفية جا ص١٤٩

أن تجعل الروابط في المبتدآت فيخبر عن آخرها وتجعله مع خبره خبرا لما قبله ، الى ان تخبر عن الاول بتاليه مع ما بعده ، ويضاف غير الاول الى ضمير متلوه ، مثاله (زيد عمه خاله اخوه ابوه قائم) والمعنى ابو اخى خال عم زيد قائم ، والآخر ان يجعل الروابط في الاخبار فيؤتى بعد خبر الاخير بها آخر لأول وتال لمتلو ، مثاله : زيد هند الاخوان الزيدون ضاربوهما عندها باذنه) والمعنى : الزيدون ضاربو الاخوين عند هند باذن زيد ، قال ابو حيان : وهذا المثال ونحوه مما وضعه النحويون للاختبار والتمرين ، ولا يوجد مثله في كلام العرب البته ... وقال ابن الخباز : العرب لا تدخل موصولا على موصول ، وانما ذلك من وضع النحويين ، وهي مشكلة جدا . . . . قال السيوطي : ولهذا اخترت عدم جريان ذلك فيه » . (١)

د ـ النواسخ :

١ ـ عمل كان :

مذهب البصريين أن (كان) ترفع المبتدأ ويسمى اسمها ، وتنصب الخبر ويسمى خبرها ، ومذهب الكوفيين انها لا تعمل في المبتدا شيئاً ، وانه باق على رفعه ، ورجح السيوطي مذهب البصريين واحتج له بأن كان واخواتها تتصل بالضمير ، والضمير لا يتصل الا بعامله . (٢)

---

(١) همع الهوامع ج١ ص١٠٨ ـ ١٠٩

(٢) همع الهوامع ج١ ص١١١ ، وانظر ص١١٠

٢ ـ دخول (الباء) الزائدة على خبر (ما) التميمية :

ذهب الفارسي والزمخشري الى ان (الباء) الزائدة لا تدخل الا على خبر (ما) الحجازية ، فرد عليهم السيوطي ذلك ، وقال : انها تدخل في خبر التميمة ، لوجود ذلك في اشعار بني تميم ونثرهم ولأن (الباء) انما دخلت الخبر لكونه منفيا ، لا لكونه منصوبا بدليل دخولها في (لم اكن بقائم) وامتناعها في (كنت قائما) . (١)

٣ ـ هل يفيد نفي (كاد) اثبات الخبر واثباتها يفيد نفيه :

زعم قوم من النحاة ان نفي (كاد) اثبات للخبر واثباتها نفي له ، وشاع ذلك ـ كما يقول الألسنة حتى قال بعضهم ملغزا :

انحوي هذا العصر ما هي لفظة　　جرت في لساني جرهم وثمود

اذا استعملت في معرض الجحد اثبتت

وان اثبتت قامت مقام جحود (٢)

واستدل لذلك بقوله تعالى : (فذبحوها وما كادوا يفعلون) (٣) وقد ذبحوا ، وبقوله : (يكاد زيتها يضيء) (٤) ولو لم يضيء . قال السيوطي : « والتحقيق انها كسائر الافعال نفيها نفي واثباتها اثبات ، الا ان معناها المقاربة لا وقوع الفعل ، فنفيها نفى لمقاربة الفعل ، ويلزم منه نفى الفعل ضرورة ، إن لم يقارب الفعل ،

---

(١) همع الهوامع جا ص١٢٧

(٢) البيتان لأبي العلاء المعري ، وانظر الدرر اللا ١ ص١١٠

(٣) سورة البقرة آية رقم (٧١)

(٤) سورة النور آية رقم (٣٥)

واثباتها اثبات لمقاربة الفعل ولا يلزم من مقاربته وقوعه ، فقولك : كاد زيد يقوم ، معناه : قارب القيام ، ولم يقم ، ومنه : (يكاد زيتها يضيء) (١) أي يقارب الاضاءة ، الا انه لم يضيء ، وقولك : (لم يكد زيد يقوم) معناه لم يقارب القيام فضلا عن ان يصدر منه ، ومنه : (اذا اخرج يده لم يكد يراها) (٢) ، اى لم يقارب ان يراها فضلا عن ان يرى ، (ولا يكاد يسيغه) (٣) أى لا يقارب اساغته فضلا عن ان يسيغه » . (٤)

٤ ـ عدة الحروف المشبهة بالفعل :

ذهب السيوطي الى ان الحروف المشبهه بالفعل خمسة لا ستة وفاقا لسيبويه ومن جاراه ، وعلل ذلك بقوله : « وعددتها خمسة كما صنع سيبويه والمبرد في المقتضب وابن السراج في الاصول وابن مالك في التسهيل ، لا ستة كما صنع آخرون ، (٥) لأن (إن) و (أن) واحدة ، وانما تكسر في مواضع وتفتح في مواضع ، وان كانتا غيرين ، فالثانية فرع الاولى ، قال ابن مالك : فان قيل ينبغي أن لا تعد (كأن) لان اصلها (أن) زيدت عليها (الكاف) ، فالجواب ان ذلك اصل منسوخ لاستغناء الكاف عن متعلق به بخلاف

---

(١) سورة النور آية رقم (٣٥)

(٢) سورة النور آية رقم (٤٠)

(٣) سورة ابراهيم آية رقم (١٧)

(٤) همع الهوامع جـ١ ص١٣٢ ، وانظر المدارس النحوية ص٦٣٤

(٥) انظر التصريح على التوضيح جـ١ ص٢١٠ ، فقد عدها الازهري فيه ثمانية باضافة (عسى) و (لا)

(أن) فليس اصلها منسوخا ، بدليل جواز العطف على معنى الابتداء كما يعطف بعد المكسورة » . (١)

٥ ـ هل تأتي (كأن) للتحقيق والوجوب :

زعم الكوفيون والزجاجي ان (كأن) تأتي للتحقيق والوجوب كقوله :

فأصبح بطن مكة مقشعرا كأن الارض ليس بها هشام (٢)

أي : ان الارض ، لانه مات ، ورثاه بذلك ، وخرجه ابن مالك على ان الكاف للتعليل كاللام ، اى : لان الارض ، قال السيوطي : « قلت : وعندي تخريج احسن من هذا ، وهو انه من باب تجاهل العارف كقوله :

أيا شجر الخابور مالك مورقا كأنك لم تجزع على ابن طريف (٣)

٦ ـ اعراب مثل قولهم (لا ابالك ولا اخالك) :

حمل الجمهور قولهم (لا ابالك) و (لا اخالك) على ان (ابا) و (اخا) اسماء مضافة الى المجرور باللام ، واللام زائدة ، لا اعتداد بها ولا تعلق ، والخبر محذوف ، والاضافة غير محضة ،

---

(١) همع الهوامع جـ١ ص ١٣٢ ، وانظر الكتاب جـ١ ص٢٧٩ ، والمقتضب جـ٤ ص١٠٧ والتسهيل ص٦١

(٢) البيت للحارث بن خالد في رثاء هشام بن المغيرة . انظر الدرر اللوامع جـ١ ص١٨١

(٣) همع الهوامع جـ١ ص١٣٣ ، والبيت من قصيدة لليلى بنت طريف ترثي أخاها الوليد بن طريف الشيباني ، وكان من رؤساء الخوارج ، انظر الدرر اللوامع جـ١ ص١١١

لأنه لم يقصد في (أب) و (أخ) معين ، فلم تعمل لا في معرفة وزيدت اللام تحسينا للفظ ، لئلا تدخل (لا) على ما ظاهره التعريف . ولكن الفارسي وابن يسعون وابن الطراوة ذهبوا الى انها مفردة جاءت على انها لغة القصر . والمجرور باللام هو الخبر ، فاختار السيوطي هذا الرأى ، لسلامته من التأويل والزيادة والحذف ، وكلها خلاف الاصل . (١)

هـ ـ الفضلات :

١ ـ تنوين المنادى للضرورة :

جاز بالاجماع تنوين المنادى للضرورة ، واختلف هل الاولى بقاء ضمه او نصبه ، فالخليل وسيبويه والمازني قالوا بالضم ، كقوله :

سلام الله يامطر عليها وليس عليك يامطر السلام (٢)

واختار ابو عمرو وعيسى بن عمر والجرمي والمبرد النصب ردا على اصله ، كقوله :

ضربت نحرها الىّ وقالت ياعديا لقد وقتك الأواقي (٣)

واختار ابن مالك في شرح التسهيل بقاء الضم في العلم والنصب في النكرة المعينة لان شبهها بالمضمر اضعف ، قال السيوطي : « وعندى عكسه (اى عكس رأي ابن مالك) وهو اختيار النصب

---

(١) همع الهوامع جا ص١٤٥

(٢) البيت من قصيدة للأحوص ، انظر الدرر اللوامع جا ص١٤٩

(٣) البيت من قطعة لمهلهل بن ربيعة ، انظر الدرر اللوامع جا ص١٤٩

٥ ـ العامل في نصب (غير) بخاصة والمستثنى بعامة :

اذا انتصبت (غير) في الاستثناء ففي ناصبها اقوال ، احدهما وعليه المغاربة ان انتصابها انتصاب الاسم الواقع بعد الا ، والناصب له كونه جاء فضلة بعد تمام الكلام ، وذلك موجود في غير ، الثاني وعليه السيرافي وابن الباذش انها منصوبة بالفعل السابق ، الثالث وعليه الفارسي انها منصوبة على الحال وفيها معنى الاستثناء . وللسيوطي رأي يخالف هذه الآراء كلها ، فقد قال بعد ان نقل هذه الآراء : « والذي اختاره انها انتصبت لقيامها مقام مضافها ، وان اصله النصب بأستثنى مضمرا ، وهو الذي أميل اليه في اصل الاستثناء أن نصبه بأستثني لازم الاضمار ، وجعلت الا عوضا عن النطق به » . (١)

٦ ـ اعراب الاسم الثاني في الحال الجامد الذى يفيد الترتيب :

قال ابو حيان : لو ذهب ذاهب الى ان نصب الاسم الثاني في مثل : (ادخلوا رجلا رجلا) و (علمته الحساب باً باً) انما بالعطف على تقدير حذف الفاء ، أي ادخلوا رجلا فرجلا ، وعلمته الحساب بابا فبابا لكان وجها حسنا ، لأن المعنى : ادخلوا رجلا بعد رجل ، وعلمته الحساب بابا بعد باب . فاختار السيوطي هذا الرأي ، فقال : « وهذا هو المختار عندي لظهورها في بعض التراكيب ، كحديث : لتتبعن سنن من قبلكم باعا فباعا » . (٢)

(١) همع الهوامع جـ١ ص٢٣١

(٢) همع الهوامع جـ١ ص٢٣٨ ، وانظر التصريح على التوضيح جـ٢ ص١٧

٧ ـ الجملة المفسرة :

المشهور في الجملة المفسرة انه لا محل لها من الاعراب ، ولكن الشلوبين ذهب فيها مذهبا آخر ، فقال : « والتحقيق انها على حسب ما كانت تفسيرا له ، فان كان المفسر له موضع فكذلك هي ، والا فلا » وقد تابع السيوطي الشلوبين في ذلك ، فقال : « وهذا الذي قاله الشلوبين هو المختار عندي » . (١)

و ـ الجر :

١ ـ معنى (رب) :

للنحاة في ما تفيده (رب) أقوال ، احدها : انها للتقليل دائما وهو رأي اكثر النحاة مثل عيسى بن عمر والخليل وسيبويه وغيرهم . وثانيها انها للتكثير دائما وعليه ابن درستويه وآخرون ، وثالثها : انها تفيد التقليل غالبا والتكثير نادرا ، وقد اختاره السيوطي وفاقا لأبي نصر الفارابي . (٢)

ذهب السيوطي الى ان عامل الجر في المضاف اليه هو المضاف ، وفاقا لسيبويه ، (٣) وقد علل ذلك بقوله : « وان كان القياس ان لا يعمل من الأسماء الا ما أشبه الفعل والفعل لاحظ له في عمل الجر لكن العرب اختصرت حروف الجر في مواضع وأضافت الأسماء بعضها الى بعض ، فناب المضاف مناب حرف فعمل عمله ، ويدل له

---

(١) همع الهوامع جـ١ ص٢٤٨ ، وانظر المدارس النحوية ص٣٦٥
(٢) همع الهوامع جـ٢ ص٢٥ ، وانظر المدارس النحوية ص٣٦٥
(٣) انظر منهج السالك جـ٣ ص٣٦٩

رحم الله أعظمـا دفنوهـا بسجستان طلحة الطلحات (١)

فطلحة بدل من أعظم وهي بعضه .

٥ ـ افادة (ثم) الترتيب والمهلة :

ذهب قطرب الى ان (ثم) لا تفيد الترتيب ، وذهب الفراء الى انها لا تفيد المهلة ، وانما تفيد التعقيب ، فرد عليهما السيوطي قولهما واختار مذهب الجمهور في انها تفيد المهلة والترتيب ، ولكنه قرر انها قد تقع موقع الفاء في افادتها الترتيب بلا مهلة ، كما أن الفاء قد تقع موقعها فتفيد الترتيب بلا مهلة ، ومثل للأول بقول الشاعر :

كهز الرديني تحت العجاج جرى في الانابيب ثم اضطرب (٢)

وللثاني بقوله تعالى : « ثم خلقنا النطفة علقـــة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحمـا » (٣) فالفـــاء في الثلاثة بمعنى ثم . (٤)

ح ـ الابواب الصرفيه :

صرح السيوطي في حسن المحاضرة أن معرفته بعلم الصرف تأتي في المرتبة الثانية من مراتب تبحره في العلوم . (٥) وله في الصرف

---

(١) القصيدة من بيت لابن قيس الرقيات ، وانظر الدرر اللوامع جـ٢ ص١٦٢ ـ ١٦٣

(٢) البيت من قصيدة لأبي دواد الايادي ، انظر الدرر اللوامع جـ٢ ص١٧٤ ـ ١٧٥

(٣) سورة (المؤمنون) آية رقم ١٤

(٤) همع الهوامع جـ٢ ص١٣١

(٥) حسن المحاضرة جـ١ ص٣٣٨

عدة مؤلفـــات سبق ان سردناها في الفصل الثاني من هذا البحث عند كلامنا عن آثارها العامة ، وأود هنا ان أسرد نماذج من آرائه الصرفية التي اوردهـا في همع الهوامع ، وهي في جملتها اختيـارات وتصحيحات وترجيحات ، ولم أعثر له على رأي صرفي انفرد به دون الآخرين ، واليك تفصيل ذلك :

١ ـ ثلاثية الكلمة :

ذهب الى ان الكلمات العربية ثلاثية الوضع ، فقد ذكر انه لم يأت أى من الاسم أو الفعل على اقـــل من ثلاثة احرف ، وعلل ذلك بقوله : « لأنها اقل ما يمكن اعتباره ، اذ من عوارض الكلمـة الابتداء بها والوقف عليها ، ولا ابتداء بساكن ، ولا وقف على متحرك فوجب ان لا يكون حرفا واحدا ، والا لكان مستحقا للحركـة والسكون معا ، وهو محال ، فبقي ان يكون على حرفين ، حرف محرك للابتداء ، وحرف ساكن للوقف ، لكنهم يكرهون اجتماع المتضادين ففصلوا بينهما بحرف » . (١)

٢ ـ البدء بالرباعي :

لما بدأ يبحث اوزان الافعال بدأ بالرباعي ، خلافا لما عليه النحاة في ابتدائهم بالثلاثي ، وعلل ذلك بقوله : « وبدأت به خلاف بدء الناس بالثلاثي ، لأن الكلام في ذلك يطول ، فأخرته » . (٢)

٣ ـ مجيء الصفة المشبهة على وزن اسم الفاعل قليلا :

ذهب الزمخشري وابن الحاجب الى منع مجيء الصفة المشبهة على

(١) همع الهوامع جـ٢ ص١٦٠

(٢) همع الهوامع جـ٢ ص١٦٠

ابن : بني ، وفي اسم سمي ، وفي انطلاق : نطيليق . (١)

٨ - الالحاق وبناء النظير من كلام العرب :

الالحاق هو ضرب من أضرب الزيادة ، والغرض منه جعل الثلاثي والرباعي موازنا لما فوقه ، فمثلا نون (رعشن) زائدة دخلت للالحاق ، لأنه من الارتعاش ، فزيدت به النون ليلحق بوزن (جعفر) ، وقد ذهب بعض النحاة مثل أبي علي الفارسي الى جواز الالحاق مطلقا واحتجوا لذلك بأن « العرب قد ادخلت في كلامها الالفاظ الأعجمية كثيرا ، سواء كانت على بناء كلامها أم لم تكن ، فكذلك يجوز ادخال هذه الالفاظ المصنوعة هنا في كلامهم ، وان لم تكن منه ، قياسا على الاعجمية » ونقل عن أبي علي الفارسي انه قال : « لو شاء شاعر او متسع ان يبني بالحاق اللام اسما او فعلا أو صفة لجاز ذلك له ، وكان من كلام العرب ، وذلك قولك : خرجج احسن من دخلل . . ، قال ابن جني : أترتجل اللغة ارتجالا قال : ليس هذا ارتجالا ، لكنه مقيس على كلامهم ، ألا ترى انك تقول : طاب الخشكنان ، (٢) فتجعله من كلام العرب ، وان لم

---

(١) همع الهوامع ج٢ ص١٨٧

(٢) الخشكنان : هو خالص دقيق الحنطة اذا عجن بشيرج ، وبسط وملىء بالسكر واللوز والفستق وماء الورد وجمع وخبز ، واهل الشام تسميه المكفن ، قال الراجز :

ياحبذا الكعك بلحم مثرود وخشكنان وسويق مقنود

انظر المعرب للجواليقي ص١٨٢ ، وهامش رقم واحد من نفس الصفحة

تكن العرب تكلمت به ، فرفعك اياه ونصبك اياه صار منسوبا الى كلامهم » . (١)

وقد رد السيوطي على أبي علي مذهبه هذا فقال : « ورد بأن اللفظ الأعجمي لا يصير بادخال العرب له في كلامها عربيا ، بل تكون قد تكلمت به بلغة غيرها ، واذا تكلمنا نحن بهذه الالفاظ المصنوعة كنا قد تكلمنا بما لا يرجع الى لغة من اللغات » . (٢)

وللسيوطي رأى مقبول في هذه المسألة ، فقد نص على انه : « لا الحاق الا بسماع عن العرب ، الا ان يكون على جهة التدريب والامتحان ، كالأمثلة التي يتكلم بها النحويون ، متضمنة لحروف الالحاق على طريقة ابنيه العرب ، يقصدون بذلك تمرين المشتغل بهذا الفن واجادة فكره ونظاره ، وهذا الحكم جار في كل ما أردت ان تبني من كلمة نظير كلمة أخرى ، وان لم يكن الحاق فان ذلك لا يجوز الا ان يكون على وجه التدريب والامتحان » . (٣)

٩ ـ الأصل في (اسم)

ذهب البصريون الى ان الاصل في (اسم) هو (السمو) حذفت لامه ، وعوض عنها همزة الوصل ، وذهب الكوفيون الى ان اصله (الوسم) من السمة ، حذفت فاؤه ، وعوض عنها همزة الوصل في اوله .

---

(١) همع الهوامع ج٢ ، وانظر الخصائص ج١ ص٣٥٧

(٢) همع الهوامع ج٢ ص٢١٧

(٣) همع الهوامع ج٢ ص٢١٧

واختار السيوطي مذهب البصريين في ذلك ، ورد على الكوفيين قولهم . واحتج بأن « جمعه اسماء وتصغيره سمي . ولو كان كما قالوا لكان اوساما ، ووسيما ، لان التصغير والتكسير يردان الاشياء الى اصولها » . (١)

١٠ ـ عدد حروف المعجم :

ذهب السيوطي الى ان عدد حروف المعجم تسعة وعشرون حرفا خلافا للمبرد حيث اسقط الهمزة ، قال في الهمع : « ورد بأنها لو لم تكن حرفا لكان مثل احد واجل على حرفين ، وهو باطل ، لأن اقل اصول الكلمة ثلاثة احرف » . (٢)

واعتقد ان هذه النخبة المختارة من آراء السيوطي النحوية والصرفية التي اوردها مبثوثة في (الهمع) كافية للدلالة على ما قلناه في اكثر من موضع : انه لم يكن مجرد ناقل لا يعني بشيء غير الجمع والتصنيف ، فقد رأيناه اثناء عرضه لمسائل الكتاب يحرص غالبا على الموازنة بين الآراء التي ينقلها فيختار لنفسه من مذاهب النحويين ما يتجه عنده تعليله وما يراه أكثر سدادا ، (٤) وهو بذلك يجري في الاتجاه الذى ترسمه النحاة المتأخرون ، من مصريين وشاميين وأندلسيين القائم على الانتخاب والاختيار ، وعدم التقيد بمذهب نحوى معين في المسائل الفرعية ، مع الميول الظاهر للبصريين في الأصول النحوية العامة » .

(١) همع الهوامع جـ٢ ص٢١٩ ، وانظر ص٢١٧

(٢) همع الهوامع جـ٢ ص٢٢٧

(٣) المدارس النحوية ص٣٦٥

(٨)

القيمة العلمية لكتاب « همع الهوامع »

ان اهمية كتاب « الهمع » تتمثل بتلك الروح الموسوعية التي كانت بارزة فيه تمام البروز ، فقد تتبع فيه آراء النحاة تتبعا يبعث على الاكبار والاعجاب ، فأورد فيه اكبر قدر ممكن من آراء مختلف النحويين من بصريين وكوفيين وبغداديين وشاميين ومصريين ومغاربة واندلسيين ، وقد أكسبته هذه الميزة خاصية قلما توفرت في غيره من المؤلفات ، وهي أنه صار من أهم المصادر التي يعتمد عليها في كتابة تاريخ النحو ومذاهبه وتطور دراساته وآراء رجاله وما لهم من تعاليل وتقاسيم ، وما جرت بينهم من خلافات في أصول النحو وفروعه . وقد تنبه الباحثون المعاصرون الى هذه الحقيقة فاعتمدوا عليه اعتمادا كبيرا ، فما من دراسة حديثة كتبت في هذا المضمار الا ونجد ان « الهمع » من اهم مصادرها ، وتأتي على قمة ذلك الدراسة القيمة التي كتبها استاذنا الجليل الدكتور شوقي ضيف في بحثه الموسوم بـ « المدارس النحوية » فقد اعتمد فيه على كتاب « الهمع » اعتمادا ملموسا عندما كتب عن مختلف الاتجاهات النحوية لنحاة مختلف العصور ابتداء من أوليات وضع النحو الى عصر السيوطي ، وقد أشار استاذنا الجليل الى هذه الحقيقة في معرض

حديثه عن « الهمع » فقال : « ولـــه في قواعد النحو والتصريف كتاب « همع الهوامع شرح جمع الجوامع » وهـــو موسوعة ضخمة لآراء النحاة في تلك القواعد ... جمعها من نحو مائـة مصنف لعل أهمها ارتشاف الضرب لأبي حيان ، وهو يتعقب فيـه آراء النحاة حتى عصره مستقصيا لها استقصاء دقيقا على نحو ما يتضح من ذكرنا له الدائم في هوامش هذا الكتاب » (١) .

ولا بد لي من التأكيد على أمر يتعلق بأهمية (الهمـــع) في مضمار كتابة تاريخ النحو ، وهي انه قد حوى جملة ضخمة من اسماء وآراء النحاة الأندلسيين ، وذلك بحكم اعتماده عـلى كتابات ابن مالك وأبي حيان الأندلسيين ومن هنا يتحتم الرجوع الى كتاب (الهمـــع) عند القيام بأي محاولة جادة ترمي الى تسجيل النحو الأندلسي ، لأنه يعد سجلا ضخما ضم أكبر قدر ممكن من آراء النحاة الأندلسيين . أمثال : ابن السيد البطليوسي وابـن الطراوة وابن طاهر ، والسهيلي ، وابن خروف ، والشلوبين ، وابـــن هشام الخضراوي وابن عصفور وابن مالك وأبي حيان وكثير غيرهم .

ويمثل كتاب « الهمع » جانبا هاما من جوانب النشاط النحوي للسيوطي ، وهو يدل على مدى قدرته وجلده وصبره عـــلى البحث والجمع والاستقصاء ، ولقد كانت شخصيته الجماعة بارزة فيه عـــلى أجلى صورها وأبهى مظاهرها ، وربما كان كتابه هذا الكتاب النحوي الوحيد الذي اكثر فيه من الموازنة بين الآراء التي نقلها ، وكان

(١) المدارس النحوية ص٣٦٣ــ ٣٦٤

كثيرا ما يعمد الى انتخاب أحدها وترجيحه على سواه من الآراء ، على النحو الذي مر بنا اثناء حديثنا عن موقفه من النحاة بعامة وابن مالك وأبي حيان وابن هشام بخاصة .

وكتاب « الهمع » في نظري يمثل الغاية في جهود السيوطي النحوية ، وهو على ما يترجح عندي آخر كتبه النحوية اذ وردت فيه اشارات واحالات الى كتبه الأخرى مثل الأشباه والنظائر والاقتراح والمزهر وغيرها (١) من كتبه النحوية واللغوية .

واعتقد ان اهمية هذا الكتاب تستلزم من القائمين على احياء التراث ونشره ان يسارعوا الى اعادة طبعه ونشره في صورة محققة ، تكفل الافادة منه ، فهو على اهميته العلمية لم يطبع الا طبعة واحدة سنة ١٣٢٧ هـ .

---

(١) همع الهوامع جـ١ ص٢٧ ، ص١٠٣ ، وانظر جـ٢ ص١١٧ ، ص٢١٦ ، ص٣١٩ ، ص٢٢٤

الفصل الثالث

شروح مختلفة

١ ــ شرح شواهد المغنى

٢ ـ المطالع السعيدة في شرح الفريدة

٣ ــ البهجة المرضية في شرح الالفية

٤ ــ النكت في علم العربية

الفصل الثالث

شروح مختلفة

١ ـ شرح شواهد المغنى

٢ ـ المطالع السعيدة في شرح الفريدة

٣ ـ البهجة المرضية في شرح الالفية

٤ ـ النكت في علم العربية

(١)

شرح شواهد مغني اللبيب عن كتب الاعاريب

١ — كتاب المغني :

يعد كتاب (مغني اللبيب عن كتب الأعاريب) لابن هشام من أهم المصادر التي يعتمد عليها في الدراسات النحوية ، وقد عني به أهل العلم أيما عناية ، فشرحوا متنه ، ونسبوا شواهده ، وبينوا غوامضها ، ويسروا غريبها ، فقد شرحه جماعة منهم (١) : الشيخ تقي الدين أبو العباس أحمد بن محمد الشمني ، وسماه : المنصف من الكلام على مغني ابن هشام ، وضم اليه حل ما فيه من الشواهد والأبيات ، ووضع له البدر بن الدماميني اكثر من شرح ، وقال في مدحه :

ألا انما مغني اللبيب مصنف جليل به النحوي يحوى امانيه

وما هو الا جنة قد تزخرفت ألم تنظر الأبواب فيه ثمانيه ؟

وشرح ابن هشام نفسه شواهده شرحين : شرحا كبيرا ، وشرحا صغيرا .

---

(١) كشف الظنون م٢ ص١٧٥٢

ويعد كتاب (المغني) بين كتب ابن هشام بخاصة أجلها قدرا وأبعدها أثرا ، وبين كتب العربية بعامة من أكثرها استيعابا ونفعا فلم يلبث حين ظهر أن شاع ذكره ، وعم نفعه ، حتى أخمل ذكر غيره من كتب العربية ، وصار معتمد الطالبين والمتعلمين والمتخصصين وقد قال عنه السيوطي أثناء سرده مصنفات ابن هشام في البغية : « صنف مغني اللبيب عن كتب الاعاريب اشتهر في حياته وأقبل عليه الناس » . (١)

وضع ابن هشام كتابه هذا في مكة المكرمة سنة ٧٥٢هـ . وأتمه في شهر ذي الحجة من نفس السنة ، وقال في خطبته : « أما بعد حمد الله على افضاله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله ، فان أولى ما تقترحه القرائح ، وأعلى ما تجنح الى تحصيله الجوانح ، ما يتيسر به فهم كتاب الله المنزل ، ويتضح به حديث نبيه المرسل ، فانهما الوسيلة الى السعادة الابدية والذريعة الى تحصيل المصالح الدينية والدنيوية ، وأصل ذلك علم الاعراب ، الهادي الى صوب الصواب ، وقد كنت في عام ٧٤٩هـ انشأت بمكة - زادها الله شرفا - كتابا في ذلك منورا من ارجاء قواعده كل حالك ، ثم انني أصبت به وبغيره في منصرفي الى مصر . ولما من الله تعالى علي في عام ٧٥٦هـ بمعاودة حرم الله والمجاورة في خير بلاد الله ، شمرت عن ساعد الاجتهاد ثانيا : واستأنفت العمل لا كسلا ولا متوانيا ، ووضعت هذا التصنيف ، على أحسن احكام وترصيف ، وتتبعت فيه مقفلات مسائل

(١) بغية الوعاة جـ٢ ص٦٩

الاعراب فافتتحها ، ومعضلات يستشكلها الطلاب فأوضحتها ونقحتها ، وأغلاطا وقعت لجماعة من المعربين وغيرهم فنبهت عليها وأصلحتها .

فدونك كتابا تشد الرحال فيما دونه . وتقف عنده فحول الرجال ولا يعدونه ، اذ كان الوضع في هذا الغرض لم تسمح قريحة بمثاله ولم ينسج ناسج على منواله . ومما حثني على وضعه أنني لما أنشأت في معناه المقدمة الصغرى المسماة بـ (الاعراب عن قواعد الاعراب) (١) حسن وقعها عند أولي الالباب ، وسار نفعها في جماعة الطلاب ، مع أن الذي أودعته فيها بالنسبة الى ما ادخرته عنها كشذرة من عقد نحر ، بل كقطرة من قطرات بحر ، وها أنا بائح بما أسررته مفيد لما قررته وحررته ، مقرب فوائده للأفهام ، واضع فرائده على طرف الثمام ، لينالها الطلاب بأدنى المام » (٢) .

ويمتاز (المغنى) بين كتب العربية بالطريقة الخاصة التي اتبعها ابن هشام في تصنيفه ، فهو لم يلجأ فيه — كعادة النحاة — الى تقسيم موضوعاته الى الابواب المعهودة في كتب النحو مثل : المرفوعات والمنصوبات وغير ذلك من الابواب كما فعل هو نفسه في شذور الذهب وأوضح المسالك ، بل رتبه ترتيبا فريدا ، وجعله على ثمانية أبواب ، وهي :

الباب الاول : في تفسير المفردات ، ويعني بها الحروف ، وما

---

(١) وهو مختصر مشهور بـ (قواعد الاعراب) طبع مع نزهة الطرف للميداني ، انظر معجم المطبوعات م١ ص٢٧٤

(٢) المغنى حـ١ ص١

تضمن معناها من الاسماء والظروف والافعال . والباب الثاني : في تفسير الجمل وذكر أقسامها وأحكامها . والباب الثالث : في ذكر ما يتردد بين المفردات والجمل ، وهو الظرف والجار والمجرور ، وذكر أحكامهما . والباب الرابع : في ذكر أحكام يكثر دورها ويقبح بالمعرب جهلها والباب الخامس : في ذكر الاوجه التي يدخل على المعرب الخلل من جهتها . والباب السادس : في التحذير من امور اشتهرت بين المعربين والصواب خلافها . والباب السابع : في كيفية الاعراب . والباب الثامن : في ذكر امور كلية يتخرج عليها ما لا ينحصر من الصور الجزئية (١) .

وقد عنى السيوطي بكتاب ابن هشام هذا عناية فائقة فوضع له شرحاً سماه : (تحفة الغريب في الكلام على مغنى اللبيب) وحاشية سماها : (فتح القريب) ، وتناول رجاله فترجم لهم في كتاب أطلق عليه : (تحفة الحبيب بنحاة مغنى اللبيب) وجرد من حاشيته عليه شرحا لشواهده ، وهو المشهور : (شرح شواهد المغنى) .

ولما كان الكتاب الاخير هو الذي يهمنا لانه يمثل جانبا هاما من جوانب (السيوطي النحوي) لذلك سأوليه عناية خاصة ، واقوم بدراسته دراسة مفصلة ، مستهدفا بيان منهجه فيه ، وقيمته العلمية ، مع التأكيد على ابراز شخصية السيوطي فيه .

---

(١) المغنى جا ص ٢

٢ – منهج الشرح :

اوضح السيوطي في مقدمة شرحه الطريقة التي سلكها فيه والسبب الذي حمله على وضعه فقال : « وبعد : فان لنا حاشية على مغنى اللبيب مسماة بـ (الفتح القريب) ، اودعتها من الفوائد والفرائد والغرائب والزوائد ما لو رامه احد غيري لم يكن له الى ذلك سبيل ، ولا فيه نصيب ، وكان من جملة ذلك شرح ما فيه من الشواهد على وجه مختصر مع التعرض لامور فيها لم يذكرها من كتب عليها ، لاحتياجها الى سعة الاطلاع وكثرة النظر ، ثم خطر لي ان أفرد الكلام على الشواهد فشرعت في كتاب بسيط ، وجامع محيط ، أورد فيه عند كل بيت القصيدة بتمامها واتبعها بفوائد ولطائف يبهج الناظر حسن نظامها ، فرأيت الامر في ذلك يطول ، والانسان كثير السآمة ملول ، بحيث اني قدرت تمام ذلك في اربعة مجلدات ، فعدلت الى طريقة وسطى عن تلك الطريقة الاولى ، مع ضمان الفوائد التي لا يستطيعها الا ذويد طولى ، فأورد أولا البيت المستشهد به ، ثم اتبعه بتسمية قائله والسبب الذي لاجله قيلت القصيدة ثم أورد من القصيدة ابياتا استحسنها ، ام لكونها مستشهدا بها في مواضع آخرى من الكتاب فأوردها ليعلم أن الجميع من قصيدة واحدة او لكونها مستشهدا بها في غيره من كتب العربية والبيان او لكونها مستعذبة النظر مستحسنة المعنى لاشتمالها على حكمة او مثل او

نادرة او وصف بليغ او نحو ذلك ، وان كان البيت من مقطوعة وهي ما لم يزد على عشرة ابيات ذكرتها بكمالها ، وقد اذكر قصيدة بكمالها لقلة أبياتها وكونها كلها مما يستحسن كقصيدة السموأل التي أولها :

اذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه (١)

او لكون المصنف استشهد بكثير من ابياتها كقصيدة الاعشى التي اولها :

الم تغتمض عيناك ليلة أرمدا (٢)

ثم اتبع ما أورده من الابيات بشرح ما اشتملت عليه من الغريب والمشكل ، وبيان ما تضمنته من الاستشهادات العربية والنكت الشعرية ، وما يتعلق بها من فائدة ونادرة وموارده ، واتبع ذلك بالتعريف بقائلها وذكر نسبه وقبيلته وعصره ، وهل هو جاهلي أو مخضرم ، أو اسلامي ، مراعيا في كل ذلك الطريق الوسط ، لا مجحفا في الاختصار ولا مبالغا في الاطناب والاكثار (٣) .

ولقد حرصت على نقل هذه القطعة من المقدمة لانها تمثل

---

(١) صدر بيت وعجزه : فكل رداء يرتديه جميل . انظر شرح شواهد المغنى للسيوطى ص٥٣١

(٢) صدر بيت وعجزه : وعادك ما عاد السليم المسهدا ، انظر ديوان الاعشى ص١٣٥

(٣) شرح شواهد المغنى ص٨ـ٩

بصورة دقيقة التي سلكها السيوطي في شرحه شواهده المغني

٣ – مصادر الشرح :

لقد عول السيوطي في وضعه (شرح شواهد المغني) على مصادر كثيرة ، فما من فن من فنون الثقافة العربية الاسلامية الا وتجده قد استقى منه طرفة وضمها الى كتابه ، واليك أهم المصادر مرتبة بحسب فنونها الثقافية :

١ – دواوين الشعر الجاهلي والاسلامي مثل ديوان امرىء القيس، وزهير والنابغة الذبياني والأعشى وطرفة وحسان بن ثابت وجميل والأخطل ، وجرير والفرزدق ، وكثير غيرهم .

٢ – شروح الدواوين والقصائد المشهورة مثل شرح ديوان امرىء القيس وشرح شعر الهذليين لأبي سعيد السكري وشرح المفضليات وشروح الحماسة وشروح القصائد السبع الطوال.

٣ – كتب النوادر مثل نوادر أبي زيد ، ونوادر اليزيدي ، ونوادر ابن الاعرابي .

٤ – كتب الأمالي مثل أمالي الزجاجي وابي علي القالي وابن الانباري وابن الشجري .

٥ – كتب الادب والشعر مثل الكامل للمبرد ، ومنتهى الطلب من اشعار العرب لابن ميمون ، وهي – كما يقول السيوطي – تشمل على أكثر من ألف قصيده خلا المقاطيع وعدة ما فيها أربعون ألف بيت ، وكتاب النساء الشواعر للحسن بن

الطراح ،والاغاني لأبي فرج الاصبهاني ، والامثال للميداني .

٦ — كتب البلاغة والنقد اساس البلاغة للزمخشري والبيان والتبيين للجاحظ ، ومعاني الشعر للاشنانداني والتلخيص للقزويني .

٧ — كتب التفاسير والحديث مثل البحر المحيط لابي حيان والكشاف للزمخشري والبيضاوي وتفسير ابن جرير ، وشرح البخاري لابن حجر والدلائل للبيهقي ومسند البزاز والمستدرك للحاكم .

٨ — كتب التاريخ مثل : الاصابة لابن حجر والسيرة لابن هشام وأيام العرب المشهورة لابي عبيدة معمر بن المثنى وتاريخ ابن عساكر وتاريخ الخلفاء وطبقات الشعراء لمحمد بن سلام الجمحى والمؤتلف والمختلف للآمدي وطبقات النحاة للسيرافي والمرزباني .

٩ — شروح الشواهد مثل شروح شواهد الكتاب للسيرافي والاعلم والزمخشري وشرح شواهد الايضاح لابن يسعون وشرح شواهد اصلاح المنطق لابن السيرافي وشرح شواهد الجمل للخضراوي والبطليوسي ، وشرح أبيات الايضاح للتبريزي وشواهد العيني.

١٠ — كتب اللغة والنحو مثل : التهذيب للأزهري ، اصلاح المنطق لابن السكيت ودرة الغواص للحريري وكتاب التصحيف لابن عساكر وكتاب المقصور والممدود لابن مالك

والوقف والابتداء للانباري ، والكتاب لسيبويه ، وشرح التسهيل لابن مالك ولابي حيان ، وشرح المفصل لابن يعيش وللاندلسي والسخاوي ، والشيرازيات للفارسي ، وشرح ألفية ابن معط لابن القواس ، وشرح ابن عقيل ، وشرح ابن أم قاسم على الالفية ، وشرح شذور الذهب وشرح شواهد المغنى لابن هشام ، وكثير غير ذلك .

واذا ما ألقينا نظرة فاحصة على المصادر التي اعتمد عليها السيوطي في كتابه هذا تيقنا ان هذا الرجل خص بموهبة فائقة في القدرة على جمع المعلومات الدقيقة والهامة من مراجعها الاصلية مع التمكن على التطواف بين مختلف فنون المعرفة وجني الثمار اليانعة منها ، وتقديمها لطلابها سهلة المنال لذيذة الطعم والمذاق ، حاوية كل نفيس جامعة لكل ما يحتاج اليه الباحث في هذا الباب وما أصدقه حين قال في خاتمة مقدمة هذا الشرح . « وأرجو ان تم هذا الكتاب ان يكون جامعا في هذا الباب مغنيا للطلاب عن التطلاب ، كافيا في جميع الشواهد العربية وافيا لما يحتاج اليه من ابيات الكتب العربية » (١) .

فقد نقل لنا في هذا الشرح من مصادر مختلف العلوم فلم يقتصر على فن واحد من فنون العلم والادب كما هو واضح في تشعب مصادره ، فقد نقل من كتب النحو كما نقل من كتب الادب ،

---

(١) شرح شواهد المغني جـ١ ص١١

ونقل من كتب التفاسير كما نقل من كتب البلاغة، ونقل من كتب التاريخ كما نقل من كتب الطبقات ، وبهذا أصبح كتاب (شرح شواهد المغني) كتابا لا يستغني عنه باحث في العربية ، إذ جمع فيه مصنفه كل ما يحتاج اليه دارس العربية من مسائل نحوية وشروح لغوية وارشادات أدبية ، وجعل محور ذلك كله شواهد (مغني اللبيب) لابن هشام .

٤ ـ هل شرح السيوطي جميع شواهد المغني ؟

ان الجواب الصحيح على هذا السؤال يتضح بصورة جلية من مقارنة عدد شواهد الاصل والشرح ، فقد بلغت شواهد الاصل ألفاً ومائتين وثلاثة شواهد، بينما بلغت شواهد الشرح ثمانمائة وتسعة وتسعين شاهدا فقط . ومن ذلك نعرف ان السيوطي قد أهمل ثلاثمائة وأربعة شواهد فلم يشرحها ، فيا ترى ما السبب ؟

لقد تبين لي ان هناك عدة اسباب حدت بالسيوطي الى ان يهمل هذا العدد الكبير من شواهد المغني ، وتنحصر هذه الاسباب بما هو آت :

١ ـ ان قسما من هذه الشواهد قد تكرر في المغني في أكثر من موضع ، فكان السيوطي يشرحه في موضع واحد يشير اليه في المواضع الاخرى بمجرد اشارة ، وربما أهمله تمام الاهمال فلا يذكره ابدا ، فمثلا شاهد المغني :

دعاني اليها القلب اني لأمره سميع فما ادري أرشد طلابها

أورده ابن هشام في موضعين ، الاول : في باب الهمزة ، والثاني في باب أم (١) ،فلما عرض له السيوطي شرحه في الأول أما في الموضع الثاني فلم يشرحه،وانما قال: « تقدم شرحه في باب الهمزة » (٢) . وعمل السيوطي هذا هو الصحيح لأن تكرار الشرح لا فائدة فيه .

واما شاهد المغني :

ورج الفتى للخير ما ان رأيته   على السن خيراً لا يزال يزيد

فقد ورد في أربعة مواضع في (المغني) ، في باب ان الخفيفة المكسورة ، وباب ان المكسورة المشددة . وباب (ما) ، والباب الثامن الخاص بذكر أمور كلية يتخرج عليها ما لا ينحصر من الصور الجزئية . (١) أما في الشرح فلم يرد الا في موضع واحد ، وهو الموضع الاول (٢) وأما المواضع الأخرى فقد أهمله فيها السيوطي اهمالا تاما ولم يشر اليه حتى بجرد اشارة .

٢ — وردت في المغني شواهد كثيرة لم يسم قائلوها ، وقد شرح السيوطي قسما من هذه الشواهد منها شاهد المغني :

لا تتركني فيها شطيرا   إني اذن أهلك او أطيرا

قال الشارح : « هو رجز لا يعرف قائله ، والشطير البعيد

---

(١) المغني حـ١ ص٢٧ ، ص٥٢ ، وحـ٣ ، ص٥٦٩ ، ص١١٥٠

(٢) شرح شواهد المغني حـ١ ص٨٥—٨٦

عدتها خمسة وخمسين شاهدا ، لم يشرح السيوطي منها سوى أربعة شواهد ، منها شاهد المغني :

هل ترجعن ليال قد مضين لنا   والعيش منقلب اذ ذاك أفنانا ؟ (١)

قال السيوطي بعد ان عرض لشرحه : « ثم رأيت في الاغاني ما يدل على ان هذا البيت لعبدالله بن المعتز ، وأورد (يعني صاحب الاغاني) عجزه بلفظ :

والدار جامعة أزمان ازمانا (٢)

فالبيت إذن ليس من شرط هذا الكتاب» (٣)

ويقصد السيوطى بعبارة « ليس من شرط هذا الكتاب » أن هذا الشاهد لكونه لشاعر مولد فهو ليس من الابيات التي يصح الاستشهاد بها في كتب النحو . ونلاحظ ان السيوطي قد كرر هذه العبارة في موضع آخر من الشرح ، وذلك عندما عرض لشاهد المغني :

انارة العقل مكسوف بطوع هوى

وعقل عاصي الهوى يزداد تنويرا

فقد قال : « قال : العيني . ان قائله من المولدين ، فعلى هذا ليس من شرط شواهد الكتاب » . (٤)

---

(١) المغني حـ١ ص٨٩
(٢) انظر الاغاني حـ١ ص٢٨٩
(٣) شرح شواهد المغني حـ١ ص٢٤٧
(٤) شرح شواهد المغني حـ٢ ص٨٨١ وانظر المغني حـ٢ ص٥٦٦

وتفسر لنا هذه العبارة التي كررها الشارح مرتين السبب الذي جعله يتعمد اهمال الشواهد المنسوبة لشعراء مولدين ، وبذلك يكون منهجه التطبيقي في الشرح منسجما تمام الانسجام مع ما ذكره من قواعد عامة في كتابه الاقتراح (١) حيث نقل : ان النحاة قد اجمعوا على عدم الاحتجاج بكلام المولدين في اللغه العربية ، وان اول الشعراء المحدثين بشار بن برد (٢) المتوفى سنة ١٦٧هـ ، وان آخر من يحتج بشعره ابراهيم بن هرمة (٣) المتوفى سنة ١٥٠هـ .

موقف ابن هشام من الاستشهاد بشعر المولدين :

لقد ذكرت آنفا ان السيوطي قد اهمل عددا من شواهد المغني لانها منسوبة لشعراء محدثين ، فهل يعني هذا ابن هشام كان يجيز الاستشهاد بشعرهم ؟

لا بد لنا قبل الاجابة عن هذا السؤال من ان نوضح موقف النحاة من الاستشهاد بالشعر .

لقد قسم علماء العربية الشعراء الى أربع طبقات ، وهي :

١ — الطبقة الاولى : وهم الشعراء الجاهليون

٢ — الطبقه الثانية : وهم الشعراء المخضرمون

٣ — الطبقة الثالثة : وهم الشعراء المتقدمون ، ويقال لهم : الاسلاميون ، وهم الذين كانوا في صدر الاسلام كجرير والفرزدق واضرابهما .

---

(١) الاقتراح ص٢٦

(٢) انظر ترجمته في وفيات الاعيان جا ص٢٤٥—٢٤٨

(٣) انظر ترجمته في طبقات الشعراء لابن المعتز ص٢٠

٤ — الطبقة الرابعة : وهم المولدون ، ويقال لهم المحدثون ، وهم من بشار بن برد فنازلا الى زماننا هذا .

وعلماء العربية متفقون على ان الطبقتين الاوليين يستشهد بشعرهم اجماعا ، وأما الطبقة الثالثة : فالصحيح يستشهد بشعرها . الا ان ابا عمرو بن العلاء كان لا يحتج بشعر هذه الطبقة ، قال الاصمعي « جلست اليه (اي الى ابي عمرو) عشر حجج فما سمعته يحتج ببيت اسلامي » . (١)

واما الطبقة الرابعة فالصحيح انه لا يستشهد بكلامها في النحو واللغة ، (٢) وقيل يستشهد بكلام من يوثق به منهم ، واختار ذلك الزمخشري وتبعه الرضي الاستربادي في شرح الكافية ، (٣) فقد استشهد الزمخشري في كتابه (الكشاف) عند تفسير اوائل سورة البقرة ببيت من شعر ابي تمام ، وعقب على هذا الاستشهاد بقوله : « وهو (يعني ابا تمام) وان كان محدثا لا يستشهد بشعره في اللغة فهو من علماء العربية فاجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه ألا ترى الى قول العلماء : ان الدليل عليه بيت الحماسة ، فيقتنعون بذلك ،

---

(١) خزانة الادب حـ١ ص٣ ، وانظر العمدة لابن رشيق القيرواني حـ١ ص٥٦ ، الشعر والشعراء لابن قتيبة حـ١ ص٦٣ والاقتراح ص٢٦

(٢) الاقتراح ص٢٦

(٣) انظر نشأة النحو وتاريخ اشهر النحاة ص٢١٥ ، وخزانة الادب حـ١ ص٦ـ٧ ، وشرح الرضي على الكافية حـ١ ص٧٩

لوثوقهم بروايته واتقانه » . (١)

ولو فتح هذا الباب للزم الاستدلال بكل ما وقع في كلام العلماء المحدثين كالحريري وابن دريد وأضرابهما ، والصحيح ان الحجة في ما رووه ، لا في ما رأوه ، وقد خطّأ العلماء ابـا تمام والبحتري والمتنبي في اشياء كثيرة ، كما هو مسطور في شروح دواوينهم (٢)

بعد هذا التوضيح لموقف علماء العربية من الشواهد الشعرية نعود الى بيان موقف ابن هشام في (المغني) منها ، ومن ثم لنقارن بين موقفه وموقف السيوطي من هذه المسألة .

قلت في معرض حديثي السابق عن الشواهد التي أهمل شرحها السيوطي : ان (المغني) ضم خمسة وخمسين بيتا من شعر المحدثين والبحث الموضوعي يتطلب مني ان أضيف - هنا - الى مـا قلته هناك : ان هذه المجموعة الكبيرة من الابيات لم تكن كلها قد أدرجت في (المغني) على سبيل الاستشهاد النحوي ، فقد وضع قسم منها للاستشهاد بمعانيها ، وقسم آخر لبيان ما فيها من لحن ، وقسم آخر أمثلة لما استشكل من الابيات ، وقسم رابع ذكر لمجرد التمرين على الاعراب ، ونوع خامس ذكر لبيان ما فيها من اغراض بيانية(٣)

---

(١) الاقتراح ص٢٦ـ٢٧ ، وانظر خزانة الادب جا ص٧ ، الكشاف جـ١ ص١٦٩ـ١٧٠

(٢) خزانة الادب جـ١ ص٧

(٣) انظر المغني جا ص٧ ، ص٤٧ ، ص٨٣ ، ص٩١ ، ص١٦٧ـ١٦٨ ص٣٦٩ ، وجـ٢ ص٧٣٨

وهذه الاقسام لا خلاف بين النحاة في جواز ذكرها في كتب النحو، لأنها لم تذكر على أنها شواهد نحوية يستدل بها على تقعيد قواعد معينة ، فلا بأس على ابن هشام ان أورد أمثالها في كتابه القيم (المغني) .

ولكن هناك أبيات لشعراء محدثين وردت في (المغني) لم أجد ما يبرر ذكرها سوى انها ذكرت لغرض الاستشهاد النحوي البحت، من ذلك ما أورده في باب ليت حيث قال : « ليت حرف تمن يتعلق بالمستحيل غالبا كقوله :

فيا ليت الشباب يعود يوما   فأخبره بما فعل المشيب (١)

وهذا البيت لم ينسبه ابن هشام في المغني لأحد ، ولم يشرحه السيوطي ، وهو لابي العتاهيه (٢) المتوفى سنة ٣١٣هـ .

ولما تكلم في (المغني) على الفرق بين الجملة الحالية والجملة الاعتراضية قال : « ... يجوز اقترانها (أي اقتران جملة الاعتراض بالواو مع تصديرها بالمضارع المثبت كقول المتنبي :

يا حادبي عيرها واحسبني   أوجد ميتا قبيل أفقدها

قفا قليلا بها علي فلا   أقل من نظره أزودها(١)

ومما لا شك فيه أن هذين الشاهدين بيت أبي العتاهيه وبيت

---

(١) المغني جـ١ ص٣١٥ـ٣١٦

(٢) انظر ديوان ابى العتاهيه ص٢٣

(٣) المغني جـ٢ ص٤٤٥

المتنبي قد ذكرا في المغني على سبيل الاستشهاد النحوي ، وورد فيه مثلهما شاهدان آخران هما : قول ابي الطيب المتنبي :

فلا ثوب بجد غير ثوب ابن احمد   على أحد الا بلؤم مرقع (١)

وقوله ايضا :

قفا قليلا بها علي فلا   أقل من نظرة ازودها (٢)

وقد اهملها السيوطي فلم يشرحها على عادته في اسقاط شواهد المولدين .

والخلاصة ان ابن هشام في (المغني) كان لا يرى بأسا بالاستشهاد بشعر المولدين ، وان لم يصرح بذلك كما فعل الزمخشري في الكشاف ، بينما نجد ان السيوطي كان لا يجيز الاستشهاد بشعرهم ولذا اهمل شرح ما ورد في المغني منسوبا اليهم ، وبذلك يكون السيوطي قد التزم بما التزم به جمهور النحاة بينما ابن هشام — على جلالة قدره — لم يلتزم بذلك .

٥ — تحليل مادة الشرح :

ان كتاب (شرح شواهد المغني) يعد من اهم مصادر العربية المفيدة في جميع علومها سواء في ذلك النحو واللغة والادب والشعر والنوادر

فأما بالنسبة لعلم النحو فقد ضم هذا الكتاب شرح شواهد كتاب يعد من ادق كتب العربية وأجمعها ، انه كتاب (المغني) الذي سلك فيه مصنفه مسلكا فريدا ، لم ترتق الى مصافه كثير من مصنفات النحو ، فهو من كتب العربية المختارة التي لا يفوقها الا كتاب

(١) المغني جا ص٢٦٢ ، وانظر ديوان المتنبي جا ص٤١٢

(٢) المغني جا ص٢٦٢ ، وانظر ديوان المتنبي جا ص١٩٦

ومثل ذلك ما ذكره عند شرحه لشاهد المغني :

وان الذي حانت بفلج دماؤهم هم القوم كل القوم يا أم خالد

فقد قال : وان الذي أصله (الذين) فحذفت النون تخفيفا ، وقد أورده سيبويه شاهدا لذلك » . (١)

ولما عرض لشرح شاهد المغنى :

فبينا نحن نرقبه أتانا

قال : « قال الزمخشرى : هو لرجل من قيس عيلان ، وتمامه :

معلق وفضة وزناد راعي

قال : عطف (وزناد) على محل وفضة ، وهي خريطة تكون مع الرعاة للزاد ، وعلى ذلك استشهد به سيبويه ، واستشهد به الزمخشري في المفصل على استعمال بينا بغير إذ » . (٢)

وعمد السيوطي في اكثر الاحيان الى ذكر قصيدة الشاهد أو قطعتها ، ثم يقوم بشرح مفرداتها ويسرد ما فيها من شواهد نحوية استشهد بها ابن هشام في مصنفه هذا او في غيره ، او استشهد بها غيره من النحاة ، فنراه مثلا عندما عرض لشاهد المغنى وهو قول الكميت السابق :

طربت وما شوقا الى البيض أطرب

---

(١) شرح شواهد المغني جا ص٥١٨ ، وانظر كتاب سيبويه جا ص٩٦

(٢) شرح شواهد المغني ج٢ ص٧٩٨ ، وانظر المغني ج٢ ص٤٢٢ ، وكتاب سيبويه جا ص٨٦ــ٨٧ والمفصل ص١٧٢

سرد بعض أبيات القصيدة ، وبين ما فيها من شواهد نحوية ، منها قول الكميت :

فما لى الا آل أحمد شيعة

قال السيوطي : « استشهد به النحاة على تقديم المستثنى على المستثنى منه » .

ومنها أيضا قوله :

بأي كتاب أم بأية سنة   ترى حبهم عارا علي وتحسب

قال « وقوله : أم بأية سنة ، استشهد به على تأنيث أي بالتاء ، وقوله : وتحسب ، استشهد به المصنف في التوضيح على حذف مفعولي باب ظن للدليل » . (١)

ولما كان النحاة الذين سبقوا السيوطي قد تناولوا شرح الشواهد الواردة في المغني ضمن ما شرحوه من شواهد نحوية أوردها النحاة في كتبهم الكثيرة نجده كان دائما ما يرد على اولئك النحاة فيما اذا أحس أنهم قد جانبوا الصواب في شرحهم ، ومن ذلك رده على العيني في شرحه الشاهد :

ونطعنهم تحت الحيا بعد ضربهم
ببيض المواضي حيث لي العمائم

حيث قال : « قال العيني : وفي قوله : (حيث ليّ العمائم) اضافة حيث الى المفرد ، فيكون (يعني المفرد) معربا ، ومحل حيث

---

(١) شرح شواهد المغني جا ص٣٦ ، وانظر المفصل ص٦٧ــ٦٨

نصب على الحال ، قلت : بل على الظرف لضرب ، فانها ظرف مكان كما ان تحت ظرف مكان لنطعنهم » . (١)

ولما عرض لشرح قول الفرزدق :

وكل رفيقي كل رحل وان هما

تعاطى القنا قوما هما أخوان (٢)

ذكر ان العيني أخطأ في اعرابه وفي تفسير معناه فقال : « قال العيني : اعرابه مشكل ، وكذا معناه ، وكل في (كل رحل) زائدة ، ورحل بالحاء المهملة ، وتعاطى أصله (تعاطيا) فوحد الضمير لأن الرفيقين ليسا باثنين معينين ، ثم حمل على اللفظ ، اذ قال : قوما هما اخوان ، وجملة (هما اخوان) خبر كل ، وقوله (قوما) اما بدل اشتمال من القنا ، لأن قومهما من سببهما ، اذ معناه : تقاومهما ، فحذف الزوائد ، أو مفعول له ، أي تعاطيا القنا لمقاومة كل منهما الآخر ، او مطلق من باب : (صنع الله) ، لأن تعاطي القنا يدل على تقاومهما ، ومعنى البيت : ان كل الرفقاء في السفر اذا استقروا رفقة رفيقين ، فهما كالأخوين لاجتماعهما في السفر والصحبة ، وان تعاطي كل منهما مغالبة الآخر ، انتهى كلام العيني ، واقول : هذا كله تخبيط ومنشأه انه ظن ان (قوما) مفرد منصوب ، وانما هو مثنى مرفوع مضاف الى هما ، وتقدير

---

(١) شرح شواهد المغني جا ص٣٩٠ ، وانظر المغني جا ص١٤١

(٢) المغني جا ص٢١٥ ، وانظر ديوان الفرزدق ص٨٧٠

البيت : وكل رفيقين في اي رحل كانا اخوان ، وان هما تعاطى القنا قوما هما فلا يضرهما كون قومهما متعاديين ، فأخوان خبر (كل) وجملة (وان هما تعاطى القنا قوما هما) معترضة، وتعاطى مفرد على ظاهره ، وفاعله قوماهما ، والقنا مفعول » . (١)

واذا ما رجعنا الى (المغني) وجدنا ان تخريج العيني لهذا الشاهد يشبه تخريج ابن هشام له حيث قال : (٢) وهذا البيت من المشكلات لفظا ومعنى واعرابا « ثم اخذ يشرح البيت ويوجه اعرابه توجيها يشبه في عمومه اعراب وتوجيه العيني له ، وارجح ان العيني قد نقل شرح هذا الشاهد من كتاب المغني فوقع فيما وقع فيه ابن هشام من الخطأ في توجيهه واعرابه ، بينما سلم السيوطي من ذلك واصاب فيما ذهب اليه من توجيه معنى البيت واعرابه ، وسبب خطأ ابن هشام والعيني في تفسيرهما البيت قد جاء — كما قال السيوطي — من اعتبارهما لفظة (قوما) مفردة فوقعا في ماوقعافيه من التخليط والخطأ .

وربما تناول السيوطي الخلافات النحوية من خلال شرحه شواهد المغني ، فنراه مثلا عندما عرض لشرح شاهد المغني :

ما للجمال مشيها وئيدا

قال « واستدل الكوفيون بقوله : » (مشيها وئيداً) على جواز

---

(١) شرح شواهد المغني جـ١ ص٢٩٠

(٢) المغني جـ١ ص٢١٥ — ٢١٦

تقديم الفاعل ، وخرجه البصريون على انه مبتدأ حذف خبره وبقي معموله ، أي مشيها يكون وئيدا ، وقال ابو علي (الفارسي) : مشيها بدل من الضمير في للجمال ، أو مبتدأ ، وئيدا حال سدت مسدّ الخبر . ويروى (مشيها) بالنصب على المصدر اي : يمشي مشيها ، وبالجر بدل اشتمال من الجمال » . (١)

ولما عرض لشرح شاهد المغني :

يا شاة من قنص لمن حلت له

قال : « قال الاندلسي في شرح المفصل : أنشده الكسائي شاهدا على زيادة (من) ، وقال : أراد ياشاة قنص . وانكر ذلك سيبويه وجميع اهل البصرة ، وأولوها بأنها في البيت موصوفة بالمصدر ، وهو قنص كما يقول : رجل كرم في معنى (كريم) أو على حذف المضاف ، أي ذي قنص ، أي شاة انسان ذي قنص ، او جعله نفس القنص مبالغة ، ورواه البصريون : (يا شاة ما قنص) فتعارضت الروايتان ، وبقي الاصل مع البصريين » . (٢)

ولشرح شواهد المغني قيمة هامة من الناحية اللغوية تتمثل بهذه الثروة الغنية من المفردات اللفظية التي ضمتها الشواهد ، والسيوطي

---

(١) شرح شواهد المغني جـ٢ ص٩١٢ـ٩١٣ ، وانظر منهج السالك جـ٢ ص١٤٢ - ١٤٤

(٢) شرح شواهد المغني جـ١ ص٤٨١ ، وص٤٨٣ فقد ذكر بعض ابيات القصيدة وأورد الشاهد بلفظ رواية البصريين .

لم يكتف بشرح المفردات وتبيان معانيها فقط ، بل عمل على استجلاء قيمة هذه الشواهد عند أهل اللغة ومدى اعتمادهم عليها في استدلالاتهم اللغوية ، فمثلا عندما شرح شاهد المغني :

فاقسم أن لو التقينا وانتم لكان لكم يوم من الشر مظلم

ذكر بعض أبيات قصيدته ومنها قوله :

ألا تتقون الله يا آل عامر وهل يتقي الله الأبلّ المصمم

ولما شرح معنى (الأبلّ) قال : الأبل الفاجر ، قاله في الصحاح واستشهد عليه بالبيت » . (١)

ولما عرض لشرح شاهد المغني :

أبا خراشة أما انت ذا نفر فان قومي لم تأكلهم الضبع

نسبه للعباس بن مرداس الصحابي رضي الله عنه ، ثم ذكر البيت الذي بعده وهو :

السلم تأخذ منها ما رضيت به والحرب يكفيك من انفاسها جرع

وبعد ان شرح مفردات البيتين قال : (وزعم الفارسي في الايضاح ان الضبع اسم للسنة المجدبة حقيقة لا استعارة ، واستشهد له البيت والسلم بكسر السين وفتحها : الصلح يذكر ويؤنث والحرب مؤنثة ، وقد استشهد البيضاوي في تفسيره بهذا البيت على السلم مؤنثة كالحرب

---

(١) شرح شواهد المغني ج١ ص١١٠ ، وانظر الصحاح للجوهري ج٤ ص١٤٦١

لقوله : منها ، واستشهد به ابن السكيت في الاصلاح » . (١)

وكان السيوطى أثناء شرحه مفردات الشواهد يرد على الذين شاركوه في شرحها أمثال العيني والدماميني ، وهذا يؤكد لنا أنه بالرغم من اعتماده الكبير على النقل كان يمحص ما ينقله ويبين ما فيه من خلط وخطأ ومجانبة للصواب ، فنراه مثلا عندما عرض لشرح شاهد المغني :

صوت الحمار اليجدع

ذكر البيت بتمامه وهو :

يقول الخنى وأبغض العجم ناطقا
الى ربنا صوت الحمار اليجدع

وشرح معناه بأن صوته اذ يقول الخنى يشبه في بشاعته صوت الحمار اذ تقطع اذناه ، وصوت الحمار شنيع في غير تلك الحال فما الظن به فيها ؟ وبعد ان شرح بعض المفردات قال : « ووقع في حاشية الدماميني ان اليجدع من جدعت الحمار ، سجنته ، فان الحمار اذا حبس كثر تصويته ، قال واذا جعل من الجدع الذي هو قطع الانف او الاذن لم يظهر له معنى . وليس كما قال لما تقدم فان صوت الحمار حالة تقطع أذنه أكثر وأقبح لما يقاسيه من الألم ، وكأنه ظن أن المراد صوته بعد سبق التجديع ، وليس كذلك ، بل المراد حالة

(١) شرح شواهد المغني جا ص١١٧ ، وانظر اصلاح المنطق ج٢ ص٣٦١ ، وأنوار التنزيل جا ص٢٨١

التجديع والقطع » . (١)

وقد ينبه السيوطي على التصحيفات التي وقع فيها شراح الشواهد من ذلك ما ذكره عند شرحه شاهد المغني :

فلا والله لا يلفى لما بي ولا للما بهم أبدا دواء

فقد ذكر قطعة الشاهد ومنها قول الشاعر :

لددتهم النصيحة كل لد فمجوا النصح ثم ثنوا فقاؤا

فقال عند شرحه : « لددتهم يعني : الزمتهم النصح كل الالزام فلم يقبلوا ، وقاؤا من القيء ، وصحفه العيني فقال : وفاؤا ، ثم قال وهو خبر محذوف المبتدأ ، أي : وهم فاؤا ، والجملة حالية ، وهذا تخبيط فاحش » . (٢)

ولم يقتصر السيوطي عند شرحه الشواهد على بيان ما فيها من مباحث نحوية ولغوية بل تعدى ذلك الى تبيان ما تضمنته تلك الأبيات من التفاتات بلاغية فكان كثيرا ما يشير الى استشهاد أهل المعاني والبيان والبديع بهذه الشواهد ، فمثلا عندما شرح شاهد المغني وهو قول زهير :

وما أدري وسوف أخال أدري أقوم آل حصن أم نساء

ذكر ان اهل البديع استشهدوا به على النوع المسمى : تجاهل العارف . (٣)

---

(١) شرح شواهد المغني جا ص١٦٢ــ١٣٣

(٢) شرح شواهد المغني جا ص٥٠٦

(٣) شرح شواهد المغني جا ص١٣١

ولما عرض للشاهد :

فلا تتركني بالوعيد كأنني   الى الناس مطلي به القار أجرب

ذكر أبيات قصيدته ومنها :

فانك شمس والملوك كواكب   اذا طلعت لم يبد منهن كواكب

ولست بمستبق أخا لا تلمه   على شعث أي الرجال المهذب؟

ثم قال : « وقوله : (فانك شمس ... البيت) قـال المبرد في الكامل : هذا من أعجب التشبيه . وقد سلكـه البوصيري في البردة حيث قال في النبي صلى الله عليه وسلم والنبيين :

فانه شمس فضل هم كواكبها   يظهر أنوارها للناس في الظلم

... وقوله : أي الرجال المهذب ؟ استشهد به أهل المعاني على النوع المسمى عندهم بالتذييل ، وهو تعقيب الكلام بجملة تؤكـد معناه تجري مجرى المثل » . (١)

وعرض السيوطي أثناء الشرح لأحوال الشعر العربي وتكلم كثيرا عن مختلف طبقات الشعراء ونقل لنا موازنات عقدها اهل العلم ونقاد الشعر بين فحول الشعراء ، ويعد الشرح بهذا من مصادر الأدب والنقد . فقد كان الشارح أول شيء يعتني به هو أن ينسب الشاهد الى قائله ، وينقل لنا كل الاقوال التي وردت في ذلـك ، فمثـــلا عندما عرض لشرح الشاهد :

فما ان طبنا جبن ولكن   منايانا ودولة آخرينا

(١) شرح شواهد المغني جا ص٢٢٥ ، وانظر الكامل ص٧٤١

نسبه الى فروة بن مسيك ، وذكر قصيدته ثم قال : « وتروى (أي الابيات) لعمرو بن قعاس » . ثم قال في آخر الشرح : « وفي شرح الشواهد للمصنف (يعني ابن هشام) : هذا البيت للكميت او لفروة بن مسيك فحصل فيه ثلاثة اقوال » . (١)

ولما عرض لشرح الشاهد :

بانك ربيع وغيث مريع وأنك هناك تكون الثمالا

قال : « هو من قصيدة عزاها أبو عمرو بن العلاء لعمرة بنت العجلان بن عامر بن بر الهذلية » . ثم ذكر قصيدة البيت ، وبعد ذلك قال : « ووقع في شرح شواهد المصنف تبعا لابن الشجري نسبة البيت الى كعب بن زهير رضي الله عنه » . (٢)

وقد دأب السيوطي أثناء الشرح على تحري صحة نسبة الشواهد الى قائليها ، لذا نراه في عدة مواضع يرد على المصنف وغيره نسبتهم لشاهد ما ، ثم يذكر النسبة الصحيحة معزوة الى المصدر الذي نقل عنه تلكم النسبة ، فمثلا نسب المصنف الى ابي بكر الصديق رضي الله عنه الشاهد :

كل امرىء مصبح في اهله والموت ادنى من شراك نعله

فعقب السيوطي على هذه النسبة بقوله : « كذا عزاه المصنف الى ابي بكر ، وليس هو قوله ، وانما انشده متمثلا به ، وعزاه ابن حبيب

---

(١) شرح شواهد المغني جـ١ ص٨٢–٨٤

(٢) شرح شواهد المغني جـ١ ص١٠٦

الى الحكم من بني نهشل ... وكذا ذكره ابو عبيدة في كتاب ايام العرب وسماه حكوما » . (١)

ولما شرح الشاهد :

شلت يمينك ان قتلت لمسلما

نسبه لعاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل ترثى زوجها الزبير بن العوام رضي الله عنه ، وعزا هذه النسبة الى الحاكم في المستدرك والى ابن سعد في الطبقات .(٢)

وبعد ان شرح مفردات قطعة الشاهد وتكلم عن صاحبتها قال : « عزا المصنف في شواهده هذا البيت (اي الشاهد) لصفية زوجة الزبير بن العوام ، وتبعه عليه طائفة ، والأسانيد الصحيحة ترده»(٣)

وهكذا نجد ان السيوطي لا يعتمد على ما ينقله فيقف عنده ، بل يحاول ان يتحرى صحة ذلك بالرجوع الى المصادر المعتمدة ، وهذا مما يؤكد لنا انه لم يكن مجرد ناقل ، لا عناية له الا بالجمع والنقل ، وانما كان اضافة الى ذلك يعمد دائما الى التحقيق من صحة ما ينقله .

وعرض اثناء الشرح للسرقات الشعرية ونوادر الخواطر في الشعر من ذلك ما ذكره عند كلامه عن الشاهد :

هي الشفاء لدائي لو ظفرت بها ولیس منها شفاء الداء مبذول

(١) شرح شواهد المغني جـ٢ ص٥٢٣ ، وانظر المغني جـ١ ص٢١٤

(٢)شرح شواهد المغني جـ١ ص٧١

شرح شواهد المغني جـ١ ص٧٣

نسبه لهشام بن عقبة اخي ذي الرمة ، ثم اورد ما بعده من ابيات وهـــي :

تجلو عوارض ذي ظلم اذا ابتسمت كأنه منهل بالراح مغلول

الله يعلم اني لم اقل كذبـــا

والحق عند جميـــع الناس مقبول

وبعد ان شرح المفر ات قال : « وهذا البيت (يعنى : تجلو عوارض ... البيت) برمته من قصيدة كعب بن زهير التي : اولها: بانت سعاد . اغار عليه هذا الشاعر » . (١)

وعندما شرح الشاهد :

الا أيهذا الزاجري احضر الوغى

نسبه لطرفة بن العبد ، ثم ذكر اول قصيدته ، وهى معلقته المشهورة والتى منها قوله :

لخولة اطلال ببرقة ثهمد وقفت بها ابكي وابكى الى الغد

وقوفا بها صحبي على مطيهم يقولون لا تهلك اســـى وتجلد

وبعد ان ذكر بعض ابيات القصيدة وشرح المفردات قال : « والبيت الثانى توارد فيه (يعني طرفة) مع امرىء القيس في بيت من معلقته ، فانه قال فيها :

وقوفا بها صحبي على مطيهم يقولون لا تهلك اسى وتجمل

---

(١) شرح شواهد المغنى ج٢ ص٧٠٥

وكان ابو هلال العسكرى صاحب الصناعتين ينكر الموارده حتى وارد غيره في قوله :

سفرن بدوراً وانتقبن أهلة ومسن غصونـا والتفتن جآذرا

فاعترف بها . قال المتنبي : الشعر ميدان ، والشعراء فرسان ، فربما اتفق توارد الخواطر ، كما قد يقع الحافر على الحافر » . (١)

والسيوطي في شرحه الشواهد لم يكن بجرد جامع وناقل ينقل الآراء والنصوص ، بل عمد في حيان كثيرة الى تمحيص ما ينقله ، لذا نراه يرد على المصنف بعض رواياته للشواهد اما لأن فيها تحريفا وخلطا ، واما لكونها مركبة من شطر بيت مع شطر بيت آخر ، فمثلا نراه عندما شرح شاهد المغني :

أخالد قد والله أو طأت عشوة

وما قائل المعروف فينا يعنف (٢)

نقل لنا قصة الشاهد وذكر قطعته ومنها :

أخالد قد والله أوطأت عشوة

وما العاشق المسكين فينا بسارق

أقر بما لم يأته المرء انـه

رأى القطع خيرا من فضيحة عاشق

وبعد ان اتم القطعة وشرحها وبين مناسبتها قال : « وفي شواهد

---

(١) شرح شواهد المغني جـ٢ ص٨٠٢

(٢) المغني جـ١ ص١٨٦

الكتاب للزمخشري قال الفرزدق :

وما حل من حلم حبا حلمائنا ولا قائل المعروف فينا يعنف

يريد : من قال فيهم الحق لا يعنف لمعرفتهم بالحق ، وبأنهم من أهله . انتهى . فالظاهر ان المصنف ركب عليه صدر على عجز آخر . » (١)

ولما عرض للشاهد :

أقب من تحت عريض من عل

اعترض على المصنف لايراده البيت برواية الضم ، وبين ان الشاهد ورد في قصيدة مجرورة القوافي (٢) وأولها :

الحمد لله العلي الأجلـــل الواسع الفضل الوهوب المجزل

ومما زاد في قيمة هذا الشرح ان السيوطي بث خلال شرحه الشواهد آراء قيمة في الشعر ونقده اقتطفها من اهم المصادر التي عنيت بذلك ، فمثلا عرض لشاهد المغني :

أفاطم مهلا بعض هذا التدلل

وهو اول شاهد في الكتاب قال : « هـــذا صدر بيت لامرىء القيس بن حجر الكندي من معلقته المشهورة ... وقد استشهد المصنف من هذه المعلقة بنحو من عشرين بيتا تأتي في محالها » . ثم نقل عن ابن عساكر عن الأصبغ بن عبد العزيز انه قال :

---

(١) شرح شواهد المغني جا ص٤٨٩ ، وانظر ديوان الفرزدق ص٥٦١

(٢) شرح شواهد المغني جا ص٤٥١ . وانظر خزانة الادب جـ ص٤٠١

« سألت نصيبا أي بيت قالت العرب أنسب ؟ فقال قــول امرىء القيس : أفاطم مهلا بعض هذا التدلل ... البيت » . (١)

وقال عند كلامه على امرىء القيس : « وقد ذكر محمد بن سلام الجمحي امرأ القيس في الطبقة الاولى من الشعراء الجاهليين وقال الفراء : كان زهير واضح الكلام ، مكتفية بيوته ، البيت منها بنفسه كاف ، وكان جيد المقاطع ، وكان النابغة جـزل الكـلام ، حسن الابتداء والمقطع ، يعرف في شـــعره قدرته على الشعر ، لم يخالطه ضعف الحداثة ، وكان امرؤ القيس شاعرهم الذي علم الناس الشعر والمديح والهجاء ، بسبقه اياهم » . (٢)

ونقل لنا اثناء شرحه الشواهد آراء في النقد تعد البذور الأولى لفن النقد الأدبي ، من ذلك قوله : « اخرج ثعلب بسنده عن ابن عباس ، قال : قـــال لي عمر (رضي الله عنه) أنشدني لأشـــعر شعرائكم . قلت : من هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : زهير ، قيل : بم كان ذاك ؟ قال : كان لا يعاظل بين الكلام ، ولا يتبع حوشيه ولا يمدح الرجل بما لا يكون في الرجال . قال : فأنشدته حتى برق الصبح » . (٣)

---

(١) شرح شواهد المغني جا ص٢٠ — ٢١

(٢) شرح شواهد المغنى جا ص٢٢

(٣) شرح شواهد المغني جا ص١٣١—١٣٢ ، ولم يعاظل الكلام ؛ اى يحمل بعضه على بعض ولم يتكلم بالرجيع من القول ، ولم يكرر اللفظ . انظر لسان العرب المجلد ١٣ ص٤٨٤

وعرض السيوطي اثناء الشرح للمجالس العلمية والادبية التي كانت تعقد في اندية الخلفاء والأمراء أمثال عبد الملك بن مروان وهارون الرشيد وغيرهم ، من ذلك ما ذكره عند شرحه قول الراعي النميري :

أخذو المخاض من الفصيل غلبة ظلما ، ويكتب للأمير : أفيلا

فقد قال : « وفي كتاب التصحيف للعسكري ، سأل الرشيد عن قول الراعى :

قتلوا ابن عفان الخليفة محرما

أي احرام هذا ؟ فقال الكسائي : اراد انه احرم بالحج . فقال الأصمعي : والله ما أحرم ، ولا عنى الشاعر هذا ، ولو قلت احرم دخل في الشهر الحرام ، كما يقول : أشهر ، دخل في الشهر كان أشبه . قال الكسائي : فما أراد بالأحرام ؟ قال : كل من لم يأت شيئا يستحل به عقوبة فهو محرم . اخبرني عن قول عدى بن زيد :

قتلوا كسرى بليل كان محرما فتولى لم يمتع بكفن

أي احرام كان لكسرى ؟ . فسكت الكسائي ، فقال الرشيد : يا أصمعي ما تطاق في الشعر » . (١)

ويتضح لنا من جميع ما ذكرناه آنفا مدى ما بذله السيوطي من جهد حتى استطاع ان يتحفنا بهذا الكتاب الفريد الذي يعد

(١) شرح شواهد المغني جـ٢ ص٧٣٧ـ٧٣٨

من خيرة الكتب التي عنيت بشرح الشاهد النحوي ، ولا اظن ان هناك كتابا ظهر قبل خزانة الادب للبغدادي قد خدم الشاهد النحوي وأعان الدارسين والباحثين على فهمه ومعرفة نسبته وقصيدته مثلما فعل السيوطي في كتابه هذا الذي سيبقى مرجعا هاما من المراجع التي يعول عليها الدارسون والباحثون لا في النحو فقط بل في سائر فنون العربية .

(٢)

المطالع السعيدة في شرح الفريدة

هو شرح لألفيته « الفريدة » التي سبق أن تكلمت عليها في الفصل الاول من هذا الباب ، وقد قال في خطبة هذا الشرح : « هذا تعليق كثير الفوائد العديدة ، جم الفرائد المفيدة ، مسمى المطالع السعيدة في شرح الفريدة » . (١)

وقد اعتمد السيوطي في شرحه هذا على مصادر كثيرة ، مثل : كتاب سيبويه وشرحه للسيرافي ، والجمل للزجاجي ، والمفصل والكشاف للزمخشري ، ونتائج الفكر للسهيلي ، وتعليقة ابن النحاس على المقرب ، والكافية الشافية ، وشرحها ، والالفية ، والتسهيل ، وشرحه ، وشرح العمده ، وسبك المنظوم لابن حيان ، والمغني ، وشذور الذهب وشرحه ، وأوضح المسالك لابن هشام ، وحاشية البدر الدماميني على المغني .

وبنى السيوطي شرحه هذا على الابواب نفسها التي بنى عليها متنه ، الا انه قدم له بخطبة طويلة ، تحدث فيها عن اهمية النحو

---

(١) المطالع السعيدة ص٢

وفضل تعلمه ، ونقل في ذلك عدة اخبار مأثورة منها : قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه : « لئن أقرأ وأسقط احب اليّ من أقرأ وألحن » . (١) ونقل عن عمر رضى الله عنه انه مر بقوم يرمون رشقا ، فلم يصيبوا في رميهم ، فقال لهم : ما اسوأ رميكم ، قالوا : نحن متعلمين ، فقال لهم رضي الله عنه : لحنكم أشد علي من سوء رميكم . (٢)

وتحدث في هذه الخطبة ايضا عن فضل النحو على سائر العلوم : كالتفسير والفقه وأصوله والحديث والبلاغة والشعر ، ونقل عن الفراء انه قال : قلّ رجل انعم النظر في العربية ، فأراد غيرها الاسهل عليه ، فقيل له : فأنت الآن انعمت النظر في العربية فنسألك عن باب من الفقه ، قال : هات على بركة الله ، قال : ما تقول في رجل صلى فسها ، فسجد سجدتي السهو ، فسها فيهما ؟ ففكر الفراء ، ثم قال : لا شيء عليه ، فقيل له من أين قلت ذلك ؟ قال قستة على مذاهبنا في العربية ، وذلك ان المصغر عندنا لا يصغر وانما السجدتان تمام الصلاه ، فليس للتمام تمام ، ولا يلتفت الى السهو في السهو » . (٣) ونقل لنا في معرض حديثه عن فضل النحو مناظرة وقعت بين القاضي ابي يوسف والكسائي ، فقال : « دخل ابو يوسف القاضي على الخليفة وعنده الكسائي : فقال له : لو تفقهت كان انبل بك ، قال : يا أبا يوسف إنى سائلك عن مسألة :

(١) المطالع السعيدة ص٣ ، وانظر المزهر ج٢ ص٢٤٦

(٢) المطالع السعيدة ص٢

(٣) المطالع السعيدة ص٥

قال : وما مسألتك ؟ ، قال : ما تقول في رجل أقر أن لفلان عليه مائة درهم الا عشرة دراهم الا درهما ، كم يثبت عليه من الاقرار ؟ قال : تسعة وثمانون درهما ، قال : أخطأت يا أبا يوسف ، قال : ولم ؟ ، قال : لأن الله تعالى يقول في كتابه « انا ارسلنا الى قوم مجرمين الا آل لوط إنّا لمنجوهم أجمعين الا آمرأته قدرنا انها لمن الغابرين » (١) خبرني يا أبا يوسف : المرأة مستثناة من الآل او من القوم ، قال : فكم يثبت عليه من الاقرار ؟ قال : صدقت يثبت عليه من الاقرار الآن واحد وتسعون درهما » . (٢)

وتناول في هذه الخطبة كذلك الحديث عن أوليات النحو ، وقدم لذلك بكلمة جامعة قال فيها : « وقد اختلف في اول من وضع النحو ، وفي سبب وضعه » . (٣) « ثم سرد بعد ذلك الأخبار المروية في هذا الموضوع ، قام بجمعها من مختلف المصادر التي عنيت بذلك وقد استل السيوطي هذا الجزء من الخطبة ونشره في مؤلف مستقل سماه « الاخبار المروية في سبب وضع العربية » وهى مطبوعة ضمن التحفة البهية . (٤)

وبين في هذه الخطبة كذلك العلاقة بين ألفيته وألفية ابن مالك والامور التي امتازت بها ألفيته على تلك الألفية ، فقال : انها حوت

---

(١) سورة الحجر أية رقم (٥٨ — ٦٠)
(٢) المطالع السعيدة ص٣
(٣) المطالع السعيدة ص٨
(٤) انظر التحفة البهيه ص٥٠

« من القواعد والفوائد والزوائد ما لا يستغني طالب النحو عنه فبذلك فاقت ألفية ابن مالك، وفاقتها ايضا بالتنبيه على قيود اهمل ابن مالك ذكرها وبكونها اوضح عبارة من عبارة الألفية ، فهذه ثلاثة امور فاقتها بها » (١) وكلام السيوطي هذا - بلا شك - فيه كثير من المبالغة ، وهذه سمة بارزة فى حياته العلمية ، فهو شديد الفخر والمباهاة بما ينتجه من المؤلفات ، وندر ان يضع كتابا ما لم يذكر في خطبته انه قد فاق فيه الكتب السابقة التي وضعت في بابه ، وانه لن يتيسر لمعاصريه ان يضعوا مثله ، وربما كانت المنافسة الشديدة التي وقعت له مع ابناء عصره هي الدافع الاول لهذ الفخر وتلك المباهاة ، لأن لهذه المنافسة أثراً فعالاً في حياة السيوطي ، وقد عرض لها في كثير من مؤلفاته ، حتى في شرحه هذا حيث ذكر في باب الظرف انه سئل عن اعراب « زنة » من قوله صلى الله عليه وسلم « سبحانك اللهم عدد خلقك وزنة عرشك ومداد كلماتك » فذكر انها منصوبة لأنها نابة مناب الظرف ، (٢) وألف في ذلك رسالة سماها : « رفع السنة في نصب الزنة » (٣) فشنع عليه في ذلك بعض معاصريه لمخالفتهم اياه في اعراب ذلك ، وحدث بينه وبينهم جدل طويل عقب عليه في هذا الشرح فقال : « وبمثل هذه الواقعة وأمثالها اخذت عن اهل مصر جانبا وتركت كلامهم على ما هو عليه لا مفيدا لهم ، ولا

---

(١) المطالع السعيدة ص١٥

(٢) المطالع السعيدة ص١٥٣

(٣) رسالة صغيرة مطبوعة ضمن الحاوي للفتاوي جـ٢ ص٤٨٥

منبها لهم على خطأ » . (١)

وبعد ان انهى السيوطي خطبة الكتاب بدأ بشرح أبيات أرجوزته شرحا موسعا متوخيا فيه التبسيط والاحاطة والجمع – على عادته في مؤلفاته الأخرى – فاذا ما تناول أي مسألة من مسائل هذه الأرجوزة نجده يحاول ان يتوسع فيها وينقل الآراء التى قيلت فيها كافة ، مع حرصه الشديد على عزو كل رأي الى صاحبه ، وذكر حجة كل منهم ودليله ، فمثلا لما شرح قوله :

كلامنا قول مفيد يقصد (٢)

قال : « الكلام يطلق لغة على ستة اشياء ، احدها : الخط ، ومنه تسمية ما بين دفتي المصحف من الرسوم كلام الله ، قال الشلوبين : وشرطه ان يكون معبرا عنه باللفظ المفيد ، فلو كتب زيدا وحده أو قام وحدها لم يسم كلاما ، لأن الكتابة انما سميت كلاما لقيامها مقام الكلام . قال ابن هشام : قد يعترض على ذلك بأنه ينبغي تسمية ذلك كلاما لأنه اطلاق مجازي لا حقيقي ، فلا يشترط فيه ما ذكر ، الثاني : الاشارة المفهمة ، ومنه قوله تعالى : « أن لا تكلم الناس ثلاثة ايام الا رمزا » (٣) اى الا اشارة ، فاستثناء الرمز من الكلام دليل دخوله فيه ، والأصل في الاستثناء الاتصال . . ومنه

---

(١) المطالع السعيدة ص١٥٣

(٢) [المطا]لع السعيدة ص١٦

(٣) سورة آل عمران رقم ٤١

قول حبيب : ـ

كلمته بجفون غير ناطقة   وكان من رده ما قال حاجبه

• • • الثالث ما يفهم من حال الشيء ، ومنه قول زهير

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم

• • • والرابع : التكلم الذى هو المصدر ، ومنه قوله :

قالوا : كلامك هندا وهي مصغية   يشفيك قلت صحيح ذاك لو كانا

• • • الخامس ما في النفس من المعاني • • ومنه قول الاخطل :

ان الكلام لفي الفؤاد وانما   جعل اللسان على الفؤاد دليلا

• • • السادس : اللفظ ، وان كان غير صالح للسكوت عليه ، ولا مقصودا ، وهذا معنى قول الجوهري : الكلام في اللغة اسم جنس يقع على القليل والكثير ، فيقع على الكلمة الواحدة ، وعلى الجماعة منها ، وعلى هذا ورد الحديث : ان هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من الكلام ، فانها تبطل بالكلمة الواحدة ، ولا يتوقف الابطال على اللفظ المفيد فان الحديث ورد على اللغة لا على الاصطلاح الحادث » . (١)

ومنهج السيوطي في هذا الشرح يشبه الى حد كبير منهجه الذى سلكه في كتابه « همع الهوامع » وشخصيته الجماعة ظاهرة فيه ، وله فيه آراء كثيرة ، ولكنها جميعها اختيارات وتصحيحات وترجيحات

---

(١) المطالع السعيدة ص١٧ ـ ١٨

فليس له فيه رأى انفرادي ، ثم غالب هذه الاراء في الواقع تكرار لما في همع الهوامع ، وسأحاول هنا ان أذكر جملة من تلك الآراء مما لم نذكرها عند كلامنا على الهمع ، منها انه لما عرض لأي الموصولة قال : « واعلم أن أيا الموصولة لها اربعة احوال ، الحال الأول : ان يذكر مضافها وصدر صلتها ، والثاني ان يحذفا معا والثالث ان يحذف مضافها وتذكر صلتها ، والرابع ان يحذف صدر الصلة دون المضاف اليه ، وفي هذه الحالة تبنى على الضم عند سيبويه والجمهور وعللوه بشدة افتقارها الى ذلك المحذوف ، واستدلوا له بقوله تعالى : « لننزعن من كل شيعة أيهم أشد » (١) وذهب الخليل والأخفش وطائفة الى اعرابها في هذه الحاله ايضا ، وهو المختار عندى والآيه مخرجة على التعليق أو الحكاية ، وما ذكروه من العلة منقوض بوجودها في الحالة الثانية ، بل اكد لانضمام حذف المضاف اليه الى حذف الصدر ، مع انهم لم يقولوا ببنائها حينئذ وقد غلط الزجاج سيبويه في قوله ببنائها في الحالة الرابعة ، وقال الجرمي : خرجت من الخندق يعني خندق البصرة حتى صرت الى مكة لم اسمع احدا يقول : اضرب ايهم افضل ، أى كلهم ينصب ، وقرأها هارون ومعاذ ويعقوب : « أيهم اشد » بالنصب ، وقال ابن مالك في شرح التسهيل : « القول باعرابها أبدا قوي ، لأنها تعرب في باب الشرط والأستفهام ، أبدا قولا واحدا ، فكذا الموصولة » . (٢)

---

(١) سورة مريم آية ٦٩

(٢) المطالع السعيدة ص٢٣ ، وانظر همع الهوامع جا ص٩١ ، والأشباه والنظائر ج٣ ص١٦ - ١٧ والبيان فى اعراب غريب القرآن مخطوط ورقة ٢٥١ ، ومغنى اللبيب جا ص٨١

ولما عرض لعلة العدل في الممنوع من الصرف ذهب الى جواز القياس في العدد المعدول على وزن فعال ومفعل خلافا لمن منع ذلك فقال : « المعدول على وزن فعال ومفعل والمسموع من ذلك أحاد وموحد ، وثناء ومثنى ، وثلاث ومثلث ، ورباع ومربع ، وخماس ومخمس ، وعشار ومعشر ، واختلف هل يقاس عليها سداس ومسدس وسباع ومسبع وثمان ومثمن وتساع ومتسع ، فذهب البصريون الى المنع لأن فيه احداث لفظ لم تتكلم به العرب ، والكوفيون والزجاج الى الجواز لوضوح طريق القياس فيه ، وهو المختار ، على أن بعضهم ، حكى أن هذه المراتب الأربعة مسموعة أيضا ، وصححه ابو حيان فقال في شرح التسهيل : الصحيح ان البنائين مسموعان من واحد الى عشرة ، فقد حكى ابو عمرو واسحق بن مرار الشيباني من موحد الى معشر وحكى أبو حاتم في كتاب الابل ويعقوب بن السكيت أحاد الى عشار ، قال : ولا التفاوت الى قول أبي عبيدة في المجاز : لا نعلمهم قالوا فوق رباع ، فمن علم حجة عليه » . (١)

ولما بحث « من » و « ما » الاستفهاميتين ذهب الى أنهما نكرتان خلافا لابن كيسان في عده اياهما معرفتين ، فقال : « من وما الاستفهاميتين نكرتان خلافا لابن كيسان في عده اياهما من المعارف ، مستدلا بتعريف جوابهما ، نحو : من عندك ؟ فيقال : زيد ، وما دعاك الى كذا ؟ فيقال : لقاؤك ، والجواب يطابق السؤال ورد ذلك الجمهور بأنه غير لازم اذ يصح أن يقال في الاول من بني

(١) المطالع السعيدة ص٤٥

فليس له فيه رأى انفرادي ، ثم غالب هذه الآراء في الواقع تكرار لما في همع الهوامع ، وسأحاول هنا ان أذكر جملة من تلك الآراء مما لم نذكرها عند كلامنا على الهمع ، منها انه لما عرض لأي الموصولة قال : « واعلم أن أيا الموصولة لها اربعة احوال ، الحال الأول : ان يذكر مضافها وصدر صلتها ، والثاني ان يحذفا معا والثالث ان يحذف مضافها وتذكر صلتها ، والرابع ان يحذف صدر الصلة دون المضاف اليه ، وفي هذه الحالة تبنى على الضم عند سيبويه والجمهور وعللوه بشدة افتقارها الى ذلك المحذوف ، واستدلوا له بقوله تعالى : « لننزعن من كل شيعة أيهم أشد » (١) وذهب الخليل والأخفش وطائفة الى اعرابها في هذه الحاله ايضا ، وهو المختار عندى والآيه مخرجة على التعليق أو الحكاية ، وما ذكروه من العلة منقوض بوجودها في الحالة الثانية ، بل اكد لانضمام حذف المضاف اليه الى حذف الصدر ، مع انهم لم يقولوا ببنائها حينئذ وقد غلط الزجاج سيبويه في قوله ببنائها في الحالة الرابعة ، وقال الجرمي : خرجت من الخندق يعني خندق البصرة حتى صرت الى مكة لم اسمع احدا يقول : اضرب ايهم افضل ، أى كلهم ينصب ، وقرأها هارون ومعاذ ويعقوب : « أيهم اشد » بالنصب ، وقال ابن مالك في شرح التسهيل : « القول باعرابها أبدا قوي ، لأنها تعرب في باب الشرط والاستفهام ، أبدا قولا واحدا ، فكذا الموصولة » . (٢)

---

(١) سورة مريم آية ٦٩

(٢) المطالع السعيدة ص٣٣ ، وانظر همع الهوامع جـ١ ص٩١ ، والأشباه والنظائر جـ٣ ص١٦ ـ ١٧ والبيان فى اعراب غريب القرآن مخطوط ورقة ٢٥١ ، ومغنى اللبيب جـ١ ص٨١

ولما عرض لعلة العدل في الممنوع من الصرف ذهب الى جواز القياس في العدد المعدول على وزن فعال ومفعل خلافا لمن منع ذلك فقال : « المعدول على وزن فعال ومفعل والمسموع من ذلك أحـاد وموحد ، وثناء ومثنى ، وثلاث ومثلث ، ورباع ومـربع ، وخماس ومخمس ، وعشار ومعشر ، واختلف هل يقاس عليها سداس ومسدس وسباع ومسبع وثمان ومثمن وتساع ومتسع ، فذهب البصريون الى المنع لأن فيه احداث لفظ لم تتكلم به العرب ، والكوفيون والزجاج الى الجواز لوضوح طريق القياس فيه ، وهو المختار ، على أن بعضهم ، حكى أن هذه المراتب الأربعة مسموعة أيضا ، وصححه ابو حيان فقال في شرح التسهيل : الصحيح ان البنائين مسموعان من واحد الى عشرة ، فقد حكى ابو عمرو واسحق بن مرار الشيباني من موحد الى معشر وحكى أبو حاتم في كتاب الابل ويعقوب بن السكيت أحـاد الى عشار ، قال : ولا التفاوت الى قول أبي عبيدة في المجاز : لا نعلمهم قالوا فوق رباع ، فمن علم حجة عليه » . (١)

ولما بحث « من » و « مـا » الاستفهـاميتين ذهب الى أنهما نكرتان خلافا لابن كيسان في عده اياهما معرفتين ، فقال : « من وما الاستفهاميتين نكرتان خلافا لابن كيسان في عده اياهما من المعارف ، مستدلا بتعريف جوابهما ، نحو : من عندك ؟ فيقال : زيد ، وما دعاك الى كذا ؟ فيقال : لقاؤك ، والجواب يطابق السؤال ورد ذلك الجمهور بأنه غير لازم اذ يصح أن يقال في الاول من بني

---

(١) المطالع السعيدة ص٤٥

فلان ، وفي الثاني أمر مهم ، والأصل التنكير ولم تقم حجه واضحة ، وبأنها قائمتان ، مقام أي انسان وأي شيء ، وهما نكرتان فوجب تنكير ما قام مقامهما » . (١)

وذهب في بـــاب كان الى جواز تصحيح مجيء خبرها ماضيا واستثنى من ذلك بعض افعال الباب فقال : « وشرط ما تدخل عليه صار وفتيء وانفك وزال وبرح ودام ألا يكون خبره فعلا ماضيا ، فلا يقال : صار زيد علم ، وكذا البواقي ، لأنها تفهم الدوام على الفعل واتصاله بزمن الاخبار والماضي يفهم الانقطاع فتدافعا ، وهذا متفق عليه ، واختلف في جواز دخول بقية أفعال الباب على ما خبره ماض ، فالصحيح جوازه مطلقا ، وعليه البصريون، لكثرته في كلامهم نظما ونثرا ، قال تعالى : « ان كان قميصه قد من دبر » (٢) . « ان كنتم آمنتم » (٣)

واختار في باب تقديم الفاعل على المفعول تأخير المحصور بـالا قياسا على تأخيره مع انما ، نحو : ما ضرب عمرا الا زيد ، ومـا ضرب زيد الا عمرا . (٤)

وذهب الى عدم جواز مجيء الفاعل جملة ، وحمل ما أوهم ذلك من

(١) المطالع السعيدة ص٥٧
(٢) سورة يوسف آية رقم (٢٧)
(٣) سورة الانفال آية رقم (٤١) ، وانظر المطالع السعيدة ص١٠٠
(٤) المطالع السعيدة ص١٢٤

الفصيح على اضمار الفاعل ، ومنه قوله تعالى : « ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه » (١) فالفاعل هنا ضمير يعود على المصدر « البداء » المفهوم من الفعل « بدا » أو ضمير السجن المفهوم من الفعل « ليسجننه » . (٢)

واختار في باب فعال في الأمر جواز القياس فيه وفاقا لسيبويه وخلافا للمبرد ، فقال : « وتنقاس فعال في السب بلا خلاف ، وفي الأمر وفاقا لسيبويه وخلافا للمبرد ، من كل فعل ثلاثي مجرد تام متصرف نحو : يا قذار ، وجلاس ، ونطاق ، وقوام ، بمعنى : اجلس ، وانطق ، وقم » . (٣)

وذهب في باب الحال الى جواز تقديمه على عامله فقال : « الاصح وعليه الجمهور جواز تقديم الحال علي عاملها قياسا على المفعول به والظرف وسماعا، قال تعالى:« خشعا أبصارهم يخرجون»(٤) وأستثنيت من ذلك صور لا يجوز فيها التقديم منها ان يكون العامل فعلا غير متصرف نحو ما احسن هندا متجردة ، فلا يقال : متجردة ما احسن هندا . » (٥)

---

(١) سورة يوسف آية رقم (٣٥)

(٢) المطالع السعيدة ص١٢٧

(٣) المطالع السعيدة ص١٣٩

(٤) سورة القمر آية رقم (٧)

(٥) المطالع السعيدة ص١٧٦

وصحح جواز جر مميز (كم) الاستفهامية فقال : « مميز (كم) الاستفهامية مفرد منصوب كمميز عشرين وأخواته ، نحو : كم شخصا سما ، وهل يجوز جره فيه ثلاثة مذاهب ، أصحها الجواز بشرط ان يدخل على (كم) حرف جر نحو : على كم جذع بيتك مبني ، والجر بمن حينئذ مقدرة حذفت تخفيفا وصار الحرف الداخل على كم عوضا منها ، هذا مذهب الخليل وسيبويه » . (١)

واختار في باب الاضافة جواز اضافة (ذو) الى الضمير خلافا لمن منع ذلك ، واستدل له بما ورد فيه السماع ، ومنه :

انما يعرف الفضل من الناس ذووه (٢)

وذهب في باب التعدي واللزوم الى ان الفعل يقسم الى أربعة أقسام ، لازم ، ومتعد ، وواسطة ، لا يوصف بلزوم ولا تعد ، وهي الأفعال الناقصة كان وكاد وأخواتهما ، والرابع ما يوصف بالتعدي واللزوم معا ، لاستعماله بالوجهين نحو : شكر وقصد ونصح ، فانه يقال : شكرته ، وشكرت له ، وقصدته ، وقصدت اليه ، ونصحته ، ونصحت له ، قال السيوطي : « فلما تساوى فيه الاستعمالان صار قسما برأسه ، ومنهم من انكره ، وقال اصله ان يستعمل بحرف الجر وكثر فيه الأصل والفرع ، وصححه ابن عصفور ومنهم من قال : الأصل تعديه بنفسه وحرف الجر زائد » . (٣)

---

(١) المطالع السعيدة ص١٨٤

(٢) المطالع السعيدة ص٢٠٦

(٣) المطالع السعيدة ص٢٢٧

ومال في باب التعجب الى رأي سيبويه في اعرابه (مـــا) التعجبية ورجحه على رأي الأخفش فقال : « و (ما) فيه نكرة غير موصوفة في موضع رفع على الابتداء وساغ الابتداء بها لانها في تقدير التخصيص ، والمعنى شيء عظيم أحسن زيدا ، اي جعله حسنا ، ... وذهب الأخفش الى ان (ما) موصولة وهي مبتدأ ، واحسن صلتها ، والخبر محذوف وجوبا ، تقديره الذي احسن زيدا شيء عظيم ، وقول سيبويه أرجح لأنه لم يسد محل الخبر شـــيء حتى يحذف » . (١)

وذهب في باب النعت الى جواز مجيء اسم الاشارة نعتـا أو منعوتا خلافا للكوفيين والزجاج في عدم تجويزهم ذلك . (٢)

وصحح وفاقا للكوفيين مجيء عطف البيان من النكرات فقال (٣) « ومنع البصريون جريانه على النكرة وقالوا لا يجـــري الا في المعارف ، والكوفيون على جواز اجرائه في النكرات ورجحه الفارسي والزمخشري ، وهو الصحيح ، ومن امثلته قوله تعالى « من ماء صديد » . (٤)

وذهب في باب التأنيث الى عدم جواز لحوق تاء التأنيث للفعل

---

(١) المطالع السعيدة ص٢٣٣ــ٢٣٤

(٢) المطالع السعيدة ص٢٥٦

(٣) المطالع السعيدة ص٢٥٨

(٤) سورة ابراهيم آية رقم (١٦)

المسند الى جمع المذكر السالم خلافا للكوفيين في تجويزهم ذلك ، واستدل السيوطي لرأيه بعدم ورود السماع به ، ولأن سلامة نظم جمع المذكر السالم تدل على التذكير . (١)

هذه اهم آراء السيوطي التي اوردها في هذا الكتاب ، ولعلي استطعت من خلال عرضها أن اعطي فكرة واضحة عنه وعن منهجه النحوي القائم على الاختيار والانتخاب والترجيح .

وكتاب « المطالع السعيدة » لا زال مخطوطا لم تمتد اليه يد النشر ، ونسخه المخطوطة كثيرة ، منها ثلاث نسخ في دار الكتب المصرية تحت رقم (٢٦٢ نحو) ورقم (٩٨٨ نحو) ورقم (١٥٩ نحو) (٢) ، وفي مكتبة الأزهر خمس نسخ تحت رقم (١٠٠) ورقم (٧٩٩) ، ورقم (٢٢٩٩) عروسى ٤٢٦٢٦ ، ورقم(٣٩٠٣) ورقم (١٤٩٤) (٣)

---

(١) المطالع السعيدة ص٢٩١

(٢) فهرس دار الكتب المصرية ج٢ ص١٥٩

(٣) فهرس مكتبة الأزهر ج٤ ص٣٠٧–٣٠٨

(٣)

البهجة المرضية في شرح الالفية

تبوأت الفية ابن مالك مكانة مرموقة في نفوس النحاة المتأخرين، فتناولوها بالدرس والشرح والتعليق ، فقد احصى لها حاجي خليفة في كشفه سبعة واربعين شرحا ، عدا التعاليق والحواشي التي وضعت عليها وعلى شروحها (١) .

ولعل من اشهر الشروح شرح ابنه بدر الدين محمد بن محمد ابن مالك المتوفى سنة ٦٨٦ هـ ، ويعرف بـ « شرح ابن الناظم » او « شرح ابن المصنف » وشرح شمس الدين المرادي المعروف بابن ام قاسم المتوفى سنة ٧٤٩ هـ وشرح العلامة جمال الدين بن هشام المتوفى سنة ٧٦١ هـ ، وسماه : « اوضح المسالك الى الفية ابن مالك » ثم اشتهر بين النحاة باسم : « التوضيح » ، وشرح ابن عقيل المتوفى سنة ٧٦٩ هـ ، وهو اكثرها تداولا واعمها نفعا ، وشرح ابن الصائغ المتوفى سنة ٧٧٧ هـ ، وشرح الأشمونى المتوفى سنة ٩٢٣ هـ ، وسماه : « منهج السالك الى الفية ابن مالك » .

---

(١) كشف الظنون م١ ص١٥١ ـ ١٥٥

ولما كان السيوطي شديد العناية بكتب ابن مالك ، وهي من اهم مصادره التي اعتمد عليها في تصانيفه النحوية ، لذلك نراه قد اسهم في وضع شرح مبسط على الألفية سماه : « البهجة المرضية في شرح الالفية » (١) ، ولم يكتف بذلك فقط بل قام ايضا باختصارها في منظومه سماها « الوفية » (٢) وهي في ستمائة وثلاثين بيتا ، وقام كذلك بوضع اكثر من حاشية على شروح الالفية وحواشيها ، وهي : « المشنف على ابن المصنف ، و والتوشيح على التوضيح » (٣) نقل منه العليمي كثيرا في تقريراته على التصريح للازهري ، (٤) وله ايضا « السيف الصقيل على حواشي ابن عقيل » وحاشية على شرح ابن جابر الاعمى المتوفى سنة ٧٨٠ هـ سماها : « تحرير شرح الاعمى والبصير » ، (٥) وله نكت على شرح الشواهد للعيني المتوفى

---

(١) حسن المحاضرة جـ١ ص ٣٤٣ ، ووردت فيه ضمن مؤلفاته في العربية باسم « البهجة المضية في شرح الالفية » .

(٢) كشف الظنون م١ ص١٥٢

(٣) حسن المحاضر جـ١ ص ٣٤٣ ، وانظر كشف الظنون م١ ص١٥٤

(٤) انظر حاشية العليمي على التصريح مطبوعة في هامش التصريح على التوضيح للازهري جـ١ ص ١٧ ، ص٢١ ، ص٢٦ ، ص٣٢

(٥) كشف الظنون م١ ص١٥٢ ، والاعمى والبصير هما : محمد بن احمد بن جابر الاندلسى الاعمى المتوفى سنة ٧٨٠ هـ ، ورفيقه ابو جعفر احمد بن يوسف بن مالك الرعيني الاندلسى المتوفى سنة ٧٧٩ هـ ، انظر ترجمتهما في البغية جـ١ ص ٣٤ ـ ٣٥

سنة ٨٥٥ هـ (١) .

وكتب السيوطي التي وضعها على الالفية وشروحها كلها مفقودة ما عدا شرحه الذي سنقوم بدراسته في هذا الموضع من البحث .

ويعد هذا الشرح من اوائل الكتب التي صنفها السيوطي (٢) ، فقد وضعه في حدود سنة ٨٦٨ هـ ، وكان آنذاك شابا لما يبلغ العقد الثالث من عمره ، والى هذا اشار في خاتمته حيث قال : « فدونك مؤلفاً كأنه سبيكة عسجد أو در منضد ، برز في أبان الشباب ، وتميز عند صدور أولي الألباب ، وقد قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ما أوتي عالم علما الا وهو شاب » (٣) .

وقد نال هذا الشرح اعجاب شيوخه ومعارفه ، فقرظه له أكثر من واحد ، وكان على رأسهم شيخه تقي الدين الشمني المتوفى سنة ٨٧٢ هـ (٤) .

وشرح السيوطي هذا مختصر كتبه بأسلوب موسط ، قال في مقدمته : « أما بعد : فهذا شرح لطيف مزجته بألفية ابن مالك مهذب المقاصد واضح المسالك ، يبين مراد ناظمها ، ويهدي الطالب لها الى معالمها ، حاو لأبحاث منها ريح التحقيق تفوح ، وجامع لنكت لم يسبقه اليها غيره من الشروح ، وسميته بـ « البهجة المرضية

---

(١) حسن المحاضرة جـ١ ص٣٤٣

(٢) حسن المحاضرة جـ ١ ص٣٣٧

(٣) البهجة المرضيه ص١٥٤

(٤) حسن المحاضرة جـ١ ص٣٣٧

في شرح الألفية » (١) .

واعتمد السيوطي في شرحه الألفية اعتمادا كبيرا على كتب ابن مالك نفسه ، ولعل هذا الأمر من اهم ما تميز به هذا الشرح عن غيره من الشروح ، فقد دأب الشارح على أن يوضح عبارات الألفية بما ينقله من كلام ابن مالك فى كتبه الأخرى ، وبخاصة منظومته الكافية وشرحها ، وذلك لما بينهما وبين الألفية من علاقة وثيقة ، فالألفيه ـ كما هو معلوم ـ خلاصة الكافية ، ولهذا السبب أطلق عليها الخلاصة (٢) . وورد في الشرح كذلك نقل كثير من كتب ابن مالك الأخرى ، مثل : التسهيل وشرحه ، والعمدة ، والنكت على مقدمة ابن الحاجب .

ولم يقتصر السيوطي على كتب ابن مالك فيما اعتمد عليه من مصادر لوضعه شرحه ، بل عول أيضاً على بعض شروح الألفية مثل شرح ابن الناظم ، وأوضح المسالك لابن هشام ، ونقل ايضاً من مصادر أخرى مثل : الخصائص لابن جنى ، والكشاف للزمخشري ، وشرح التكملة لأبي البقاء ، وامالى ابن الحاجب ، والكافي لابن فلاح ، وشرح الجزولية للابذى ، وشرح الرضي على الكافية ، والتعليقة لابن النحاس ، والارتشاف لأبي حيان ، وحاشية والد السيوطي على شرح ابن الناظم .

---

(١) البهجة المرضية ص٢

(٢) شرح ابن عقيل على الالفية جـ٤ ص١٨٦ وانظر كذلك كشف الظنون م٢ ص١٣٦٩

ويبدو أن نزعة الاعجاب بالنفس والمباهاة نزعة متأصلة في نفس السيوطي ، قد لازمته من أيام نبوغه الأولى ، فها هو يطري كتابه البهجة - على بساطته - اطراء فائقا فيقول في خاتمته : « وقد من الله تعالى باكمال هذا الشرح المحرر موشحا من التحقيق والتنقيح بالوشي المحبر ، محرزا لدلائل هذا الفن مظهرا الدقائق ، استعملنا الفكر فيها اذا ما الليل جن ، متحريا أوجز العبارة ، وخير الكلام ما قلّ ودل ، معتمدا في دفع الايراد ألطف اشارة ، ليتنبه اولو الألباب لما له انتحل ، فربما خالفت الشراح في بيان أو تأويل حكم أو تعليل ، فحسبه من لا اطلاع له ولا فهم سهوا أو عدولا عن السبيل ، وما درى أنا فعلنا ذلك عمدا لأمر مهم جليل ، وربما نقصت حرفا فحسبه الغي اخلالا ... وما درى ان ذلك لنكتة تدق عن نظره وتخفى » (١) .

والسيوطي لم يعن في هذا الشرح بالألفية وحدها بل عنى كذلك بسائر كتب ابن مالك ، فقد كان كثيرا ما ينقل من هذه الكتب ما يوضح به كلام الالفية او يتمه ويكمله ، فقد اعتاد ان يعقد بين حين وآخر تتمات وتنبيهات ، يذكر فيها مسائل نحوية لم يبحثها ابن مالك في الالفية ، او بحثها ولكنه لم يدرج ضمنها جميع جزئياتها ، فجاء السيوطي في الشرح فاستدرك عليه ذلك ، وكان جل اعتماده في هذا الامر على كتب ابن مالك نفسه ، فمثلا لما شرح قول الالفية

---

(١) البهجة المرضية ص١٥٣

المتعلق بعلة بناء الاسم تطرق الى انواع شبه الاسم للحرف ، فعددها كما هي في الالفية ، ثم اضاف الى ذلك نوعا آخر ، وهو الشبه الاهمالي ، وقد نقله من الكافية الشافية ، فقال : « تتمة » : من انواع الشبه الاهمالي ، ذكره في الكافية ، ومثل له في شرحها بفواتح السور ، فانها مبنية لشبهها بالحروف المهملة في كونها لا عاملة ولا معمولة » (١) ولما بحث اسم الاشارة اضاف اليه مسألة ليست موجوده في الالفية ، وهي بجيء اسم الاشارة (هنالك) دالا على الزمان ، (٢) نقل ذلك من نكت ابن مالك على مقدمة ابن الحاجب وذكر انه مثل له بقوله تعالى : « هنالك تبلو كل نفس ما اسلفت »(٣) ولما تطرق الى المواضع التي يجوز فيها الفصل بين المضاف والمضاف اليه شرحها كما في الالفية ثم ذكر ان هناك موضعا آخر ، وهو الفصل بـ « اما » ، وقد نقل ذلك من « الكافية الشافية » ، فقال : « تتمة : من الفواصل اما ، قال في الكافية : والفصل بها مغتفر ، كقوله :

هما خطتا اما اسار ومنة واما دم والموت بالحر أجدر(٤)

ولما بحث موضوع تعليق افعال القلوب وشرح قول الالفية فيه ،

---

(١) البهجة المرضية ص٧

(٢) البهجة المرضية ص٢٠

(٣) سورة يونس آيه رقم ٣٠

(٤) البهجة المرضية ص٧٩

أضاف الى ذلك موضعين آخرين ورد فيهما التعليق ، نقل احدهما عن ابي علي والآخر عن ابن مالك فقال : « ذكر ابو علي من جملة المعلقات لعل كقوله تعالى : « وان ادري لعله فتنة لكم » (١) . وذكر بعضهم من جملة المعلقات لو ، وجزم به في التسهيل كقوله :

وقد علم الاقوام لو ان حاتما اراد ثراء المال كان له وفر (٢)

ولما بحث الحروف المشبهة وجد ان ابن مالك لم يتطرق في الالفية الى تخفيف « لعل » و « لكن » « فعقد لذلك مسألة في آخر الباب فقال : « خاتمة : لا تخفف لعل ، واما لكن فان خففت لم تعمل شيئا ، بل هي حرف عطف ، واجاز يونس والاخفش اعمالها قياسا ، وعن يونس انه حكاه عن العرب » (٣) .

واعتاد السيوطي في كثير من فصول شرحه ان يقدم لها بمقدمة موجزة يمهد فيها لشرحه ، وهذه المقدمات متنوعة ، فقد تكون شرحا للباب ، او تعليلا لبعض الاحكام الواردة في الالفية ، وقد تكون بيانا لموضع الباب في كتب ابن مالك الاخري ، فمثلا لما بدأ يشرح باب الابتداء مهد له بمقدمة بين فيها الخلاف الذي وقع بين النحاة في اصل المرفوعات ، هل هو المبتدأ او الفاعل ، وحجة كل من القولين ، فقال : « قدم (يعني ابن مالك) احكام المبتدا

---

(١) سورة الانبياء آية ١١١

(٢) البهجة المرضيه ص٤٤

(٣) البهجة المرضية ص٣٩

على الفاعل تبعا لسيبويه ، وبعضهم يقــدم الفاعل وذلك مبني على القولين في ان اصل المرفوعات هل هو المبتدا او الفاعل ، وجه الاول ان المبتدا مبدوء به في الكلام ، وانه لا يزول عن كونه مبتدا وان تأخر ، والفاعل تزول فاعليته اذا تقدم وانه عامل ومعمول ، والفاعل معمول ليس غير ، ووجه الثاني ان عامله لفظي وهو اقوى من عامل المبتدا المعنوي ، وانه انما رفع للفرق بينه وبين المفعول ، وليس المبتدا كذلك ، والاصل في الاعراب ان يكون للفرق بين المعاني (١) » .

ولما شرح قول الالفية المتعلق بـ « إن واخواتها » مهد لذلك بمقدمة بين فيها اوجه الشبه بين هذه الحروف والافعال ، فقال : « ان واخواتها : هي الحروف المشبهة بالفعل في كونها رافعة وناصبة ، وفي اختصاصها بالاسماء ، وفي دخولها على المبتدا » والخبر ، وفي بنائها على الفتح ، وفي كونها ثلاثية ورباعية وخماسية كعدد الافعال » (٢).

ولما بحث اسم الاشارة مهد له بمقدمة قصيرة بين فيها حده والموضع الذي بحثه فيه ابن مالك في كتابه التسهيل ، فقال : « آخره في التسهيل عن الموصول موضعا ، مع تصريحه بأنه قبله رتبة ، وحده كما قال فيه : ما دلّ على مسمى واشارة اليه » (٣).

ولما شرح الموصول مهد له بمقدمة بين فيها ان الموصول قسمان ، حرفي واسمي ، وبين معنى الموصول الحرفي والسبب الذي دعا ابن

(١) البهجة المرضية ص ٢٥

(٢) البهجة المرضية ص٣٦

(٣) البهجة المرضية ص١٩

مالك الى عدم بحثه في الالفية فقال : « الموصول : وهو قسمان : حرفي واسمي ، فالحرفي ما اولّ مع صلته بمصدر وهو انّ وان ولو وما وكي ، ولم يذكره المصنف هنا لانه لا يعد من المعارف ، وذكره في الكفاية استطرادا » (١) .

ولما تكلم على الاشتغال مهد له ببيان حده في عبارة موجزة فقال : « هو ان يتقدم اسم ويتأخر فعل او شبهه وقد عمل في ضميره او سببه لولا ذلك لعمل فيه او في موضعه » (٢) . وعمل مثل ذلك في باب التنازع فمهد له بما يوضحه فقال : « باب التنازع : ويسمى ايضا باب الاعمال ، وهو ... ان يتوجه عاملان ليس احدهما مؤكدا للآخر الى معمول واحد متأخر عنهما نحو : ضربت واكرمت زيدا ، فكلّ واحد من ضربت واكرمت يطلب زيدا بالمفعولية » (٣) .

واهتم السيوطي في هذا الشرح بأبراز آراء ابن مالك سوا اكانت هذه الآراء في الالفية ام في غيرها من كتبه ، وهي كثيرة فمثلا ذكر في باب علامات الاسم ان مذهب ابن مالك في المضاف اليه انه مجرور بحرف جر مقدر (٤) ، وذكر في باب حروف الجر انه جوز مجيء (من) لابتداء الزمان خلافا للبصريين (٥) ، وذلك في قوله :

---

(١) البهجة المرضية ص٢٠

(٢) البهجة المرضية ص٥٢

(٣) البهجة المرضية ص٥٦

(٤) البهجة المرضية ص٤

(٥) البهجة المرضية ص٧١

بعض وبين وابتدىء في الأمكنة   بمن وقد تأتي لبدء الأزمنة (١)

واستدل له بقوله تعالى : « لمسجد أسس على التقوى من أول يوم (٢) » قال السيوطي » : « ومذهبه هو الصحيح ، لصحة السماع بذلك » (٣) .

وذكر في (باب أعلم وأرى) انه أجاز نقل المتعدي لواحد الى الى المتعدي لاثنين بالهمز قياسا لا سماعا ، قال السيوطي : « والاكثر المحفوظ في (علم) ... نقلها بالتضعيف نحو : « وعلم آدم الاسماء كلها » ، ونقلها بالهمز قياسا على ما اختاره في التسهيل من أن نقل المتعدي لواحد قياس لا سماع ، خلافا لسيبويه » (٤) .

والسيوطي لم يسلم لابن مالك في جميع ما نقله عنه ، فقد يرد عليه بعض آرائه من ذلك تجويزه دخول (أل) الموصـــولة على الفعل المضارع بقلة ، وجعل منه قول الشاعر :

ما أنت بالحكم الترضى حكومته   ولا الأصيل ولا ذي الرأى والجدل

فهذا البيت عند ابن مالك ليس بضرورة ، لأن الشاعر متمكن آن يقول المرضى ، قال السيوطي » : « ورد بأنه لو قاله لوقع في محذور أشد من جهة عدم تأنيث الوصف المسند الى المؤنث » (٥) .

---

(١) شرح ابن عقيل على الالفية جـ٣ ص ١٠

(٢) سورة التوبة آية ١٠٨

(٣) البهجة المرضية ص٧١

(٤) البهجة المرضية ص ٧٥

(٥) البهجة المرضية ص٢٣ ، وانظر شرح ابن عقيل جـ١ ص٩٢

ولم يخل هـذا الشرح من بعض أراء للسيوطي ، ولكنها قليلة وهي عبارة عن ترجيحات وتصحيحات واختيارات ، على عادته في سائر كتبه ، من ذلك مذهبه في تصحيح اعراب المضاف الى ياء المتكلم خلافا لمن ذهب الى انه ليس بمعرب ، فقال « فصل في المضاف الى ياء المتكلم : الصحيح انه معرب خلافا لابن الخشاب والجرجاني في قولهما انه مبني لاضافته الى غير متمكن ، لاعراب المضاف الى الكاف والهاء والمثنى الى الياء » (١) .

واختار في باب (حبذا) أن حب فعل ماض والفاعل (ذا)(٢).
ومال إلى قول يونس في باب النسب حيث ذهب الى ابقاء التاء في (اخت) و (بنت) عند النسب فيقول : (اختى) و (بنتى) قال السيوطي : « وهو الذي اميل اليه لأجل امن اللبس » (٣) أي حتى لا يلتبس بالنسب الى (أخ) و (ابن) ، ووافق ابن عصفور في اختياره الوقف على (اذن) بالنون خلافا لمن قال الوقف عليها بالألف ، وذلك لما عرض لقول الالفية :

واشبهت (اذن) منونا نصب   فألفا في الوقف نونها قلب

قال السيوطي « وبه قرأ السبعة (أى بالوقف على الألف) واختار ابن عصفـور تبعا لبعضهم ان الوقف عليها بالنون ، وهو الذي اميل اليه فرارا من الالتباس ، والقراءة سنة متبعة » (٤) .

---

(١) البهجة المرضية ص٧٩
(٢) البهجة المرضية ص٨٩
(٣) البهجة المرضية ص ١٣٨
(٤) البهجة المرضية ص ١٣٩

هذا هو كتاب « البهجة المرضية في شرح الالفية » الذي يمثل بداية نشاط السيوطي النحوي ، حيث ألفه ـ كما قلنا في مبتدأ اشتغاله بالعلم ، وقد طبع هذا الشرح عدة طبعات ، طبع في ايران طبعة حجر سنة ١٢٧٣ هـ ، وفي مطبعة المدارس بالقاهرة سنة ١٣١٠هـ وبمطبعة دار احياء الكتب العربية بالقاهرة بدون تاريخ ، وبالمطبعة المحمودية التجارية بمصر بدون تاريخ .

النكت في علم العربية

هذا الكتاب عبارة عن مجموعة تعاليق أوردها السيوطي على كتب نحوية مشهورة كثر تداولها بين أيدي الناس ، وهي الكافية لابن الحاجب ، والخلاصة لابن مالك ، وشذور الذهب ونزهة الطرف لابن هشام ، ولم يقتصر في تعاليقه على هذه الكتب فقط بل تناول أيضا سائر كتب هؤلاء النحاة الثلاثة ، وخاصة كتبهم المختصرة مثل : الوافية والشافية لابن الحاجب ، والتسهيل ، والكافية الكبرى والعمدة وسبك المنظوم لابن مالك ، والقطر والجامع وأوضح المسالك لابن هشام . وكذلك تعاليقه على الالفية والتسهيل .

وتعد كتب ابن الحاجب وابن مالك وابن هشام التي ذكرناها توا أهم المصادر التي عول عليها السيوطي في كتابة هذه النكت ، وقد استعان كذلك بشروح الالفية مثل شرح ابن الناظم وشرح ابن جماعة ، وشرح الشاطبي ، وشرح ابن ام قاسم ، وشرحه هو المسمى (البهجة المرضية) ، وشرح الكافية للرضى .

وبنى السيوطي هذه النكت على نمط الالفية في المسائل والابواب ، فجاءت أبوابها على هذا الترتيب : الكلام وما يتألق منه ، باب المعرب والمبني ، فصل في الاعراب المقدر ، باب النكرة والمعرفة ،

باب العلم ، باب اسم الاشارة ، باب الموصول باب المعرف بأداة التعريف ، باب الابتداء ، فصل في دخـــول الفاء على خبر المبتدأ ، باب كان وأخواتها ، باب ما ولا ولات وان المشبهات بليس ، باب أفعال المقاربة ، باب ان واخواتها ، باب لا التي لنفي الجنـــس باب ظن واخواتها ، باب أعلم وأرى ، باب الفاعل ، باب المفعول به ، باب النائب عن الفاعل ، باب اشتغال العامل عن المعمول ، باب تعدى الفعل ولزومه ، باب التنازع في العمل ، باب المفعول المطلق، باب المفعول به ، باب المفعول فيه، باب المفعول معه ، باب الاستثناء ، باب الحال ، باب التمييز ، باب حروف الجر ، باب الاضافة ، باب اعمال المصدر ، باب اعمال اسم الفاعل ، باب أبنية المصـــادر ، فصل في اسماء الزمان والمكان والآلة ، باب أبنية اسماء الفاعلين والصفات المشبهة بها ، باب الصـــفة المشبهة باسم الفاعل ، باب التعجب ، باب نعم وبئس وما جرى مجراهما ، باب أفعل التفضيل ، باب اعمال الظرف والمجرور ، باب التوابع ، باب النعت ، باب التوكيد ، باب عطف البيان ، باب عطف النسق ، باب البدل ، باب النداء ، باب الاستغاثة ، باب الندبة ، باب الترخيم ، باب الاختصاص ، باب التحذير والاغراء ، باب أسماء الافعال والاصوات باب نوني التوكيد ، باب مالا ينصرف ، باب اعراب الفعل ، باب عوامل الجزم ، باب الاخبار بالذي ، باب العدد ، باب كم وكأين وكذا ، باب الحكاية ، باب التأنيث ، باب المقصور والممدود ، باب

النسب ، باب التقاء الساكنين ، باب الابتداء ، باب الوقف ، باب الامالة ، باب التصريف ، باب معاني الابنيـة ، باب الزيادة ، باب تخفيف الهمزة ، باب الابدال ، باب النقل ، باب الحذف ، باب الادغام ، باب التمثيل ، باب الخط .

وأما منهجه الذى سلكه في هذه (النكت) فهو أن يذكر عبارة الالفية او غيرها من الكتب التي اتخذها مدارا لتعليقاته ثم يعقب ذلك بذكر التعقيبات والاعتراضات والاستدراكات التي قيلت عليها ، فمثلا لما بحث علامات الاسم ، وتطرق الى أداة التعريف (أل) باعتبارها احدى علامات الاسم قال : « قول الالفية والشذور : و (أل) ، والكافية : دخول اللام ، وعبر في التسهيل والعمدة بقوله : وتعريفه ، وفي الكافية الكبرى بقوله : وكونه معرفا ، وقال في شرحها : انه أولى من (أل واللام) ، لأن من اقسام (أل) الموصولة ، وهي غير خاصة بالاسم ، وانه شامل للتعريف بأل على مذهب الخليل وباللام على مذهب سيبويه ، وبأم على لغة طيىء ، وللتعريف بالاضافة كسبحان الله » .

ويتضح من هذا النص الذي أوردناه ان السيوطي قد اهتم اهتماما كبيرا بعقد مقارنات بين تعبيرات الكتب التي اورد تعليقاته عليها ، وأنه كان يفاضل بينها في كثير من الاحيان ، والتعليقات التي وردت في النكت على هذا النمط كثيرة ، من ذلك قوله : « باب النائب عن الفاعل هكذا ترجم في الالفية والشذور ، وهو أولى من

قول ابن الحاجب : مفعول ما لم يسم فاعله ، لوجهين ، احدهما : ان النائب عن الفاعل قد يكون مفعولا وغير مفعول ، والثاني : ان المنصوب في نحو : اعطي زيد درهما ، يصدق عليه انه مفعـــول فعل لم يسم فاعله » (١) . ومثل ذلك ما علق به فى باب الابتداء حيث قال : « باب الابتداء : كذا ترجم في الالفية والكافية الكبرى، وترجم الناس بالمبتدأ والخبر ، وهو اوضح » (٢) ومثله ايضا ماذكره في باب أفعل التفضيل : « عبر الناظم بافعـــل التفضيل في كتابيه (يعني الخلاصة والكافية) وعبر ابن الحاجب باسم التفضيل ، قالوا : وهذا التعبير ليتناول خيرا وشرا ، وليس هذا بشيء ، لأنهما بوزن أفعل في الأصل وان كان حذف منهما ، والذي يظهر لي : ان ذلك ليناسب التعبير باسم الفاعل واسم المفعول » (٣) .

ولم يقتصر السيوطي في تعليقاته التي اوردها في (النكت) على ذكر الفرق بين عبارات الكتب التي علق عليها ، وانما أورد كذلك ما وقع بين ابوابها ومسائلها من فروق من حيث الزيادة والنقصان والامثلة على ذلك كثيرة ، منها قوله : « فصل في دخول الفاء على خبر المبتدأ ، كذا ترجم في الكافية الكبرى ، ولا ذكر لهذه المسألة

---

(١) النكت ق ٦١
(٢) النكت ق ٣٦
(٣) النكت ق ١٠٨

في الألفية ، وذكرها ابن الحاجب » (١) ومثل ذلك قوله : « فصل في الموصول الحرفي : لم يذكره في الألفية والشذور ، وذكره ابن الحاجب ، قال في التسهيل : « هو ما أول مع ما يليه بمصدر ولم يحتج الى عائد » (٢) ، ولما تطرق للمواضع التي يحذف فيها المبتدأ قال : « سكت (يعني ابن مالك في الالفية) عن المواضع التي يجب حذفها في المبتدأ ، وهي اربعة ، ذكرها في الكافية الكبرى والتسهيل : اذا اخبر عنه بصريح القسم ، أو بمصدر بدل من اللفظ بفعله ، او بمخصوص باب نعم ، او بنعت مقطوع ، والصورتان الاخيرتان مذكورتان في باب نعم والنعت في الألفية » (٣) .

ولما تطرق للكلام على تخفيف (لكن) قال : « لم يتعرض (يعني ابن مالك في الالفية) لتخفيف لكن ، وقد تعرض له ابن هشام في الشذور ، فقال : تلغى لكن وجوبا ، وابن مالك في التسهيل، فقال : يمنع اعمالها مخففة خلافا ليونس والأخفش ، وابن الحاجب في الوافية فقال : وان تخفف الغينّها » (٤) . ولما بحث موضوع : ما ، ولا ، ولات ، وان ، المشبهات بليس قال : « ذكرت الأربعة في الالفية والشذور ، ولم يذكر ابن الحاجب ان ، ولات ، وكأنه

---

(١) النكت ق ٤٣

(٢) النكت ق ٣٥

(٣) النكت ق ٤٣

(٤) النكت ق ٥٣

ذهب الى راي من قال انهما لا يعملان ، ولهذا اشار الى تقليله في الالفية بقوله : وقد تلي لات وان ذا العملا » (١) . ولما عرض للمفعول به قال : « لم يترجم له في الالفية ، بل ذكر بعض احكامه في باب الفاعل ، وبعضها في باب التعدى واللزوم ، وترجم له في الكافية والشذور » (٢) .

وضحت تعليقات السيوطي « كذلك ما وقع له من فروق في ترتيب ابواب كتب ابن الحاجب وابن مالك وابن هشام من حيث التقديم والتأخير ، من ذلك ما علق به على تقديم ابن مالك لباب الابتداء على باب الفاعل ، فقال : « ثم انه في جميع كتبه بدأ به (اي المبتدأ) قبل الفاعل ، وكأنه اختار انه اصل المرفوعات ، وهو ما عزي الى سيبويه ، وبدأ ابن الحاجب بالفاعل ، وكذا ابن هشام في الشذور ، وصرح في شرحه : بأنه اصلها ، وهو ما عزي للخليل ، وخالفه في القطر والجامع فبدأ فيهما بالمبتدا » (٣) . ومثله كذلك ما علق به في باب لا التي لنفي الجنس حيث قال : « ان الأطباق على عقد هذا الباب في النواسخ ، وعقده الناظم في سبك المنظوم أثناء أبواب النداء بعد باب الاختصاص وقبل باب التحذير والاغراء، وكأن وجهه مشابهة اسمها للمنادى في انه مبني مفردا ، وينصب مضافاً وشبهه » (٤) .

---

(١) النكت ق ٤٦

(٢) النكت ق ٦١

(٣) النكت ق ٣٦

(٤) النكت ق ٥٣

ولما بحث باب الاستثناء بين لنا المواضع التي وقع فيها هـذا الباب في جميع الكتب التي علق عليها فقال : « باب الاستثناء : كذا وضعه هنا (اي بعد المفعول معه) في الالفية ، وفي اكثر كتبه ، ووجهه انه مناسب للمفعول معه من حيث ان العامل وصل في كل منهما بوساطة حرف ، وذكره في العمدة قبل المفاعيل ، ولا وجه له ، وذكره ابن الحاجب بعد الحال والتمييز ، وكذا ابن هشام في الشذور والقطر والجامع ، ووجهه ان الحـال منصوبة على التشبيه بالمفعول به في قول وبالظرف في قول آخر ، فناسب ايلاؤها المفاعيل والتمييز مشابه للحال فوليه ، فلم يبق الا تأخير الاستثناء » (١) .

وقد يقتصر السيوطي في تعاليقه على عقد مقارنة بين عبـارات كتب ابن مالك فقط ، وخاصة بين الالفية والـكافية الـكبرى ، من ذلك ما فعلـه في باب علامات الفعـل ، حيث وازن بين قول الالفية :

بتا فعلت واتت ويا افعلي ونون اقبلن فعل ينجلي

وعبارة الكافية الكبرى :

للفعل تا الفاعل او ياء علم وقد وتا التأنيث سالما ولم

قال السيوطي « وهذا البيت (اي بيت الكافية) احسن من بيت الالفية من ... اوجه ، احدها : انه صرح فيه ولم يرمز بالأمثلة ،

---

(١) النكت ق ٧٥

ثانيهما : انه قال تاء الفاعل ، فشمل تاء المتكلم وتاء المخاطب وتاء المخاطبه لمفرد او مثنى او مجموع نحو : قمت ، وقمت ، وقمتما ، وقمتم ، وقمت ، وقمتما ، وقمتن ، ولا يدخـــل ذلك في قوله (يعني في الالفية) تا فعلت الا بتكلف كثير » (١) .

وفعل مثل ذلك في باب الابتداء حيث قارن بين قول ابن مالك في الالفية وقوله في الكافية ، فقال : « قول الألفية :

مبتدأ زيد وعاذر خـــبر ان قلت : زيد عاذر من اعتذر

احسن من قوله في الكافية :

المبتدأ مرفوع يعني ذو خبر او وصف استغنى بفاعل ظهر (٢)

هذه اهم نماذج التعليقات التي اوردها السيوطي في نكته ، ومما تجدر الاشارة اليه انه قد وضع هـــذه النكت على فترات متقطعة استمرت من سنة ٨٦٧ هـ الى سنة ٨٩٥ هـ ، فقد حدثنا عن ذلك في خاتمتها فقال « ان شروعي فيه كان في سنة سبع وستين وثمانمائة فكتبت منه كراسة واحدة الى اثناء المعرب والمبنى ، ثم فتر العزم عنه الى سنة ست وسبعين فكتبت منه حروف الجر الى آخر عطف البيان ، ثم فتر العزم عنه الى سنة خمس وثمانين فكتبت منه من اوائله الى حروف الجر فاتصلت القطع المكتوبة من اول الـكتاب الى العطف ... ثم فتر العزم عنه فلما كان رمضان سنة خمس وتسعين

(١) النكت ق ٤٩ وانظر شرح ابن عقيل جـ١ ص ١٧

(٢) النكت ق ، وانظر شرح ابن عقيل جـ ١ ص ١١٢

شرح الله صدري لاكماله فاخذت في ذلك وانتهى فراغه يوم الخميس تاسع شوال من السنة المذكورة » ار.(و)

وقد ختم مؤلفه هذا بأبيات من نظمه اطراه فيها ، فقال :

الا ايها النحوى هذا مؤلف ... يمينك مهما تقرىء الناس وتمل
ثلاثين عاما ظللت ارقب جمعه ... واجمع فيه ما تفرق في النقل
يحرر كتبا عم في الناس نفعها ... وسادت بها الركبان في الوعر والسهل
يقيد اطلاقا ويوضح مبهما ... ويفتح اغلاقا لما كان في قفل
وكم فيه من نقل غريب وجوده ... يعز على من دام الا على مثلى
فدونك تأليفا مفيدا محررا ... من الناس لم يسمح بذا احد قبلى
ولله كل الحمد ثم صلاته ... وتسليمه الوافي على خاتم الرسل(٢)

وكتاب النكت لا يزال مخطوطا لم تمتد اليه يد النشر ، وتوجد منه جملة نسخ مخطوطة ، ففي دار الكتب المصرية وحدها ست نسخ محفوظة برقم ٣٥٩ نحو ، ورقم ٧٦ م ، ورقم ١٧٢ نحو تيمور ، ورقم ٤٨٦ نحو تيمور ، ورقم ٤٧٧ نحو تيمور ، وتوجد منه نسخ اخرى في مكتبات أخرى ، منها نسخة في مكتبة الأزهر برقم ٤٤ ، ونسخة في مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة برقم ٢٠٢ ، ونسخة في المكتبة الظاهرية بدمشق برقم ٢٤٥ ن ، ونسخة في مكتبة الاوقاف العامة ببغداد برقم ١٢٢٠ .

وتعد نسخة دار الكتب المصرية المحفوظة برقم ٣٥٩ نحو أجود

---

(١) النكت ق ١٩٤
(٢) النكت ق ١٩٤

هذه النسخ كلها ، لأنها نقلت من نسخة المؤلف ، وعليها في اكثر من موضع بخط المؤلف ما يفيد أن صاحبها زين الدين عبد الجبار الشاذلي قد قرأها على المؤلف ، وخطها عادي مقروء ، وتمت كتابته في الثالث عشر من شهر شعبان المكرم سنة ٨٩٦ هـ ، وتقع هذه النسخة في ١٩٤ ورقة ، وفي كل ورقة ٢٧ سطرا .

هذه هي أهم الشروح النحوية التي صنفها السيوطي وبهذا نكون قد أكملنا بحثنا عن « السيوطي النحوي » الذي تناولنا فيه الجانب النحوي من نشاط هذا الرجل الفذ الذي ملأ الدنيا بتآليفه وأسهم اعظم اسهام في نشر الثقافة العربية الاسلامية والذي سيبقى اسمه خالدا ما دامت الدراسات العلمية قائمة وما دامت هناك حاجة ماسة الى التعرف على آراء السالفين من نحاة ولغويين وصرفيين . فرحم الله أبا الفضل وجزاه عنا وعن العربية والاسلام خير الجزاء

نتائج البحث

استطيع ان ألخص النتائج التي توصلت اليها خلال هذا البحث في عشر نقاط ، وهي :

١ ـ ان الاضطراب السياسي الذي ساد دولة المماليك التي عاصرها السيوطي لم يمنع نشوء نهضة علمية كان لها اكبر الأثر في نشر الثقافه الاسلامية وتطورها ، وبعث الروح الخلاقة في كيان هذه الامة بعد تلك الهزات العنيفة التي توالت على العرب والمسلمين أثر هجمات التتر والمغول . فقد اسهم سلاطين مصر وأمراؤها اسهاماً فعالا في تنشيط الحركة العلمية ، فبنوا المدارس والمساجد والخوانق وأسسوا خزانات الكتب ، وعينوا من يشرف على ذلك من العلماء والموظفين وأجروا عليهم المرتبات ومنحوا طلبة العلم المكافآت .

٢ ـ ان الباحث ليستطيع ان يقرر ان عصر المماليك كان العصر الذهبي لمصر الاسلامية في جميع النواحي العلمية والفنية والعمرانية والسياسية ، بغض النظر عن تلك الاضطرابات الداخلية التي سادت عصرهم .

٣ — ان المتتبع للنشاط العلمي في هذا العصر يجد نفسه أمام ثروة علمية واسعة تتمثل في تلك الجمهره الكبيرة من المؤلفات التي وضعها أساطين العلم والمعرفة الذين برزوا في هذه الحقبة أمثال : ابن هشام وابن عقيل وابن خلدون والمقريزي والقلقشندي والعيني وابن حجر والبقاعي والسخاوى والسيوطي .

٤ — ان حركة التأليف في عصر المماليك استهدفت احياء التراث القديم وجمعه والمحافظة عليه خوفا من ضياعه واندثاره فجاءت أغلب تصانيف ذلك العصر تعاليق ومختصرات وشروحا وذيولا لما سبقها من الكتب ، وكان جل اعتماد مؤلفيها على النقل والجمع ، وتعد مؤلفات السيوطي خير نموذج لهذه الحركة ، ولنأخذ على ذلك مثلا كتبه النحوية فهي ما بين تعاليق على كتب سابقة أو شروح أو مختصرات أو كتب اعتمدت على الجمع والنقل أكبر اعتماد ، فكتابه « فتح القريب » حاشية على كتاب « المغني » لابن هشام وكتابه « البهجة المرضية » شرح لألفية ابن مالك وكتابه « جمع الجوامع » عبارة عن خلاصة لمائة كتاب ، وكتابه « الأشباه والنظائر » عبارة عن مجموعة كبيرة من النقول جمعت من مئات الكتب النحوية والأدبية والتاريخية والفقهية .

٥ — ان السيوطي قد اسهم اسهاما كبيرا في النشاط العلمي الذي ساد عصره ، وهو يمثل في كتاباته العقلية العلمية للعصر الذي عاش فيه ، فالنزعة الموسوعية التي اتسم بهـا عصره ظاهرة جلية في تآليفه ، فقد ألف اكثر من سبعمائة مؤلف بين مطول وموجز في مختلف الفنون منها كتب في التفسير والفقه والحديث وأخرى في التاريخ واللغه والنحو وغير ذلك من العلوم حتى الآداب والانشاء والمقامات وفي كل مؤلف من تلك المؤلفات نرى النزعة الموسوعية مسيطرة على قلمه ، فهو شديد العناية بحشد الروايات والأخبار والنصوص والأحاديث التي تجمعها جامعة ما فيحشدها في صعيد واحد ليجعل منها مؤلفا متسقا جامعا لشتات تلك النصوص والأخبار ، فكتبه دوائر معارف عظيمة القيمة كل منها في بابه ، بل كان السيوطي بحد ذاته « انسكلوبيديا » واسعة ، جمع في ذهنه الخارق مختلف العلوم والفنون النقلية والعقلية .

٦ — ان اهمية السيوطي في الدراسات النحوية تتمثل في كتبه أكثر مما تتمثل في آرائه ، فقد اتحف المكتبة العربية بجملة كبيرة من المؤلفات التي تعد من اهم المراجع التي عول عليها الباحثون في جميع القضايا النحوية ، مثل « الاقتراح » في علم اصول النحو وجدله » و « الأشباه والنظائر في النحو » و « همع الهوامع شرح جمع الجوامع » و « شرح شواهد

المغني » .

ولعل اهم ميزة امتازت بها كتبه أنها قـد ضمت فيما ضمت نصوصا نحوية هائلة باتت أصولها مفقودة أو في حكم المفقودة ، وبذلك يكون السيوطي قد قدم خدمة بالغة الأهمية اذ انه حافظ على جزء لا يستهان به من التراث الفكري لهذه الامة .

٧ — ان ابرز ما امتاز به السيوطي هو النقل والجمع ، فقد اشتهر من بين النحاة المتأخرين أنه قضى عمره في جمع المعلومات وتصنيفها حتى قيل عنه انه مجرد ناقل ، وانه حاطب ليل لا يعني بشيء قدر عنايته بالجمع والنقل ، ومما يقوي هـذا ويعضده ان مؤلفاته امتلأت بالآراء المتشعبة والنقولات المختلفة لا في النحو فقط بل في سائر الفنون التي مارس فيها الكتابة ولكن السيوطي لم يكن وحده هو الذي اعتمد على النقل ، فقد كان ذلك ديدن سائر النحاة المتأخرين حيث دأبوا على النقل من كتب سابقيهم ، فعجت مؤلفاتهم بعبارات المتقدمين ، الا ان السيوطي كان أكثرهم افادة من كتب سابقيه فقد انكب عليها ينقل منها النصوص الوافرة التي اتخذها مادة كتبه حتى صار النقل سمة لازمة لـه مقترنه باسمه .

وممارسة السيوطي للنقل جعلت كتبه تمتاز بميزة هامة وهي أنها تصلح ان تكون خير مرجع لدراسة النحو وكتابة تاريخه وتتبع آراء النحاة كافة في مختلف العصور والاقاليم، وبخاصة اولئك النحاة الذين ضاعت مؤلفاتهم فيما ضاع من تراثنا الخالد .

٨ — يعد ابن مالك وابو حيان وابن هشام أهم النحاة الذين تأثر بهم السيوطي ، لذلك جاءت كتبه النحوية مملوءة بالنقل عنهم ، بل ربما ضمن بعض كتبه خلاصة وافية لكتب قسم من هؤلاء النحاة ، مثلما فعل في كتابه « همع الهوامع » حيث ضمنه خلاصة لكتاب « التسهيل » لابن مالك وكتاب « الارتشاف » لأبي حيان .

وهناك ناحية أخرى توضح لنا مدى اهتمام وتأثر السيوطي بكتابات هؤلاء النحاة الثلاثة ، وهي انه قد وضع عدة شروح وحواش على كتبهم ، وبخاصة كتب ابن مالك وابن هشام مثل : البهجة المرضية في شرح الألفية ، والوفية في اختصار الألفية والسيف الصقيل على شرح ابن عقيل وشرح سواهد المغني والفتح القريب حاشية على مغني اللبيب . وغير ذلك من الكتب المفيدة .

٨ — ان كتب السيوطي تعد مرجعا هاما من مراجع دراسة النحو الاندلسي ، وذلك بحكم اعتماده على مؤلفات ابن مالك

وابي حيان الأندلسي ، وابن السيد البطليوسي وابن الطراوة وابن طاهر والسهيلي وابن خروف والشلوبين وأبن هشام الخضراوي وابن عصفور ، وكثير غيرهم .

١٠ ان اعتماد السيوطي على النقل ذلك الاعتماد الكبير الذي اكدت عليه في فصول البحث لا يعني مطلقا أنه كان — كما قيل عنه — مجرد ناقل لا شغل له الا جمع النصوص من هنا وهناك وتصنيفها وتبويبها ، ثم نشرها مرة أخرى تحت اسم مؤلف جديد يضاف الى قائمة التصانيف العربية، لقد تبين لي ان له آراء خاصة، كان يلقيها أثناء كتاباته ونقولاته، وان له منهجا نحويا معينا،وهذا المنهج لا يختلف عن المنهج الذي سلكه النحاة المتأخرون القائم على الاختيار والانتخاب مع الميل الظاهر للبصريين في الأصول العامة فقد وقف من السماع والقياس والاحتجاج مثل موقفهم ، ورجح مذهبهم في ذلك على مذهب الكوفيين ، اما في المسائل الفرعية فقد كان يختار وينتخب الرأي الذي صح عنده دليله فيوافق البصريين تارة ويخالفهم تارة أخرى ،ويأخذ برأي الكوفيين في مسألة ويخالفهم في أخرى ، وقد تجلى منهجه هذا في كتابه « همع الهوامع » وهو الكتاب النحوي الوحيد الذي برزت فيه شخصيته العلمية المستقلة الى جانب روحه الموسوعية الجماعة ، حيث دأب فيه على المفاضلة بين

الآراء الكثيرة التي عرضها في جميع فصوله ، وكان كثيرا ما يختار رأيا من تلك الآراء فيصححه ويرجحه على غيره من الآراء .

ولعل هذا البحث الذي كتبته عن السيوطي النحوي يفتح أمامي آفاقا كثيرة أعالج فيها جميع الجوانب المرتبطة بشخصية هذا الرجل الفذ . واعتقد ان اعظم خدمة نقدمها له هي ان نسهم في نشر كتبه نشرا علميا ييسر الانتفاع بها . والله الموفق وهو حسبي ونعم الوكيل .

المصـادر

١ – ابن مالك النحوي في كتابه التسهيـل : رسالة جامعية للاستاذ محمد كامل بركات محفوظة في مكتبة جامعة القاهرة

٢ – أبو الأسود الدؤلي : الاستاذ علي النجدي ناصف نشر المجلس الأعلى للشئوون الاسلامية القاهرة سنة ١٣٨٨ هـ – ١٩٦٨ م

٣ – أبو حيان النحوي : الدكتورة خديجة الحديثي ، الطبعـة الاولى مكتبة النهضة بغداد سنة ١٣٨٥ هـ – ١٩٦٦ م

٤ – أبو زكريا الفراء ومذهبه في النحو: الدكتور أحمدمكي الأنصاري نشر المجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب والعلوم الاجتماعية نشر الرسائل الجامعية ، القاهرة ١٣٨٤ هـ – ١٩٦٤ م

٥ – أبو علي الفارسي حياته ومكانته بين أئمة العربية وآثاره في القراءات والنحو : الدكتور عبدالفتاح اسماعيل شابي ، دار النهضة مصر / القاهرة سنة ١٣٨٨ هـ

٦ – الاتقان في علوم القرآن : جلال الدين عبد الرحمـن بن أبي بكر السيوطي المطبعة الكستلية القاهرة سنة ١٢٧٩ هـ

٢١ ـ الأغاني : أبو الفرج الاصفهاني ، الطبعة الاولى ، دار الكتب المصرية ١٣٤٥ هـ ـ ١٩٢٧ م

٢٢ ـ الاغراب في جدل الاعراب : أبو البركات عبد الرحمن بن محمد الانباري تحقيق الاستاذ سعيد الافغاني / مطبعة الجامعة السورية ١٣٧٧ هـ ـ ١٩٥٧ م

٢٣ ـ الاقتراح في علم اصول النحو : جلال الدين عبد الرحمن ابن ابي بكر السيوطي الطبعة الثانية / دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن سنة ١٣٥٩ هـ

٢٤ ـ الأمالي : لأبي القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي ، تحقيق الاستاذ عبد السلام محمد هارون طبع المؤسسة العربية القاهرة سنة ١٩٦٢ م

٢٥ ـ الأمالي : لأبي السعادات هبة الله بن الشجري ، طبع حيدر آباد سنة ١٣٤٩ هـ

٢٦ ـ انباء الغمر بابناء العمر : الحافظ ابو الفضل احمد بن حجر العسقلاني مخطوطة دار الكتب المصرية برقم ٢٤٧٦ تاريخ

٢٧ ـ انباه الرواة على انباه النحاة : جمال الدين أبو الحسن على ابن يوسف القفطي تحقيق محمد ابى الفضل ابراهيم الطبعة الأولى / مطبعة دار الكتب المصرية القاهرة / سنة ١٣٦٩ هـ ـ ١٩٥٠ م

٢٨ ــ الانصاف في مسائل الخلاف : ابو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد الانباري . تحقيق د محيي الدين عبد الحميد ، الطبعة الثالثة / نشر التجارية الكبرى بالقاهرة سنة ١٣٨٤ هـ ـ ١٩٥٥ م

٢٩ ــ أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي) : ناصر الدين ابو الخير عبد الله بن عمر البيضاوي ، المطبعة الميمنية بمصر ١٣٢٠ هـ

٣٠ ــ أوضح المسالك الى الفية ابن مالك : جمال الدين عبد الله ابن يوسف بن هشام الأنصاري ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر سنة ١٣٦٩ هـ ـ ١٩٥٠ م

٣١ ــ أوضح المسالك لابن هشام تحليل ودراسة : رسالة جامعية للأستاذ صاحب جعفر أبى جناح محفوظة في مكتبة جامعة القاهرة

٣٢ ــ الايضاح العضدي : أبو على الحسن بن احمد بن عبد الغفار الفارسى تحقيق الدكتور حسن الشاذلي فرهود ، الطبعة الاولى مطبعة دار التأليف بمصر سنة ١٣٨٩ هـ ـ ١٩٦٩ م

٣٣ ــ الايضاح في علل النحو : أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجى تحقيق الدكتور مازن المبارك ، نشر مكتبة دار العروبة بمصر سنة ١٣٧٨ هـ ـ ١٩٥٩ م

٣٤ — ايضاح المكنون في أسامي الكتب والفنون : اسماعيل باشا البغدادي ، طبع أوفست المكتبة الاسلامية ومكتبة الجعفري التبريزي على الطبعة الثالثة ١٩٤٧ م - ١٣٧٨ هـ

٣٥ — البحر المحيط : أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي الطبعة الاولى القاهرة ١٣٢٨ هـ

٣٦ — بدائع الزهور في وقائع الدهور : محمد بن محمد بن اياس الحنفى ، طبعة بولاق ١٣١١ هـ ، والجزء الرابع من الطبعة الثانية تحقيق الاستاذ محمد مصطفى / القاهرة ١٣٧٩ هـ - ١٩٦٠ م

٣٧ — البدر الطالع في محاسن ما بعد القرن السابع : محمد بن علي الشوكانى ، مطبعة السعادة القاهرة ١٣٥١ هـ

٣٨ — بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة : جلال الدين بن أبى بكر السيوطى ، تحقيق محمد أبي الفضل ابراهيم دار احياء الكتب العربية بالقاهرة سنة ١٩٦٥ م .

٣٩ — البهجة المرضية في شرح الألفية : جلال الدين عبد الرحمن ابن أبى بكر السيوطى ، المطبعة المحمودية التجارية بمصر بدون تاريخ .

٤٠ — البيان في غريب اعراب القرآن : أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد بن الأنباري . تحقيق دكتور طه عبد الحميد طه نشر الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر

(دار الكتاب العربى) القاهرة ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م

٤١ ـ تاج العروس : محمد مرتضى الزبيدي ، طبعة مصر سنة ١٣٠٦ هـ

٤٢ ـ تاريخ الأدب العربي : كارل بروكلمان (بالألمانية) ليدن سنة ١٩٣٨ م

٤٣ ـ تاريخ اداب اللغة العربية : جورجى زيدان ، مطبعة الهلال بالفجالة ١٩١٣ م

٤٤ ـ تاريخ بغداد للخطيب البغدادي : الخطيب البغدادي ، مطبعة السعادة ١٩٣٤ م

٤٥ ـ تاريخ الخلفاء : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد . نشر المكتبة التجارية الكبرى ١٩٦٩ م

٤٦ ـ التبر المسبوك في ذيل السلوك : شمس الدين عبد الرحمن ، مطبعة بولاق سنة ١٨٩٦ م

٤٧ ـ التحفة السنية في قواعد العربية : جلال الدين عبد الرحمن ابن أبي بكر السيوطي ، مخطوط / دار الكتب المصرية برقم ١٠٦٨ نحو

٤٨ ـ تحفة الناظرين فيمن ولي مصر : عبد الله الشرقاوي ، طبع بهامش فتوح الشام . المطبعة العثمانية سنة ١٣١٥

٦٦ ــ الخصائص : أبو الفتح عثمان بن جني ، تحقيق محمد على النجار ، مطبعة دار الكتب المصرية القاهرة ١٩٥٢ م

٦٧ - الخلاصة (ألفية ابن مالك) : جمال الدين محمد بن عبدالله ابن مالك الجيانى ، مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٤٢ هـ - ١٩٢٤ م

٦٨ ــ خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر : العلامة محمد المحبي ، الوهبية بمصر ١٢٨٤ هـ

٦٩ ــ دائرة المعارف الاسلامية : ترجمة الدكتور عبد الحميد يونس ورفاقه

٧٠ ــ الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة : أبو الفضل أحمد ابن حجر العسقلانى تحقيق محمد سيد جاد الحق ، الطبعة الثانية مطبعة المدنى سنة ١٣٨٥ - ١٩٦٦

٨١ ــ الدرر اللوامع على همع الهوامع : أحمد بن الأمين الشنقيطى الطبعة الأولى مطبعة كردستان العلمية . القاهرة سنة ١٣٢٨ هـ

٧٢ - الدليل الببلوجرافي للقيم الثقافية العربية : مطبوعات مركز تبادل القيم الثقافية القاهرة ١٩٦٥ م

٧٣ ــ الديوان الفلكى على ابن الكركى : جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى ، مخطوط دار الكتب المصرية برقم ٢٠٢ مجاميع تيمور

٧٤ ... ديوان أبي العتاهية : مطبعة الآباء اليسوعيين بيروت سنة ١٨٨٦م

٧٥ ... ديوان الاسلام : أبو المعالي محمد بن عبد الرحمن الشهير بابن الغزي ، مخطوط / دار الكتب المصرية برقم ٢٢٠٨ تاريخ

٧٦ ... ديوان الاعشى : تحقيق الدكتور محمد حسين ، نشر مكتبة الآداب بالقاهرة سنة ١٩٥٠

٧٧ ... ديوان الفرزدق : جمعه وعلق عليه عبدالله الصاوي القاهرة مطبعة الصاوي

٧٨ — ذيل طبقات الشعراني : عبد الوهاب الشعراني ، مخطوط دار الكتب المصرية برقم ٤٩٣ تاريخ

٧٩ — رحلة الفاسي : أبو العباس أحمد بن محمد الفاسي ، مخطوط / دار الكتب المصرية برقم ١٤٠٣ تاريخ تيمور

٨٠ — الرد على النحاة : ابن مضاء القرطبي ، تحقيق الدكتور شوقي ضيف ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٦٦ هـ — ١٩٤٧ م

٨١ — رسالة الغفران : أبو العلاء المعري ، تحقيق الدكتورة عائشة عبد الرحمن طبع دار المعارف بمصر سنة ١٩٥٠

٩٧ — شرح شواهد ابن عقيل : عبد المنعم الجرجاوي ، المطبعة الميمنية بمصر سنة ١٣٠٨ هـ

٩٨ — شرح شواهد مغني اللبيب : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، تحقيق لجنة التراث العربي بدمشق ، نشر دار النهضة العربية للتأليف والنشر . بدون تاريخ .

٩٩ — شرح عقود الجمان في علم المعاني والبديع والبيان : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي مطبعة دار احياء الكتب العربية بالقاهرة بدون تاريخ .

١٠٠ — شرح الكتاب : أبو سعيد الحسن بن عبدالله السيرافي مخطوط دار الكتب المصرية برقم ١٣٦ ، ١٣٧ نحو

١٠١ — يعيش بن علي بن يعيش النحوي ، نشر ادارة الطباعة المنيرية بالقاهرة

١٠٢ — الشعر والشعراء : لأبى محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة نشر دار الثقافة بيروت ١٩٦٤ م

١٠٣ — الصاحبي : احمد بن فارس ، نشر المكتبة السلفية وطبع مطبعة المؤيد بالقاهرة سنة ١٣٢٨ هـ - ١٩١٠ م

١٠٤ — الصحاح : اسماعيل بن حماد الجوهري ، تحقيق احمد عبد الغفور عطار / دار الكتب العربى بمصر سنة ١٩٥٦ م

١٠٥ صفحات من تاريخ مصر في عصر السيوطى : عبد الوهاب حمودة ، طبع الدار المصرية للتأليف والترجمة القاهـــرة . بدون تاريخ

١٠٦ — صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام : جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى ، نشر وتحقيق الدكتور علي سامى النشار . مطبعة السعادة بمصر سنة ١٩٤٦ م

١٠٧ — ضحى الاسلام : احمد أمين ، الطبعة الأولى . مطبعة لجنـة التأليف والنشر القاهرة سنة ١٣٥٣ هـ - ١٩٣٥ م

١٠٨ — الضوء اللامع : شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، نشر مكتبة القدسى القاهرة سنة ١٣٥٣ هـ

١٠٩ — طبقات الحفاظ : جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى ، مطبعة التوفيق بدمشق سنة ١٣٤٧ هـ

١١٠ — طبقات الشافعية : تاج الدين عبد الوهاب بن السبكى المطبعة الحسينية . القاهرة سنة ١٣٢٤ هـ

١١١ — طبقات الشافعية : أحمد بـن محمد الاسـدي . مخطوط برقم ٢٤٠ تاريخ تيمور

١١٢ — طبقات الشعراء : عبدالله بن المعتز — تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، طبع دار المعارف بمصر سنة ١٩٥٦ م

١١٣ — طرز العمامة في التفرقة بين المقامة والقمامة : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي مخطوط / دار الكتب المصرية برقم ١٦٠٤٣ ز

١١٤ — العربية : يوهان فــك ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار نشر مكتبة الخانجي ، مطبعة دار الكتاب العربي ١٣٧٠ هـ - ١٩٥١ م

١١٥ — العجائب والآثار : عبد الرحمن الجبرتي ، تحقيق حسن محمد جوهر وجماعة ، مطبعة لجنة البيان العربي القاهرة سـنة ١٩٦٨ .

١١٦ — مصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبـي : محمود رزق سليم ، نشر مكتبة الآداب وطبع مطبعة التوكل بمصر سنة ١٣٦٦ هـ — ١٩٤٧ م

١١٧ — العصر المماليكي في مصر والشـام : الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور ، الطبعة الأولى في مطبعة لجنة البيـان العربي القاهرة سنة ١٩٦٥ م

١١٨ — عقود الجوهر في تراجم من لهم خمسون تصنيفا فمائة فأكثر : جميل بك العظم ، المطبعة الاهلية في بيروت سنة ١٣٢٦

١١٩ — علم أصول الفقه : محمد عبدالله أبو النجا ، نشر مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده ، الطبعة الخامسة / القاهرة ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٦ م

١٢٠ ــ العمدة : الحسن بن رشيق القيرواني ، الطبعة الأولى . مصر سنة ١٩٢٥

١٢١ ــ علم التاريخ عند المسلمين : فرانز روزنثال ترجمة الدكتور صالح احمد العلي . نشر مكتبة المثنى بغداد ١٩٦٣ م

١٢٢ ــ غاية النهاية في طبقات القراء : شمس الدين محمد بن الجزري ، مطبعة السعادة بمصر سنة ١٩٣٢ م

١٢٣ ــ الفتح القريب حاشية على مغني اللبيب : جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي مخطوط دار الكتب المصرية برقم ١١٣٨ نحو

١٢٤ ــ الفريدة (ألفية السيوطي في النحو) : جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي مطبعة الترقي بمصر سنة ١٣٣٢ هـ

١٢٥ ــ الفضائل الباهرة في محاسن القاهرة : ابن ظهيرة ، تحقيق مصطفى السقا وكامل المهندس ، مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٦٩ م

١٢٦ ــ فقه اللغة : الدكتور علي عبد الواحد وافي ، الطبعة السادسة دار نهضة مصر للطبع والنشر القاهرة بدون تاريخ

١٢٧ ــ الفلك المشحون : شمس الدين محمد بن طولون ، مطبعة الترقي بدمشق

١٢٨ – فهرس الفهارس : محمد عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، المطبعة الجديدة بالطالعة فاس سنة ١٣٤٦ هـ

١٢٩ – فهرس مؤلفات السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي مخطوط دار الكتب المصرية ٣٢ مجاميع.

١٣٠ – في أصول النحو : سعيد الأفغاني ، مطبعة الجامعة السورية دمشق سنة ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م

١٣١ – في النحو العربي قواعد وتطبيق على المنهج العلمي الحديث : الدكتور مهدي المخزومي ، الطبعة الأولى مطبعة مصطفى البابى الحلبي القاهرة ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م

١٣٣ – القاهرة وتاريخها وآثارها : الدكتور عبد الرحمن زكي ، نشر الدار المصرية للتأليف والترجمة ، طبع دار الطباعة الحديثة القاهره سنة ١٣٨٢هـ - ١٩٦٦م

١٣٣ – قبر الأمام السيوطي وتحقيق موضعه : أحمد تيمور ، المطبعة السلفية سنة ١٣٦٤هـ

١٣٤ – قواعد الأحكام في مصالح الأنام : عز الدين عبد العزيز ابن عبد السلام ، نشر مكتبة الكليات الأزهرية ، طبع دار الشرق القاهرة سنة ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م .

١٣٥ – القواعد الكبرى : بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي مخطوط مكتبة الأزهر برقم (١٥١) أصول فقه .

١٣٦ ــ القياس في اللغة العربية : محمد الخضر حسين . المطبعة السلفية القاهرة سنة ١٣٥٣هـ

١٣٧ ــ الكاوي في الرد على السخاوي : جلال الدين عبد الرحمن ابن أبي بكر السيوطي . مخطوط دار الكتب المصرية ٢٠٢ مجاميــع

١٣٨ ــ الكتاب : سيبويه . مطبعة بولاق القاهرة سنة ١٣١٦هـ

١٣٩ ــ الكشاف : جار الله محمود بن عمر الزمخشري ، مطبعة بولاق القاهره ١٢٨١هـ

١٤٠ ــ كشف الظنون : حاجي خليفة ، الطبعة الثالثة بالاوفست نشر المكتبة الاسلامية والجعفري تبريزي ايران طهران .

١٤١ ــ الكنز المدفون والفلك المشحون : وضعه يونس المالكي ونسب لجلال الدين السيوطي الطبعة الرابعة مطبعة مصطفى البابى الحلبي القاهرة سنة ١٩٥٦

١٤٢ ــ الكواكب السائرة في أعيان المائة العاشرة : نجم الدين الغزي ، تحقيق جبرائيل سليمان . المطبعة الاميركانية بيروت ١٩٤٥ م

١٤٣ ــ الكوكب الدري : جمال الدين عبد الرحيم بن الحسن الاسنوي مخطوط دار الكتب المصرية برقم ٤٥٩ أصول فقه

١٤٤ — الكوكب الساطع نظم جمع الجوامع : جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي مطبعة البسفور / القاهرة ١٣٣٢هـ

١٤٥ — لب اللباب في تحرير الانساب : جلال الدين عبد الرحمن أبن ابي بكر السيوطي ، طبعه ليدن سنة ١٨٤٢

١٤٦ — لحن العامة والتطور اللغوي : الدكتور رمضان عبد التواب الطبعة الاولى دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٧ م

١٤٧ — لسان العرب : جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور طبعة مصورة عن طبعة بولاق سنة ١٣٠٨ هـ

١٤٨ — اللغة والنحو بين القديم والحديث : عباس حسن ، نشر دار المعارف بمصر سنة ١٩٤٦ م

١٤٩ — لمع الادلة في اصول النحو : ابو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد الانباري ، تحقيق سعيد الافغاني . مطبعة الجامعة السورية دمشق ١٣٧٧هـ - ١٩٥٧م

١٥٠ — لواقح الانوار القدسية : عبد الوهاب الشعراني ، مخطوط دار الكتب المصرية ١٤٢٣ تاريخ

١٥١ — المبرد حياته وآثاره : محمد عبد الخالق عضيمة ، نشر المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية القاهرة سنة ١٣٨٥هـ

١٥٢ — المجددون في الاسلام : عبد المتعال الصعيدي ، نشر مكتبة الآداب بالجماميز القاهرة بدون تاريخ

١٥٣ ... المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات : أبو الفتح عثمان أبن جني ، تحقيق علي النجدي ناصف وجماعة ، نشر المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية . القاهره سنة ١٣٨٦هـ

١٥٤ ... المدارس النحوية : الدكتور شوقي ضيف ، نشر دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٨م

١٥٥ ... مدرسة الكوفة : الدكتور مهدي المخزومي ، الطبعة الثانية مطبعة مصطفى البابى الحلبي القاهرة سنة ١٣٧٧ - ١٩٥٨م

١٥٦ ... مراتب النحويين : أبو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي تحقيق محمد أبي الفضل ابراهيم نشر وطبع مكتبة نهضة مصر - القاهرة سنة ١٩٥٥م

١٥٧ ... المزهر في علوم اللغة : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطى ، تحقيق محمد أبى الفضل ابراهيم وجماعة . مطبعة دار احياء الكتب العربية بالقاهرة

١٥٨ ... المشكاة الفتحية على الشمعة المضية في علم العربية : محمد أبن محمد البديري الحسيني الدمياطى مخطوط دار الكتب المصرية رقم ٣١٦ نحو

١٥٩ ... المطالع السعيدة في شرح الفريدة : جلال الدين عبد الرحمن بن ابى بكر السيوطى ، مخطوط دار الكتب المصرية برقم ٨٦٢ نحو

١٦٠ ... معانى القرآن : أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء ، الجزء الاول طبعة دار الكتب المصرية

١٦١ ... معجم الادباء : ياقوت الحموي ، طبعة دار المأمون القاهره سنة ١٣٥٥هـ

١٦٢ ... معجم البلدان : ياقوت الحموي ، طبعة ليبزج

١٦٣ ... معجم المطبوعات العربية : يوسف اليان سركيس ، مطبعة سركيس بمصر القاهرة سنة ١٣٤٦هـ - ١٩٢٨م

١٦٤ ... معجم مقاييس اللغة العربية : احمد بن فارس ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، مطبعة دار احياء الكتب العربية القاهرة سنة ١٣٧١هـ

١٦٥ ... معجم المؤلفين : عمر رضا كحالة . مطبعة الترقي . دمشق سنة ١٩٥٨م

١٦٦ ... المعرب : أبو منصور الجواليقى . تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر . مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م

١٦٧ ... مغنى اللبيب : جمال الدين بن هشام الانصاري ، تحقيق الدكتور مازن المبارك وجماعة . نشر دار الفكر بدمشق

١٦٨ — مفاكهة الخلان في حوادث الزمان : شمس الدين محمد بن طولون ، تحقيق محمد مصطفى . نشر المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر مطبعة دار احياء الكتب العربية القاهرة سنة ١٣٨١ - ١٩٦٢

١٦٩ ـ المقامات : جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي مطبعة الجوائب الاستانة سنة ١٢٩٨هـ

١٧٠ ... المقامة اللؤلؤية في الاعتذار عن الافتاء والتدريس : جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي مخطوطة ٣٢ مجاميع

١٧١ ... المقتضب : ابو العباس محمد بن يزيد المبرد تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة . نشر المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية القاهرة سنة ١٣٨٥هـ

١٧٢ ... مقدمة ابن خلدون : ولي الدين عبد الرحمن بن خلدون ، طبع المطبعة الشرفية القاهرة سنة ١٣٢٧هـ

١٧٣ ... المنجم في المعجم : جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي مخطوط مكتبة جامعة اسطنبول برقم ١٤٤٥

١٧٤ ... منهج السالك الى ألفية ابن مالك : نور الدين علي بن محمد الاشموني ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، الطبعه الثانية مصطفى البابى الحلبي ١٣٥٨هـ - ١٩٣٩م

١٧٥ ... المؤرخون في مصر في القرن الخامس عشر الميلادي : محمد مصطفى زيادة ، مطبعة لجنة التأليف والنشر . القاهرة سنة ١٩٤٩ م

١٧٦ ... الموشحة في النحو : جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي ، مخطوط دار الكتب المصرية برقم ١٠٦٧ نحو

١٧٧ ... نزهة الالباء (تاريخ الادباء النحاة) : ،أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد الانباري نشر جمعية احياء مآثر العرب القاهرة بدون تاريخ..

١٧٨ ... نزهة النفوس والابدان : الخطيب الجوهري علي بــن داود الصيرفي تحقيق الدكتور حسن حبشي . مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٧٠م

١٧٩ ... نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة : محمد الطنطاوي ، الطبعة الثانية ، مطبعة السعادة القاهرة سنة ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م

١٨٠ ... نظم العقيان في أعيان الاعيان : جلال الدين عبد الرحمن أبن أبي بكر السيوطى تحقيق الدكتور فيليب حتي . المطبعة السورية الاميركية . نيويورك سنة ١٩٢٧م

١٨١ ... نفح الطيب : احمد المقري المغربى ، مطبعة عيسى البابى الحلبي . سنة ١٣٥٠هـ

١٨٢ ... النحو العربى (العلة النحوية نشأتها وتطورها) الدكتـور مازن المبارك . الطبعة الاولى نشر المكتبه الحديثة دمشــق ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م

١٨٣ .. النكت في علم العربية : جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى . مخطوط دار الكتب المصرية برقم ٣٩٥ نحو

١٨٤ ... النور السافر : محيي الدين محمد بن عبد القادر العيدروس مطبعة الفرات ، بغداد ١٣٥٣هـ - ١٩٣٤م

١٨٥ ... هدية العارفين في اسماء المؤلفين : اسماعيل باشا البغدادي، نشر المكتبة الاسلامية والجعفري تبريزي طهران . بالاوفست على طبعة اسطنبول سنة ١٩٥١م

١٨٦ ... همع الهوامع شرح جمع الجوامع : جلال الدين عبد الرحمن ابن ابى بكر السيوطى نشر مكتبة الخانجي ، مطبعة السعاده القاهرة ١٣٢٧هـ

١٨٧ ... الوسائل الى معرفة الاوائل : جلال الديـن عبد الرحمـن ابن ابى بكر السيوطى مخطوط دار الكتب المصرية برقـــم ٣٩١ تاريخ

١٨٨ ... وفيات الاعيان : ابن خلكان ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد مطبعة السعادة

١٨٩ ... يتيمة الدهر : أبو منصور عبد الملك الثعالـــي ، الطبعة الاولى ، مطبعة الصاوي ١٣٥٢هـ - ١٩٣٤م

المجلات والفهارس

١٩٠ ... مجلة المجلة عدد فبراير سنة ١٩٦٧م

١٩١ ... مجلة كلية الآداب جامعة القـــاهرة المجلد العاشر والمجلد الثالث عشر

١٩٢ ... مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق المجلد التاسع والعشرون والمجلد الثامن والثلاثون والمجلد الحادي والاربعون .

١٩٣ ... فهرس دار الكتب المصرية

١٩٤ ... فهرس مكتبة الازهر

١٩٥ ... فهرس مكتبة أسعد أفندي باسطنبول

١٩٦ ... فهرس مكتبة عاشر أفندي باسطنبول

١٩٧ ... فهرس مكتبة لاله لي باسطنبول

الفهرس

الموضوع	صفحة
المقدمة	٣ — ٧
التمهيد (عصر السيوطى)	٩ — ٥١
١ ـ الحياة السياسية	١١ — ٢٧
٢ ـ النشاط العلمي	٢٨ — ٥١
الباب الأول :	
سيرة السيوطى وآثاره العامة	٥٣ — ١٨٨
الفصل الأول : سيرة السيوطي	٥٥ — ١١٩
١ ـ مدينة أسيوط	٥٧ — ٦١
٢ ـ نسبه ومولده وأسرته	٦١ — ٦٧
٣ ـ ثقافته وشيوخه	٦٧ — ٨١
٤ ـ المناصب التي تولاها	٨١ — ٨٧
٥ ـ خصوماته	٨٧ — ١٠٧
٦ ـ تلامذته	١٠٧ — ١١٤
٧ ـ وفاته	١١٤ — ١١٩
الفصل الثاني :	
آثاره العامة	١٢٢ — ١٨٨

١ ـ طبيعة آثاره	١٢٣ — ١٣٦
٢ ـ عدة مؤلفاته	١٣٦ — ١٤٠
٣ ـ اسباب كثرة مؤلفاته	١٤٠ — ١٤٥
٤ ـ مؤلفاته في النحو والصرف واللغة والبلاغة	١٤٥ — ١٤٩
٥ ـ مؤلفاته في العلوم الدينية	١٤٩ - ١٥٣
٦ ـ مؤلفاته في التاريخ	١٥٤ — ١٥٥
٧ ـ أدبه	١٥٥ — ١٦٤
٨ ـ التعريف بنماذج من مؤلفاته	١٠٤ — ١٨٨
الباب الثاني	
في الاصول	١٨٩ ٢٩٦
الفصل الاول	
الاقتراح في علم اصول النحو وجدله	١٩١ — ٣٠٦
١ ـ علم اصول النحو	١٩٣ — ٢٠٨
٢ ـ مصادر كتاب الاقتراح	٢٠٩ — ٢٢٠
٣ ـ مواد كتاب الاقتراح	٢٢١ — ٢٤٦
٤ ـ السماع	٢٤٦ — ٢٧٣
٥ ـ الاجماع	٢٧٤ — ٢٧٩
٦ ـ القياس	٢٨٠ — ٢٩٩
٧ ـ الاستصحاب	٣٠٠ — ٣٠٢
٨ ـ القيمة العلمية لكتاب الاقتراح	٣٠٣ — ٣٠٦

الفصل الثاني
الأشباه والنظائر في النحو ٣٠٧ — ٣٩٦

١ ـ الاشباه والنظائر في الفقه ٣٠٩ — ٣٢٢

٢ ـ كتاب الاشباه والنظائر في النحو ٣٢٣ — ٣٢٧

٣ ـ مصادر الكتاب ٣٢٨ — ٣٣٥

٤ ـ مواد الكتاب ٣٣٦ — ٣٤٨

٥ ـ القواعد والاصول العامة ٣٤٩ — ٣٥٩

٦ ـ الضوابط والاستثناءات والتقسيمات والجمع والفرق ٣٦٠ — ٣٦٩

٧ ـ المناظرات والمجالس والفتاوى ٣٧٠ — ٣٨٠

٨ ـ القيمة العلمية لكتاب الاشباه والنظائر ٣٨١ — ٣٩٦

الباب الثالث

متون وشروح ٣٩٧ — ٦٧٤

الفصل الاول

المتون ٣٩٧ — ٤٣٢

١ ـ عصر المتون ٤٠١ — ٤٠٦

٢ ـ الفريدة ٤٠٧ — ٤١٨

٣ ـ التحفة السنية ٤١٩ — ٤٢٧

٤ ـ متون مختلفة ٤٢٨ — ٤٣٢

الفصل الثانى

همع الهوامع شرح جمع الجوامع في علم العربية ٤٢٣ — ٥٩٦

١ - مواد الكتاب ٤٣٥ — ٤٤١

٢ - مصادر الكتاب ٤٤٢ — ٤٦٧

٣ - منهج السيوطي في الهمع ٤٦٨ — ٥١٩

٤ - مع النحاة ٥٢٠ ... ٥٣٦

٥ - مع ابن مالك وابى حيان ٥٣٧ ... ٥٦٠

٦ - مع ابن هشام ٥٦١ ... ٥٦٧

٧ - آراء السيوطى النحوية الصرفية ٥٦٨ ... ٥٩٢

٨ - القيمة العلمية لكتاب ٥٩٣ ... ٥٩٥

الفصل الثالث

شروح مختلفة ٥٩٧ ... ٦٧٤

١ - شرح شواهد المغني ٥٩٩ ... ٦٣٦

٢ - المطالع السعيدة في شرح الفريدة ٦٣٧ ... ٦٤٩

٣ - البهجة المرضية في شرح الألفية ٦٥٠ ... ٦٦١

٤ - النكت في علم العربية ٦٦٢ ... ٦٧٤

نتائج البحث ٦٧٥ ... ٦٨١

المصادر ٦٨٥ ... ٧٠٦

المحتويات ٧٠٧ ... ٧١٤

الخطأ والصواب

ص	س	الخطأ	الصواب
٤	١٤	خصصت	خصصته
٥	٥	الاشباء	الاشباه
١٣	٥	للمخفاء	للخلفاء
١٤	١	المتوفي	المتوفى
١٦	١٠	خمسة عشر	خمس عشرة
١٧	١	احد	احمد
١٧	٩	محموده	محموداً
١٨	٦	فقه	فقد
١٨	٩	قانصوة	قانصوه
١٩	١٠	توجة	توجه
٢١	٤	ولم بعضي	ولم بمض
٢٢	٨	تمريفا	تمرنها
٢٦	٨	الجلبان	الجلبان
٢٨	٤	ف دت	ففقدت

ص	س	الخطأ	الصواب
٢٨	٢٠	زيادة	ريادة
٣٠	٦	علماء	علماءُ
٣٠	١٠	تمريفا	تمربفا
٣٧	٢	ولايخفي	ولايخفى
٣٨	٢	كلة	كله
٣٨	٦	ابن	بن
٢٨	٤	المتوفي	المتوفى
٣٨	٢	وكتاب	وكتب
٣٩	٣	المتوفي	المتوفى
٣٩	٣	ابن	بن
٤٠	١	يذكر	يذكر
٤٠	٤	ابن	بن
٤٥	٦	ولو	وله
٤٥	١	شرح الفية	شرح فيه
٤٧	١٥	ابناء الغمر	البناء الغمر
٤٨	١٩	شذات	شذرات
٥٠	٣	القاهرة	آحذف
٥٧	١١	القلقشندي(٢)	القلقشندي(٣)
٦١	٨	ابن	بن

ص	س	الخطأ	الصواب
٦١	١٨	ابن	بن
٦٣	١٥	أصفيرة	أصفير
٦٦	١	تستند	تسند
٦٨	٩	ابن	بن
٧١	١٢	الداوري	الداودي
٧٢	١	المتوفي	المتوفى
٧٢	١٤	للكتاب-ي	للكتاني
٧٤	١	علية	عليه
٧٥	١١	وبلسانه	بلسانه
٧٦	٧	والسهر	تحذف
٧٦	١٣	اليرومي	الرومي
٧٨	٣	ابن	بن
٧٨	٨	في الذي	تحذف
٨١	٢	والقول الذي اطلعت عليهما	تحذف
٨٢	١٣	ولم يتولى	ولم يتول
٨٣	٧	القضاه	القضاء
٨٤	٢	خمسين	في خمسين

ص	س	الخطأ	الصواب
٨٤	٤	والد	والده
٨٤	٨	بن	ابن
٨٤	١٩	المكتابي	للكتاني
٨٥	٨	ولما كان توفي	ولما توفي
٨٦	١١	فاختفى	اختفى
٨٧	١٢	طباعة	طباعه
٨٨	٧	المتوفي	المتوفى
٨٨	٨	المتوفي	المتوفى
٩٠	١	وصنه	ووصفه
٩٠	٥	لنجا	النجا
٩٢	١٣	الموجهة	الموجبة
٩٣	١٥	الصنفين	المصنفين
٩٥	٤	واللآلي	واللآلىء
٩٧	٣	فهي	فهو
٩٨	٧	وانما	إنما
١٠٢	١١	محاسبته	محاسنه
١٠٤	١٥	وانتفاص	وانتقاص
١٠٥	١	اللامع	في الضوء اللامع
١٠٦	٩	نعروك	تعروك

ص	س	الخطأ	الصواب
١٠٧	١٦	فرس	فهرس
١٠٨	١١	لذالك	ولذالك
١١٠	١٤	المكون	المكنون
١١٤	٣	كـمالاً	كمالاً
١١٦	٤	زراعه	ذراعه
١١٦	١٤	تتعرض	نتعرض
١١٧	٦	ورثاه	ورثاه
١١٩	١٥	ابن	بن
١٢٣	٦	العدد هذا	العدد مؤلفات هذا
١٢٥	١٤	عن	عمّن
١٢٦	١٧	النقيلة	النقلية
١٢٩	٥	بعد	يعد
١٣١	٥	رأي	رأيي
١٤٠	١٢	الأشتغال	التأليف
١٤٤	٨	في رأي-	- في رأيي-
١٤٦	٢٠	العمة	العتمه
١٥١	١٧	تنويد	تنوير

ص	س	الخطأ	الصواب
١٥٧	١٧	فموضوعها	فموضوعهما
١٥٧	١٧	بل هل	بل هي
١٧٢	١٣	عقدة	عقده
١٧٣	١	ثلاث	ثلاثة
١٧٤	٧	العباسي	العباس
١٧٦	٧	المستغربة	الامور المستغربة
١٨٠	٩	زمنة	زمنه
١٨١	٣	انة	انه
١٩٥	٧	اعتمد	اعتمدوا
١٩٥	٢٠	انباه	انباه
١٩٦	١٦	قسمة	قسمه
١٧٢	٢	انما	انما هو
٢٠٠	٦	المتثقفين	المتفقهين
٢٠٢	٩	وقوله	وقولة
٢٠٦	٤	الاعراب في	الاغراب في
٢٠٦	١٤	اضراراً	اضطراراً
٢٠٩	١٦	السابقة	السامقة
٢٠٩	١٧	المنصفين	المصنفين
٢١٢	١٥	(١)	(٢)

س	ص	الخطأ	الصواب
٢١٦	١٦	نفس	نفس الملك
٢٢٥	١٠	بالتوقيت	بالتوفيق
٢٢٧	١٠	مسيغة	مسبغة
٢٩	١	نفسة	نفسه
٢٣١	٧	انهي	انهى
٢٢١	١٠	والثالث	وفي الثالث
٢٣١	١٠	بلعكس	بالعكس
٢٣٢	١١	كتابة	كتابه
٢٣٣	٦	يوم	يوماً
٢٣٤	٦	الأولى	الأول
٢٣٥	٧	رهى ربيعة	وهى في ربيعة
٢٣٩	١١	الأخطأ	الخطأ
٢٤٠	٨	وضبوطها	وضبطوها
٢٤١	١١	الى الاسود	الى ابى الاسود
٢٤٢	٥	فنس	فنص
٢٤٤	١٠	عملة	عمله
٢٤٥	٧	فاعل فاعل	فاعل افعل
٢٤٥	٨	حجه	حجة
٢٤٩	٩	من قائليهما	من ان قائلهما

ص	س	الخطأ	الصواب
٢٥٠	٤	سيبويةٍ	سيبويه
٢٥١	٤	منهم	فهم
٢٥١	٥	كوفين	كوفيون
٢٥٢	٢	لوجيها	توجيهاً
٢٥٢	٢٠	بزين	لزين
٣٥٢	١٩	ومن	من
٢٥٤	١٤	ليرون	يروون
٢٥٥	٣	غير فصيح	غير الفصيح
٢٥٧	٢	ابي	ابن
٢٥٩	٢	يرونه	يروونه
٢٦٠	٩	علماً	الكلام على
٢٦٠	١٤	لابي الفاربي	لابي نصر
٥٦٦	١٣	(١)	)(٥
٢٧١	١٤	فطر	فطر
٢٧٤	٣	وفكره	فكره
٢٧٧	٢	خلافة	خلافه
٢٧٦	٦	قادراء	قدماء
٢٧٦	١٣	وجه	وجه
٢٧٧	١٤	عناهم	مناهم
٢٧٨	٤	٢	٣

ص	س	الخطأ	الصواب
٢٨٣	٨	تحامت	تحاميت
٢٨٦	١	بن	ابن
٢٨٦	١٤	فيها	فيه
٢٨٧	٥	حكمة	حكمه
٢٨٧	٩	اصول	اصل
٢٨٩	١١	ابن	بن
٢٨٩	١١	انة علة	أنه
٢٩٢	٨	وما	واما
٢٩٢	١٦	واعتبرها	واعتبر
٢٩٣	١	الأبتداء	ابتدأ
٢٩٤	١	اللذين	الذين
٢٩٨	٨	كما جاءهم	كاجاءهم
٢٩٩	١١	وانه تناولا	وانه تناوله تناولا
٣٠٣	١٥	ومن	من
٣٠٤	٣	خاصاً بها	خاصاً به
٣٠٤	١٠	عنت	عنيت
٣٠٥	٤	غرور	غرو
٣١٣	١٢	وتناقل	وقتال
٣١٣	١٨	وفي ثم	وثم

الصواب	الخطأ	س	ص
الناسي	الناس	٧	٣٢٢
عنيت	عنت	٣	٣٢٣
حجبه	حجة	١٦	٣٢٤
ابن	بن	١٠	٣٢٩
تنوير الدياجي	(تنوين الديابني	٥	٣٣٣
بن	ابن	٠	٣٣٤
اللبيب	اللبوت	٤	٣٣٥
كذا	كذ	٧	٣٣٥
أدواته	ادواتة	٩	٣٣٥
أموراً	امور	٦	٣٣٦
النداء	اليدئه	١٤	٣٤٠
ابن	بن	٢٢	٣٤٤
اللمحة	اللحمة	١٣	٣٤٤
يطلب	بطلب	١٢	٣٤٥
للقواعد	القواعد	٤	٣٤٩
والأصول	الاصول	٢	٣٥٠
الدين	لدين	١٧	٣٥٢
جوز	جواز	١٣	٣٥٣

ص	س	الخطأ	الصواب
٣٥٥	٨	وحايجي	وجايجي
٣٥٨	٧	غابة	غالية
٣٦٣	١٤	اعد	فصاعداً
٣٦٤	٤	فيما	فبما
٣٦٥	٣	غزو	عزو
٣٦٧	٨	ماافترق	ما افترق فيه
٣٦٧	١٧	كذلك في أحكام	في أحكام
٣٧١	١٧	ايا	ابا
٣٧٦	٤	سنخ	سنح
٣٧٦	٧	توفيقم	توفيقهم
٣٨٢	٦	اخمار	اضماره
٣٨٤	١٧	اعرب إذا وقعت (اذا)	اعراب (اذن) إذا وقعت
٣٨٨	٦	تفسيره	تفسره
٣٨٩	٢	ابن	بن
٣٩٤	٧	الضعف	الضفف
٤٠٦	١٥	الموحشة	الموشحة
٤١٨	٤	واللام	بالألف واللام

ص	س	الخطأ	الصواب
٤٢٥	١	يذكر	يذكر حده
٤٢٥	١٠	نجد	نجده
٤٢٦	٤	عمر	عمراً
٤٢٦	١٩	الدرجات اليه	الدراسات النحوية
٤٣١	١٧	واعنقد	واعتقد
٤٤٠	٤	مصادرةوتعددب	مصادرهوتعددت
٤٤٩	١٣	اليوكيد	التوكيد
٤٥١	١٧	ادار	اراد
٤٥٢	٣	ترتيث	ترتيب
٤٥٣	١٠	الاحضر	الاخضر
٤٥٦	٩	ابوابه	ابواب
٤٦٠	١٢	الباحثين	بالباحثين
٤٦١	١٣	وينقصه	وينقضه
٤٦٤	١٤	جميعها	جمعها
٤٨٣	١٤	وتبدا	وتبدا
٤٨٧	١٢	(يا)	(ياء)
٤٩١	٢١	لحانظة	لحافظة
٤٩١	٢١	كتت	كتب
٤٩٢	٦	القراء	القراءة

ص	س	الخطأ	الصواب
٤٩٣	٩	احديد	الحديد
٤٩٦	١٤	ابن	بن
٥٠١	١٤	يجع	يجمع
٥١٢	١٦	التعقيد	التقعيد
٥٢١	١٢	كثيريين	كثيرين
٥٣٢	٤	لانها لشبهها	لشبهها
٥٣٥	٨	التعب	التعجب
٥٤٨	١٣	والقياس	للقياس
٥٥١	٥	بن	ابن
٥٥١	١٣	يجز	يجيز
٥٥٤	٨	النكر	النكرة
٥٦١	٨	من على	من اعتماده على
٥٧٩	٤	على انها لغة	على لغة
٥٨١	٥	ان خرف الزمان ان الزمان	
٥٨٨	١٠	أنهم يقولون	انهم يقولون : قال فلانة
٥٨٧	٢	آثارها	آثاره
٥٩٢	١٥	(٤)	(٣)
٦٠٥	١٣	حدث	حدت
٦١٣	١٨	هذا ابن	هذا ان ابن
٦١٨	١٨	جزين	جزئي

ص	س	الخطأ	
٦٢٥	١٥	الهيمت	بالبيت
٦٢٢	٧	حيان	أحيان
٦٤٩	٨	المخطو	المخطوطة
٦٥٨	٤	الكفاية	الكافية
٦٦٢	١٦	يتألق	يتألف
٦٧٠	٧	المذكة	المذكورة
٦٧٩	١٧	سواهد	شواهد
٦٨١	٨	الموميق	المرافق
٦٩٤	١٧	الديوان	الدوران

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ٤٠٤ لسنة ٩١٧٦